
بسم الله الرحمن الرحيم
وله الحمد والشكر وبه نستعين







بحوثُ المؤتمرِ العلميِّ الدوليِّ الثَّاني

عَن سيِّدةِ نساءِ العَالمينَ فاطِمَة الزَّهراء عليها السلام

بشعار



ثَمَرَةُ النُّبُوَّةِ وَشَجَرَةُ الإِمَامَةِ

الجزءُ الثَّالِثُ

بِرِعَايَةِ العَتَبَتَيْنِ الحُسَيْنِيَّةِ وَالعَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَتَيْنِ

بِمُناسَبَةِ ذِكْرَى ولادَتِها المباركة عليها السلام

أَقامهُ قِسْمُ الشُّؤُونِ الْفِكْرِيَّةِ فِي مَقَامِ مُعْجِزَةِ رَدِّ الشَّمْسِ

لِلْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب عليه السلام

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ كُلِّيَّةِ العُلُومِ الإِسْلَامِيَّةِ / جَامِعَةِ بَابِلَ

وَمَرْكَزِ تُرَاثِ الحِلَّةِ التَّابِعِ لِلعَتَبَةِ العَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

مِنْ ١٨-١٩ جُمَادَى الآخِرَةَ ١٤٤٤هـ/ ١١-١٢ كانون الثاني ٢٠٢٣م

المُشْرِفُ العَامُّ عَبْدُ الرَّسُولِ المُوسَوِيُّ

العِرَاقُ / بَابِل

الحِلَّة مَدِيْنَةُ الْعِلْمِ والْعُلَمَاءِ

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة
مركز تراث الحِلَّة
موبايل: 009647602320073
E-mail: hilla@alkafeel.net

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في مقام معجزة ردِّ الشمس. المؤتمر العلميّ الدوليّ عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام (الثاني : ٢٠٢٣ : بابل، العراق)، مؤلِّف.

بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام : بشعار فاطمة الزَّهراء ثمرة النبوَّة وشجرة الإمامة. الجزء الثالث / أقامه قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة بالتعاون مع كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة بابل ومركز تراث الحِلَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدسة.-الطبعة الأولى.- الحِلَّة، العراق : قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة، ١٤٤٥ هـ. = ٢٠٢٣.

مجلد ؛ ٢٤ سم

يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.

١. فاطمة الزَّهراء، فاطمة بنت محمَّد بن عبد الله عليها السلام، ٨ قبل الهجرة-١١هجريّ--مؤتمرات. أ. العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة، مؤلِّف. ب. جامعة بابل (العراق). كليَّة العلوم الإسلاميَّة، مؤلِّف. ج. العنوان.

LCC : BP80.F36 . A833 2023

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

فهرسة أثناء النشر

٢/٩٠١

ح/ مركز تراث الحِلَّة - قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة -
العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين
فاطمة الزَّهراء عليها السلام
الحلَّة/ مركز تراث الحِلَّة/ العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
E-mail: hilla@alkafeel.net
١٧,٥ × ٢٤سم
بحوث - دراسات

م/ و
٢٧٧٨/ ٢٠٢٣م

المكتبة الوطنيَّة/ الفهرسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٧٧٨) لسنة ٢٠٢٣م

الكتاب: بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام. بشعار: فاطمة الزَّهراء ثمرة النبوَّة وشجرة الإمامة (الجزء الثالث).

جهة الإصدار: العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة.

الطَّبعة: الأُولى. المطبعة: دار الكفيل للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

سنة الطَّبع: ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م.

السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقيّ

نور الهدى جابر چياد

ملخَّص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسَلين، ثمَّ الصلاة والسلام على سيِّدنا ونبيِّنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمَّد وعلى أهل بيته الطيِّبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، لاسيما خليفة الله في الأرضِين، واللعنة الدائمة الأبديَّة على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

أمَّا بعد:

تقدَّمت ببحث عنوانه (السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقيّ)؛ من أجل عرض رؤية جديدة حول سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، من منظار الفكر الغربيّ الاستشراقيّ.

عرضت لهذا البحث لحاجة مهمَّة، غرضها الوقوف بجلاء على الرؤية التي يحملها الفكر الاستشراقيّ لشخصيَّة فاطمة ابنة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، في ضوء ما توفَّر من أخبار وروايات عنها.

ذُكِر نصٌّ في القران الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، من خلال هذا النصِّ القرآنيّ، نحوت باتِّجاه معرفة آرائهم بالسيِّدة الزَّهراء، وكيف يقرأ الفكر الاستشراقيّ شخصيَّتها في زمن

النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وحياتها مع الإمام عليّ عليه السلام، بعد وفاة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وخلافها مع أبي بكر.

توصَّلت إلى أنَّ بعض المستشرقين يرون لها مكانة عظيمة في حياة النبيّ محمَّد، وأفضليَّة، وتقدُّمها على سائر زوجات النبيّ، وأيضًا بعد رحيله بقيت لها مكانة خاصَّة عند بعض الصحابة والمجتمع الإسلاميّ.

والبعض الآخر من المستشرقين أنكر أهميَّة السيِّدة فاطمة، فكتب عن سيرتها بتعصُّبٍ وتطرُّفٍ وتحامل.

وممَّا توصَّلت إليه في هذا البحث، قلَّة اهتمام المستشرقين بسيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، على الرغم من بروزها في التاريخ الإسلاميّ.

مقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسَلين، ثمَّ الصلاة والسلام على سيِّدنا ونبيِّنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمَّد وعلى أهل بيته الطيِّبين الطاهرين الأبرار المنتجَبين، لاسيما خليفة الله في الأرَضين، واللعنة الدائمة الأبديَّة على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليّ العظيم.

أمَّا بعد:

تقدِّمت ببحث عنوانه (السيِّدة الزَّهراء في الفكر الاستشراقيّ)، من أجل عرض رؤية جديدة حول سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، من منظور وزاوية الفكر الغربيّ الاستشراقيّ.

عرضت في هذا البحث لحاجة مهمَّة غرضها الوقوف بجلاء على الرؤية التي يحملها الفكر الاستشراقيّ لشخصيَّة عظيمة القَدَر، سيِّدة نساء أهل الأرض، فاطمة ابنة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، في ضوء ما توافر من أخبار وروايات عنها.

ذُكر نصٌّ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، إذ تشير هذه الآية الشريفة بضميمة الأحاديث والروايات إلى مكانة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وعصمتها، وعلوِّ كعبها على نساء الإسلام، فضلًا عن غيرهنَّ من نساء العالمين، فالله عزَّ وجلَّ شاء أن يطهِّر الزَّهراء عليها السلام من كلِّ رجسٍ ودنسٍ، ورفعها الى درجة الصدِّيقين، ولا شكَّ عند علماء الإسلام من الفريقَين بدخول السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في مفهوم الآية، وإن اختلفوا في دخول غيرها.

ومن خلال هذا النصِّ القرآنيّ، نحوت باتِّجاه معرفة آرائهم بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وكيف يقرأ الفكر الاستشراقيّ شخصيَّتها في زمن النبي محمَّد صلى الله عليه وآله، وحياتها مع الإمام عليّ عليه السلام بعد وفاة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله.

إنَّ بعض المستشرقين يرون لها مكانة عظيمة جليلة في حياة أبيها صلى الله عليه وآله، وأنَّها المرأة الأولى في الإسلام، شرفًا وفضلًا وقدرًا، وأنَّها متقدِّمة على سائر زوجات النبيّ، وأيضًا بعد رحيله صلى الله عليه وآله بقيت لها مكانة خاصَّة عند بعض الصحابة والمجتمع الإسلاميّ.

وللأسف الشديد نرى أنَّ البعض الآخر من المستشرقين أنكر أهميَّة السيِّدة فاطمة عليها السلام، فكتب عن سيرتها بتعصُّب وتطرُّف وتحامُل، دون الوقوف على سيرتها بشكلٍ دقيقٍ، وخصوصًا أنَّ تراث المسلمين يضمُّ عشرات، بل مئات الأحاديث النبويَّة التي تبيِّن بوضوحٍ تامٍّ مكانة وعظمة هذه السيِّدة الجليلة الزكيَّة التي كان لها دور أساسيٌّ في حفظ الإمامة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولعلَّ منشأ هذه المزاعم يعود إلى ضعف القراءة الاستشراقيَّة للشخصيَّات الإسلاميَّة، وعدم فهمهم لكثير من النصوص الحديثيَّة والتأريخيَّة، وضعفهم الواضح باللغة العربيَّة وبلاغتها وعمقها الدلاليّ، فضلًا عن فهمهم الكامل للإسلام الحنيف ونظمه ومنهجه وأُسسه، فكما أنَّهم أخطأوا في قراءتهم حول الشخصيَّة المحمَّدية المباركة، كذلك وقعوا بنفس الأخطاء عند قراءة شخصيَّة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

تكمن أهميَّة البحث في إدراك ومعرفة كيف يرى المستشرقون شخصيَّة فاطمة بنت النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، من خلال الاعتماد على كتبهم ومقالاتهم ودراساتهم، فمن الضروريّ جدًّا أن نقف على تلك الدراسات؛ لنرى كيف يصوِّر ويترجم المستشرق هذه الشخصيَّة للعالم الغربي ومتابعة تلك الدراسات بالنقد والردِّ في حال خدشت صورتها عليها السلام في كلماتهم، والمدح والثناء في حال صحَّت أقلامهم بالنقل والترجمة.

لذا من الضروري أن يطَّلع الباحث المتخصِّص في البحوث الاستشراقيَّة على آراء وأفكار المستشرقين حول السيِّدة فاطمة، ويقف على الحقائق منها لكي يؤكِّدها ويدعمها بالأدلَّة والوثائق، ويكشف عن المواضع التي تحتوي على شبهات وأكاذيب وافتراءات كي يردَّها بقوَّة وحزم.

وقد تمَّ تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث، سبقتها المقدِّمة، وتلتها الخاتمة، تناول المبحث الأوَّل تعريف الاستشراق، وكانت الغاية منه هي إلقاء نظرة سريعة على المفهوم العام للاستشراق والغاية منه، في حين كان المبحث الثاني عن اهتمام المستشرقين بدراسة الشخصيَّات الإسلاميَّة، فتمحور حول رؤية المستشرقين للشخصيَّة الإسلاميَّة، وأوَّل شخصيَّة أولاها المستشرقين بحثًا هو النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله، وكذلك عن معرفة المنهج الذي استخدمه المستشرقين في تقويمهم لبعض هذه الشخصيَّات، ودرسَ المبحث الثالث نسب السيِّدة الزَّهراءعليها السلام والتنشئة الأسريَّة في بعض كتابات المستشرقين، من خلال دراسة النسب الشريف، وطبيعة الحياة الأسريَّة للزَّهراءعليها السلام مع أبيهاصلى الله عليه وآله، وزوجهاعليه السلام وأسرتها، ومكانتها في المجتمع الإسلاميّ.

واعتمدت على جملة من المصادر والمراجع، التي اهتمَّت بالدرجة الأولى بحياة الزَّهراءعليها السلام ودورها السياسيّ والاجتماعيّ، وسعينا جاهدين للوصول إلى أقدمها وأقربها إلى الحدث.

وسعيت للحصول على مؤلَّفات المستشرقين، وهي قليلة جدًّا، وأغلب المكتبات تفتقر إلى هذه الكتب، والحمد لله استطعت الحصول على البعض منها مترجَم إلى اللغة العربية، وكان من بينها كتاب (عقيدة الشيعة) للمستشرق الإنكليزي دونالدسن، وكتاب (سطوع نجم الشيعة) للمستشرق الألمانيّ كونسلمان، وأيضًا كتاب (ورثة محمَّد) للمستشرق البريطانيّ روجرسون وغيرها.

وكان للمراجع الأجنبيَّة أهميَّة لا تقلُّ عن المراجع المترجَمة في إغناء البحث بالآراء الاستشراقيَّة، منها كتاب (Fatima Et Les Filles De Mahomet) (فاطمة وبنات محمَّد) للمستشرق الفرنسيّ لامنس، وغيره.

ورغم أنَّ هذا البحث لم يبلغ الكمال فيما رامه، لكنَّه جهد يقدَّم خدمةً لمولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام، والله من وراء القصد، ونسأله العفو عن الزلل والخطأ.

المبحث الأوَّل

تعريف الإستشراق ومناهجه

الاستشراق لغةً واصطلاحًا

كلمة اصطلاحيَّة، لا يراد بها مدلولها اللغويّ، من حيث التوجُّه نحو الشرق، يُقال: استشرق أي اتَّجه نحو الشرق، وانتسب إليه، و(استشراق) على وزن استفعال، وهي كلمة مأخوذة من شرق، ثمَّ أُضيف لها حرف الألف، والسين، والتاء، ومعناها في اللغة هو طلب الشرق، يعني معرفة علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه. وجاء في المعجم الوسيط: «شرقت الشمس شرقًا وشروقًا، إذا طلعت، أي وضحت وظهر ضوؤها.

والاستشراق في المفهوم الاصطلاحيّ طلب علوم الشرق، والاتِّجاه للتخصُّص في معرفتها، والمستشرق هو المتخصِّص في علوم الشرق وحضارته وآثاره وفنونه، وأُطلقت كلمة (مستشرق) لأوَّل مرَّة سنة ١٦٣٠م، على أحد أعضاء الكنيسة الشرقيَّة، ثمَّ أُطلقت بعد ذلك على من عَرَف لغات الشرق، وعرَّف قاموس أُكسفورد الجديد معنى المستشرق بأنَّه «من تبحَّر في لغات الشرق وآدابه»، وكانت تُطلق في البداية على من تخصَّص في فقه اللغات الشرقيَّة.

يقول الدكتور محمَّد عثماوي زيدان : «إنَّ الاستشراق غربيُّ النشأة والممارسة، وكذا الاصطلاح والإطلاق، فليس في قديم المعاجم العربيَّة وحديثها ما يُشير إلى أصالة عربيَّة المصطلح المذكور، أو أسبقيَّة استعمالاته؛ لأنَّ العرب بتراثهم الإسلاميّ هم موضوع

الاستشراق ومادَّته، والغربيُّون هم أصحابه وممارسوه، لذا كان منطقيًّا أن نفهم من أساتذة فقه اللغة وأصولها أنَّ الاستشراق يُطابق المصطلح (المولد) لفظًا ومعنًى، إذ لم تعرفه العربية قبل ظهوره وانتشاره في أوربا، وعليه فالغربيُّون هم أصحاب هذا الإطلاق، والتوصيف من عباءتهم خرج، وبأقلامهم وفي معاجمهم ظهر»[1].

ويظهر ممَّا تقدَّم من بيان الاستشراق، هو ذلك التيَّار الفكريّ الغربيّ الذي تصدَّى للدراسات المختلفة عن الشرق الإسلاميّ حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته.

(١) الاستشراق الفرنسيّ، الدكتور محمَّد عشماوي زيدان: ٤٤.

المبحث الثاني

اهتمام المستشرقين بدراسة الشخصيَّات الإسلاميَّة

لطالما شغلت الشخصيَّات الإسلاميَّة المستشرقين بهدف الوقوف على أبعادها الذاتيَّة والشخصيَّة، وما تحمله من صفات وسمات، وما قدَّمت على الصعيد العمليّ، والآثار التي تركوها للسَّلف من بعدهم، والتي ساهمت في نموٍّ وتوسُّع دائرة الإسلام، وخصوصًا شخصيَّة نبي الإسلام محمَّد صلى الله عليه وآله وتاريخه العظيم، وسيرته العطرة، ورسالته السَّماويَّة المباركة، ولذا نرى المستشرقين على اختلاف مدارسهم ومناهجهم قد أكثروا من البحث والتأليف والدراسة في مجمل المسائل التي ترتبط بهذه الشخصيَّة العظمى في تأريخ الإسلام، وبكلِّ ما يرتبط بنبوَّته ورسالته، والقرآن الكريم، والوحي، ولغة القرآن، وغيرها من القضايا المتعلِّقة به.

وبدأ هذا الاهتمام من المستشرقين بدراسة شخصيَّة النبيّ صلى الله عليه وآله بكلِّ أبعادها منذ القرن التاسع عشر الميلاديّ.

وضمن اهتماماتهم أيضًا دراسة حركة التشيُّع وشخصيَّاتها وأدوارها في الحياة السياسيَّة والاجتماعيَّة في الإسلام، يقول عبد الجبَّار ناجي في كتابه التشيع والاستشراق: «وعنوا أيضًا ضمن هذا التوجه بدراسة التشيُّع والحركة الشيعيَّة السياسيَّة، وبحياة الأئمَّة عليهم السلام، والأدوار التي كانوا يمارسونها في مسيرة الأحداث السياسيَّة والاجتماعيَّة والفكريَّة والإرشاديَّة.

لكنَّهم عمومًا قد استندوا في تأسيس مبانيهم الفكريَّة حول هذه الأمور المهمَّة إلى

المؤلَّفات الإسلاميَّة المعروفة والمحقَّقة في تلك الآونة، وهذه المصادر بدورها اعتمدت في سردها التاريخيّ على المألوف من الرواية الأمويَّة والعبَّاسيَّة بالدرجة الأولى، من دون الرواية الشيعيَّة، وكما هو معروف، فإنَّ الروايَتَين الأمويَّة والعبَّاسيَّة إن تمَّ الاعتماد عليها لوحدها، عندئذ يكون التدوين التاريخيّ غير مُنصف، وغير عادل؛ فالرواة الأصليُّون الذين تأثَّروا بهاتَين السلطَتَين السياسيَّتَين، الأمويَّة والعبَّاسيَّة، كانوا غير منصفين في مرويَّاتهم؛ لأنَّهم اضطرُّوا بدافع الخوف أو الطمع في الدنيا إلى أن يغيِّبوا الرواية الشيعيَّة، الرواية التي عرَّفها الأمويُّون برواية أبي تراب، أي الإمام عليّ، عمدًا، أو إنَّهم قد سايروا السياسة»[1].

ونلاحظ اهتمام المستشرقين أيضًا بدراسة شخصيَّة الإمام عليّ عليه السلام، إذ ركَّزوا عليها بشكلٍ كبيرٍ في دراساتهم، وما ذلك إلَّا للحضور البارز والمهمِّ للإمام عليّ عليه السلام في حياة الإمَّة الإسلاميَّة، كذلك شغلتهم دراسة هذه الشخصيات؛ لمعرفة مدى قوَّة المسلمين ومواطن ضعفهم، والإسهام في تفريق كلمتهم، وبَذْر أسباب النزاع وإيقاع الفِتَن بينهم، وملاحقة كلِّ حركة إصلاحيَّة، وتوجيه الدعايات السيِّئة ضدَّها، وإحياء البِدَع والخرافات بين المسلمين، وإعادة طبع الكُتب التي تشتمل عليها، والإشادة بها.

ونحن نعلم ما للإسلام من أثر كبير في العالم الغربيّ، فقد كان الفلاسفة والفقهاء يكتبون باللغة العربيَّة، ويقتبسون الأسلوب العربيّ، لذلك كانت الحضارة الغربيَّة اقتباس من الحضارة العربيَّة، فلم يكن مثقَّفٌ ولا متحضِّرٌ، في رأيهم، من لا يُحسن الكلام بالعربيَّة.

فاطمة الزَّهراء عليها السلام

فاطمة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء العالمين، هبة الله المنَّان، الكوثر القيِّم في القرآن، والكفؤ الندُّ لأمير المؤمنين، وواحدة من علل الإيجاد في عالم الإمكان.

(١) التشيُّع والاستشراق، عبد الجبَّار ناجي: ١٥٥-١٥٦.

فاطمة الزَّهراء، قطب دائرة آل العبا، وحبيبة المصطفى، وشفيعة يوم الجزا، وليَّة الملك الأعلى، ومن أبنائها المعصومين الأحد عشر أغلى.

فاطمة بيتُها منزل هل أتى، وأبوها محمَّد المصطفى، وبعلها عليّ المرتضى، وشبلها الحسن المجتبى والحسين سيِّد الشهداء، وابنتها أمُّ كلثوم وزينب الكبرى، يدها مقبَّل رسول الله، حبُّها ثقة قلوب الأولياء، وودُّها أجر رسالة خاتم الأنبياء، وأغلى مدائحها أمّ أبيها[1].

شخصيَّة إنسانٍ تحمل طابع الأنوثة لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب، فإنَّ الله تعالى خلق محمَّدًا صلى الله عليه وآله ليكون آية قدرته في الأنبياء، ثمَّ خلق منه بضعته وابنته فاطمة الزَّهراء لتكون علامة وآية على قدرة الله في إبداع مخلوقٍ أنثى تكون كتلة من الفضائل، ومجموعة من المواهب، فلقد أعطى الله تعالى فاطمة الزَّهراء أوفر حظٍّ من العَظَمة، وأوفى نصيبٍ من الجلالة، بحيث لا يمكن لأيَّة أنثى أن تبلغ تلك المنزلة[2].

فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي خُير مثالٍ تحتذي النساء به، فهي تجمع جميع الخصال الحسنة، فقد خُصِّت بهذه المزايا دون سائر النساء جميعًا، فلُقِّبت بسيِّدة نساء العالمين، وبذلك تفوَّقت على السيِّدة مريم، سيِّدة نساء زمانها.

(١) فاطمة الزَّهراء أمُّ أبيها، العلَّامة الشيخ عبد الحسين الأمينيّ: ١٢.
(٢) فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، العلَّامة الخطيب السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ: ٩.

المبحث الثالث

السيِّدة فاطمة الزَّهراء في الفكر الاستشراقيّ

لا يخفى على أحد ممَّن لديه أدنى اطِّلاع على سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أن يجد فيها المرأة المثاليَّة، ولذا مهما بحث الباحث وكتب، يجد في نفسه القصور في إيفاء حقِّها، والوقوف على جميع جوانب حياتها، فمن كتب عنها بنزاهةٍ وحقٍّ، نال شرف الدنيا والآخرة.

وكما تصف المستشرقة روث إي رو: «فاطمة قدِّيسة بالمعنى العام، تحتلُّ هذا الفضاء بشكلٍ أكثر وضوحًا؛ باعتبارها شفيع أو وسيط للمصلِّين المسلمين»[1].

أمَّا بالنسبة لتاريخ ميلاد السيِّدة فاطمة عليها السلام، فيتكلَّم المستشرق الألمانيّ جرهارد كونسلمان حول هذه المناسبة بقوله: «ومع أنَّ الروايات تذكر ميلاد فاطمة من أبيها محمَّد وأمِّها خديجة، إلَّا أنَّها تصمت عن ذِكر ابنة الرسول صلى الله عليه وآله خلال العشر سنوات الأوائل التي قضتها في مكَّة، ويرى المؤرِّخون أنَّ ميلاد فاطمة لا بدَّ أن يكون في العام ٦٠٥م، أي قبل سبعة عشر عامًا من هجرة آل بيت النبيّ من مكَّة إلى المدينة»[2].

تتناقض الروايات التاريخيَّة حول سنة ولادة الزَّهراء عليها السلام، فقيل ولِدت فاطمة قبل المبعث النبويّ بخمس سنين، وقريش تبني البيت، وبما أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله بُعِث بحدود سنة ٦٠٩هـ، فهذا يعني أنَّ الزَّهراء عليها السلام ولِدت بحدود سنة ٦٠٤م، وهي قريب على التاريخ الذي ذكره كونسلمان، فإذا أضفنا تاريخ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله،وهو سنة ١١هـ/ ٦٣٢م،

(1) Lady of the Women of the Worlds, pp. 13.

(٢) سطوع نجم الشيعة، جرهاد كونسلمان، ترجمة محمَّد أبو رحمة: ٣٦

نعلم أنَّها توفيت عن عمر ٢٨ سنة، لكن الرواية الأخرى التي تقول إنَّها ولِدت بعد المبعث بخمس سنين، ممَّا يعني أنَّها ولِدت سنة ٦١٤م، وتوفِّيت عن عمر ١٨ سنة، وهو العمر الأقرب إلى الصحَّة[١].

والمستشرق البريطاني برنابي روجرسون يقول بحقِّ زوج النبيّ خديجة وابنتها فاطمة عليهما السلام: «إنَّ خديجة وفاطمة هما المثل الأعلى للمرأة المسلمة، فالمسلمون السنَّة والمسلمون الشيعة، على حدٍّ سواء، يستلهمون منهما نموذج المرأة القريبة من الكمال. واسم فاطمة كان دائمًا الاسم الأكثر شيوعًا بين نساء العالم الإسلامي»[٢].

وكلام برنابي في منتهى الدقَّة والصحَّة عدنا، في كون السيِّدة خديجة والسيِّدة فاطمة عليهما السلام هما النموذج الأعلى والأمثل والأبرز للمرأة المسلمة المؤمنة المتكاملة العاملة، وقوله هذا يدعو إلى شيء من الاطمئنان بانعكاس الصورة المثلى عن أهل البيت عليهم السلام في الوسط الغربي، وخصوصًا عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

ونرى أنَّ أستاذة الدين في جامعة ميسيسيبي المستشرقة ماري إف ثورلكيل تقول كلامًا جميلًا حول فاطمة الزَّهراء عليها السلام: «كانت فاطمة المحترمة ابنة النبيّ، ترمز بشكلٍ فريدٍ إلى تبجيل ومكانة آل بيت النبيّ بين الشيعة الأوائل»[٣].

وعلى الرغم من أنَّ فاطمة لم تكن من الذكور ولا البنت الكبرى للنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، ولكنَّها تميَّزت بمكانة عظيمة في الإسلام، وذلك لاتِّباعها طريق الحقِّ، وتميَّزت بالحكمة والعمل الصالح، ودوام الذِّكر والتسبيح لله، وكثرة العبادة، فيقول المستشرق البريطانيّ

---

(١) الموقف السياسيّ للزَّهراء عليها السلام بين الرؤية الاستشراقيَّة والنصِّ التاريخيّ، الدكتور قيصر عبد الكريم جاسم.

(٢) ورثة محمَّد صلى الله عليه وآله جذور الخلاف السنِّيّ الشيعيّ، برنابي روجرسون، ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ: ٦٩.

(3) Chosen among Women Mary and Fatima in Medieval Christianity and Shi'ite Islam, pp.12.

برنابي روجرسون: «لم تكن فاطمة كأخواتها الأُخريات الأكبر سنًّا، فمنذ طفولتها كانت مرتبطة ارتباطًا كاملًا بتعاليم والدها الروحيَّة، ولم يكن هناك مسلم آخر، في مثل عمرها، قد فهم اندماجها الكامل في الإسلام»(١).

وحقيقة أنَّ كلامه في قمَّة الجمال والإنصاف لتمام الشخصيَّة الفاطميَّة المندمجة اندماجًا كاملًا بتعاليم الإسلام العظيم، وانقيادها وخضوعها الروحيّ للمولى عزَّ وجلَّ، ولكن قد يُلاحَظ على كلامه أنَّه قد نسب إلى الزَّهراء عليها السلام أخواتٍ أكبر منها سنًّا، ونحن نعلم أنَّ الرأي المشهور عدنا أن ليس لفاطمة من أخواتٍ من أبيها صلى الله عليه وآله(٢).

ولكن على صعيدٍ آخر نرى المستشرق الفرنسيّ هنري لامنس يحاول أن يقلِّل من تلك المكانة، حيث يقول: «فقد كانت فاطمة في حياتها، وفي بيت والدها، تُعامَل معاملة عاديَّة، سواء من والدها أو من الصحابة وغيرهم، ولم نرها تتمتَّع بحظوة واحترام يفوقان ما كانت تتمتَّع به بدويَّات ذلك الزمن. لم يكن لها أيّ مكانة أو دور مهم تلعبه، ولا أيّ اعتبار أو سمو في ذلك المجتمع الأعرابيّ»(٣).

وللأسف فإنَّ هذا المستشرق الفرنسيّ يحاول تجريد السيِّدة فاطمة عليها السلام من مكانتها الأسريَّة والاجتماعيَّة، ودورها البارز في الإسلام، فلم تكن السيِّدة الزَّهراء تُعامَل معاملة امرأةٍ عاديَّة في بيت أبيها، بل كانت تحظى بمعاملة الأولياء والصدِّيقين، ونحن نقرأ في سيرتها العطرة كيف كان أبوها صلى الله عليه وآله يعاملها معاملة أبٍ محبٍّ عطوفٍ ودودٍ، يراعاها بأحسن أنواع الرعاية، ويهتمُّ لأمرها اهتمامًا بالغًا، وذلك من واضحات التاريخ.

---

(١) ورثة محمَّد صلى الله عليه وآله جذور الخلاف السنِّيّ الشيعي: ٦٨

(٢) انظر: كتاب الصحيح عن سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله للسيِّد جعفر مرتضى.

(٣) صورة أصحاب الكساء بين تجنِّي النصِّ واستباحة الخطاب الاستشراقيّ، هنري لامانس أنموذجًا، شهيد كريم محمَّد الكعبيّ: ٣٦٧.

كيف تكون معاملتها عاديَّة وقد ورد أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان يردِّد مقوله «**فداها أبوها**» في أكثر من مناسبة، فأيَّة منزلة عظيمة ودرجة سامية تلك التي بلغتها عليها السلام كي يفتديها خير سيِّد الأنبياء والمرسَلين، وخير خلق الله أجمعين وهو يصرِّح بذلك في أكثر من مناسبة، وهنري لامنس بعيد كلَّ البُعد عن واقع الزَّهراء آنذاك، وبعيد عن الحقيقة، ممَّا يكشف لنا ضعف هذا المستشرق في قراءة سيرة الزَّهراء عليها السلام، وعدم اطِّلاعه الكافي على النصوص المثبِتة لعلوِّ مكانة الزَّهراء عليها السلام.

ولذا نرى بعض من المستشرقين فنَّد هذا الرأي المتطرِّف للمستشرق لامنس، ومن هؤلاء المستشرقة روث إي رو، حيث تقول: «إنَّ هذا الموقع لفاطمة في قلب الرسول، يعني القرب الفعليّ العائليّ له بالدم، والقرب القائم على تعظيمه لها، ممَّا شرَّف وكرَّم شخصيَّتها، وذلك في انعكاس حديث البخاريّ الذي يقول فيه محمَّد: **إنَّ كلَّ مَن يُغضِب فاطمة يُغضبني**. إنَّ هذا القرب الروحيّ الفعليّ من النبيّ محمَّد، أقدس شخص في الإسلام، أسهم في ظهور فاطمة كشخصيَّة دينيَّة محوريَّة»[1].

وأيضًا تقول: «لم تكن فاطمة مجرَّد وسيلة لوصول محمَّد، ولكن أيضًا، كما رأينا في الأحاديث في مصحفها، وسيلة للوصول لله والمعرفة الإلهيَّة والقوَّة»[2].

وتضيف: «كانت فاطمة وسيلة أساسيَّة لتكوين المذهب الشيعيّ في القرون التي تلت وفاتها، عملت كحلقة وصل لمحمَّد بالله، ومن هذا المنصب كانت محاطة بسلطة مقدَّسة، كانت أيضًا متكاملة في تكوين الهويَّات الشيعيَّة اللاحقة، والحفاظ عليها»[3].

إنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام لم تكن وسيلة أو غاية حاول بها النبيّ أن يصل للسلطة، بل كانت لها مكانتها الخاصَّة في الإسلام، وعظيمة عند المسلمين.

(١) صورة أصحاب الكساء بين تجنِّي النصِّ واستباحة الخطاب الاستشراقيّ: ٧٧.

(2) Lady of the Women of the Worlds, pp. 59.

(3) Lady of the Women of the Worlds, pp. 153

ويعود هنري لامنس المستشرق الفرنسيّ فيصفُ السيِّدة فاطمة بأوصافٍ واهية، فيها من الضعف العلميّ والبحثيّ الشيء الكثير، إذ يقول: «إنَّها شخصيَّة حزن محجَّبة على الدوام في حداد، ذات جسد ضعيف ومصابة بفقر الدم، الإعاقات المتكرِّرة جعلتها غير صالحة للعمل الشاقِّ الذي كان محجوزًا في ذلك الوقت للمرأة العربيَّة»(١).

ثمَّ يعود مرَّة أخرى لتكملة التحريف والتزييف التاريخيّ، فيقول: «عند المرض الأخير للنبيّ، وهو على فراش الموت، كان يتوقَّع أنَّ فاطمة ستكون أوَّل من يتبعه من عائلته إلى العالم الآخر، التنبُّؤ الذي جعله قابلًا للتصديق، بسبب الإرهاق التامِّ لزوجة عليّ»(٢).

ثمَّ يقول: «إنَّ وضعها كابنة النبيّ كان سيعوِّض بلا شك عن هذه العيوب»(٣).

وهذه الأقوال تؤكِّد ما ذكرنا سابقًا من ضعف الاطِّلاع الكافي على سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بل وضعف في معرفة أصول تعاليم الإسلام، فكون الزَّهراء محجَّبة فلأنَّ من أهمِّ تعاليم الإسلام الموجَّهة للمرأة هو أمرها بالستر والحجاب الذي يصونها ويحفظ عفَّتها، ومن المؤكَّد أنَّ سيِّدة الإسلام والعالمين الأولى تكون أَولَى من غيرها بالانصياع لأمر الله تعالى، وهي جديرة بذلك عليها السلام.

وأمَّا حزنها، فهي قد عانت كثيرًا حين فقدت أبيها صلى الله عليه وآله، وحزنت حزنًا طويلًا عليه؛ لأنَّه كان يراعاها ويتهمُّ بها ويحبُّها حبًّا جمًّا، ولفقدِ النبيّ صلى الله عليه وآله مصيبة جليلة لا على الزَّهراء عليها السلام فقط، بل على الإسلام والمسلمين، فما أعظمها من مصيبة حين انقطع عنَّا الوحي برحيل خاتم الأنبياء، إذ لازال المسلمون يحيون وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا بأس في ذلك دون أدنى شكٍّ، وهو جزءٌ من حقِّه علينا.

(1) Fatima Et Les Filles De Mahomet, pp. 17.
(2) Fatima Et Les Filles De Mahomet, pp. 107-108.
(3) Fatima Et Les Filles De Mahomet, pp. 19.

أمَّا ادِّعاؤه بأنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام غير مناسبة للأعمال المنزليَّة، وبأنَّها شاحبة وحزينة ودائمة المرض، فهو بذلك يريد أن يهيِّئ لذِكر سبب موتها، بأنَّه كان نتيجة المرض والإرهاق والجوع، مبتعدًا عن الحقيقة التاريخيَّة في كونها تعرَّضت لهجومٍ على دارها، والذي كان سببا رئيسًا لرحيلها عليها السلام.

ثمَّ يعود هنري لامنس ليضيف شيئًا لم يكن موجودًا في التاريخ الإسلامي، فيحاول أن يُظهِر علاقة السيِّدة فاطمة والإمام عليّ عليهما السلام بمظهرٍ سيِّءٍ، وكون العلاقة بينهما غير مستقرَّة، يقول: «تسبَّب سوء التفاهم بين عليّ وفاطمة في مشاكل خطيرة، ودائمًا رأى النبيّ نفسه مضطرًّا للتدخُّل، دون أن ينجح في إعادة الفهم»[1].

ولعمري أنَّ هذا القول في منتهى السذاجة والوهن، وبعيد كلَّ البعد عن واقع العلاقة بين النورَين الطاهرين المعصومَين، إذ كيف لنا تصوِّر علاقة كهذه بين اثنين قال الله بحقِّهما: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

فهذه المزاعم واهية مردودة على قائلها، وتكشف عن سطحيَّة رؤيته وبحثه.

إنَّ السيِّدة فاطمة وزوجها عليّ عليهما السلام وأولاها الأئمَّة المعصومين، هم امتداد لرسالة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، فيذكر المستشرق الإيطالي فرانشيسكو كبرييلي: «ومن بين بناته، فإنَّ فاطمة فقط ابنة خديجة التي تزوَّجت عليًّا فيما بعد، قد حظيت بأهميَّة خاصَّة في التاريخ اللاحق لآل محمَّد وللمجتمع الإسلاميّ»[3].

يقول المستشرق البريطانيّ دوايت دونالدسن: «عندما بلغ النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله أشدَّ مرضه، كانت فاطمة جالسة بقربه، ففتح الرسول عينيه، ووضع رأسه على صدرها، وقال: «**اللهمَّ ألهم فاطمة الصبر**»، ثمَّ قال: «**أبشري يا فاطمة فستكونين أوَّل من يلحق بي**»، وجعل يعالج سكرات الموت، فأخذت تبكي بكاءً شديدًا، فأراد عليّ إسكاتها

(1) Fatima Et Les Filles De Mahomet, pp. 40.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) محمَّد والفتوحات الإسلاميَّة، فرانشيسكو كبرييلي، ترجمة الدكتور عبد الجبار ناجي: ١٦٥.

فقال النبيّ: «**دعها تبكي أباها**»، ثمَّ أغمض عينيه، وأسلم روحه».. ويميل الإنسان إلى التفكير بأنَّ هذا الحديث يمثِّل ما يراه الشيعة لائقًا بوفاة النبيّ أكثر من ما حدث بالفعل، ومهما كان الأمر ما يفضلون الاعتقاد به على حديث عائشة[1].

ورغم معرفته بالحقيقة، واطِّلاعه على المصادر التاريخيَّة الشيعيَّة الموثوقة، ينفي حقيقة وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بجوارها، وهو بذلك يسند حديث عائشة، وذلك بسبب اعتماده على المصادر السنيَّة، واعتبارها مصدر أساسيّ للتاريخ الإسلاميّ.

ويقول المستشرق الألمانيّ جرهارد كونسلمان بشأن وفاتها: «وقد اتَّفق المؤرِّخون على أنَّ فاطمة قد ماتت في نفس العام الذي توفِّي فيه النبيّ صلى الله عليه وآله، إلَّا أنَّه غير معروف إن كانت قد ماتت متأثِّرة بجراحها التي ألحقها بها خادم عمر»[2].

أيضًا يذكر المستشرق البريطانيّ دوايت م. دونالدسن: «إنَّ فاطمة غضبت غضبًا شديدًا من حكم أبي بكر، وإنَّها ماتت بعد أبيها بمدَّة لا تزيد على ستَّة أشهر»[3].

وأورد المستشرق جرهارد كونسلمان أنَّ قضية فدك ومطالبة الزَّهراء عليها السلام بها لم تكن للحصول على المنافع الماديَّة وحقوقها فيها، بقدر ما كان الأمر يتعلَّق بالمطالبة بأحقيَّة أهل البيت عليهم السلام بالخلافة والسلطة السياسيَّة، ولعلَّه انفرد في ذلك دون باقي المستشرقين، حيث يقول: «كانت فاطمة قد قرَّرت الكفاح من أجل حقوق زوجها، فكان يصدر عن بيتها لأيَّام عديدة نحيب، على شكل اعتراض رتيب على ظلم المؤمنين، إلَّا أنَّ الخليفة أبا بكر لم يخش هذا، فهو أيضًا يتذكر جملًا قالها الرسول اكتسبت الآن فجأة قيمة التعاليم، ونصَّ أحد هذه التعاليم على التالي: «بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله يكون ما يملك ملكًا للفقراء»، وللتوزيع العادل لنصيب الفقراء، يكون الخليفة هو المختص، وكان الخليفة

(١) عقيدة الشيعة، دوايت إم. دونالدسون: ٣٠.
(٢) سطوع نجم الشيعة، جرهارد كونسلمان: ٣٤.
(٣) عقيدة الشيعة، دوايت إم. دونالدسون: ٣٦.

هو أبو بكر، واستنادًا إلى هذا التوكيل الذي يعرفه هو فقط، قام الخليفة أبو بكر بنزع ملكيَّة أراضي واحَتَي فدك وخيبر الخصبة، والتي كانت ملكًا للنبيّ صلى الله عليه وآله، وصارت مُلكًا لفاطمة»[1].

وأمَّا عن وضع المرأة في الإسلام وموقعها اللائق فيه، فشاء الله أن يخلق شخصيَّة متكاملة، تكون قدوة للنساء، فخلق فاطمة عليها السلام، وكانت خير دليل على أنَّ الإسلام كرَّم المرأة، ولايوجد فرق بين الذَّكر والأنثى سوى بالعمل الصالح.

تقول المستشرقة روث إي رو: «وضع اللاهوت الإسلاميّ المرأة في دور محفوف بالمخاطر بنفس القدر، وقد اشتملت النصوص الكلاسيكيَّة على نساء من قوَّات الشياطين المرسلة لتضليل وإرباك الذكور المسلمين، كما ساوى الخطاب الإسلاميّ بين الأنثى وروح النفس التي تغري الإنسانيَّة بالذنب، ابنة النبيّ محمَّد بصفتها والدة أئمَّة الشيعة، وبقيت بشكل فريد بين النساء حليفة الطقوس الطاهرة، وموحى بها من الله»[2].

وتقول إيضًا: «دور الرسول كوسيط بين الله والبشر محفوظان تاريخيًّا في الأربعة عشر المعصومين الذين ورثوا مركزه المقدَّس، كوسيط بين الله والبشر، عن طريق ابنته فاطمة وابن عمِّها وزوجها عليّ بن أبي طالب»[3].

---

(١) سطوع نجم الشيعة، جرهارد كونسلمان: ١٧.

(2) Chosen among Women Mary and Fatima in Medieval Christianity and Shi'ite Islam, pp. 5.

(3) Lady of the Women of the Worlds, pp. 21.

الخاتمة

١. إنَّ من الضروريّ أن نطَّلع على الأبحاث الاستشراقيَّة؛ لغرض معرفة كيف يصوِّر المستشرقين الشخصيَّات الإسلاميَّة العظيمة، خصوصًا سيِّدة نساء العالمين السيِّدة فاطمة الزَّهراء.

٢. إنَّ مكانة الزَّهراء في الإسلام لا تخفى على أحد من المسلمين، فقد عظَّم الله شأنها وقدَّرها ورفعها مكانًا عليًّا مع الصدِّيقين.

٣. إنَّ المستشرقين ليسوا على نسقٍ واحدٍ، بل تختلف أبحاثهم ونقولهم وترجماتهم للشخصيَّات الإسلاميَّة، فمنهم المنصف الدقيق، ومنهم الضعيف في نقله وفهمه لسيرة تلك الشخصيَّات العظيمة.

٤. إنَّ المستشرق هنري لامنس حاول التقليل من شأن فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وأظهرت كلماته حولها مدى ضعف قراءته، وضعف فهمه للمرأة الإسلاميَّة، ولاسيما سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء.

٥. هناك الكثير من المستشرقين قد أنصفوا فاطمة الزَّهراء عليها السلام في أبحاثهم، وأثنوا عليها، وأثبتوا مكانتها في الإسلام، وعند أبيها، وعند المسلمين.

المصادر

المصادر باللغة العربيَّة

* القرآن الكريم.

١. الاستشراق الفرنسيّ، الدكتور محمَّد عشماوي زيدان، دار المالكيَّة، ٢٠٢٢م.

٢. الرسول صلى الله عليه وآله في كتابات المستشرقين، الأستاذ نذير حمدان.

٣. التشيُّع والاستشراق، عبد الجبَّار ناجي، منشورات الجمل، بغداد- بيروت، ٢٠١١م.

٤. فاطمة الزَّهراء أمُّ أبيها، العلَّامة الشيخ عبد الحسين الأمينيّ، تعريب: محمَّد شعاع فاخر، انتشارات الشريف الرضيّ، ١٤٢٢هـ.

٥. فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، العلَّامة الخطيب السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ، مؤسَّسة النور للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١م.

٦. سطوع نجم الشيعة، جرهاد كونسلمان، ترجمة: محمَّد أبو رحمة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٢م.

٧. الموقف السياسيّ للزَّهراء عليها السلام بين الرؤية الاستشراقيَّة والنصِّ التاريخيّ، الدكتور قيصر عبد الكريم جاسم.

٨. ورثة محمَّد صلى الله عليه وآله جذور الخلاف السنِّيّ الشيعيّ، برنابي روجرسون، ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م.

٩. صورة أصحاب الكساء بين تجنِّي النصّ واستباحة الخطاب الاستشراقيّ- هنري لامانس أنموذجًا، شهيد كريم محمَّد الكعبي،العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، ٢٠١٥م.

١٠. عقيدة الشيعة، دوايت إم. دونالدسون، تعريب: ع.م، مكتبة الخانچي ومطبعتها.

١١. محاضرات في علوم القرآن، محمَّد عليّ التسخيري.

المصادر باللغة الإنكليزيَّة

12. Lady of the Women of the Worlds, Exploring Shi'i Piet and Identity through a Consideration of Fatima Al-Zahra', by Ruth E. Rowe, Master of Arts in the Graduate College of the University of Arizona, 2008.

13. Chosen among Women Mary and Fatima in Medieval Christianity and Shi`ite Islam, Mary F. Thurlkill University of Notre Dame Press, Notre Dame, Indiana, 2007.

14. Fatima Et Les Filles De Mahomet, Romae, 1912.

فاطمة الزَّهراء في كتاب الطبقات الكبير لمحمَّد بن سعد المتوفَّى ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م

م. د. سالم لذيذ والي الغزِّيّ
المديريَّة العامَّة للتربية في محافظة ذي قار

ملخَّص البحث

يعدُّ ابن سعد من المؤرِّخين الذين تركوا أثرًا واضحًا في التراث الإسلاميّ، ويعدُّ كتابه (الطبقات الكبير) مصدرًا أوَّليًّا بالغ الأهميَّة لدى العديد من كتب القدامى والمعاصرين، حيث إنَّه ترجم لأكثر من (٥٥٠٠) شخصيَّة إسلاميَّة، كان من بينها (٦٢٨) إمرأة مسلمة، فخصَّص جزءًا كاملًا من كتابه لترجمة النساء، وجاءت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ثاني امرأة في هذا الجزء، ولم تسبقها سوى السيِّدة خديجة الكبرى، ولم يأتِ هذا التسلسل في كتاب الطبقات اعتباطًا، وإنَّما بحسب المنهج الذي وضعه ابن سعد لترجمة المسلمين في كتابه الطبقات، حيث كان السَّبق في الدخول للإسلام من أوائل معايير كتابه، وكذلك القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله.

واقتضت طبيعة البحث إلى تقسيمه إلى عدَّة مواضيع، فكانت البداية منهجيَّة ابن سعد في ترجمته للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ثمَّ عرَّجنا على موارده، ثمَّ نسبها وولادتها، وكيف كان ردُّ الرسول صلى الله عليه وآله من الصحابة الذين تقدَّموا لخطبتها، وزواجها من الإمام عليّ عليه السلام، ومن ثمَّ تطرَّقنا لموقفها من الخليفة الأوَّل، ومن ثمَّ وفاتها وتغسيلها وتكفينها ودفنها وموضع قبرها عليها السلام.

منهجيَّة ابن سعد في ترجمته لفاطمة الزَّهراء عليها السلام

من الجدير بالذِّكر أنَّ منهجيَّة كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ضمَّت قسمَين متباينَين من حيث الحجم، فخصَّص القسم الأوَّل للرجال، وهو القسم الكبير والواسع، فكان الجزأين الأوَّلَين في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله، ثمَّ قسم الصحابة خمسة طبقات، حسب سبقهم في الإسلام، ونسبهم في القرب من الرسول صلى الله عليه وآله، ثمَّ ذكر التابعين والفقهاء والمحدثين حتَّى عصره[1].

فيما خصَّص القسم الثاني من كتابه الطبقات الكبير للنساء، والذي سمَّى فيه النساء المسلمات والمهاجرات من قريش، والأنصاريَّات المبايعات، وغرائب نساء العرب، وعددهنَّ (٦٢٨) امرأة، وحسب منهجه الذي اتَّبعه، بدأ ببيت الرسول صلى الله عليه وآله، ثمَّ ذكر المسلمات المبايعات من قريش وحلفائهم ومواليهم، وغرائب نساء العرب، ثمَّ المهاجرات، ثمَّ نساء الأنصار، وختمها بأسماء النساء اللواتي لم يروين عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وروين عن أزواجه وغيرهنَّ[2].

ابتدأ ابن سعد ترجمته للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بذِكر نسبها ونسب أمِّها وعام ولادتها بشكلٍ مختصرٍ، كونه سبق وأن تناول بشكلٍ مفصَّلٍ نسب والدها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمَّا نسب والدتها، فقد ذكره بالتفصيل في ترجمة السيِّدة خديجة الكبرى، بينما أشار بشكلٍ مقتضبٍ لولادتها، فيما أسهب ابن سعد في كيفيَّة خطبتها وزواجها، وكيف تقدَّم لخطبتها بعض الصحابة، مبيِّنًا رفض رسول الله صلى الله عليه وآله تزويجها منهم، ثمَّ ذكر زواجها

(١) للمزيد ينظر: الغزيّ، الإمام الحسين عليه السلام من خلال كتاب الطبقات: ٣٤-٣٧.
(٢) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٦ وما بعدها.

من الإمام عليّ عليه السلام، وذكر صداقها، والروايات التي ذكرت بشأنه، وتاريخ زواجها، وما فعله الرسول صلى الله عليه وآله يوم زواجها، ثمَّ عرَّج ابن سعد إلى سنِّها وسنِّ الإمام عليّ عليه السلام، كذلك تطرَّق إلى أبنائها، معرِّجًا على وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وما أسرَّه إليها في مرضه، وكذلك تطرَّق لوفاتها، ومَن شيعها، ودفنها وموضع قبرها.

موارده

اعتمد ابن سعد وكعادته في توثيق رواياته على مجموعة من شيوخه ورواته، الذين استقى منهم مرويَّاته بشأن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ومنهم مسلم بن إبراهيم، والفضل بن دكين، ووكيع بن الجرَّاح[1]، وسفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون، ومعن بن عيسى، ومالك بن إسماعيل أبو غسان النهديّ، وخالد بن مخلَّد، وعارم بن الفضل، والحسن بن موسى، وأبو أسامة، ومحمَّد بن الفضل بن يحيى، وعبد الوهاب بن عطاء، ومحمَّد بن عمر الواقدي[2]، ومحمَّد بن اسماعيل بن أبي فديك، وأنس بن عياض، وعبيد الله بن موسى[3]، وسليمان بن الرحمن الدمشقيّ، وموسى بن إسماعيل، وهوذة بن خليفة، وعفان بن مسلم[4] ويزيد بن هارون، وعبد الله بن نمير، وعبد الله بن مسلم بن قعنب،

(١) هو وكيع بن الجرَّاح بن مليح، من بني عامر بن صعصعة، ويكنَّى أبو سفيان، ثقةً مأمونًا عالمًا كثير الحديث، توفِّي في رجوعه من الحجِّ عام ١٩٧هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات: ٨/ ٥١٧.

(٢) هو محمَّد بن عمر الواقديّ، من أهل المدينة، رحل إلى بغداد وبلاد الشام، ثمَّ أقام في بغداد، عاصر المأمون العبَّاسيّ، وتولَّى القضاء له، وكان عالمًا في السيرة والفتوح والمغازي، توفِّي في عام (٢٠٧هـ). ينظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ٣/ ٢١٣-٢٣٠، المزِّيّ، تهذيب الكمال: ٣٦/ ١٨٠-١٩٥.

(٣) هو عبيد الله بن موسى بن أبي المختار الكوفيّ، يعدُّ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وصفه ابن سعد بأنَّه ثقة صدوقًا، كان يتشيَّع، توفِّي عام (٢١٣هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات: ٨/ ٥٢٢-٥٢٣، الطوسيّ، رجال الطوسيّ: ٢٣٥.

(٤) هو عفَّان بن مسلم بن عبد الله الصفَّار البصريّ، وصفه ابن سعد بالقول ثقة ثبت كثير الحديث حجَّة، امتحنه المأمون العبَّاسيّ بقضيَّة خلق القرآن، سكن بغداد وتوفِّي فيها عام (٢٢٠هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات: ٩/ ٣٠٠، ٣٣٨، ابن قتيبة، المعارف: ٥٤٢.

ويعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهريّ، وشبابة بن سوار[1]، ومطرف بن عبد الله اليساريّ، وأنس بن عياض، ومحمَّد بن عبد الله الأسديّ، وعمر بن سعد أبو داوود الحفريّ، ومحمَّد بن مصعب[2].

تباين عدد الروايات من حيث رواته، الذين بلغ عددهم (٣١) راويًا، فنجده اعتمد على محمَّد بن عمر الواقديّ بـ(١٣) رواية، فيما روى عن وكيع (٦) روايات، جمعه في إحداهنَّ مع الواقدي، كذلك استقى من عبيد الله بن موسى (٣) روايات، والفضل بن دكين بروايتين، أمَّا باقي رواته فاعتمد عليهم برواية واحده لكلٍّ منهم.

وفي كلِّ رواياته ذكر قول «أخبرنا»، ماعدا إحداهنَّ، ذكر «قال»، فيما استخدم الأسلوب الجمعيّ في رواية واحدة، حيث جمع كلٌّ محمَّد بن عمر الواقديّ، ووكيع في رواية واحدة، ولم يرجِّح رواية على أخرى إلَّا في موضعٍ واحدٍ، وهو وفاة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فبعد أن ذكر عدَّة مرويَّات بهذا الشأن، ذكر رواية أستاذه الواقديّ، قال: «وهو الثَّبت عندنا».

نسبها وولادتها

تحت عنوان (ذِكر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله)، ابتدأ ابن سعد ترجمته للسيِّدة الزَّهراء، وكانت مقتضبة جدًّا، فذكر «فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمُّها خديجة بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزَّى بن قصي، ولدتها وقريش تبني البيت، وذلك قبل النبوَّة بخمس سنين»[3].

أشرنا في منهجيَّته بترجمته لفاطمة الزَّهراء أنَّ ابن سعد اختصر نسبها؛ لأنَّه سبق أن فصَّل في نسب والدها رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك في نسب والدتها السيِّدة خديجة الكبرى،

(١) هو شبابة بن سوار الفزاريّ، من خراسان، رحل إلى بغداد، ثمَّ رحل إلى مكَّة، وأقام بها حتَّى وفاته (٢٠٥هـ). ينظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ٩/ ٢٩٥-٢٩٩.

(٢) لم يتمكَّن الباحث من ترجمة كلِّ شيوخه.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٠.

ولذلك كانت ترجمته لنسبها مقتضبة جدًّا.

أمَّا بخصوص ولادتها، فذكر ابن سعد أنَّها ولِدت في السنة الخامسة قبل النبوَّة، وأن تلك الولادة كانت وقريش تبني الكعبة، فيما اختلف المؤرِّخون في سنة ولادتها، فذكر بعضهم أنَّها ولِدت بعد ولادة الرسول صلى الله عليه وآله بإحدى وأربعين سنة[1]، بينما ذكر البعض وفاتها ولها من العمر خمسة وثلاثون عامًا، وهذا يعني أنَّ ولادتها قبل البعثة بتسع سنين[2].

موقف الرسول صلى الله عليه وآله في قضيَّة زواج الزَّهراء عليها السلام

خصَّص ابن سعد العديد من رواياته لقضيَّة زواج السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فذكر «أنَّ أبا بكر خطب فاطمة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: يا أبا بكر أنتظر بها القضاء، فذكر ذلك أبو بكر لعمر، فقال له عمر: ردَّك يا أبا بكر، ثمَّ إنَّ أبا بكر قال لعمر: اخطب فاطمة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فخطبها، فقال له مثل ما قال لأبي بكر: أنتظر بها القضاء، فجاء عمر إلى أبي بكر فأخبره، فقال له: ردَّك يا عمر»[3].

ثمَّ ذكر ابن سعد رواية أخرى بقوله: «خطب أبو بكر وعمر فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: هي لك يا عليّ، لست بدجَّال، يعني لست بكذَّاب، وذلك أنَّه قد كان وعد عليًّا بها قبل أن يخطب إليه أبو بكر وعمر»[4].

وهذا ما ذكره ابن منظور في خطبة أبي بكر لفاطمة عليها السلام، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنِّي وعدتها لعليّ، ولست بدجَّال، أي بخدَّاع، ولا مُلبس عليك أمرك»[5].

(١) ابن عبد البرِّ، الإستيعاب: ٤/ ١٨٩٣-١٨٩٤.
(٢) ابن هشام، السيرة النبويَّة: ١/ ١٧٥.
(٣) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٠.
(٤) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٠.
(٥) لسان العرب: ١١/ ٢٣٧.

فيما ذكر العديد من الروايات بشأن خطبة الإمام عليّ عليه السلام من السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ومنها قوله: «ثمَّ إن أهل عليّ قالوا لعليّ: اخطب فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: بعد أبي بكر وعمر؟ فذكروا قرابته من النبيّ، فخطبها فزوَّجه النبيّ، فباع عليّ بعيرًا له وبعض متاعه، فبلغ أربعمائة وثمانين»(١).

ثمَّ ذكر رواية ثانية «قال نفر من الأنصار لعليّ: عندك فاطمة، فأتى رسول الله فسلَّم عليه، فقال: ما حاجة ابن أبي طالب؟ قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله، قال: مرحبًا وأهلًا، لم يزده عليهما، فخرج عليّ على أولئك الرهط من الأنصار ينظرونه، قالوا ما وراءك؟ قال: ما أدري، غير أنَّه قال لي مرحبًا وأهلًا. قالوا: يكفيك من رسول الله أحداهما، أعطلك الأهل أعطاك المرحب»(٢).

يتبيَّن ممَّا تقدَّم أنَّ ابن سعد ساق عدَّة روايات مفصَّلة في كيفيَّة خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فخصَّص روايَتَين لقضيَّة خطبة أبي بكر وعمر للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ويبدو من سياق الروايتَين، وتقديمه للرواية الأولى على الثانية، هي أقرب للصحَّة من غيرها، وهو قول الرسول صلى الله عليه وآله: إنِّي أنتظر فيها القضاء، فزواج الزَّهراء عليها السلام هو أمرٌ سماويّ، ولذلك نجد رسول الله صلى الله عليه وآله قال ينتظر فيها القضاء، ويبدو من الحرج الذي تعرَّض به أبي بكر، وقول عمر بن الخطاب له ردَّك رسول الله صلى الله عليه وآله، اقترح على عمر التقدُّم لطلبها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو متيقِّن من ردِّ الرسول لعمر، وهو ما حصل بالفعل، ومن المعروف أنَّهم يعلمون بأنَّ الزواج من فاطمة هو منقبة لا يمكن أن تضاهيها منقبة أخرى، ولذلك نجدهم يحلمون بذلك الشرف.

وأمَّا بشأن خطبة الإمام عليّ عليه السلام لها، فقدَّم ابن سعد كذلك روايتَين، معرِّجًا فيهما على بداية خطبة الإمام للسيِّدة الزَّهراء، والروايتان بشكلٍ عامٍّ يمكن قبولهما، لكن

(١) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢١.

ذكره في الرواية الأولى أنَّ الإمام عليّ تردَّد في خطبتها، بسبب كون أبو بكر وعمر تقدَّما لخطبتها وتمَّ ردُّهم، لا يمكن الأخذ بها، كون الإمام عليّ عليه السلام له منزلة لا يدانيها أحد من المسلمين عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

وتظهر أهميَّة روايات ابن سعد في خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من خطبة أبي بكر وعمر، وكيفيَّة أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله ينتظر فيها الأمر من السماء، ثمَّ قيامه بتزويجها من الإمام عليّ عليه السلام، أخذت أثرها في كتب التراث الإسلاميّ، فذكر العديد من المؤرِّخين[1] رواية ابن سعد في هذا الشأن، وأشارا إلى كيفيَّة أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله رفض الصحابة الذين تقدَّموا لخطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، تاركًا أمرها للقضاء.

صداقها

ذكر ابن سعد عدَّة روايات في صداق السيِّدة فاطمة عليها السلام، ومنها ستُّ روايات أنَّ صداقها كان درعه الذي يسمَّى الحُطمِية، وكان ثمنها أربعة دراهم[2]، وذكر كذلك رواية أخرى بسنده عن وكيع بن الجرَّاح.

لكنَّ ابن سعد ذكر روايات أخرى في غير الدرع ومنها أنَّه أصدقها إهاب كبش[3]، وجرد حبرة[4]، فيما روى رواية أخرى ذكر فيها «إنَّ عليًّا تزوَّج فاطمة، فباع بعيرًا له بثمانين وأربع مائة درهم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: اجعلوا ثلثين في الطيب، وثلثًا في الثياب»[5]، وروى ابن سعد أنَّ الإمام عليّ عليه السلام قال: «تزوَّجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه، ونعلف عليه الناضح[6] بالنهار،

(١) البلاذريّ، أنساب الأشراف: ١/ ٤٠٢، ابن الجوزيّ، المنتظم: ٣/ ٨٥، ابن منظور، لسان العرب: ١١/ ٢٣٧.
(٢) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢١.
(٣) أهاب كبش: جلد شاة.
(٤) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٢، المقريزيّ، إمتاع الأسماع: ٥/ ٣٥٢.
(٥) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٢.
(٦) النواضح الإبل التي يستقى عليها، ومفردها ناضح.

وما لي ولها خادم غيرها»[1].

ثمَّ ذكر رواية أخرى قال فيها: «كان صداق بنات رسول الله صلى الله عليه وآله ونسائه خمس مائة درهم، اثنتي عشر أوقية ونصفًا»[2]

يمكننا القول إنَّ ابن سعد ذكر روايات مختلفة في صداق السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فذكر سبع روايات، وبطرق مختلفة، أنَّ صداقها كان درع الإمام عليّ عليه السلام، والذي يسمَّى الحطميَّة، بينما الرواية الثانية أنَّه لم يكن لها صداق سوى فراش من جلد شاة وجرد حبرة، وذكر بهذا الشأن ثلاث روايات، بينما ذكر رواية واحدة بأنَّ الإمام عليه السلام باع جملًا بأربعمائة وثمانون درهم، وجاء برواية رابعة ذكر فيها أنَّ صداق فاطمة عليها السلام كان خمس مائة درهم.

ويمكننا القول إنَّ ابن سعد ذكر أربع روايات مختلفة بشأن صداق الزَّهراء عليها السلام:

١. ذكر سبع روايات بطرق مختلفة، أنَّ صداقها كان درع الإمام عليّ عليه السلام المسمَّى (الحطميَّة).
٢. ذكر ثلاث روايات أنَّ صداقها كان عبارة عن فراش من جلد شاة، وجرد حبرة.
٣. ذكر رواية واحدة بأنَّ الإمام عليّ عليه السلام باع جملًا بأربعمائة وثمانون درهم.
٤. ذكر رواية واحدة أنَّ صداقها عليها السلام كان خمسمائة درهم.

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ صداق فاطمة عليها السلام كان ثمن درعه الذي باعه، وإن اختلف البعض في ثمنه، ففي حين عدَّه ابن سعد أربعة دراهم[3]، ذكر الكلينيّ وابن حبَّان

(١) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٢.
(٢) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٢.
(٣) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢١.

أنَّ ثمنه أربعمائة درهم، أو أربعمائة وثمانون [1]، ويبدو أنَّ أرجح الروايات هو أنَّه أصدقها ثمن درعه الحطميَّة، وذلك كون ابن سعد ذكر ذلك في سبع روايات بطرق مختلفة، علاوة على أنَّ الكليني جاء بخمس روايات بسنده عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام بأنَّ صداقها كان ثمن درعه الحطميَّة[2]، وهو صداق متواضع جدًّا في زمانه، وذلك لأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يهدف دائمًا في كلِّ عمل يعمله أو قول يقوله، أن يسنَّ بها سنَّة حسنة للناس؛ لأنَّه على يقين أنَّ ذلك سوف يتَّبعه المسلمون، ويكون سنَّة لهم في حياته وبعد مماته.

زواجها وحياتها مع الإمام عليّ عليهما السلام

روى ابن سعد أن الرسول صلى الله عليه وآله أمر الإمام عليّ عليه السلام أن لا يدخل على زوجه حتى ألقيه فلما جاءه دعا بماء فمج فيه ثم دعا الإمام عليّ عليه السلام ونضح من ذلك الماء على كتفيه وصدره وذراعيه وفعل الشي نفسه مع السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام[3].

ومن الأمور المهمَّة التي ذكرها ابن سعد في تفصيل لقاء الرسول صلى الله عليه وآله بالإمام عليّ عليه السلام والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام: أنَّه لـمَّا سأل الرسول صلى الله عليه وآله أم أيمن[4]، عن الإمام عليّ عليه السلام: ها هنا أخي؟ قالت له: كيف يكون أخوك وقد زوَّجته ابنتك؟ قال: هو ذاك يا أمَّ أيمن [5]، وكلمة ها هنا أخي التي أثارت تساؤل أمِّ أيمن، ذكرها العديد من

(١) الكافي: ٥/ ٣٧٧، صحيح ابن حبَّان: ١٥/ ٣٩٤-٣٩٥.

(٢) الكافي: ٥/ ٣٧٧، وينظر: صحيح ابن حبَّان: ١٥/ ٣٩٤-٣٩٥، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ١١٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٤-٢٥.

(٤) أمُّ أيمن واسمها بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي زوجة عبيد بن زيد، وأيمن ولدها منه، استشهد يوم حنين، ولـمَّا توفِّي زوجها تزوَّجت زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد، وكانت لها مكانة عند رسول الله صلى الله عليه وآله، توفِّيت أمُّ أيمن في أوَّل خلافة عثمان. ينظر: ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ١٢١-٢١٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٤-٢٥.

المؤرَّخين[1]، بل نجد القاضي النعمان المغربّي تطرَّق للمحاورة التي دارت بين الرسول صلى الله عليه وآله وأمِّ أيمن في هذا الحدث، فذكر «يا أمَّ أيمن، ها هنا أخي، قالت: يا نبيَّ الله، ومَن أخوك؟، قال: عليّ بن أبي طالب، قالت: يا نبيَّ الله، إنَّما عرَفَ الناس الحلال والحرام بك، أتزوِّج ابنتك مِن أخيك؟ قال: يا أمَّ أيمن ليس هو أخي من أبي وأمِّي الذي يحرَّم عليه نكاح ابنتي، هو أخي في الدين، ومعي في أعلى علِّيِّين..»[2]، بينما ذكرها الصنعانيّ، وقال: «وكان النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] سلَّم) آخى بين أصحابه، وآخى بين عليّ ونفسه»[3].

وممَّا تقدَّم نجد أنَّ هذه الروايات بهذا الشأن تأتي من ضمن الروايات التي مهد الرسول صلى الله عليه وآله بأفضليَّة الإمام عليّ عليه السلام على غيره من الصحابة وأن تلك الروايات لها ما بعدها، وهي من المناقب التي خصَّها بها الرسول صلى الله عليه وآله.

وذكر ابن سعد ابناء الإمام عليّ عليه السلام من السيِّدة فاطمة الزَّهراء فقال: «وكان له من الولد الحسن والحسين وزينب الكبرى وأمّ كلثوم، وأمُّهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله»[4]، ثمَّ ذكر ابن سعد «لم يصح لنا من ولد عليّ رضي الله عنه غير هؤلاء»[5]، وهو بذلك لم يعدّ المحسن من ضمن أبناء الإمام عليّ عليه السلام، وربما كان ذلك بسبب الأحداث التي رافقت وفاته، ومن المعروف أنَّ المحسن أُجهض قبل ولادته[6].

(١) محمَّد بن سليمان الكوفي، مناقب أمير المؤمنين: ٢/ ٢١٦.
(٢) شرح الأخبار: ٣/ ٥٧، النسائيّ، سنن النسائيّ: ٥/ ١٤٤.
(٣) الصنعانّي، المصنَّف: ٥/ ٤٨٥.
(٤) الطبقات: ٢/ ١٧.
(٥) الطبقات: ٢، ١٩.
(٦) ينظر: الصفَّدي، الوافي بالوفيات: ٢١/ ١٨٥.

موقف السيِّدة الزَّهراء من الخليفة الأوَّل

ذكر ابن سعد بهذا الشأن روايَتَين:

الرواية الأولى: «جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت فاستأذن، فقال عليّ: هذا أبو بكر على الباب، فإن شئت أن تأذني له. قالت: وذلك أحبُّ اليك؟ قال: نعم. فدخل عليها، واعتذر إليها، وكلمها فرضيت عنه»[1].

الرواية الثانية: «إنَّ فاطمة بنت رسول الله سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله أن يقسِّم لها ميراثها ممَّا ترك رسول الله ممَّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، قال: لا نورِّث، ما تركناه صدقة. فغضبت فاطمة وعاشت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ستَّة أشهر»[2].

ومن الملاحَظ أنَّ ابن سعد ذكر روايتَين بشأن موقف أبي بكر من السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وكلتا الروايتَين تتناول قضيَّتَين في غاية الأهميَّة، وهي أنَّ أبي بكر رفض أن يعترف بإرث الزَّهراء عليها السلام من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، على زعم أنَّ هناك حديث للرسول صلى الله عليه وآله بأنَّه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث، ومن المسلَّم به أنَّ هذه القضيَّة لا وجود لها بنصِّ القرآن: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[3]، وقوله تعالى على لسان زكريَّا: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[4]، وهذا الشق من روايتي ابن سعد من الثابت فيه هو ان هناك غضب وعدم رضا من السيِّدة الزَّهراء على أبي بكر بسبب إرث رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّ أبي بكر رفض رفضًا قاطعًا الاعتراف بحقِّ الزَّهراء عليها السلام.

أمَّا القضية الثانية، والتي لا تقلُّ أهميَّة عن الأولى، وهو هل رضيت السيِّدة الزَّهراء في حياتها عن أبي بكر؟ وهذا الأمر تناوله ابن سعد في الروايتَين المتقدِّمَتَين، فذكر في

(١) الطبقات: ١٠/ ٢٨.
(٢) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٨.
(٣) سورة النمل، الآية ١٦.
(٤) سورة مريم، الآية ٦.

الأولى أنَّه استأذن عليها في مرضها، فأذِنت له، واعتذر منها ورضيت[1]، وهذا ما ذهب إليه العديد من المؤرِّخين من أنَّ السيِّدة فاطمة أذِنَت لأبي بكر ورضيت منه[2]، وذهب ابن كثير لأكثر من ذلك، في تأكيده صحَّة الرواية: «وهذا إسناد جيِّد قويّ، والظاهر أنَّ عامر الشعبيّ سمعه من عليّ، أو ممَّن سمعه من عليّ»[3].

ومن الملاحَظ أنَّ طريق تلك الروايات هو عامر الشعبيّ[4]، وهذا الرجل متَّهم ببغض الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام[5]، وله موقف سلبيّ من الشيعة طيلة حياته، فنقل ابن عبد ربَّه الأندلسيّ عنه وصفه للشيعة بأنَّهم يهود هذه الأمَّة[6]، وهواه في بني أميَّة معروف، فبعثه عبد الملك بن مروان سفيرًا لبلاد الروم[7]. ويبدو أنَّ الشعبيّ ذهب إلى أكثر من روايته المتقدِّمة الذِّكر، بأنَّ الزَّهراء عليها السلام قبلت اعتذار أبي بكر ورضيت عنه، حتَّى أنَّه ذكر أنَّ أبي بكر صلَّى عليها عند وفاتها، وهو استهجنه ابن حجر العسقلانيّ من «أن الواقديّ روى عن طريق الشعبيّ أنَّ أبي بكر صلَّى على فاطمة، فقال: وهذا فيه ضعف وانقطاع»[8].

وعلى الرغم من أنَّ ابن سعد ذكر رواية الشعبيّ كما ذكرها المؤرِّخون، لكنَّه جاء برواية أخرى بسنده عن عائشة، اختلفت عمَّا في رواية الشعبيّ، وأشار فيها

(١) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٨.

(٢) الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ٢/ ١٢١ ، وتاريخ الإسلام: ٣/ ٤٧، ابن كثير، البداية والنهاية: ٥/ ٣١٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ٥/ ٣١٠.

(٤) هو عامر بن شرحبيل بن عبد الشعبيّ: ولِد بحدود عام (١٧هـ)، عمل كاتبًا لآل الزبير في الكوفة، توفِّي بحدود عام (١٠٤هـ). ينظر: ابن قتيبة، المعارف/ ٤٤٩-٤٥١، الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٩٤-٣١٩.

(٥) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٥/ ٣٨٤-٣٨٥.

(٦) العقد الفريد: ٢/ ٤١٧.

(٧) الخطيب البغداديّ، تاريخ مدينة بغداد: ١٤/ ١٤٧، ابن خلِّكان، وفيات الأعيان: ٣/ ١٣.

(٨) ابن حجر العسقلانيّ، الإصابة: ٨/ ٢٦٧.

إلى أنَّ الزَّهراء غضبت على أبي بكر، دون أن يشير إلى أنَّها رضيت، بل بالعكس من ذلك، جاء في نهاية الرواية: «فغضبت فاطمة وعاشت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ستَّة أشهر»[1].

ويبدو أنَّ ابن سعد أراد أن يشير ضمنًا إلى بقاء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كانت مدَّة محدودة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وأنَّ هذه المدَّة غير كافية لرضاها من أبي بكر، وكذلك ذكر العديد من المؤرِّخين أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام غضبت على أبي بكر وهجرته ولم تكلِّمه حتَّى وفاتها[2].

وعلاوة على ذلك، ذكر ابن طيفور خطبة طويلة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وهي على فراش المرض، للنسوة اللواتي جئن لعيادتها، فقالت: «**أصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وشنئتهم بعد أن سبرتهم، فقبحًا لفلول الحدِّ وخور القنا وخطل الرأي، وبئسما قدَّمت لهم أنفسهم أنْ سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم لقد قلَّدتهم ربقتها وشنت عليهم عارها فجدعًا وعقرًا وبعدًا للقوم الظالمين، ويحهم أنَّى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوَّة ومهبط الروح الأمين..**»[3].

وعلى الرغم من أنَّ ابن سعد تطرَّق لغضب الزَّهراء عليها السلام، لموقفها من الخليفة الأوَّل، لكنَّه لم يذكر سببًا لغضبها غير إرث أبيها، وإنَّها رضيت عنه حين استأذن في الدخول عليها.

ومن كلِّ ما تقدَّم، ومن خطيتها عليها السلام المتقدِّمة الذِّكر، يظهر مدى عِظَم القضيَّة التي كانت تعنيها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من إرث رسول صلى الله عليه وآله، فهي أكبر ممَّا يتصوَّره البعض، من أنَّه بضع نخيلات في فدك أو ما شابه ذلك، إنَّها كانت تحمل هموم الأمَّة والظلم والحيف

(١) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٨.
(٢) صحيح ابن حبَّان: ١١/ ١٥٣، البيهقيّ، السنن الكبرى: ٦/ ٣٠٠.
(٣) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٩-٢٠.

الذي وقع على أصحاب الحقِّ؛ ولأنَّها تعلم ما سوف يؤول إليه مصير الأمَّة، وكيف أنَّ هذا الأمر قطعًا يمهِّد لما بعده، وهو الذي حصل بالفعل، حيث تمكَّن بنو أميَّة فيما بعد من التحكُّم بدماء ومقدرات المسلمين، حتَّى وصلت الأمور إلى سفك دماء العترة الطاهرة، واستباحة المدينة، وحرق الكعبة، وغيرها من جرائم بني أميَّة وبني العبَّاس، وكلُّ ذلك حصل بسبب التكين والتمهيد له بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وانقلاب الأمَّة على الدين المحمَّديّ.

وفاتها وتغسيلها ودفنها وموضع قبرها

أورد ابن سعد العديد من الروايات بشأن تاريخ وفاتها، فذكر في ثلاثة روايات إنَّها توفِّيت عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بستَّة أشهر[1]، فيما ذَكَر في روايَتَين إحداهما بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام، إنَّها توفيت بعده بثلاثة أشهر[2]، وذكر الأصفهانّي أنَّ الآراء اختلفت في بقائها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فمنهم المكثر ومنهم المقل، والتي تراوحت بين ستَّة أشهر وأربعين يومًا، لكنَّه رجَّح رواية الإمام الباقر عليه السلام، وهي ثلاثة أشهر[3]، وعلى الرغم من أنَّ ابن سعد جاء بعدَّة روايات كعادته في منهجيَّته التي اتَّبعها في كتابه الطبقات، والتي نادرًا ما يرجِّح رواية على أخرى، إلَّا أنَّه في تاريخ وفاتها رجَّح رواية الواقديّ بقوله: «قال محمَّد بن عمر (الواقدي)، وهو الثبت عندنا: وتوفِّيت ليلة الثلاثاء لثلاثٍ خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة، وهي ابنة تسع وعشرين سنة، أو نحوها»[4].

ويمكننا أنَّ نستنتج أنَّ ابن سعد رجَّح رواية وفاتها بعد ستَّة أشهر من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، حسب ترجيحه رواية الواقديّ السالفة الذِّكر.

(١) الطبقات: ١٠/ ٢٨-٢٩.
(٢) الطبقات: ١٠/ ٢٩.
(٣) أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبين: ٣١.
(٤) الطبقات: ١٠/ ٢٩.

أمَّا في كيفيَّة تغسيلها عليها السلام، جاء ابن سعد بعدَّة روايات: منها بسنده عن سلمى[1] أنَّ الزَّهراء عليها السلام أمرت سلمى بسكب الغسل، ولبست أفضل ثيابها، وجعلت فراشها وسط البيت، واستقبلت القبلة، وأخبرتهم أنَّها «مقبوضة الساعة، وقد اغتسلت فلا يكشفنَّ أحد لي كتفًا، قالت فماتت، فجاء عليّ فأخبرته فقال: لا والله لا يكشف لها أحد كتفًا، فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك»[2]، فيما جاء برواية أخرى مختصرة، قال: «إنَّ عليّ بن أبي طالب غسَّل فاطمة»[3].

وكذلك روى ابن سعد كيفيَّة دفنها، ومَن صلَّى عليها، ففي حين جاء برواية واحدة أنَّ الزَّهراء عليها السلام أوَّل من جُعل لها نعش، وقد عملته لها أسماء بنت عميس، التي رأته يُصنَع في الحبشة[4]، بينما ذكر أنَّ العبَّاس بن عبد المطلب هو من صلَّى عليها، ونزل في حفرتها هو والفضل بن العبَّاس والإمام عليّ عليه السلام، ثمَّ جاء برواية أخرى أنَّ الإمام عليّ عليه السلام هو من صلَّى عليها، ثمَّ ذكر روايتَين بعد ذلك مباشرةً أنَّ أبي بكر هو من صلَّى عليها[5]. ومن ثمَّ جاء بسبع روايات أنَّها دُفِنت ليلًا[6]، وكذلك أورد ابن سعد روايتَين بشان موضع قبرها، فذكر بسند الواقديّ أنَّها دُفِنَت عليها السلام في زاوية دار عقيل بالبقيع، وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع، فيما جاء برواية أخرى بسند الواقديّ كذلك، ذكر فيها الموضع نفسه، وأضاف أنَّه لا أحد يشكُّ أنَّ قبرها في ذلك الموضع[7].

(١) سلمى: هي مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله، زوجة أبي رافع مولى رسول الله وأمُّ أولاده، وكانت هي قابلة خديجة في ولادتها إذا ولدت من رسول الله، وهي التي اخبرت زوجها أبي رافع بأنَّ مارية ولدت غلامًا، وشهدت خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وآله. ينظر ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢١٦، ابن كثير، البداية والنهاية: ٥/ ٣٥٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٣٠.

(٦) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٣٠.

(٧) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٣٠-٣١.

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ ابن سعد جاء بروايات متعدِّدة لكلِّ حادثة من الحوادث، متَّبعًا منهجيَّته بشكلٍ عامٍّ على نمط أسلوب المحدِّثين من حيث سند الرواية [1]، وكعادته نادرًا ما يرجح رواية على أخرى، ولكن يستشفُّ من بعض مرويَّاته أنَّه قام بالتأكيد عليها، فمثلًا في تاريخ وفاتها عليها السلام رجَّح رواية شيخه الواقديّ، حين قال: وهو الثبت عندنا، وفي وقت دفنها جاء بسبع روايات من طرق مختلفة، بأنَّها دُفِنت ليلًا ولم يحضر دفنها سوى مجموعة قليلة من بني هاشم.

ومن اللافت للنظر أنَّه أعطى مساحة أكبر للعبَّاس بن عبد المطَّلب، فقد ذكر أنَّه صلَّى عليها، ونزل هو والفضل في قبرها، ولا يُستبعَد أنَّ كون ابن سعد عاصر دولة بني العبَّاس، وكان يُعرف بكاتب الواقديّ الذي كان أحد قضاة الدولة العبَّاسيَّة، لا يُستبعَد أن تكون هناك محاباة للعبَّاسيِّين أو مراعاة لهم، ولكن ذلك لا يقلِّل من حياديَّته وإنصافه بشكلٍ عام إذا ما قيس لغيره من المؤرِّخين الذين كثيرًا ما تحاملوا وغيَّبوا بعض الحقائق التاريخيَّة التي تخصُّ أهل البيت.

(١) الغزيّ، الإمام الحسين عليه السلام في كتاب الطبقات: ٣٨.

المصادر الأوليَّة والمراجع الثانويَّة

* القرآن الكريم.

البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

١. أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

البيهقيّ، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

٢. السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، د.ت).

ابن الجوزيّ، عبد الرحمن بن عليّ (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٢م.

ابن حبَّان، محمَّد بن حبَّان (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).

٤. صحيح ابن حبَّان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرسالة، القاهرة، ١٩٩٣م.

ابن حجر العسقلانيّ، شهاب الدين أحمد (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٥. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت.

الخطيب البغداديّ، أحمد بن عليّ (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٦. تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٧م.

ابن خلكان، أحمد بن محمَّد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بغداد، د.ت.

الذهبيّ، محمَّد بن احمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

٨. تاريخ الإسلام، تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٨٧م.

٩. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنـاؤوط، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

ابن سعد، محمَّد بن سعد (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م).

١٠. الطبقات الكبير، تحقيق: عليّ محمَّد عمر، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠١٢م.

الصفديّ، صلاح الدين (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

١١. الـوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنـاؤوط، دار إحياء الـتراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

الطوسيّ، محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).

١٢. رجال الطوسيّ (الأبواب)، تحقيق: جواد القيُّوميّ الأصفهانيّ، مؤسَّسة النشر، قم، ١٤١٥هـ.

ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).

١٣. بلاغات النساء، مكتبة بصرتي، قم، د.ت.

ابن عبد البرِّ، يوسف (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

١٤. الاستيعاب في معرفة الصِّحاب، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٠م.

ابن عبد ربَّه الأندلسي،أحمد بن محمَّد (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٨م).

١٥. العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحينيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٣م.

الصنعانيّ، عبد الرزَّاق (ت ٢١١هـ/ ٨٢٥م).

١٦. المصنَّف، تحقيق: حبيب الله الأعظميّ، المجلس العلميّ، د.ت.

أبو الفرج الأصفهانيّ، عليّ بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).

١٧. مقاتل الطالبيِّين، تحقيق: أحمد صقر، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ٢٠٠٦م.

القاضي النعمان، أبو حنيفة المغربي (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م).

١٨. شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، تحقيق: محمَّد الجلاليّ، مؤسَّسة النشر، قم، ١٤١٦هـ.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).

١٩. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

٢٠. البداية والنهاية، تحقيق: عليّ شيري، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٨.

الكلينيّ، أبو جعفر بن محمَّد (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م).

٢١. الكافي، تحقيق: عليّ اكبر الغفاري، دار الكتب، طهران، د.ت.

المجلسيّ، محمَّد باقر(١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

٢٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، تحقيق: محمَّد باقر، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.

المزِّيّ، يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م).

٢٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

المقريزيّ، أحمد بن عليّ (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

٢٤. إمتاع الأسماع بما للنبيّ صلى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمَّد عبد الحميد النميسيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٩م.

ابن منظور، محمَّد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).

٢٥. لسان العرب، أدب الحوزة، قم، ١٩٨٤م.

النسائيّ، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م).

٢٦. سنن النسائيّ، دار الفكر، بيروت، ١٩٣٠م.

ابن هشام، عبد الملك (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٢م).

٢٧. السيرة النبويَّة، تحقيق: مصطفى السقَّا، دار الخلود، بيروت، د.ت.

الدوريَّات.

الغزيّ، سالم لذيذ والي.

٢٨. الإمام الحسين عليه السلام في كتاب الطبقات الكبير لمحمَّد ابن سعد (ت٢٣٠هـ)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، ٢٠١٩م.

المظاهر الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة ومقاصدها في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام دراسة تحليليَّة

الباحثة زينب حسين عبد عليّ المعموريّ
مديرة مدرسة البضعة الطَّاهرة/ إحدى مدارس الكفيل التابعة للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه على خُلقٍ عظيم وآله الطيِّبين الطاهرين، ولاسيما سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، القدوة الصالحة والأسوة الحسنة، والقمر المشعُّ، والشَّجرة الأصيلة الثابتة وفرعها في السماء، والتي تسكن زاوية من زوايا التاريخ؛ لعظم ما قامت به من تربية الفرد والأسرة والمجتمع، من خلال خطابها المقدَّس، وهي رمز الأخلاق والعفَّة، وربط هذا المجتمع بالنصوص القرآنيَّة.

لذا عُقِد هذا البحث لبيان المظاهر الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة، ومقاصدها في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وقد قسِّم البحث على مبحثين، للحديث عن المظاهر الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، تسبقهما مقدِّمة وتمهيد للتعريف بالمظاهر والمقاصد لغةً واصطلاحًا.

المقدِّمة

إنَّ أغلب الشعوب تنظر إلى المرأة بنظرة قاصرة، ولاسيما العرب في الجاهليَّة كانوا ينظرون للمرأة كرمز للعار، وفي بعض الأحيان يدفنونها وهي حيَّة في صغرها.

وقد شرَّف الإسلام بمجيئه المرأة، ورفع قدرها، وضمن حقوقها كأم وزوجة وبنت.

لقد حفظ الإسلام كرامة المرأة وعفَّتها، وخير مثال للمرأة في الإسلام جسَّدته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من خلال حياتها مع أبيها وزوجها وأبنائها، وحبها لمساعدة الآخرين، والصبر على المصائب، وربطت الفرد والأسرة والمجتمع بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة؛ ليصلوا إلى الكمال، وتنعم حياتهم بطاعة الرحمن.

وبذلك ضربت عليها السلام أسمى مثال في المظاهر الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة التي هي أساس عند الفرد والأسرة؛ لجعل المجتمع متَّزن فكريًّا وعقائديًّا، من خلال التمسُّك بهذه المظاهر.

ومن هنا جاء البحث للتعرف على بعض المظاهر الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة ومقاصدها في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، حيث رسمت خطَّة البحث فجاءت في تمهيد ومطلبَين، فكان التمهيد بيان لـ(المظاهر الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة لغةً).

ثمَّ انعقد المطلب الأوَّل على بيان (المظاهر الاجتماعيَّة ومقاصدها في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام)، وجاء المطلب الثاني لبيان (المظاهر الأخلاقيَّة في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام).

ثمَّ ختمت البحث بمجموعة من النتائج.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وآله الطاهرين

التمهيد

في هذا التمهيد الذي نحسب أنَّ له حاجة للتعريف بالمظاهر الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة ومقاصدها.

حيث يمثِّل مداخل وتمهيدات للدخول في الموضوع، ومن أجل تعريف وبيان مداليلها من خلال كتب اللغة ومعاجمها.

المظاهر (تعريفًا)

المظاهر في اللغة[1]

المظاهر جمع مظهر، والمظهر مِن ظهر يظهر مظهر، ظهر الرجل يظهر ظهارة كان قويَّ الظهر.

وظهر الشيء يظهر ظهورًا تبيَّن وبرز.

والظاهر عند النحاة هو الاسم الذي ليس ضمير، ويقال له المظهر.

مظاهر: جمع مظهر[2]: ظهر ظهر على ظهر عن يظهر ظهورًا، فهو ظاهر والمفعول مظهور.

ظهر الشيء: بدا واتَّضح بعد خفاء، تبيَّن وجوده.

الاجتماعيَّة

هي الحالة الحاصلة من اجتماع جمع قوم، لهم[3] صوالح يشتركون فيها.

(١) محيط المحيط: ٥٦٨ (باب ظهر).

(٢) معجم لسان العرب، نت.

(٣) محيط المحيط: ١٢٣.

الاجتماعية مصطلح يشير إلى سمة من سمات معيشة[1] الكائنات، كما ينطبق على السكان البشر، وهو يشير دائمًا إلى التفاعل بين الكائنات الحيَّة وجماعته التعايش بعضِّ النظر عمَّا إذا كان التفاعل طوعيًّا أو طوعيًا.

الأخلاقيَّة[2]

أخلاق إذا كانت الخلوقيَّة فيه لله كما يقال ثيابُ أخلاق ويجعلون النعت لجماعة أجزائه، فيذكرونه للفظ الجمع.

علم الأخلاق

هم علم السلوك، وهو من أنواع الحكمة العلميَّة، ويسمُّونه تهذيب الأخلاق والحكمة الخُلقيَّة أيضًا.

والخلق: في عرف العلماء ملكة تصدر لها النفس الأفعال بسهولة من غير تقدُّم فكر ورويَّة وتكلُّف، فعبر الراسخ من صفات النفس كغضب الحليم لا يكون خلق، وكذلك الراسخ الذي يكون مبدأ للأفعال النفسيَّة بعسر وتأمُّل كالبخيل إذا حاول الكرم، والخلق العظيم عند السالكين، هو الإعراض من الكونَين، والإقبال على الله تعالى.

والخلق بسكون اللام وضمِّها السجيَّة (بتخلق) يُعتبر خلقه[3] أي بتكلفه.

المقاصد

مفردها المقصد، مكان للقصد والجمع[4].

المقاصد: مفاعل واحدها مقصدُ. قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)[5]: القاف والصاد

(١) ويكيبيديا، موقع الكترونيّ: ٢٥١.
(٢) محيط المحيط: ٢٥١ (باب خلق).
(٣) مختار الصِّحاح: ١٨٧.
(٤) محيط المحيط: ٧٣٨ (باب قصد).
(٥) مقايس اللغة: ٧٤٨ (مادة قصد).

والـدال أصول ثلاثة يدلُّ أحدهما على إتيان شيء وأمهِ والآخر على كسر وانكسار والآخر على اكتناز في الشيء، فالأصل: قصدته قصدًا ومقصدًا، ومن الباب أقصده السهم إذا أصابه.

المقاصد اصطلاحًا[1]

بيان مصالح الطاعات والمعادلات وسائر التصرفات لسعي العباد في تحصيلها، وبيان المخالفات لسعي العباد في دربها، وبيان مصالح العبادات ليكون العيار على خير منها، وبيان ما يُقدَّم من بعض المصالح على بعض، وما يؤخَّر من بعض المفاسد على بعض، والشريعة كلُّها مصالح، إمَّا تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح.

(١) قواعد الأحكام من مصالح الأنام، عز الدين عبد السلام: ١/ ١٠-١١.

المطلب الأوَّل

المظاهر الاجتماعيَّة ومقاصدها في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

لابد لنا أن نبين بناء الفرد المثالي وفق التخلق بأخلاق أهل البيت عليهم السلام ومن ثم بناء الأسرة المثالية اللذان يكونا المجتمع المثالي وكيفية ربطها بخطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام فسيكون المطلب الأول على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: بناء الفرد المثالي

خلق الله الفرد لحكمة جليلة وغاية سامية، وهي عبادته والالتزام بمنهجه، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/ ٢٥٦).

فالإنسان لم يُخلق عبثًا، بل خُلِق الإنسان لهدفٍ سامٍ، وهو السير على طريق التكامل من خلال أفعاله الاختياريَّة القادر عليها، وهو طريق لأجل التوصُّل إلى الكمال النهائيّ الذي لا يصل إليه إلَّا باختياره وجهده، لذلك لا بدَّ من وضع الآليَّات المناسبة للتعامل مع الفرد، وذلك لاختلاف الديانات والأفكار في المجتمع الواحد، فضلًا عن باقي المجتمعات، حتَّى نحفظ حريَّة العقيدة للجميع، ويقام الحقُّ والعدل بين أبناء الوطن الواحد، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ (آل عمران/ ١٠٣).

إنَّ هذه الآليات هي أُسس وأعمدة لبناء الدولة التي رعاها النبيّ صلى الله عليه وآله، والتي حطَّمت مناهج الجاهليَّة وتصوُّراتها ،وكـان ذلـك واضـح من سيرته صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

حيث ترى الباحثة: أنَّ الشعور الدينيّ في الأصل هو ميول ونزوع نابع من فطرة الإنسان، فالإيمان بخالق عظيم مبدع، له القدرة والقابلية على التنظيم الوجوديّ للفرد، وهذا هاجس لا يمكن أن يفارق فكر الإنسان ووجدانه، فهو مهيَّأ فطريًّا للانتماء الدينيّ والإيمانيّ بفكرة الإله الذي لا يمكن الحصول عليه إلَّا من خلال الحضور الإلهيّ في جوهره، وتأصيل القيم وتفعيلها في الواقع الاجتماعي في ظلِّ تشريعٍ سامٍ، يحفظ كرامة الفرد ويصون معتقده، وإنَّ الله عز وجل بعث له الأنبياء والأئمَّة؛ يبيِّنون ويوضِّحون له الأحكام الإلهيَّة، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (البقرة/ ١٧٧).

وبما أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قد أدركت هذا المعنى الإنسانيّ في أسمى درجاته، فجاء خطابها المبارك حاملًا الكثير من المعاني الإنسانيَّة العميقة، والذي شعَّت منه البلاغة والبيان، الأمر الذي استدعى وضوح أبعاد شخصيَّتها الفكريَّة والواقعيَّة.

لذلك جسَّدت عليها السلام صورة الفرد السامي والمثال في مسيرتها، ممَّا جعلها قدوة صالحة وأنموذج مثال للاقتداء بها، فهي لا يمكن أن تكون فردًا عاديًّا، بل هي رسالة دوَّنتها يد القدرة والإرادة الإلهيَّة، فحيَّرت العقول في مقامها الشريف، فكانت امرأة روحانيَّة، وإنسانة متكاملة، ومشكاة انبعث منها نور الإمامة، وأيقونة ملكوتيَّة قدَّمت أروع الصور، وأخذت دور الفرد المؤثِّر.

إنَّ الباحث في نصِّ خطبتها الفدكيَّة يلاحِظ هذا المظهر الإنسانيّ، فكان خطابها منهاجًا متكاملًا، حيث قالت في خطبتها الفدكيَّة[1]:

(١) شرح الخطبة، كتاب فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ٢٤٢/ ٢٤٣.

«**الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم من عموم نِعَمٍ ابتداها، وسبوغ آلاءٍ أسداها، وتمام منن والاها**». يتَّضح من خلال عباراتها عليها السلام أنَّ على الإنسان أن يشكر المنعم، وهو واجب فرضه العقل والشرع، فضلًا عن العُرف.

وذلك لأنَّ هذا الخالق البديع يستحقُّ الحمد والشكر؛ لما أعطى من النِّعم، سواء كانت ظاهريَّة أم باطنيَّة كنعمة وجوده في هذه الحياة، وتمتُّعه بالصحَّة ومختلف الغرائز، وكذلك العلم والعرفة، ولا بدَّ من توظيف هذه النِّعم بنوعيها توظيفًا صحيحًا، وذلك من خلال الالتزام بتعاليم الدين الحنيف، وطاعة الإله الذي تزخر به فطرته السليمة، وبذلك يسمو الإنسان إلى الكمال، ممَّا يجعله فرد مثالي موالي يعرف الحقَّ، متسلِّح بالخير، متَّصل بالخالق العظيم توحيدًا وتعظيمًا، وبرسوله أسوةً وقدوةً ومنارًا للسير على نهجه المقدَّس وسمته وهديه، وبأئمَّة الهدى والرشاد العترة الطاهرة الطيِّبة، ومحاولةً منها عليها السلام ربط الفرد المثالي بالكتاب العظيم وتدبُّر آياته، والتعرُّف على مقاصدها وأهدافها.

المبحث الثاني: بناء الأسرة المثاليَّة

الأسرة هي الوحدة الاجتماعيَّة التي تحفظ المجتمع، وسمِّيت أسرة؛ لأنَّها تعني في اللغة الدرع الحصينة، أو جماعة يربطها أمر مشترك[1].

وهي المؤسَّسة الاجتماعيَّة التي تربط أفرادها بروابط كالدم والزواج، فهي اللبنة الأساس في بناء المجتمع، لذا نرى الإسلام قد حرص على أهميَّة اختيار الزوجة الصالحة التي تمثِّل الركن الأساس في الأسرة، والتأكيد على أخلاقها، وتربيتها وتجسد ذلك في حديث نبيِّ الرحمة صلى الله عليه وآله حيث قال: «**تخيروا لنطفكم فإنَّ العِرق دسَّاس**»[2].

وكذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «**تزوجوا في الحِجر الصالح، فإنَّ العِرق دسَّاس**»[3]. ويتَّضح لنا جليًّا من خلال الحديث أنَّ اختيار الزوجة الصالحة قبل تكوين

(١) معجم المعاني الجامع.
(٢) السرائر: ٢/ ٥٥٩.
(٣) المرأة المسلمة وأدوارها الدينيَّة والاجتماعيَّة: ٢٥٥.

الأسرة من الأمور المهمَّة؛ لأنَّ الأسرة لها الأثر الأكبر في عمليَّة التربية وإنجاحها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (سورة آل عمران/ ٣٣).

إنَّ معنى (اصطفى) من الصفو، وهو خلوص الشيء من الشوائب، ومنه (الصفا) للحجارة الصافية[1].

أي إنَّ الله عزَّ وجلَّ اختار هذه المجموعة من الأنبياء من بين الناس؛ لأنَّ لهم القدرة والقابليَّة على اختيار طريق الحقِّ بإراداتهم من دون جبر؛ لأنَّهم ذو خلق متميِّز، حيث أعدَّهم للقيام بهداية البشر لإطاعتهم المتناهية لله عزَّ وجلَّ، ومن ذريَّة آل إبراهيم نبيُّنا محمَّد صلى الله عليه وآله الذي كان له الدور الأبرز في بلورة رسالة الإسلام؛ لأنَّ القصد من هذه الرسالة الخالدة هو إرشاد الأمَّة، ونصرة الدين، وإعلاء كلمة الحقِّ.

ومن خلال آية الاصطفاء تبيَّن لنا أنَّ اختيار هذه المجموعة من الأنبياء جاء بناءً على خصائص موروثة من جدِّهم آدم عليه السلام، والتي جعلتهم مؤهَّلين لحمل رسالة السماء، وتكوين الأسر الصالحة وفق التعاليم الإلهيَّة، وكانوا ولا زالوا قدوة للعالم أجمع.

وقد جسَّد ذلك نبيُّنا محمَّد صلى الله عليه وآله، وكيف ولِد في بيئة صعبة متمرِّدة مدمنة على الخمر والطرب، إلَّا أن فطرته السليمة ومنبعه الصالح مكَّنه أن يحوِّل تلك البيئة إلى بيئة صالحة متمسِّكة بالقرآن الكريم، وكان هذا واضحًا في تربيته للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام التي رضعت من وحي الرسالة، ونشرت علوم دينها من خلال تربيتها لأسرتها، فقد أنشأت بطريقتها التربويَّة أسمى أسرة مثاليَّة على مرِّ العصور، تخرَّج منها الحسَنَين عليهما السلام، وبطلة كربلاء السيِّدة زينب عليها السلام، حيث يروى أنَّها عليها السلام كانت تُجلس الإمام الحسن عليه السلام بقرب سجَّادتها، وهي غارقة في العبادة والتبتُّل آناء الليل وأطراف النهار، متضِّرعة لله حتَّى الصباح، وهي تدعو لكلِّ الناس، ولم تشمل أسرتها بتلك الدعوات، ممَّا أثار فيه- الإمام الحسن-

(١) تفسير الأمثل: ٢/ ٣٢٠.

السؤال عن السرِّ وراء ذلك، فأجابته عليها السلام بكلِّ محبَّة وحنان: «**يا بني الجار قبل الدار**»، وبذلك ضربت أعلى مثل للإيثار، فهذا جزء من صناعة الأسرة المثاليَّة.

ومن خلال حياتها عليها السلام وجَّهت أعظم رسالة لبناء أسرة مثاليَّة خيِّرة ناصحة متآلفة يسودها جوُّ الإيمان، عارفة بحقوق ربِّها توحيدًا وعبادةً، شعارها رفع راية لا إله إلَّا الله، حيث إن الأسرة العارفة بحقوق نبيها محمَّد صلى الله عليه وآله وقيادته وعصمته، سائرةً على نهجه، جاعلةً القرآن منهجًا ونظامًا، عارفةً بإمامة أهل البيت عليهم السلام بوصفهم الثقل الثاني، متَّبعةً هدى الأئمَّة المعصومين؛ لأنَّهم مصدر الخير والعطاء.

وحذَّرت السيِّدة في خطبتها على نساء المهاجرين والأنصار من الابتعاد عن نهج النبيّ الأكرم، وخسران الدنيا والآخرة، حيث قالت عليها السلام:

«**أنَّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوَّة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين**»[1].

فقد وضَّحت كيف ابتعد الناس عن خلافة الرسول، وزحزحوا مواضعها الثابتة كالجبال من سوء اختيارهم؛ لأنَّ البناء إذا لم يكن على أساس صحيح يختلُّ نظامه، فإنَّ ابتعادهم عن بيت الوحي بيت فاطمة وبعلها الذي ما زال فيه زغب جبرائيل عليه السلام، وتركوا نهج الرسول الذي كان حاذقًا بأمور الدين والدنيا، وابتعدوا عن زوجها الإمام عليّ عليه السلام، الحكيم الذي عنده علم الكتاب.

هذا هو الخسران المبين، حيث سُلِبت من الأمَّة السلطة والقدرة، حين تخلَّوا عن أهل البيت، كلُّ هذا كان واضحًا في خطابها.

فالأسرة الملتزمة المتمسِّكة بالقرآن الكريم والسنَّة المحمَّدية، السائرة على نهج أهل البيت عليهم السلام، هي الأسرة المثاليَّة التي وضعت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام القواعد الأساسيَّة لها.

---

(١) فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ٣٦٣.

المبحث الثالث: بناء المجتمع المثاليّ

بدءًا لا بدَّ من التنويه إلى أنَّ المجتمع المثاليّ ليس المقصود منه المجتمع الخالي من العيوب، وأفراده تجمعهم كلُّ القيم المثالية؛ لأنَّ هذا المجتمع لا وجود له في هذه الدنيا، وبعيدًا عن الواقع أصلًا، بل المجتمع المثاليّ هو المجتمع القائم على التعاليم التي جاء بها وحي السماء، متمثِّلة بالقرآن الكريم والسنَّة النبويَّة المطهَّرة، والذي جمع بين الدين والدنيا، وحثَّ أفراده على الخضوع والتسليم لله تعالى، وإشاعة الرحمة والعدل والتعاون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ (سورة النحل/ ٩٠)، وفي نفس الوقت أن يكون مجتمعًا مطيعًا لنداء فطرته الإنسانيَّة، حتَّى نحصل على تجانس مثمن، وتطبيق لوحي السماء، وكان ذلك واضحًا في تاريخ الإسلام الذي عُدَّ تجربة رائدة، حيث وُجِدت المجتمعات المثاليَّة القائمة على منهج الله تعالى وبقيادة نبيِّه الأعظم صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ (النجم/ ٣-٤)، ولا بدَّ لهذا المجتمع من دعائم يقوم عليها، وهي نابعة من وحي الرحمان، وليس من وحي الشيطان.

وتعتقد الباحثة أنَّ من أهمِّ هذه المقوِّمات هي:

١. إقامة الشريعة الإسلاميَّة وتطبيقها المنهج لهذا المجتمع، وإلـزام أفـراده بتطبيقها؛ لأنَّ الشريعة هي مصدر قوَّة الأفراد ووحدتهم، حيث جعل الله تجانسًا مع فطرتهم الإلهيَّة، وهي ميراث الأنبياء من آدم إلى محمَّد صلوات الله عليهم أجمعين، وعند تطبيق الشريعة سوف نُعظِّم المسؤوليَّة، أي الواجبات، لكلِّ فرد في المجتمع، حيث يكون الفرد مؤهَّلًا لتحمُّل عواقب مسؤوليَّاته وأفعاله، هذه هي المسؤوليَّة الخاصة بالفرد، وهناك مسؤوليَّة عامَّة، وهي دور الدولة المتمثِّلة بقيادة النبيّ صلى الله عليه وآله، ومن بعده آل بيته الأطهار، ولا نغفل أنَّ المجتمع عبارة عن حلقات هي الفرد والأسرة ثمَّ المجتمع، وأنَّ الأسرة هي العمود الفقريّ له، فكلَّما كان المجتمع ملتفًّا حول النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام،

ابتعد عن عراقيل القوانين الوضعيَّة النابعة من الجاهليَّة العمياء التي تربَّى عليها المجتمع قبل الإسلام، وقد شرَّع الإسلام الكثير من القوانين التي خدمت البشريَّة بصورة عامَّة، والمجتمع المسلم بصورة خاصَّة، ومنها إقامة الشريعة.

٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودور في صلاح الفرد ومن ثمَّ المجتمع.

٣. التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، وهو من أقوى روابطه.

٤. إعطاء الحقوق الشرعيَّة كالزكاة والخمس للفقراء، ودورها في تقليل الفوارق الاقتصاديَّة، بل حتَّى الاجتماعيَّة بين المسلمين.

٥. نُصرة المظلوم وإعانته وإعادة الحقِّ إليه، وما له من الأثر في ردع الفساد الاقتصاديّ في المجتمع.

٦. حفظ الحقوق والحريَّات التي نصَّت عليها شريعة السماء، وكذلك بيان حقوق أهل الكتاب من غير المسلمين.

وتكمن أهميَّة هذه المقوِّمات؛ لما لها أهميَّة مباشرة في حياة الإنسان، وهي التي أدَّت إلى تنظيم المجتمع، فكلَّما التزم أفراده بتعاليم الدين واتِّباع نهج النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، كلَّما كان مجتمعًا مثاليًّا.

وقد بيَّنت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في خطابها المقدَّس مذكِّرة بمنزلة النبيّ صلى الله عليه وآله ورسالته التي أنقذهم بها من الجاهليَّة، ورفع شأنهم بالإسلام، حيث قالت في خطبتها الفدكيَّة:

«وأشهد أنَّ أبي محمَّدًا عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله وسمَّاه قبل أن اجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علمًا من الله تعالى بمايل الأمور وإحاطة بحوادث الدهور ومعرفة بمواقع المقدور، ابتعثه الله إتمامًا لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذًا لمقادير حتمه،

فرأى الأمم فرقًا في أدبيَّاتها عكَّفًا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمَّد صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلا عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية فأنقذهم من الغواية، وبصرَّهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الصراط المستقيم»[1].

فخطابها واضح لبيان دور أبيها سيِّد البشر الذي أضاء القلوب قبل العقول، وحرَّر الإنسان من الجاهليَّة وعبادة الأصنام وشرب الخمر والطرب وغصب الحقوق، ونقلهم إلى حياة مشرقة مفعمة بالكرامة، وقد اختاره الله لمنزلته الرفيعة قبل أن يُخلَق، حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/ ٤)، فإنَّه حيَّر العقول بخلقه، ورأفقه ووحَّد الأمم ولمَّ شعثهم، حيث كانت دياناتهم مختلفة، منها من تعبد النار، وأخرى تعبد الأصنام التي يصنعونها بأيديهم من التمر، ومن ثمَّ يجوعون ويقومون بأكلها، يا لها من مهزلة، فأنار الله دربهم بالنبيِّ الأكرم، وكشف الجهل عن العقول، وحرز المجتمع من الخرافات، وبذلك أصبح شعار المجتمع المثاليّ هو حفظ الحقوق، وأداء الواجبات، وإشاعة الحبِّ والمودَّة بين أفراده في جميع الكليَّات الأخلاقيَّة والتربويَّة.

(١) موسوعة سيِّدة أهل البيت (ع)/ فاطمة الزَّهراء، ج٩.

المطلب الثاني

المظاهر الأخلاقية ومقاصدها في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

الأخلاق هي أهمُّ ما أتت به الرسالة المحمَّدية، ليصل بها الإنسان إلى الكمال، ولا نغفل أنَّها وعاء الدين، فحين نتكلَّم عن المظاهر الأخلاقيَّة في خطاب السيِّدة عليها السلام يقف القلم حائرًا من أين يبدأ وبأي شيء ينتهي حيث لا نهاية.

إنَّ الله تعالى أذهب عنها الرجس، وصُنعت في مصنع الرسالة وفقًا لإرادة الله عزَّ وجلَّ، وربت في أحضانها الإمامة، فهي رسالة الله تمشي على الأرض، وسوف أتطرَّق لبعض أخلاقها عليها السلام، وكما يأتي:

المبحث الأوَّل: علمها ومعرفتها عليها السلام

إنَّ فضيلة العلم لها الدور البارز في تكوين قيمة الإنسان ورفع شأنه، وجعله ينال الدرجات العُلى في عالم الفضيلة والشرف، وتكامل الروح، ورضى النفس، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1] (المجادلة/ ١١).

فإنَّ العلم عند السيِّدة الزَّهراء وصل إلى حدِّ الذروة والكمال، وكيف لا وهي التي ارتضعت العلم من رسالة السماء ووحي القرآن.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**لـمَّا ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله إلى ملك فأنطق به لسان**

(١) علل الشرائع: ١/ ١٧٩.

محمَّد صلى الله عليه وآله **فسمَّاها فاطمة، ثمَّ قال: إنِّي فطمتك بالعلم، وفطمتك من الطمث»**، ثمَّ قال أبو جعفر: «**والله لقد فطمها بالعلم وعن الطمث بالميثاق**».

فهي ارتضعت العلم وفطمت عن الجهل، فهذا يعني أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قد تكاملت عندها العلوم، فهي غنيَّة عن التعلُّم، عن عمَّار بن ياسر قال: «شهدت عليّ ابن أبي طالب عليه السلام وقد ولج على فاطمة عليها السلام، فلمَّا بَصرتْ به نادت: **ادنُ لأحدِّثك بما كان وبما هو كائن وبما لم يكن إلى القيام** .. فقالت: **اعلم يا أبا الحسن أنَّ الله تعالى خلق نوري وكان يسبِّح الله جلَّ جلاله، ثمَّ أودعه شجرة من شجر الجنَّة فأضاءت، فلمَّا دخل أبي الجنَّة، أوحى الله تعالى إليه إلهامًا أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهوتك، ففعل، فأودعني الله صُلب أبي** صلى الله عليه وآله**، ثمَّ أودعني خديجة بنت خويلد، فوضعتني، وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن المؤمن من ينظر بنور الله تعالى**»[1]، وهذا دليل على علمها، بل إنَّها تعلم الغيب؛ لأنَّها ليست امرأة عاديَّة، فإنَّ مصادر علمها ما هي إلَّا فيوضات إلهيَّة؛ لأنَّ المسؤول عن تعليم السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هو الله عزَّ وجلَّ، وهذا يثبت أنَّها عليها السلام قد ورثت علوم جميع الأنبياء عليهم السلام.

كان النساء يأتين الزَّهراء عليها السلام ويسألنها، فذات مرَّة جاءتها امرأة تسأل، وكلَّما تجيب الزَّهراء مسألتها، أعادت السؤال كأنَّها لم تفهم، حتَّى بلغت مرارًا- بعضهم قال سبع مرَّات- فقالت المرأة: كلَّفتك في هذا. فقالت الزَّهراء عليها السلام: «**كلَّما أعدت عليَّ زاد لي الثواب والأجر**».

وكان علمها واضحًا من خلال خطبتها، حيث بيَّنت ضرورة الشرع والشريعة، ثمَّ بيَّنت مقامات النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمَّ بيَّنت فصول علوم القرآن وجوامع أبوابه، ممَّا لم تنله الأذهان من قبل، فقالت: «**ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها كونها بقدرته وذراها بمشيئة من غير حاجة منه إلى تكوينها ولا فائدة له في**

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨.

تصويرها إثباتًا لحكمته وتنبيها على طاعته وإظهارًا لقدرته وتعبُّدًا لبريَّته وإعزازًا لدعوته، ثمَّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادةً لعباده عن نعمته، وحياشة لهم إلى جنَّته، وأشهد أنَّ أبي محمَّدًا عبده ورسوله اختاره (وانتجبه) قبل أن أرسله..»[1].

حيث كانت خطبتها أوَّل خطبة بعد خطب الرسول صلى الله عليه وآله، تسجِّلها محافل المسلمين؛ لحجَّتها البالغة في مرتكزاتهم، فيها ثناء الله تعالى وتوحيده، وإشارة إلى نبوَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، وأثرها في حياة المسلمين، كلُّ هذا دليل واضح على علمها وأحاطتها بجميع الأمور، فهي عالمة غير معلَّمة، علمها لدنِّي من قِبَل الله عز وجل[2].

المبحث الثاني: إيمانها وتعبُّدها لله

العبادة هي أهم حلقة اتِّصال مع الله عز وجل، لها الأثر البالغ في نقاء الروح وصفائها، فكيف يمكن أن نتصوَّر عبادة سيِّدة نساء العالمين عليها السلام، وهي ألق العارفين الذين نظروا إلى الدنيا والوجود بعين الله، فأزالت الحجب عن أنظارهم، وبان لهم عالم الملكوت الأعلى بجماله وبهائه؛ لأنَّ عبادتها عليها السلام تنقلها إلى عالم آخر، عالم العشق الإلهيّ، حيث تحوُّل الروح عن البدن، تباين (تسافر) إلى عالم آخر، فعبادتها لا نظير لها، لهذا سمِّيت بالزكيَّة والزاكيَّة لاهتمامها بتزكية نفسها المقدَّسة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (الشمس/ ٩)، فقد وصف النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله عبادة السيِّدة عليها السلام فقال: «**وأمَّا ابنتي فاطمة فإنَّها سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، وهي بضعة منِّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي الحوراء الإنسيَّة، حتَّى قامت في محرابها بين يدي ربها جلَّ جلاله، زَهَر نورها لملائكة السماء كما يُزهِر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: «يا ملائكتي انظروا إلى أَمَتي فاطمة سيِّدة إمائي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي أُشهِدكم**

(١) مقامات فاطمة الزَّهراء في الكتاب والسنَّة: ١١٢.

(٢) فاطمة الزَّهراء من قبل الميلاد حتَّى ما بعد الاستشهاد: ٢٥٣.

أنِّي قد أمَّنت شيعتها من النار»[1].

إنَّ العبد حين يشتغل بالعبادة، كأنَّما يصعد إلى السماء، وإنَّ غاية الصعود هو نيل كمال اللذَّة والبهجة من العبادة، باتت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عنوانًا للقدوة الحسنة، ووضعت لنا، من خلال علاقتها بربِّها، منهاجًا عباديًّا بما نهلته من مدرسة أبيها النبيّ الأكرم، حيث كوَّنت منهاجًا وأسلوبًا تربويًّا تبليغيًّا راقيًا على مستوى العبادة.

وأبت إلَّا أن تكون عبادتها آخر ما تختم به حياتها المقدَّسة، رغم مرضها الشديد، فقد ذكر الخوارزميّ أنَّها عليها السلام قبيل رحيلها قامت مقام رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتها، فصلَّت ركعتَين، ثمَّ جلَّلت وجهها المقدس بطرف ردائها، وقضت نحبها، فسلامٌ عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيَّة شفيعة لأمَّتها وحصنًا لجميع المؤمنين، حيث تلتقطهم من النار كما يلتقط الطير الحبَّ الجيِّد من الحبِّ الرديء..[2].

فقالت في خطبتها عليها السلام: «**أيُّها الناس اعلموا أنِّي فاطمة وأبي محمَّد أقولُ عودًا وبدءًا، ولا أقول ما أقول غلفًا، ولا أفعل ما أفعل شططًا**».

افتتحت السيِّدة خطابها بقولها: «**واعلموا أنِّي فاطمة**»، نعم فأنت بنت أكرم الأنبياء وخاتمهم، وأنت سيِّدة نساء العالمين التي أسَّست العدل، وشيَّدت مذهبًا راقيًا، حيث إنَّها لا تعمل عملًا إلَّا وهو موافق للحقِّ، فهي الحقُّ والعلم، والعلم والحقُّ معها.

فهي خير عابدة وزاهدة وعالية الإيمان، محبوبة الرحمان، حيث يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها؛ لأنَّها قبسٌ من نوره، ومنارًا لدينه، ودليلًا واضحًا للإيمان به، وتوحيده.

---

(١) آمال الصدوق: ٣٩٣.

(٢) موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، فاطمة الزَّهراء: ٩/ ٣٤١.

المبحث الثالث: حُنوّها وشفقتها

الصديقة الزَّهراء عليها السلام درَّة إلهيَّة كوَّنها الباري عزَّ وجلَّ على عينه ورحمته، فما كان منها إلَّا بلغ الخير والشفقة والحنان والطيبة، فهي سارت على نهج أبيها، خير نبيٍّ الرحمة للبريَّة، حيث كانت الرحمة صفة من صفاته، وعلامة لا تفارقه، فهو المبعوث رحمةً للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء/ ١٠٧).

فنهجت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام نهج أبيها، فهي رحيمة بأبيها وزوجها وبالفقراء، وكنيتها (أمُّ أبيها) تدلُّ على أنَّها أخذت دور أمِّها في العناية بأبيها صلى الله عليه وآله، والاهتمام بشؤونه، والعطف عليه، وعاملها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله معاملة الأمِّ أيضًا، فيقوم لها، ويقبِّل يدها، ويُجلسها مجلسه، وهي تفعل ذلك أيضًا.

نستلهم من رحمة الزَّهراء عليها السلام بأبيها أروع دروس الرحمة بالآباء والأمَّهات، خاصَّة في فترة شيخوختهم، فهم بأمسِّ الحاجة إلى العناية والرعاية، وإحساسهم بالحنان والرحمة، وقضاء حوائجهم.

أمَّا معالم رحمتها عليها السلام بزوجها، فما رأى منها إلَّا طيب المعاملة والمعشر الحسن، وهي تراعي ظروف زوجها الاقتصاديَّة وقدرته الماديَّة، لا تكلِّف زوجها، ولا تطلب منه شيئًا، وأمير المؤمنين عليه السلام عندما يعلم بعدم توفُّر الطعام في البيت، يقول لها: **يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فأبغيكم شيئًا؟**.

فتقول عليها السلام: «**يا أبا الحسن إنِّي لأستحي من إلهي أن تكلِّف نفسك ما لا تقدر عليه**».

وهو أعلى وأبلغ درس من دروس الرحمة الفاطميَّة، أمَّا مع الفقراء فلا تردُّ سائلًا عن بابها، وقد أعطتنا أروع درس في الإنفاق والبذل، حيث تصدَّقت بثوب زفافها ليلة عرسها لفتاة فقيرة من الأنصار، ومرَّة أخرى نزعت عقدها وأعطته لفقير يبيعه ويسدَّ احتياجه.

ورحمتها مع جيرانها، حيث كان لهم الحظُّ الأوفر من دعائها وعطفها، وكانت تتفقَّد أحوالهم، وتطحن الحبَّ من الشعير والحنطة وتعطيه لجيرانها الفقراء، حيث كان وجودها في حدِّ ذاته رحمة إلهيَّة للعالَمين أجمع.

المبحث الرابع: القيم الأخلاقيَّة المثاليَّة

الزَّهراء عليها السلام شخصية تضع في يدنا مفاتيح لأهم أبواب الحياة؛ لأنَّها حوت كلَّ عوامل الرفعة والكمال، وضمَّت جميع المعاني الجليلة بما تحويها الكلمة من معنى.

وحديث الثَّقَلين أكبر دليل على عصمة أهل البيت عليهم السلام، ومنهم الزَّهراء عليها السلام، وهذا الحديث روته العامَّة والخاصَّة في كتبهم، وفي مقدِّمتهم كتب الصِّحاح.

إنَّ القيم الأخلاقيَّة التي جسَّدتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كثيرة جدًّا لا يسع البحث عرضها، إلَّا أنِّي سأعرض شيئًا منها، متمثِّلة بما يأتي:

١. الصدق:

صفات السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كثيرة، ومنها (الصدِّيقة)، وبما أنَّ العصمة قد ثبتت لها عليها السلام، فالصدق والصداقة جزء من العصمة، وصفة من صفاتها، قال الإمام الصادق عليه السلام: «بان فاطمة عليها السلام صديقة وغسلها بيد علي عليه السلام وهو الصديق»[1]، كيف لا وهي وليدة الإسلام، ومن أهل الكساء وآية التطهير، وشهد الله لها بالصدق، فهي بنت الخاتم الذي بعثه ليتمِّم مكارم الأخلاق، وقالت عائشة: «ما رأيت أحدًا قط أصدق من فاطمة عليها السلام غير أبيها»[2] ٢٤.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران/ ٤٢)، ثمَّ التفت إلى عليّ عليه السلام قال: **يا عليّ إنَّ فاطمة بضعة**

(١) قبس من نور فاطمة.

(٢) بحار الأنوار: ٣/ ٨٢.

منّي، وهي نور عيني، وثمرة فؤادي، يسوؤني ما ساءها، ويسرني ما سرَّها، وإنَّها أوَّل من يلحقني من أهل بيتي، فأحسِن إليها بعدي»[1].

٢. الصبر:

تمثَّل صبر الزَّهراء عليها السلام في حمل مشاقِّ عمل البيت، وصبرها على المصائب التي حلَّت بها بعد فَقدِ أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وما جرى عليها من الظلم والجور من غَصبِ حقِّها وإرثها، صبرت على ظلامات القوم، من انتهاك دارها، وضربها عليها السلام، وإسقاط جنينها، وكسر ضلعها، وحرق دارها، كلُّ هذه الحوادث والظلامات تُنبئ عن مدى صبرها وعظمتها، كما قالت عليها السلام:

صُبَّتْ عليَّ مصائبٌ لو أنَّها

صُبَّتْ على الأيَّامِ صِرنَ لَيَاليًا

كيف لا تكون صابرة، وقد أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله بالصبر، حيث قال: «**إيَّاها بالصبر على مرارة الدنيا لنعيم الآخرة**»[2].

وفي صبرها على مشاقِّ أعمال البيت، فذكر صاحب الحلية الأوزاعيّ عن الزهريّ، قال: «**لقد طحنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى مجلت يداها، وطبَّ الرحى في يدها**»[3].

٣. العفّة:

أعطى الإسلام للمرأة الحقوق، وشرَّع القوانين لحمايتها، ومنحها الحريَّة ضمن تعاليمه السامية في طلب العلم والحصول على الملكيَّة والإرث والعمل، كلُّ هذا بشرط أن تكون الحرية حافظة لكرامتها، ووفق تعاليم الدين، وأن لا تكون سببًا في

(١) آمال الصدوق: ٣٩٣.
(٢) العوالم: ١١/ ٤٨.
(٣) المصدر السابق: ٣٣.

إفساد الأسرة وانحراف المجتمع، والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام ضربت أعلى وأسمى مثل للمرأة المسلمة من عفَّة وحصانة في أداء دورها في داخل بيتها وخارجه، فهي قدوة العفَّة والحجاب، فقد روي عنها عليها السلام أنَّها قالت: «**خير للمرأة أن لا ترى رجلًا ولا يراها رجل**»، فهي احتاطت وتحرَّجت من رؤية الرجل الأعمى، فما هو موقفها من البصير حينئذ، وكانت عفَّتها نبراس للمرأة المسلمة.

وعند إلقاء خطبتها عليها السلام، ووصف الرواة كيفيَّة خروجها إلى جامع أبيها، أنَّها لاثت خمارها على رأسها، وأقبلت في لُـمَّة من حفدتها، تطأ ذيولها، ما تحزم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتَّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنبطت دونها مُلاءة[1].

رغم عظم المصيبة، إلَّا أنَّها في كامل سترها وعفَّتها، وهي تلوث خمارها وتمشي بين النساء في «لـمَّة من حفدتها»، و«تطأ في ذيولها»[2]، حتَّى أقدامها لم تُرى، بل حتَّى خطواتها، يا له من ستر وعفَّة.

ومن مظاهر عفَّتها وحشمتها أنَّها قالت لأسماء بنت عميس: «**ألا تجعلي لي شيئًا يسترني، فإنِّي اتنصَّح ما يصنع بالنساء يُطرح على المرأة الثوب فيحقها**. فقالت أسماء: إنِّي رأيت شيئًا يُصنع بالحبشة، فصنعت لها هيئة النعش، فقالت عليها السلام: **اصنعي لي مثله، استريني سترك الله من النار**»[3].

فكان نعشها أوَّل نعش أُحدِث في الإسلام، واتُّخذ بعد ذلك سُنَّة، فخرجت من هذه الدنيا وهي بكامل حجابها وعفَّتها؛ لتضرب لنا أروع مثل، ولتكون أسمى قدوة تقتدي بها النساء على مرِّ الأزمان.

---

(١) المناقب، ابن شهر آشوب: ٣/ ٣٤١.

(٢) موسوعة أهل البيت عليهم السلام، فاطمة الزَّهراء: ٦/ ٣٣٦.

(٣) سير أعلام النبلاء الذهبيّ: ٢/ ١٢٨.

خاتمة البحث ونتائجه

نحمد الله أن أوصلنا إلى ختام هذا البحث المبيِّن لـ(المظاهر الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة ومقاصدها في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام) من أجل تصوُّر وبيان وتوضيح لما تحصَّل من استخلاصات، نحسب أنَّها مهمة في إعطاء فكرة واضحة عن البحث، وهي:

أوَّلًا: كشف البحث عن مجموعة من المظاهر الاجتماعيَّة في خطاب الزَّهراء عليها السلام، وهي قطرة في بحر المعرفة الذي انطوى في خطابها على الكثير من الغايات والأهداف في بناء الفرد المثاليّ والأسرة المثالية، وبدورهما يبنى المجتمع المثاليّ ويتكامل.

ثانيًا: إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قارئة واعية للمجتمع، ومن هنا كانت تؤكِّد على ربط الفرد المثاليّ، ومن ثمَّ الأسرة والمجتمع بالقرآن الكريم، والنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، مهما عصف بهم من مصائب ومصاعب، فهم دومًا الحلّ في الخلاص من كلِّ المشاكل الاجتماعيَّة، وجلب المصالح، ودفع المفاسد والقبائح والرذائل.

ثالثًا: ومن خلال بيان بعض المظاهر الأخلاقيَّة التي تجلَّت في أيقونة الأخلاق ومنار العفَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وبيان معرفة السيِّدة وحنانها وعبادتها وصبرها على المصائب، وهي سيِّدة نساء العالمين، فهي تُعطي درسًا ذات مضامين عالية في الحفاظ على المجتمع، وضبط النفس عند المصائب، والتصرُّف بغاية الحكمة رغم كثرة المحن.

رابعًا: السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هي نبع العفَّة، بل هي نبراسها، ورغم عصف الدهر، إلَّا أنَّها أثبتت أنَّ عفَّة المرأة هي تاج لها، وأعلى مراتب التكامل، وتبقى السيِّدة الزَّهراء عليها السلام المرأة القدوة المثال على مرِّ العصور والأزمنة.

مصادر البحث

* القرآن الكريم.

١. امالي الصدوق، الصدوق أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ، ط١، ١٤١٧.

٢. بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ (ت ١١١هـ)، ط١، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣. تفسير الأمثل، مكارم ناصر الشيرازيّ، ج٢.

٤. التهذيب، محمَّد بن الحسن الطوسيّ، من موقع إلكترونيّ.

٥. السرائر، ابن ادريس الحِلِّيّ، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ.

٦. سير أعلام النبلاء، الذهبيّ، أبو عبد الله شمس الدين الذهبيّ، من موقع إلكترونيّ.

٧. علل الشرائع، الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ ابن بابويه القمِّيّ.

٨. فاطمة الزَّهراء من قبل الميلاد حتَّى ما بعد الاستشهاد، عبد الله عبد العزيز الهاشميّ، مكتبة الفقيه، الكويت.

٩. قبس من نور فاطمة، حسن الشمَّريّ الحائريّ، ط٢، مؤسَّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٠. قواعد الأحكام من مصالح الأنام، عز الدين عبد السلام، مكتبة الكليَّات الأزهريَّة، القاهرة، طبعة جديدة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩١م.

١١. كتاب فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، محمَّد كاظم القزويني، طبعة مصحَّحة، دار الغدير.

١٢. محيط المحيط، قاموس مطوَّل للغة العربيَّة، المعلم بُطرس البستانيّ، طبعة جديدة، ١٩٨٧، أعيد طبعه، ١٩٩٣، مكتبة لبنان.

١٣. مختار الصِّحاح، محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازيّ، دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٤. المرأة المسلمة وأدوارها الدينيَّة والاجتماعيَّة، محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، دار العلم، ط٢، ١٤٤٢هـ.

١٥. مقامات فاطمة الزَّهراء في الكتاب والسنَّة، محمَّد عليٍّ الحِلِّيّ، ط١، دار الغدير، قم ١٤٣٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٦. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّا القزوينيّ الرازي، المحقِّق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الجبل، بيروت.

١٧. مناقب آل أبي طالب، محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندرانيّ (ت ٥٥٨هـ)، ط١، المكتبة الحيدريَّة، النجف، ١٣٧٦هـ.

١٨. موسوعة سيرة أهل البيت، فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ج٩، باقر شريف القرشيّ، دار المعروف، مؤسَّسة الإمام الحسن عليه السلام، ط٢، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٩. ويكيبيديا، موقع إلكترونيّ.

المضامين الاقتصاديَّة في الخطبة الفدكيَّة
(دراسة تحليليَّة)

د. ميثاق كاظم هادي الخفاجيّ

ملخَّص البحث

تعدُّ الخطابة واحدة من أشهر فنون الأدب عند العرب، وحينما يكون الخطيب فصيحًا مفوَّهًا، فأنَّ تأثيره في الوسط الاجتماعيّ يكون بالغ الأهميَّة، إذ حَوَت الخطبة الفدكيَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الكثير من المضامين السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والعقديَّة، وعلى هذا الأساس عمل الباحث على انتقاء بعض المضامين الاقتصاديَّة من خطبتها.

فوسمت بحثي بعنوان (المضامين الاقتصادية في الخطبة الفدكيَّة دراسة تحليليَّة)، بعد أن قسمَّته على مبحثَين، جاء المبحث الأوَّل بعنوان: المضامين الاقتصاديَّة التاريخيَّة، بيَّن فيه الباحث البُعد الاقتصاديّ التاريخيّ الذي تفوَّهت به الزَّهراء عليها السلام، لتميط اللثام عمَّا أثَّر عن الواقع الاقتصاديّ في الجزيرة العربيَّة، وتحديدًا (مكَّة والمدينة)، وتكشف عن المستوى المعاشيّ الذي كان سائدًا آنذاك، إذ وصفتهم قائلة: «**تشربون الطَّرْقُ وتقتاتون القدَّ أذلَّة خاسئين**»، ثمَّ كان المبحث الثاني بعنوان: المضامين الاقتصاديَّة التشريعيَّة، وقف الباحث على بعض من المضامين الاقتصاديَّة ذات البُعد التشريعيّ؛ لتبيِّن مدى الوضع الاقتصاديّ الذي نالته العرب بحكم دخولهم في الإسلام، وفضل أبيها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، حتَّى راحوا ينعمون بالخيرات، بعد كانت الطبقة الارستقراطيَّة

(أصحاب رؤوس الأموال) هي المتحكِّمة والمتسيِّدة، حتَّى أضحوا متساوون في الدخل الاقتصاديّ، ومن تلك المضامين (الزكاة) التي في مفهومها تعني إعادة التوزيع للأموال، فضلًا عن الآجر والثواب الأُخرويّ.

ولغرض بيان مكانة الزَّهراء عليها السلام في التاريخ الإسلاميّ، وما تتمتَّع به من شجاعة وقدرة على فنِّ الخطابة، وتوظيفه للمطالبة بحقِّها في الإرث من جهة، والإمامة من جهة أخرى، بالحجج البيِّنة، وهنا تكمن أهميَّة البحث، ولـمَّا كانت (الزَّهراء عليها السلام) بضعة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ومنها الامتداد الطبيعيّ لرسالة السماء، إذ اختِيرت لتكون الوعاء الحاضن للإمامة، مثَّلت أسباب اختياري للبحث، وقد اعتمد الباحث المنهج التحليليّ في إيراد الروايات المتَّصلة بالبحث، مع تدوين مختصر لهويَّة المصادر والمراجع في هامش البحث؛ توخِّيًا للدقَّة، واختصارًا للجهد والوقت، فهي وردت مرتَّبة بحسب الحروف في نهاية البحث، يمكن الرجوع إليها بسهولة ويُسر، وقد اعتمد الباحث على عديد من المصادر والمراجع التي أَثْرَت البحث، منها: تاريخ الرسل والملوك للطبريّ (ت ٣١٠هـ)، وإعلام الورى، للطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ)، ومن المراجع المهمَّة التي اتَّكأ عليها الباحث، يقع في مقدِّمتها كتاب: المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد عليّ، وكتاب: اقتصادنا للشهيد الصدر، وغيرها، التي قُيِّدت في قائمة ثبت المصادر والمراجع، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

المُقَدَّمة

اشتملت الخِطْبةُ الفدكيَّة للزَّهراء[1] عليها السلام على بعض المضامين الاقتصاديَّة إبَّان أحداث السقيفة، وما نتج عنها من تولية أبي بكر (١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤م) إمرة المسلمين، وحرمانها من حقِّها في فدك، وعند إنعام النظر في تلك المضامين ومواطن إيرادها، تتجلَّى مظاهر البلاغة والفصاحة في خطبتها عليها السلام، لاسيما وقد وسمَتْ عليها السلام بأسماء كثيرة[2]، وتواترت الأخبار بعصمتها، ومن أشهر الدلائل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]، فهي بضعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله[4]، التي رافقته عند المباهلة[5]، وعند الرجوع إلى خطبتها نلحظ

(١) سئل الإمام الصادق عليه السلام (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) عن سبب تسمية فاطمة عليها السلام بالزَّهراء، فقال: «**لأنَّ الله عز وجل خلقها من نور عظمته، فلمَّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها**»، وفي رواية أخرى قال: «**لأنَّها تُزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرَّات بالنور**»، وفي ثالثة قال: «**لأنَّها إذا قامت في محرابها زَهَر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض**». الصدوق، علل الشرائع: ١٧٠-١٧١، المجلسي، بحار الأنوار: ٤٣/ ١١.

(٢) ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: «فاطمة، والصدِّيقة، والمباركة، والطَّاهرة، والزَّكيَّة، والرَّاضية، والمرضيَّة، والمحدَّثة، والزَّاهرة». الطبرسيّ، إعلام الورى: ١٦١.

(٣) سورة الأحزاب، من الآية: ٣٣.

(٤) ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**فاطمة بضعة منِّي يؤذيني ما آذاها**». النسائيّ، السنن الكبرى: ٥/ ٩٧. للمزيد ينظر: الطبرسيّ، إعلام الورى: ١٦٢، ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١١٢.

(٥) أراد النصارى مباهلة النبيّ صلى الله عليه وآله، فخرج يحمل الإمام الحسين عليه السلام والحسن عليه السلام بيده، وفاطمة خلفه، والإمام عليّ عليه السلام خلفهم، فلمَّا رأوه خافوا فرجعوا عن رأيهم وطلبوا الصلح،=

بوضوح أنَّها تدرجت في الخطبة من بيان الاحكام الشرعيَّة، وكيف أخذ الإسلام المحمَّديّ إحداث التغيير الشامل في واقع الجزيرة العربيَّة على مختلف المستويات، ليجعل منهم خير أمَّة أُخرجت للناس، ولو صان الذين جاءوا إلى سدَّة الحكم ما بناه، لكان واقع الأمَّة الإسلاميَّة على أحسن حال، ونلمس في خطبتها أيضًا مدى الانقلاب الذي أصاب مجتمع المدينة حال رحيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى، فبيَّنتْ ذلك في خطبتها التي جاءت احتجاجًا على القوم الذين انقلبوا على أعقابهم، إذ قدَّمَتْ الحُجج البالغة التي سكتوا عنها ولم ينبزوا برد، سوى أنَّهم جاءوا بحديث نسبوه للنبيّ صلى الله عليه وآله، وهو منه براء[1]، إلَّا أنَّ الخطبة في مضمونها اشتملت على المطالبة بالإمامة، ولعلَّهُ المطلب الرئيس فيها، وقد بيَّنتْ ذلك بفضل بعلها الإمام عليّ عليه السلام وسابقته في الإسلام، وما كُلِفَ به من لدن نبيّ الأمَّة صلى الله عليه وآله في حمل رسالة السماء لإكمال المسيرة فيما بناه بمقتضى قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2]، وتعطي المضامين التي أوردتها عليها السلام مدلولات اقتصاديَّة، فضلًا عن كونها احتجاجيَّة على القوم، وعلى هذا الأساس، سوف نسلط الضوء على ما تضمَّنته الخطبة من أبعاد اقتصاديَّة، آخذين بنظر الاعتبار المعنى الظاهريّ لها، وما كانت ترمي إليه من معانٍ أخرى، لعلَّ الباحث يوفَّق في إيرادها أو الوصول إليها، مع بيان أنَّ حديثها صعب مستصعب، إذ ليس من السهل الوصول إلى خفاياه[3].

=والزَّهراء عليها السلام خامس خمسة أصحاب الكساء. الثعلبيّ، الكشف والبيان: ٣/ ٩٩، ١١/ ١٣٤، الرازي، مفاتيح الغيب: ٢/ ٢٣٦، ٤/ ٩٢.

(١) أورد البخاريّ حديث: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»، بإسناد مختلف عن عائشة، وساق في ذلك روايات كثيرة عن مطالبة الزَّهراء عليها السلام في نصيبها من إرث أبيها صلى الله عليه وآله. صحيح البخاريّ، ٨/ ١٤٩-١٥٠.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٣.

(٣) ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**إنَّ حديث آل محمَّد صعب مستصعب، لا يؤمن به إلَّا مَلَكٌ مقرَّب أو نبيٌّ مُرسَل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمَّد صلى الله عليه وآله فلانت له=**

المبحث الأوَّل

المضامين الاقتصاديَّة التاريخيَّة

أفصحت الزَّهراء عليها السلام في خطبتها عن الواقع الاقتصاديّ الذي كان سائدًا عند القرشيِّين قبل البعثة النبويَّة الشريفة، وما تفوَّهتْ به الزَّهراء عليها السلام لم يأتِ عن لغو حديث، لأنَّها معصومة عن الخطأ والزلل[1]، وإنَّما عن الواقع الذي كانت تعاني منه تلك البقاع إذ وصفت الجزيرة العربية بطابع التصحّر والجفاف في أغلب المناطق[2] مع شحة الموارد المائية وقلة المياه في بلاد العرب انحصرت الزراعة في الأماكن التي حباها الله بمواسم تساقط الأمطار، وفي الأماكن التي ظهرت فيها عيون وينابيع، مثل وادي القرى[3] في

=**قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردُّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمَّد، وإنَّما الهالك أن يحدِّث أحدكم بشيء منه لا يحتمله، فيقول: والله ما كان هذا والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفرُ**». الكلينيّ، الكافي: ١/ ٤٠١. وللمزيد ينظر: الصدوق، الأماليّ، ٥٢، ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٣٦.

(١) ورد عند المفيد في تفسيره أنَّه قال: «ثبتت عصمة فاطمة عليها السلام بإجماع الأمَّة على ذلك فتيا مطلقة». تفسير القرآن المجيد، ٤١٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٩٤، للمزيد ينظر: خليل، في الفكر الاقتصاديّ الإسلاميّ: ٢٥-٣٠.

(٣) وادي القرى: هو وادي بين الشام والمدينة، وهو بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة، والوادي من أوَّله إلى آخره قرى منظومة، وبها سمِّي وادي القرى، قيل إنَّها منازل عاد وثمود قديمًا، ثمَّ نزلتها اليهود والعرب. ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ٤/ ٣٣٨، ابن عبد الحقِّ البغداديّ، مراصد الاطِّلاع: ٣/ ١٤١٧، السمهوديّ، وفاء الوفاء: ٤/ ١٦١.

الحجاز والإحساء[1] على الخليج العربيّ، وفي الأودية والأماكن التي تكثر فيها المياه الجوفيَّة؛ إذ استخرجت منها المياه بحفر الآبار والزراعة في هذه الأماكن- باستثناء العربيَّة الجنوبيَّة- تشاهد آثار السدود للاستفادة من مياه الأمطار[2]، فالزَّهراء عليها السلام حينما قالت: «**تشربون الطَّرْقُ وتقتاتون القدَّ أذلَّة خاسئين**»[3]، بيَّنت ذلك عند حديثها عن فضل أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله على أهل مكَّة، والطَّرْق: «الماء المجتمع الذي خيضَ فيه وبِيل وبُعِرَ فكَدِر والجمع أَطْرَاق وطَرَقَت الإبل الماء إذا بالت فيه وبعرت فهو ماء مَطْرُوق وطَرْقٌ والطَّرْقُ والمَطرُوق أَيضًا ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتَبْعَرُ»[4]، ومن مأثور القول: «ليس للشارِبِ إلَّا الرَّنْقُ والطَّرْقُ، والرَّنْق: تراب في الماء من القَذى ونحوه»[5]، وعلى هذا الأساس فإنَّها سلام الله عليها بيَّنتْ الوضع الاقتصادي المتردِّي الذي كان سائدًا آنذاك حتَّى لا يملكوا شرب الماء الصافي، بل يلجؤون إلى المياه الآسنة التي تخوض فيها الإبل، ثمَّ وصفت المستوى المعاشيّ لهم بأنَّهم يقتاتون القد، ويقتات: «يَأْكُل فيَجْعَلُه قُوتًا لنَفْسه»[6]، «والقَدُّ: جِلْدُ السَّخْلة، وقيل: السَّخْلَةُ الماعِزَةُ وفُلانٌ ما يَعْرِفُ القِدَّ مِنَ القَدِّ أَي السَّيْرَ مِن مَسْكِ السَّخْلَة»[7]، والقِدُّ أيضًا: «السَّيْرُ الذي يُقَدُّ من جِلْدٍ غيرِ مَدْبُوغٍ

(١) الإحساء: وهو الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل، والحسي: للرمل المتراكم، أسفله جبل صلد، وحسا: مدينة في الصحراء محاطة بأربعة أسوار متعاقبة من اللِّبن محكمة البناء، وبها عيون ماء كثيرة، والبصرة أقرب المدن الإسلاميَّة إليها، وهناك إحساء البحرين وإحساء القطيف وغيرها. ناصر خسرو، سفر نامة: ١٤٢، ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ١/ ١١١.

(٢) عليّ، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١/ ١٦٢.

(٣) القاضي النعمان، شرح الأخبار: ١/ ٤٥، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١٢٢، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٤.

(٤) الفراهيديّ، كتاب العين: ٣٨٦، ابن منظور، لسان العرب: ١٠/ ٢١٥.

(٥) ابن قتيبة الدينوريّ، غريب الحديث: ٢/ ٤٠٩، ابن منظور، لسان العرب: ١٠/ ١٢٦، الزبيديّ، تاج العروس: ١/ ٦٣٤١.

(٦) ابن منظور، لسان العرب: ٢/ ٧٤.

(٧) الزبيديّ، تاج العروس: ١/ ٢١٨٨.

غير فَطِيرٍ فيُخْصَف به النِّعالُ وتُشَدُّ به الأَقتابُ والمَحَامِلُ»[1] ورد عن عمر أنَّه قال: «كانوا يأكلون القدَّ يريد جلد السخلة»[2]. بعد أن بيَّنا المعنى اللغويّ للطرق والقدِّ، فإنَّ ما تفوَّهَتْ به الزَّهراء عليها السلام يفصح عن حالة البؤس والفقر المُدْقَع الذي كانوا يألفونه إبَّان حياة التنقل والترحال بحثًا عن الكلأ والماء، وهي بطبيعة الحال حياة البداوة التي لا ينفكوا عنها، إذ ورد ما نصُّه: «تتابعت على قريش سنوٌ جدب قد أقحلت الظلف وأرقت العظم»[3]، وهذا ما يعضده الرأي القائل: بأنَّ تجارة قريش كانت محصورة في مكَّة ثمَّ نَمَتْ وتطوَّرت حتَّى شملت مشارق الأرض ومغاربها[4]، وقد ذكر الطبريّ[5] حديث رستم[6] قائد جند الفرس أبان الفتوحات، فسأل عن قائد الجيش، فقيل له قرشيّ، فقال: «أمَّا إذا كان قرشيًّا فليس بشيء، والله لاجاهدنَّه القتال، إنَّما قريش عبيد من غلب، والله ما يمنعون خفيرًا ولا يخرجون من بلادهم إلَّا بخفير»[7]، ممَّا يعطي دلالة على أنَّ قريش لم تكن بذات القوَّة والمنعة، وإنَّما كانت تُساير وتُجاري من غلب، فهي لا تخرج من أرضها إلَّا بخفارة خفير؛ لأنَّها لا تحسن القتال، وللعلَّامة جواد عليّ[8] رأيٌ قال فيه: «ويعود سبب اشتهار مكَّة بالتجارة دون غيرها من قرى ومدن جزيرة العرب،

(١) الزبيدي، تاج العروس: ١/ ٢١٨٩.
(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٩/ ٥٩.
(٣) السهيليّ، الروض الأنف: ١/ ١٣٩.
(٤) للمزيد ينظر: الثعالبيّ، ثمار القلوب: ١/ ٢، خليل، في الفكر الاقتصاديّ الإسلاميّ: ٥٥-٥٩، جواد عليّ، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٧/ ٢٠.
(٥) تاريخ الرسل والملوك: ٣/ ٧٥، جواد عليّ، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٧/ ٢٢٨.
(٦) أحد قادة الفرس الذي كان في مواجهة جيش المسلمون في واقعة القادسيَّة عام (١٥هـ)، قتله هلال بن علفة التيميّ (ت ١٥هـ). ابن عبد البرِّ، الأستيعاب: ١/ ٤٨٨، ابن الأثير، أسد الغابة: ٣/ ٩٤.
(٧) الطبريّ، تاريخ الرسل والملوك: ٣/ ٧٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١/ ٤٠٩.
(٨) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٦/ ٢٨٥

إلى القرآن الكريم، فإليه وحده يعود فضل اشتهارها بالتجارة، لما جاء فيه من ذِكر عن قساوة تجّار قريش وغلظهم تجاه الفقراء، ومن أكلهم أموال اليتامى والأرامل والبنات، ومن تعاطيهم الرِّبا.. إلى غير ذلك من أمور حملت علماء التفسير والأخبار على التنقير عن أخبار تجارة مكّة، وعلى جمع ما حصلوا عليه في كتبهم، ولو نزل في القرآن الكريم شيء عن تجارة وتجّار مواضع أخرى مسمّاة باسمها؛ لخصّتْ تلك المواضع بعنايتهم من دون شكٍّ ولا ريبة.. فحمل كلُّ هذا علماء السيرة على البحث عن تجار مكّة وعن تجارتها قبل الإسلام، وعن المواضع التي تاجروا معها. فظهرت مكّة من ثَمَّ، وكأنّها المدينة الوحيدة التاجرة في جزيرة العرب»، وعلى هذا فإنَّ رأي جواد عليّ[1] محلَّ نظر وتأمُّل، يَكْمُن في فضل القرآن والإسلام على مدينة مكّة وإعطائها ذلك الحيِّز من الأهميَّة لدى المؤرِّخين، كما أنَّ قريش كانت تُنعت بالضَّب[2]؛ لأنهّا كانت لا تغادر مكّة، ملازمة للبيت الحرام[3]، وقد عُرفتْ قريش بين أهل الحجاز بسخينة، والسخينة: طعام رقيق يُتَّخذ من سمن ودقيق، وقيل: دقيق وتمر، وهو دون العصيدة في الرقّة وفوق الحساء[4]. وإنَّما لُقِّبت قريش بسخينة لاتِّخاذها إيَّاه، أي: لأنَّهم كانوا يكثرون من أكلها؛ ولذا كانت تُعيَّر به[5]، حتَّى حباهم الله عزّ وجلّ بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الذي أنقذهم من شفا حفرة من النار، فغيَّر مسار حياتهم إلى الرفاه والعيش الكريم، وأنَّ ذلك التغيُّر لم يكن من اليُسر تحقيقه ما لم يصحبه العمل الجاد والدؤوب، وتقديم التضحيات، بل ويؤثرون على أنفسهم

(١) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٦/ ٢٨٥.
(٢) الضب: حيوان برِّي، وقالت العرب: لا افعله حتَّى يرد الضب؛ لأنَّ الضب لا يرد الماء، وقيل: إنَّ الضب ليموت في حجره هزالًا من ظلم بني آدم. الدميريّ، حياة الحيوان الكبرى: ٢/ ١٠٠.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١/ ٢٤٥، البلاذريّ، أنساب الأشراف: ١/ ١٧.
(٤) ابن منظور، لسان العرب: ١٣/ ٢٠٤، الزبيديّ، تاج العروس: ١/ ٨٠٦٣.
(٥) ابن حبيب، المنمَّق: ٦٠، السهيليّ، الروض الأنف: ١/ ٣١٥، ٣٤١، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٧/ ٣٠.

ولو كان بهم خصاصة، ومثَّل ذلك الدور الإمام عليّ عليه السلام، الذي كان يحمل راية الإسلام للذَّود عنه، إذ قالت عليها السلام: «**وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون**»[1]، عند حديثها عن فضل بعلها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام يذود عن الإسلام، والقوم آمنون في ديارهم، حتَّى إذا توفِّي رسول الله صلى الله عليه وآله، تصدَّروا إلى الزعامة، ولـمَّا كانت الخطبة موجَّهة إلى المؤتمِرون في المسجد، فإنَّها تكون خاصَّة بالقوم الذين كانوا يعانون حياة الفقر والعوز، فهي تذكِّرهم بماضيهم، وحالة التقشُّف وضنك العيش الذي كانوا فيه، وما آلت إليه أحوالهم من العيش الكريم، بفضل النبيّ صلى الله عليه وآله والإسلام.

وعلى هذا الأساس فإنَّ الخطبة الفدكيَّة قد حوت على مضامين اقتصاديَّة ذات بُعد تاريخيّ، كشفت فيه عن الواقع الاقتصاديّ المتردِّي لهم، وبفضل النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام حصل التغيير الاقتصاديّ، وأخذت الصدقات تتدفَّق عليهم من كلِّ حدبٍ وصوب، ليتمَّ إعادة توزيعها عليهم، كلٌّ بحسب استحقاقه منها.

(١) الطبرسيّ، الاحتجاج: ١٢٢.

المبحث الثاني

المضامين الاقتصاديَّة التشريعيَّة

احتوت خطبة السيِّدة فاطمة عليها السلام مضامين اقتصاديَّة ذات بُعد تشريعيّ، لعلَّها أرادت من ذلك تحذير القوم وتذكيرهم وإنباههم على عدم تخطِّي الأحكام الشرعيَّة التي ترتبط ببعض المفاهيم الاقتصاديَّة، والتي أسهمت في بناء الواقع الاقتصاديّ والاجتماعيّ لهم، ومن تلك المضامين الاقتصاديَّة ما يأتي:

أوَّلًا: الزكاة

تعدُّ الزكاة واحدة من أهمِّ المفاهيم الاقتصاديَّة التي بُني عليها الاسلام، وشرطٌ أساسيٌ ينبغي على من دخل الإسلام الالتزام به وتأديته على أتمِّ وجه[1]؛ لأنَّ فيه جنبة اقتصاديَّة وأخرى اجتماعيَّة، إذ قالت عليها السلام: «**والزكاة تزكية للنفس، ونماء في الرزق**»، إذ أخذت الزكاة جانبًا بالغ الأهميَّة في حياة المسلمين منذ تشريعها[2]، فهي تعدُّ وسيلة وأداة لأعادة توزيع الدخل في المجتمع، ومن ثمَّ تكون عاملًا رئيسًا في القضاء على الطبقيَّة التي كانت سائدة في مجتمع الجزيرة العربيَّة[3]، بعبارة أخرى، إنَّ الزكاة تُسهم في أعادة التوازن الاقتصاديّ والاجتماعيّ، فالتوازن الاجتماعيّ يراد به التوازن بين أفراد المجتمع في مستوى المعيشة لا في مستوى الدَّخل، بحيث يكون المال موجودًا لدى أفراد

(١) للمزيد عن موارد إتيان الزكاة ينظر: أبو عبيد، كتاب الأموال: ٤١٣-٥١٢، الصالح، النظم الإسلاميَّة: ٣٥٥-٣٥٩.

(٢) قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ سورة البقرة/ الآية: ٤٣.

(٣) لعلَّة تشريع الزكاة ينظر: الصدوق، علل الشرائع: ٢/ ٣٤٩-٣٥٥.

المجتمع، ومتداولًا بينهم إلى درجة تتيح لكلِّ فرد العيش في المستوى العام، أي أنْ يحيى جميع الأفراد مستوى واحد من المعيشة[1]، أمَّا التوازن الاقتصاديّ فيرُاد به التوازن في مستوى الدخل؛ لأنَّ الزكاة حينما تُفرَض يكون المكلَّف بها مستشعرًا للطمأنينة بأنَّ ما يعطيه من حقوق في أمواله سيعاد توزيعها على المجتمع بحسب الاستحقاق، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنَّه يشعر بالارتياح النفسيّ؛ لأنَّه سوف يحظى بالأجر والثواب الآخرويّ[2]، وهذا ما يميِّزها عن غيرها من أنواع الضرائب والرسوم التي تُجبى على سبيل المثال في النظام الرأسماليّ، إذ يشعر الفرد عند إعطائها بالجبر والقوَّة التي تُفرَض عليه، ثمَّ إنَّه لا يأمل الأجر والثواب الأُخرويّ الذي نراه في الزَّكاة، كما أنَّ الزَّهراء عليها السلام أشارت إلى قضية مهمَّة من أنَّ الزكاة تكون نماءً في الرزق[3]، هو مصداق قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[4]، فهي تَدفع المكلَّفين بإعطائها إلى المبادرة؛ لأنَّ فيها زيادة ونماء للأموال، زيادة على الأجر والثواب الأُخرويّ[5].

ثانيًا: توفية المكائيل والموازين

وردت في كتب الحديث والفقه واللغة أسماء بعض العيارات والموازين التي كان يستعملها العرب قبل الإسلام، ويظهر أنَّ هذه العيارات والموازين كانت تختلف باختلاف المواضع، وإن اتَّفقت في الأسماء؛ فبين مكَّة والمدينة، على سبيل المثال، اختلاف

(١) الصدر، اقتصادنا: ٧٤٧-٧٥٠.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾. سورة البقرة/ الآية: ٢٧٧. للمزيد ينظر: الطبريّ، جامع البيان: ٦/ ٢١.

(٣) الطبري، جامع البيان: ١/ ٣٦٦.

(٤) سورة البقرة/ الآية: ٢٤٥.

(٥) للمزيد ينظر: الطوسيّ، التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٦٥، الطبرسيّ، تفسير مجمع البيان: ١/ ٤٤٥.

في تقدير العيارات، فقد ذُكر أنَّ أهل المدينة كانوا يكيلون التمر، بَيْد أنَّه يوزن في كثير من الأمصار، ثمَّ إنَّ بعض المواد تكال وتوزن، فالسمن يكال في بعض الأماكن، ويوزن في أماكن أخرى[1]، ولـمَّا كانت الموازين والمكاييل من المسائل الهامة في التبادل التجاريّ، فقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات تؤكِّد على توفيتها، منها قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2]، كما حثَّ نبيّ الأمَّة على ما وورد في الحديث أنَّه صلى الله عليه وآله قال: «**المكيال مكيال أهل المدينة والوزن وزن أهل مكة**»[3]، وعلى هذا فإنَّ ما ورد في خطبة الزَّهراء عليها السلام قولها: «**وتوفية المكائيل والموازين، تغييرًا للبخس**»[4]، يكون تأكيدًا للنصِّ القرآنيّ والسُّنَّة النبويَّة، وتحذيرًا للقوم من الخروج عن التشريع السماويّ، لكي لا يُبخس حقُّ الآخرين.

ثالثًا: وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهليَّة تبغون

بيَّنتْ الزَّهراء عليها السلام قضية هامَّةٌ في خطبتها حينما احتجَّتْ على القوم في مسألة الإرث، إذ ورد في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾[5]، والتراث هو الميراث، في وقت كان فيه القوم يأكلون ميراثهم وميراث غيرهم لـمًّا، واللمُّ: السفُّ، لفُّ كلِّ شيء ظلمًا، أو الجمع الشديد الكثير[6]؛ فجاء القرآن الكريم لمنع هذا الاعتداء من أكل حقوق الناس، إذ كانوا لا يوَرِّثون النساء والصغار[7]، وعادة عدم

(١) جواد عليّ، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٤/ ٣٠٩.
(٢) سورة الإسراء/ الآية: ٣٥، سورة الأنعام/ الآية: ١٥٢، سورة الأعراف/ الآية: ٨٥، سورة الشعراء/ الآيات: ١٨١-١٨٢.
(٣) الصنعانيّ، المصنّف: ٨/ ٦٧، النسائيّ، السنن: ٥/ ٥٤.
(٤) القاضي النعمان، شرح الأخبار: ٤٥، الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٥٦٨، الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٥) سورة الفجر/ الآية: ١٩.
(٦) ابن منظور، لسان العرب: ١٢/ ٥٤٧-٥٥٠، الزبيديّ، تاج العروس: ٣٣/ ٤٤٣.
(٧) الطبريّ، جامع البيان: ٢٤/ ٤١٥، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: ١٠/ ٣٤٢٨.

توريث النساء، أي عدم أعطائها حقَّها ونصيبها من الإرث من المسائل التي ما زالت عالقة في أذهان الناس، لا ينفكوا عنها، على الرغم من أنَّ القرآن العظيم قَدْ فَصَّلَ في ذلك[1]، وأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فهي من ترسُّبات الحقبة الزمنيَّة السابقة لمجيء الإسلام المحمَّديّ[2]، ذلك يقودنا إلى ما احتجَّ به القوم على فاطمة الزَّهراء عليها السلام من عدم توريث النساء، وجاؤوا بحديث نسبوه إلى النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله يشير بأنَّ الأنبياء لا تُورِّث، وما تركوه صدقة[3]، ولعلَّ ذلك يعود إلى ما درجوا عليه من عدم توريث النساء في العُرف السائد عندهم قبل الإسلام، ولـمَّا لم يجد رواة الحديث مخرجًا لتبرير

(١) قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾. سورة النساء/ الآية: ١٢.

(٢) يؤمن الباحث أنَّ الدين عند الله الإسلام، وأنَّ كلَّ الشرائع السماويَّة السابقة تَكْمنُ في الإسلام، على الرغم من اختلاف المسمَّيات، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ سورة آل عمران/ الآية: ١٩، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ سورة آل عمران/ الآية: ٨٥، وفي قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ سورة البقرة/ الآية: ١٣٦. وإلى هذا الرأي ذهب المستشرق كاهن قائلًا: «إنَّ الرسالة السماويَّة التي نطق بها النبيُّ محمَّد[صلى الله عليه وآله] رسول الله هي تمامًا الرسالة ذاتها التي حملها الرسلُ والأنبياءُ قبلهُ، من آدم إلى المسيح». الإسلام منذ نشوئه حتَّى ظهور السلطنة العثمانيَّة: ٣٦.

(٣) أورد البخاريّ حديث: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»، بإسناد مختلف عن عائشة، وساق في ذلك روايات كثيرة عن مطالبة الزَّهراء عليها السلام في نصيبها من إرث أبيها صلى الله عليه وآله. صحيح البخاريّ، ٨/ ١٤٩-١٥٠.

حرمانها من إرث ابيها، فإنَّهم مالوا تجاه وضع هذا الحديث، مع أنَّنا نميل إلى أنَّ الزَّهراء عليها السلام لم يكن مطلبها فدك، بقدر احتجاجها على القوم بمسألة الإمامة، وتحذيرهم من تعطيل الأحكام الشرعيَّة، ومنها إرث البنت من أبيها.

وعلى هذا فإنَّها عليها السلام خاطبت أبي بكر قائلة: «**يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا إرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريا! أفعلى عَمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم**»[1] ثمَّ إنَّـها احتجَّت على القوم بقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[2].

إنَّ الزَّهراء عليها السلام حينما تعرَّضتْ لبعض المضامين الاقتصاديَّة في خطبتها، ومنها مسألة الإرث للبنت، أرادت أنْ تضع النصَّ القرآنيّ كشاهد ودليل على خروج القوم عن الحكم الشرعيّ، فلم يكن مقصودها فدك فحسب، والدليل على ذلك أنَّ خطبتها لم تقتصر على المطالبة بفدك، كما أنَّ الإمام عليّ عليه السلام لم يطالب به أكثر من بيان الحجَّة، وحينما تسنَّم الخلافة لم يقم بإرجاع فدك، على الرغم من قدرته على ذلك؛ ليثبت للعامَّة أنَّ الزَّهراء عليها السلام حينما خرجت من دارها للمسجد والناس مجتمعون فيه، خرجت لمسألة هي أكبر من فدك، وهي مسألة الإمامة، ومَنْ هو أحقُّ بها، لكن غُضَّتْ الابصار وكُمِّمَتْ الأفواه تحت عنوان أنَّ القوم تخيَّروا لأنفسهم فاختاروا.

(١) الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٥٦٨، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٢) سورة النمل/ من الآية: ١٦.

الخاتمة

بعد أن تعرَّضنا إلى بعض المضامين الاقتصاديَّة في خطبة الزَّهراء عليها السلام، نخلص إلى أهمِّ الاستنتاجات التي توصَّل اليها البحث:

١. إنَّ الخطبة الفدكيَّة للزَّهراء عليها السلام أماطت اللثام عن واقع الجزيرة العربيَّة بصورة عامَّة، والمخاطَبين بصورة خاصَّة، وأنَّهم كانوا لا يملكون قوت يومهم، ولكن بفضل الدين الإسلاميّ والنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله والامام عليّ عليه السلام، تحسَّن واقعهم الاقتصاديّ وضنك العيش الذي كانوا فيه قبل الدعوة الإسلاميَّة، ليتسيِّدوا على الناس فيما بعد.

٢. تحذير القوم من سوء مخالفة الأحكام الشرعيَّة التي تؤدِّي إلى الطبقيَّة المقيتة، ولاسيَّما ترك الزكاة، أو توفية المكاييل والموازين، وأرث البنت، وغيرها من الأحكام التي جاءت بها شريعة السماء؛ لتكون نظامًا اقتصاديًّا متماسكًا يأخذ كلُّ ذي حقٍّ حقَّه بإنصاف.

٣. مطلب فدك في الخطبة كان آخر المطالب، ولم يكن هو المطلب الرئيس فيها، إنَّما كانت تهدف إلى بيان أحقيَّة الإمام عليّ عليه السلام بالخلافة وإمرة المسلمين، وقد أعطت البراهين والإدلَّة الكافية لذلك.

ثبت المصادر والمراجع

أوَّلًا: المصادر

* القرآن الكريم.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

١. أُسُد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

البحرانيّ، ابن ميثم (ت ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م).

٣. شرح نهج البلاغة، مركز النشر الإسلاميّ، قم المقدَّسة، (د.ت).

البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

٤. صحيح البخاريّ، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٩٠١م).

٥. أنساب الأشراف، تحقيق: محمَّد باقر المحموديّ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

الثعالبيّ، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م).

٦. الكشف والبيان عن تفسير القران، تحقيق: أبي محمَّد بن عاشور، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

الثعالبي، عبد الملك بن محمَّد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م).

٧. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة.

ابن حبيب، محمَّد بن حبيب بن امية بن عمرو (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م).

٨. المنمَّق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

ابن أبي الحديد، أبي حامد بن عبد الحميد المعتزليّ (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

٩. شرح نهج البلاغة، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط٢، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

الدميري، كمال الدين (ت ٨٠٨هـ).

١٠. حياة الحيوان الكبرى المصورة، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الفخر الرازي، محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م).

١١. مختار الصِّحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمَّد، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٢. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

الزَّبيدي، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزاق الحسينيّ (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).

١٣. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية، (د.م)، (د.ت).

السمهوديّ، عليّ بن عبد الله بن أحمد (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

١٤. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٥. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمَّد الأمين، محمَّد محمود، أحمد الجكبنيّ (د.ت).

السهيليّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٧م).

١٦. الروض الأنف في شرح السيرة النبويَّة لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلاميّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ابن شهر آشوب، محمَّد بن عليّ (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).

١٧. مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م).

١٨. من لا يحضره الفقيه، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط٢، قم المقدَّسة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

١٩. كمال الدين وتمام النعمة، مؤسَّسة الفجر، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٠. علل الشرائع، دار قارئ، ط٢، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠١٥م.

الصنعانيّ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت٢١١هـ/ ٨٢٦).

٢١. المصنَّف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظميّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨١م.

الطبريّ، محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٢٢. تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢٣. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

الطبرسيّ، الفضل بن الحسن بن الفضل (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).

٢٤. إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: عليّ أكبر غفاريّ، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٥. تفسير مجمع البيان، تحقيق: لجنة من العلماء والمحقِّقين الأخصائيِّين، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

الطوسيّ، أبي جعفر محمَّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).

٢٦. الأمالي، تحقيق: مؤسَّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٧. التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قيصر العامليّ، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

ابن عبد الحقِّ البغداديّ، عبد المؤمن بن عبد الحقِّ (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م).

٢٩. مراصد الاطِّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

أبو عبيد، القاسم بن سلَّام بن عبد الله (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م).

٣٠. كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمَّد هرَّاس، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

الفراهيديّ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م).

٣١. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السامرَّائيّ، دار ومكتبة الهلال، دمشق، (د.ت).

القاضي النعمان المغربيّ، أبو حنيفة النعمان بن محمَّد (ت ٣٦٣هـ/ ٨٧٦م).

٣٢. شرح الأخبار، تحقيق: محمَّد الحسنيّ الجلاليّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم المقدَّسة (د.ت).

المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

٣٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

المسعوديّ، عليّ بن الحسين بن عليّ (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

٣٤. مروجُ الذهبِ ومعادنِ الجَوهر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ابن منظور، محمَّد بن مكرم بن عليّ (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).

٣٥. لسان العرب، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو المروزيّ (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م).

٣٦. سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشَّاب، دار الكتاب الجديد، ط٣، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

٣٧. مُعجم البُلدان، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

خليل، محسن.

٣٨. في الفكر الاقتصاديّ العربيّ الإسلاميّ دراسة لمقولَتَي العمل والملكيَّة، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م.

الصدر، محمَّد باقر.

٣٩. اقتصادنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

الصميدعيّ، عبد الموجود عبد اللطيف.

٤٠. الفكر الاقتصاديّ بين المدارس الوضعيَّة والمدارس الإسلاميَّة، دراسة تاريخيَّة وتحليليَّة، أنوار دجلة، بغداد، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

عليّ، جواد (ت١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

٤١. المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

كاهن، كلود.

٤٢. الإسلام منذ نشوئه حتَّى ظهور السلطنة العثمانيَّة، ترجمة: حسين جواد قبيسي، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، ٢٠١٠م.

خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في ضوء السنن التاريخيَّة

د. مبارك حسن ذياب

ملخَّص البحث

يهدف البحث إلى زيادة الوعي بالسنن التاريخيَّة، ولفت الأنظار إليها، حتَّى يتمَّ تسخيرها والعمل بموجبها، لتنهض الأمَّة وتتقدَّم نحو الخير والصلاح، كما تهدف السُّنن التاريخيَّة التي تناولتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام إلى الكشف عن التدهور والانحطاط الذي أصاب الأمَّة الإسلاميَّة بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وتسليط الضوء على أسباب الهلاك في الأمم التي كشفتها السنن التاريخيَّة.

لقد دعانا القرآن الكريم إلى كشف القوانين الثابتة والمطردة للسنن التاريخيَّة، واستقراء التاريخ والواقع والآفاق الذى يقودنا إلى التبصُّر والنظر والتفكُّر في حركة النهوض والسقوط والصعود والهبوط والتطوُّر والجمود للأمم والحضارات، كما دعانا إلى ربط الأسباب بالمسبِّبات، والمقدِّمات بالنتائج، لفهم السنن التي فطر الله تعالى عليها أمور الخلق، ومن ثَمَّ تسخير هذه السنن والاستفادة من معطياتها في تصريف شؤون الحياة، وعمارة الأرض على الوجه الذي أمر الله عزَّ وجلَّ به.

ركَّزت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام على السنن التاريخيَّة من خلال خطبتها، والتي كانت العيِّنة الأكثر تمثيلًا، والأدق تفصيلًا للتعبير عمَّا أرادته السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وقد اتَّبعت عليها السلام في ذلك النهج القرآنيّ والنبويّ في بيان السنن الإلهيَّة وتوضيحها، والتي

أجراها الله عزَّ وجلَّ في الأمم السابقة.

قُسِّم البحث إلى مبحثَين، تضمَّن المبحث الأوَّل معاني السنن اللغويَّة ومدلولاتها الاصطلاحيَّة، وصفات ومميِّزات السنن التاريخيَّة، وتطرَّق المبحث الثاني إلى السنن التاريخيَّة في خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير الأنام وكاشف الظلام، وعلى آله الهداة إلى الإسلام، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

إنَّ من عوامل رُقيِّ الأمَّة ودوام نهضتها ونشر حضارتها، هو الإحاطة بحركة تاريخها، والتسلُّط على كوامن أخبارها، والتأمُّل بحوادث أسلافها، والتوقُّف عند أفعالها، وفهم أحوالها، وإدراك معاني أقوالها، ودراسة سلوكيَّاتها.

لقد دعانا القرآن الكريم إلى كشف القوانين الثابتة والمطردة للسُّنن التاريخيَّة، واستقراء التاريخ والواقع والآفاق الذى يقودنا الى التبصُّر والنظر والتفكُّر في حركة النهوض والسقوط، والصعود والهبوط، والتطوُّر والجمود للأمم والحضارات، كما دعانا إلى ربط الأسباب بالمسبِّبات والمقدِّمات بالنتائج؛ لفهم السُّنن التي فطر الله تعالى عليها أمور الخلق، ومن ثمَّ تسخير هذه السُّنن والاستفادة من معطياتها في تصريف شؤون الحياة، وعمارة الأرض على الوجه الذي أمر الله عزَّ وجلَّ به.

ركزت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام على السنن التاريخيَّة من خلال خطبتها، والتي كانت العيِّنة الأكثر تمثيلًا، والأدقّ تفصيلًا للتعبير عمَّا أرادته السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وقد اتَّبعت عليها السلام في ذلك النهج القرآنيّ والنبويّ في بيان السُّنن الإلهيَّة وتوضيحها، والتي أجراها الله عزَّ وجلَّ في الأمم السابقة.

المبحث الأوّل

معاني السُّنن اللغويَّة ومدلولاتها الاصطلاحيَّة

أوَّلًا: السُّنن التاريخيَّة لغةً

السنَّة: جمعها سنن، وهي الطريقة والسيرة، حسنة كانت أم قبيحة[1]، إذ جاء في قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة فعُمِل بها بعده، كُتب له مثل أجر مَن عمل بها ولا ينقص من أُجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيِّئة فعُمِل بها بعده، كُتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء**»[2].

وسنَّة الله تعالى هي أحكامه وأمره ونهيه، وسنَّ الله سنَّة أي بين طريقًا قويمًا، وإذا أُطلقت في الشرع، فإنَّما يُراد بها ما أمر به الرسول صلى الله عليه وآله، ونهى عنه، وندب إليه قولًا وفعلًا ممَّا لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يُقال في أدلَّة الشرع الكتاب والسنَّة[3].

قال الجوهريّ: «السنَّة الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنَّة، معناه من أهل الطريقة المستقيمة»[4]، والسنن الطريقة والمثال، فيُقال: بَنَو بيوتهم على سننٍ واحدة، والسنَّة الحميدة كانت أو ذميمة، وسنَّة الله حكمه في خليقته[5].

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٢٥.
(٢) مسلم النيسابوريّ، صحيح مسلم، ج٣، ص٨٧.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٢٥.
(٤) الصِّحاح، ج٥، ص٢١٣٩.
(٥) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٥٦.

والسنَّة هي الطبيعة والوجهة والنهج[1]، وأمضِ على سنَّتك أي على وجهك وقصدك، فالسنن هي القصد، وسنن الرجل قصده وهمَّته[2].

ويتَّضح ممَّا تقدَّم أن استعمال كلمة سنن بمعنى الطريقة والعادة والسيرة الثابتة التي لا تتغيَّر، وهو المعنى الأكثر ورودًا في كلام العرب.

وتأتي كلمة السنن والسنَّة بمعنى الاطِّراد والتتابع والدوام، كما يقول ابن فارس: «السين والنون أصلٌ واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطِّراده في سهولة»[3].

وهذه المعاني اللغويَّة مدارها على اطِّراد الشيء وفق طريقة وسيرة واحدة لا تختلف، وهو المعنى الموافق لموضوع السنن الذي نحن بصدد تناوله.

ثانيًا: السُّنن التاريخيَّة اصطلاحًا

لقد تعدَّدت المفاهيم التي ترجمت مصطلح السنَّة، وتنوَّعت بتنوُّع أسلوب التعاطي مع الأبعاد الإلهيَّة لتلك السنن، فقد طُرِحت هذه السنن على أنَّها «النواميس التي تسيِّر حركة التاريخ، وفق منعطفها، وعبر مسالكها التي ليس إلى الخروج عليها سبيل، لأنَّها منبثقة من صميم التركيب البشريّ ومعطياته المحوريَّة الثابتة فطرةً وغرائزَ وأخلاقًا وأفكارًا وعواطفَ ووجدانًا، ومن قلب العلاقات والوشائج الظاهرة والباطنة التي يتحرَّك فيها الإنسان»[4].

وهناك فهم آخر للسنن التاريخيَّة، «هي النظام الذي جرى عليه أمر الأمم، وإنَّ ما يقع للناس في كلِّ زمان ومكان من الوجود في شؤون اجتماعهم وحياتهم، مطبِّق لتلك السنن التي لا تتحوَّل ولا تتبدَّل»[5].

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٢٦.
(٢) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٣، ص٢٢٦.
(٣) معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٦٠.
(٤) عماد الدين خليل، التفسير الإسلاميّ للتاريخ، ص١٠٨.
(٥) محمَّد رضا رشيد، تفسير المنار، ج١، ص١٤١.

وليس هذا فحسب، وإنَّما نجد التفاعل بين الإنسان والسنن التاريخيَّة قد يأخذ طابعًا خاصًّا منسجمًا مع حركة وفعل الإنسان، حتَّى قيل إنَّ السنن التاريخيَّة هي «ذلك القانون الذي يحكم سير الفعل البشريّ، وبعبارةٍ أدقّ: هي ذلك القانون من المنتزَع من حركة وفعل الإنسان في الطبيعة»(١)، أي إنَّ السنن التاريخيَّة تجري من تحت يدي الإنسان وليس فوقه، بمعنى أنَّها ترتبط بفعل الإنسان الذي يكون اختياريًّا وليس جبريًّا.

وعليه يمكن القول إنَّ السنن التاريخيَّة هي «القواعد والقوانين الحاكمة للمنظومة الكونيَّة والاجتماعيَّة، والتي لها خواص الثبات والاطِّراد، سواء ما كان يخصُّ منها الإنسان بشكل مباشر، والقوانين التاريخيَّة الحاكمة مثل قانون أو سنَّة الاستخلاف والتمكين، الاستبدال، التدافع، الاستدراج، الإمهال، التمحيص، أو ما يخصُّ التسخير الذي يتعلَّق بالقوانين الكونيَّة، وما سُخِّر للإنسان من مظاهر الطبيعة»(٢).

ثالثًا: خصائص وصفات السُّنن التاريخيَّة

تتَّسم السُّنن التاريخيَّة بجملة من الصفات والخصائص التي تميِّزها عن غيرها، وتشكِّل المظهر الموحَّد لها، ومنها:

١. **الاستمرار والاطِّراد**: من أهمِّ الصفات التي تتمتَّع بها السنن التاريخيَّة هي الاستمراريَّة، فهي مستمرَّة في كلِّ زمان ومكان، ولا ينقطع جريانها ولا تتخلَّف حين تتوافر الأسباب والمسبِّبات لذلك، وجاء بيان تلك الصفة في قوله تعالى: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦ﴾(٣)، ومعناه أنَّ الله سنَّ هذه السنَّة

(١) إياد الركابيّ، السنن التاريخيَّة في القران المجيد، ص١٥.
(٢) حميد سراج جابر، حركيَّة سنن القرآن التاريخيَّة في الحيِّز التطبيقيّ في العلوم الإنسانيَّة، ص٦.
(٣) سورة غافر، آية ٨٥.

في الأمـم الماضية كلّها، إذ لا ينفعهم إيمانهم إذا أرادوا العذاب، والمراد بالسنَّة هنا الطريقة المستمرَّة من فعله بأعدائه الجاحدين[1]، وهنا إشارة إلى هذه الصفة، وهي الاستمرار والاطِّـراد، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[2]، أي إنَّ عـادة الله جارية عليهم في الذين تحزَّبوا على الأنبياء عليهم السلام من نصر المؤمنين عليهم وخذلانهم وتدميرهم؛ لأنَّ السنَّة تقتضي التكرُّر في العرف، إذ إنَّ استهداف القرآن التأكيد على طابع الاطِّراد في السنن التاريخيَّة، هو استهداف لتأكيد الطابع العلميّ لهذه السنن[3].

٢. **الثبات**: الخاصيَّة الأخـرى التي تتميَّز بها السنن التاريخيَّة هي الثبات، فهي غير قابلة للتبديل أو التغيير، بل ثابتة مستقرَّة، لا يخلفها الله بغيرها، فحكمها واحد لا يتغيَّر، فقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الثبات في أكثر من آية، ومنها قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[4]، أي ولن تجد لسنَّة الله التي سنَّها في خلقه تغييرًا[5]، وأن لا أحـد يقدر على تغيير سنَّة الله وإبـطـالها[6]، وكذلك قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[7]، ويعني أنَّ كلَّ قومٍ أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنَّة الله أن يُهلكهم[8]،

(١) الطوسيّ، التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص١٠٢.
(٢) سورة الأنفال، آية ٣٨.
(٣) محمَّد باقر الصدر، السنن التاريخيَّة في القرآن الكريم، ص٦٠.
(٤) سورة الأحزاب، آية ٦٢.
(٥) الطبريّ، جامع البيان، ج٢٦، ص١٢٠.
(٦) الجصَّاص، أحكام القران، ج٣، ص٤٨٧.
(٧) سورة الإسراء، آية ٧٧.
(٨) الزمخشريّ، الكشَّاف، ص٤٦٢.

وتلك السنَّة لا خلف في وعدها، فهذه دلالات واضحة عن ثبات القواعد والقوانين التاريخيَّة ونفاذها، وحتميَّة تطبيقها في كلِّ زمانٍ ومكانٍ بالثبات نفسه.

٣. **العموم والشموليَّة**: الصفة الأخرى للسنن التاريخيَّة هي العموميَّة والشمول، فهي قاعدة عامَّة ليس لها حدود شاملة لكلِّ الاتِّجاهات والأقوام والأجناس، سواء على المستوى الفرديّ أو الجماعيّ، لا محاباة لجنس أو لون أو ديانة، فالكلُّ أمام القانون الإلهيّ، وتحت طائلة السنن، وهو مقتضى العدل الربَّانيّ، وقد كشف القرآن الكريم عن هذه الخاصيَّة في الآية الكريمة: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١]، أي لكلِّ أمَّة في عذابها على تكذيب الرسل في وقت معلوم، فلا يتأخَّرون عن ذلك، ولا يتقدَّمون عليه، بل يهلكهم في ذلك الوقت نفسه[٢]. والأمر هنا لا يخصُّ فقط من يكذِّبون الرسل، وإنَّما أيَّة أمَّة انحرفت عن مسير الحقِّ، فسوف لا تكون مصونة من العذاب الإلهيّ الذي هو نتيجة أعمالها، فعندما ينحرف الناس عن قوانين الخلقة والطبيعة، فسيبدِّدون طاقاتهم وملكاتهم في فراغ ويسقطوا في النهاية في هاوية الانحطاط[٣].

٤. **الربَّانيَّة**: والمقصود بكلمة الربَّانيَّة أي منسوبة إلى الربِّ سبحانه وتعالى، فالقرآن الكريم حين يسبغ الطابع الربَّانيّ على السنن التاريخيَّة، فيؤكِّد ارتباطها بالله سبحانه وتعالى خلقًا وإيجادًا وتقديرًا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٤]، كذلك يؤكِّد القرآن الكريم هذه الخاصيَّة

(١) سورة الأعراف، آية ٣٤.
(٢) الطبرسيّ، مجمع البيان، ج٥، ص١٩٧.
(٣) مكارم الشيرازيّ، التفسير الأمثل، ج٦، ص٣٧٤.
(٤) سورة الأعراف، آية ٥٤.

في قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[1]، فهي من خلق الله تعالى، وتشير إلى إرادة الله وحكمته؛ لأنَّ الله يمارس قدرته من خلال تلك السنن، فهي إرادة الله، وهي ممثِّلة لحكم الله وتدبيره في الكون[2].

(١) سورة الفتح، آية ٢٣.

(٢) محمَّد باقر الصدر، السنن التاريخيَّة في القرآن الكريم، ص٧٠.

المبحث الثاني

السُّنن التاريخيَّة في خطبة الزَّهراء عليها السلام

حظيت السنن التاريخيَّة باهتمام بضعة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إذ ركَّزت عليها متَّبعة في ذلك المنهج القرآنيّ والنبويّ في بيان السنن الإلهيَّة وتوضيحها، والتي أجراها الله عزوجل في الأمم السابقة.

فهذه الأمَّة ستسير تبعًا لما سارت عليه الأمم السابقة، لاسيما السنن التاريخيَّة التي لحقت ببني إسرائيل حسبما أوضحه النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، فإنَّ هذه الأمَّة ستحذو في سيرها حذو الأمم السابقة، بل ستظهر في هذه الأمَّة بعض السنن التاريخيَّة الجديدة التي لم تقع في الأمم السابقة كسنَّة قتل أولاد الأنبياء، وما أعقبها من نتائج، وغير ذلك من السنن.

وقد ذكرت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام عددًا من السنن التاريخيَّة، وذلك في خطبتها على جمع من المهاجرين والأنصار بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، ومنعهم حقَّها في إرث أبيها صلى الله عليه وآله، والظلامة التي تعرَّض لها زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، ومن هذه السنن:

أوَّلًا: سنَّة الوقوع في الفتنة

تتحدَّث السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عن هذه السنَّة التاريخيَّة التي وقع فيها المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، لم يكن حديثها مجرَّد استعراض لهذه السنَّة أو غيرها، أي لم تكن تتحدَّث عنها بوصفها حدثًا تاريخيًّا وقع وانتهى الحال، وإنَّما تعطي المقدِّمات التي تهيَّأت لهذه

السنَّة، والنتائج التي أفرزتها، فتبدأ أوَّلًا بذِكر مقدِّمات الوقوع في الفتنة، فتقول عليها السلام: «**فَلَمَّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيهِ دَارَ أَنْبِيائِهِ، وَمَحَلَّ أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَتْ فِيكُمْ حَسِيْكَةُ النفاقِ، وَانْسَمَلَ جِلْبابُ الدينِ، وأَخْلقَ عهده، وانتقضَ عقده، وَنَطَقَ كَاظِمُ، وَنَبَغَ خَامِلُ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الباطِلِ يَخطُرُ فِي عَرَصَاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشَّيطانُ رَأسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ ضارِغًا بِكُمْ**»[1]، هذه المقدِّمات لتكوُّن الفتنة ونشؤوها، فتقول بعد أن تهيَّأت المقدِّمات التي مكَّنت الشيطان من إخراج رأسه من مخدعه، فتبعه نمو وتكامل ونضوج للفتنة، فتقول عليها السلام: «**وَأَطْلَعَ الشّيطانُ رَأسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ ضارِغًا بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُصيخينَ، وَلِلْغِرَّةِ مُلاحِظِينَ، واسْتَنْهَضَكُمْ**»[2].

وهنا مرحلة أخرى من نضوج الفتنة، وهي استظهار للسلوك العام، فتقول عليها السلام: «**واسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافًا، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكُمْ غِضابًا**»[3]، أي أصبحوا في مرحلة النضوج والتكامل لإحداث الفتنة، وهذا الحال انعكس على الواقع الإسلاميّ في هذه المدَّة الزمنيَّة، فكانت النتيجة قولها عليها السلام: «**فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وأَوْرَدْتُموها غَيْرَ شِرْبِكُمْ**»[4]، أي الوقوع في التيه بعد فترة قصيرة جدًّا من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف سيكون حالكم بعد سنين، ولهذا قالت عليها السلام: «**هَذا وَالعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَر، بِدارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الفِتْنَةِ**»[5]، ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[6]، أي إنَّكم جرت فيكم سنَّة الوقوع في الفتنة، كما جرت في الأمم السابقة، فهلكوا فيها.

---

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص١٣.
(٢) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص١٣.
(٣) العامليّ، الانتصار، ج٧، ص٣٧١.
(٤) الطبرسيّ، الاحتجاج، ج١، ص١٣٦.
(٥) الطبرسيّ، المصدر السابق، ج١، ص١٣٦.
(٦) سورة التوبة، آية ٤٩.

ثانيًا: سنَّة تضاعف النتائج

وقد قدر الله عزّ وجلّ في الحياة الدنيا سنَّة مضاعفة نتائج الأفعال؛ كنتيجة تدحرج كرة الثلج، أو سريان الموج في المحيطات، أو سريان النار في الغابات، وغيرها من الشواهد التي تتحدَّث عن هذه السنَّة الكونية في مضاعفة النتائج، كذلك الحال في السنن التاريخيَّة التي تتحدَّث عن سلوكيَّات الأمم والمجتمعات، بل والسلوك الفردي أيضًا[1].

وفي هذه السنَّة التاريخيَّة تقول الزَّهراء عليها السلام: «**ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا بعد اجتهاد إِلَّا رَيْثَما سكنتَ نِفْرَتُها، وَأَسْلَسَ قِيادُها**»[2]، أي سوف لن يطول الأمر، بل ستتسارعون في مضاعفة نتائج الوقوع في الفتنة بزمن قصير كنفرة الدابَّة، ثمَّ يسهل قيادة الفتنة في مضاعفة الانحراف، فتتضاعف النتائج السلبيَّة[3].

ثمَّ تبين عليها السلام هذه السنَّة التاريخيَّة فتقول: «**ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهتافِ الشَّيْطَانِ الغَوِيّ، وَإِطْفاءِ أَنْوارِ الدِّينِ الجَلِيّ، وَإِهْمادِ سُنَنِ النَّبيّ الصَّفِيّ، تُسِرُّونَ حَسْوًا فِي ارْتِغَاءٍ، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوُلْدِهِ فِي الخَمَر وَالضَّرآءِ، وَنحن نَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى مِثْلِ حزِّ المُدَى، وَوَخْزِ السِّنانِ فِي الحَشَا ! وَأَنْتُمْ الآنَ تَزْعَمُونَ أَنْ لَا إِرْثَ لَنَا ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**[4]»[5].

وذكرت الزَّهراء عليها السلام ما يجري عليها من الآلام والمحن، وأشارت عليها السلام إلى سنَّة قتل أولاد الأنبياء، وما يجري على أبنائها وذريَّتها من بعدها من القتل والأسر والسبي والتشريد، لذا نجد هذا التسارع في مضاعفة النتيجة، واتِّساع دائرة أضرارها، هي

(١) نبيل الحسينيّ، حركة التاريخ وسننه عند عليّ وفاطمة، ص١١٠.
(٢) الطبرسيّ، الاحتجاج، ج١، ص١٣٧، محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٣١٦.
(٣) نبيل الحسينيّ، حركة التاريخ وسننه عند عليّ وفاطمة، ص١١١.
(٤) سورة المائدة، آية ٥٠.
(٥) العامليّ، الانتصار، ج٧، ص٣٧١.

من السنن التاريخيَّة التي جرت في الأمم السابقة، كقوم لوط الذين تضاعفت نتيجة سلوكهم في الاكتفاء بالرجال إلى تصميمهم على أن يخزوا لوطًا عليه السلام في ضيفَيه، وهم الملائكة، ثمَّ تضاعفت النتيجة، فعزموا على إخراج لوط وأهل بيته من قريتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[1].

لذلك كانت الزَّهراء عليها السلام تذكِّرهم بأنَّ عندهم آية الله عزَّ وجلَّ، ومعجزة النبوَّة التي تصدُّهم عن الضلال والتردِّي، لكنَّ مقدِّمات الفتنة كانت قد سرت فيهم، لتتسارع معها سنَّة مضاعفة النتائج، قالت عليها السلام: «**منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون ! وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبه عنه تريدون، أم بغيره تحكمون؟**»

﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[2]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3].

ثالثًا: سنَّة تعجيل العذاب

وهي سنَّة تاريخيَّة من سنن الله، لا تتخلَّف ولا تتأجَّل ولا تخصُّ جيلًا دون جيل، بل تنطبق على جميع الأمم، فهي سائدة على كلِّ من عاند منهاج الله وصراطه المستقيم[4]، وترتبط هذه السنَّة التاريخيَّة مع سنَّة مضاعفة النتائج ارتباطا كبيرًا، وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى من خلال آيات القران الكريم هذه السنَّة، وذكر الأقوام والأمم التي طبَّق عليها القانون الإلهيّ، ومنها قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ

(١) سورة الاعراف، آية ٨٢.
(٢) سورة الكهف، آية ٥٠.
(٣) سورة ال عمران، آية ٨٥.
(٤) رمضان خميس زكي، سنَّة الله في هلاك الأمم، ص٢٤.

حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1]، أي عاقبناهم بتكذيبهم الرُّسل، فمنهم بالحجارة، وهم قوم لوط، وقيل قوم عاد، ومنهم أخذته الصيحة، وهم قوم ثمود وقوم شعيب، ومنهم من خُسِفت به الأرض، وهو قارون، ومنهم أغرقنا، يعني قوم نوح وفرعون وقومه[2]، فهذه الآية جامعة للأمم والأقوام التي أهلكها الله نتيجة أعمالهم التي كانت مقدِّمة لتعذيبهم وهلاكهم، وهي حقيقة ثابتة أكَّدها القرآن الكريم.

وهـذا ما ذكرته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وما يجري عليهم نتيجة ظلمهم حقَّها، وما لاقتهم منهم من المصاعب والشدائد بقولها: «**دُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبْرَةَ الظَّهْرِ، مَهْيَضَةَ العَظْمِ نَاقِبَةَ الخُفّ، باقِيَةَ العارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ موصولةً بشَنارِ الأَبَدِ،** ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[3]، **فَبِعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ،** ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[4]، **واعملوا إنَّا عاملون، وَانْتَظِرُوا إنَّا مُنْتَظِرُونَ، وَأنا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ**»[5]، أي إنَّها زادتهم تخويفًا وإنذارًا بصعوبة عاقبتهم، بأنَّ الله سبحانه يسجِّل عليهم، ورسول الله صلى الله عليه وآله هو خصمهم يوم القيامة، وهو البشير بنعيم المؤمنين، وهو النذير بعذاب المجرمين الكافرين، الذين تكون نهايتهم إلى العذاب الشديد الأليم[6].

(١) سورة العنكبوت، آية ٤٠.
(٢) الطبرسيّ، مجمع البيان، ج٨، ص٢٦.
(٣) سورة الهمزة، آية ٦-٧.
(٤) سورة الشعراء، آية ٢٢٧.
(٥) الطبريّ الإماميّ، دلائل الإمامة، ص١٢١.
(٦) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهيَّة في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلاميَّة، ص١١٩-١٢٠.

أرادت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بأنَّ هذه السنَّة التاريخيَّة- سنَّة تعجيل العذاب- سوف تجري عليهم كما جرت على الأمم السابقة، وما فعلوه بالأنبياء الذين بعثوا إليهم لهدايتهم، فقابلوهم بالجحود والنكران، وما لاقوه منهم من ألوان المحن والشدائد.

رابعًا: سنَّة انقلاب الأمم على أنبيائها

من السنن التاريخيَّة التي وقعت في الأمم السابقة هي سنَّة انقلاب الناس بعد غياب أنبيائها أو موتهم، ويظهر أنَّ هذه السنَّة التاريخيَّة كانت قد وقعت في بني إسرائيل قبل موت موسى عليه السلام، ويبدو أنَّ الحكمة في تذكير النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله بتاريخ بني إسرائيل، وما وقع فيهم من السنن الإلهيَّة، كان لأجل أن يحذِّر أمَّته من السير على نهج بني إسرائيل، إلَّا أنَّ الأمر الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتحقَّق له، ولذلك نجد أنَّ هذه الأمَّة قد حَذَت حذو بني إسرائيل في انقلابها على أعقابها، غير أنَّ الفارق بين الأمَّتين أنَّ أمَّة بني إسرائيل انقلبت في حياة نبيِّها موسى عليه السلام، وأنَّ هذه الأمَّة انقلبت بعد وفاة نبيِّها صلى الله عليه وآله، والفارق أيضًا أنَّ موسى لم يكن يعلم ماذا سيجري بعده أثناء غيابه وذهابه لميقات ربِّه، بينما رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلم بما سيؤول إليه أمر أمَّته من بعده[1].

أمَّا عدم علم موسى، فقد أظهره القران الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾[2].

وأنَّ علم النبيّ صلى الله عليه وآله بحال قومه من بعده، فقد صرَّح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾[3].

(١) نبيل الحسينيّ، حركة التاريخ وسننه عند عليّ وفاطمة، ص١١٥.
(٢) سورة طه، آية ٨٣-٨٥.
(٣) سورة آل عمران، آية ١٤٤.

أمَّا السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام فقد كشفت الأمر على حقيقته القرآنيَّة؛ لأنَّها عاشت هذه اللحظات التي أعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وجرت فيها هذه السنَّة التاريخيَّة، فقالت عليها السلام، وقد خصَّت الأنصار في خطابها، فتوجَّهت إليهم قائلة: «**يَا مَعْشَرَ النَّقِيبَةِ، وَأَعْضادَ الـمِلَّةِ، وَحَضَنَةَ الإِسْلَامِ: مَا هَذِهِ الغَمِيزَةُ فِي حَقِّي، وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلَامَتِي؟! أَمَا قال رَسُولُ اللهِ أَبِي: الْـمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ؟**»[1].

ثمَّ أشارت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام إلى تحرُّك السنن التاريخيَّة في أمَّة أبيها صلى الله عليه وآله، فتقول: «**لَسَرْعان مَا أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلاَنَ ذَا إِهالَة، وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِما أُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ؟! أَتَقُولُونَ مَاتَ مُحَمَّدٌ ؟ لعمري خَطْبٌ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَفُقِد رَاتِقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ واكتأبت خِيَرَةُ الله لِـمُصِيبَتِهِ، وَخَشَعَتِ الجِبالُ، وَأَكْدَتِ الآمالُ، وَأُضِيعَ الحَرِيمُ، وَأُزِيلَتِ الحُرْمَةُ، فَتِلْكَ وَاللهِ النَّازِلَةُ الكُبْرى، وَالمُصِيبَةُ العُظْمى، لا مِثْلُها نَازِلَةٌ، وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ، أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ عز وجل فِي مَمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ، يَهْتِفُ بِهِ فِي أَفْنِيَتِكُمْ هِتَافًا وَصُراخًا، وَتِلاوَةً، وَإِلحانًا، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضَاءٌ حَتْمٌ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2]**»**[3].

خامسًا: سنَّة ظلم آل الأنبياء عليهم السلام وآثارها على الأمَّة

إنَّ جميع السنن الكونيَّة التي سنَها الله تعالى، ولاسيما السنن التاريخيَّة، تكون مصحوبة بمجموعة من الآثار حال وقوعها، وقد نجد أنَّ بعض السنن لها قابليَّة الدفع بآثارها إلى أزمنة متعاقبة، بل يظهر أنَّ بعض السنن لها ديمومة هائلة في المحافظة على

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٩، ص٢٢٧.
(٢) سورة آل عمران، آية ١٤٤.
(٣) العامليّ، الانتصار، ج٧، ص٣٧٣.

آثارها ما دامت هناك حياة على الأرض، أي إنَّ هذه الآثار باقية ببقاء الليل والنهار، ومستمرَّة باستمرار البشريَّة، وهذا يكشف عن عِظَم هذه السنَّة التاريخيَّة الإلهيَّة، وخطورة الوقوع فيها[1].

ومن أبرز هذا النوع من السنن، سنَّة ظلم آل الأنبياء، فقد يختلف نوع الظلم النازل بأنبياء الله تعالى حسب الظروف التي ينشأ فيها الظلم والأفراد والزمان والمكان، إلَّا أنَّ من أكبر ما يقع على الأنبياء من الظلم هو ما يصيب أبنائهم؛ لما وضعه الله تعالى من عاطفة خاصَّة وعلاقة حميمة بين الآباء والأبناء[2].

وهذا الأمر أظهرته السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام حينما توجَّهت بخطابها إلى الأنصار خاصَّة، فقالت عليها السلام: «**إِيْهًا بَنِي قَيْلَةَ! أُأْهْضَمُ تُراثَ أَبِيَهْ، وَأَنْتُمْ بِمَرْأىً مِنِّي وَمَسْمَعٍ وَمُنْتَدى وَمَجْمَعَ؟ تَشْمَلُكُمُ الدَّعْوَةُ، و تَلْبَسُكُمُ الخَيْرَةُ، وفيكم العَدَدِ وَالعُدَّةِ وَلكم الدارُ وعندكم الجُنَنُ والأَداةُ وَالقُوَّةُ، وَعِنْدَكُمُ السلاحُ، تُوافِيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغِيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، والنخْبَةُ الَّتي انتُخِبَتْ لنا أهل البيت، وَالخِيَرَةُ الَّتي اخْتِيرَتْ فنابذتُمُ فينا صميم العَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَنَاهضْتُمُ الأمَمَ، وَكَافَحْتُمُ البُهَمَ، لَا نَبْرَحُ ولا تَبْرَحُونَ نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ، حَتَّى إِذا دارَتْ بِنا رَحى الإِسْلام، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيَّام، وَخَضَعَتْ نخوة الشركِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ، وَهَمَدَتْ نِيرانُ الكُفْر وَهَدَأتْ روْعةُ الهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدينِ. فَأَنَّى حِرتُمْ بَعْدَ البَيَانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلان، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدام وجَبُنْتُمْ بعدَ الشَجاعَةِ، عن قوْمٍ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ، من بعد عَهْدِهِمْ وطَعَنُوا في دينكم ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3]، ألا قَدْ أرى والله أنْ قَدْ أخْلَدْتُمْ إلى الخَفْضِ،**

(١) نبيل الحسينيّ، حركة التاريخ وسننه عند عليّ وفاطمة، ص١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٩.

(٣) سورة التوبة، آية ١٣.

وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَق بِالْبَسْطِ وَالقَبْضِ، وَخُلِبتُمْ بِالدَّعَة، نجَوْتُمْ مِنَ الضيقِ بِالسعَةِ، فَمَجَجْتُمْ الذي عرفتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(١)»(٢).

لذلك وجَّهت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كلامها لهم، مع علمهم بما خصَّها الله تعالى من الكرامة والارتباط برسول الله صلى الله عليه وآله، وما يترتَّب على إيذاء رسول الله من آثار خاصَّة تتناسب مع مقامه وكرامته عند الله تعالى، إلَّا أنَّ ذلك لم يكن بحائل ولا مانع لهم من إيذائها عليها السلام، لينالوا بذلك ما اقترن بهذه السنَّة التاريخيَّة من آثارٍ خاصَّةٍ كشفتها لهم الزَّهراء عليها السلام فقالت: «**ألا وَقَدْ قُلْتُ الذي قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالخِذْلَةِ الَّتِي خامَرَتْكُمْ، وَالغَدْرَةِ الَّتِي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلَكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، ومنية الغَيْظِ، ونفْثَةُ الصدْرِ، ومعذرَةُ الحُجَّة!! فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبْرَةَ الظَّهْرِ، مَهِيْضَةَ العَظْمِ، خَوْراءَ القناةِ، نَاقِبَةَ الخُفِّ، باقِيَةَ العارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ، موصولةً بشَنارِ الأَبَدِ**»(٣).

سادسًا: سنَّة رين القلوب

من السنن التاريخيَّة التي عرضها القران الكريم هي سنَّة رين القلوب، يذكر القرآن الأسباب التي تؤدِّي إلى تكوين هذه السنَّة وآثارها، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(٤).

تتوجَّه السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في بيانها لهذه السنَّة التاريخيَّة، وما يعقبها من نتائج، إلى عامَّة الناس من المهاجرين والأنصار؛ لأنَّ الأمر لم يتعلَّق بفئة محدَّدة، بل بقانون إلهيّ وسنَّة ربَّانيَّة جرت في جميع الأمم السابقة، وقد وقعت في هذه الأمَّة، فقالت عليها السلام: «**مَعاشِرَ**

(١) سورة إبراهيم، آية ٨.
(٢) الطبرسيّ، الاحتجاج، ج١، ص١٤٠.
(٣) العامليّ، الانتصار، ج٧، ص٣٧٤.
(٤) سورة المطفِّفين، آية ١٠-١٤.

النَّاسِ المُسْرِعَةَ إلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةَ إلى الفِعْلِ الخاسر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1]، كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَسَاءَ ما بِهِ أَشَرْتُمْ، وَشَرٌّ ما مِنْهُ اغْتَصَبْتُمْ، لَتَجِدُنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقِيلًا، وَغِبَّهُ وَبِيلًا، إذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَرَاءَه الضَّراءِ، وَبَدا لَكُمْ مِنَ رَبكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَحْتَسِبُونَ. وَخَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلُون»[2].

سابعًا: سنَّة الاستقامة في السلوك

كانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تذكِّر بالسنن التاريخيَّة التي تكون وليدة السلوكيَّات المستقيمة والمنضبطة بضوابط الشريعة المقدَّسة، وما تثمره من نتائج خيِّرة على الإنسان بالسرور والخير والبركة في الدنيا والآخرة، فقالت عليها السلام: «**وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟! نقموا والله منه نكير سيفه، وقلَّة مبالاته لحتفه، وشدَّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمُّره في ذات الله وتالله لو مالوا عن المحجَّة اللايحة، وزالوا عن قبول الحجَّة الواضحة، لردَّهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيرًا سجحًا، لا يكلم حشاشه، ولا يكلُّ سائره، ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلًا نميرًا، صافيًا، رويًّا، تطفح ضفتاه، ولا يترنَّق جانباه، ولأصدرهم بطانًا، ونصح لهم سرًّا وإعلانًا، ولم يكن يتحلَّى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب** ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[3]، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[4]»[5].

(١) سورة محمَّد، آية ٢٤.
(٢) العاملي، الانتصار، ج٧، ص٣٧٦.
(٣) سورة الأعراف، آية ٩٦.
(٤) سورة الزمر، آية ٥١.
(٥) الطبرسيّ، الاحتجاج، ج١، ص١٤٧-١٤٨.

الخاتمة

الحمد لله أوَّلًا وآخرًا والصلاة على خير خلق الله محمَّد وآل بيته المنتجَبين.

توصَّل البحث إلى مجموعة من النتائج، وهي:

أوَّلًا: كشف البحث أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قد أكَّدت في خطبتها العديد من السنن التاريخيَّة التي كانت موجودة في هذه الأمَّة، وأنَّ هذه الأمَّة لم تتَّعظ بتلك السنن التاريخيَّة للأمم السابقة، بل أحدثوا سننًا جديدة لم تصل إليها عقول الأمم السابقة، ومنها قتل وتشريد وسبي أولاد الأنبياء.

ثانيًا: ابتدأ وقوع السنن التاريخيَّة في هذه الأمَّة قبل أن يُدفن رسول الله صلى الله عليه وآله، مع تشخيصها لبذور الفتنة التي تعدُّ أُولى مقدِّمات السنن التاريخيَّة التي أهلكت الأمم السابقة.

ثالثًا: إنَّ بيان السنن التاريخيَّة عند سيِّدة النساء عليها السلام لم ينحصر في عرض السنن التي أهلكت الأمم السابقة، بل عرضت وبيَّنت السنن التاريخيَّة التي تُحيي الأمم وتحفظها وتدرُّ عليها الخير والأمن والأمان والبركة.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

مصطفى، إبراهيم وآخرون.

١. المعجم الوسيط (تحقيق: مجمع اللغة العربيَّة، دمشق، د.ت).

الامين، محسن.

٢. أعيان الشيعة (حقَّقه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، د.ت).

جابر، حميد سراج.

٣. حركيَّة سنن القرآن التاريخيَّة في الحيِّز التطبيقيّ في العلوم الإنسانيَّة (بحث منشور في مؤتمر، تركيا، ٢٠١٧).

الجصَّاص، أبو بكر أحمد بن عليّ (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م).

٤. أحكام القرآن (تحقيق: عبد السلام محمَّد شاهين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٥).

الجوهريّ، إسماعيل بن حمَّاد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م).

٥. الصَّحاح (تحقيق: أحمد عبد الغفور العطَّار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧).

الحسينيّ، نبيل.

٦. حركة التاريخ وسننه عند عليّ وفاطمة عليهما السلام، دراسة إسلاميَّة معاصرة (ط١، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، العراق، ٢٠٠٩).

خليل، عماد الدين.

٧. التفسير الإسلاميّ للتاريخ (ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١).

رضا، محمَّد رشيد.

٨. تفسير المنار (ط٢، دار المنار، القاهرة، ١٩٤٧).

الركابيّ، إياد.

٩. السنن التاريخيَّة في القران المجيد (www.alshaikhalrekabi.com).

زكي، رمضان خميس.

١٠. سنن الله في هلاك الأمم (ط١، القاهرة، ٢٠١٤).

الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م).

١١. الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٩٦٦).

زيدان، عبد الكريم.

١٢. السنن الإلهيَّة في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلاميَّة (ط١، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣).

الشيرازيّ، ناصر مكارم.

١٣. الأمثل في تفسير كتاب الله الأمثل (مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٣).

الصدر، محمَّد باقر.

١٤. السنن التاريخيَّة في القرآن الكريم (ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠١١).

الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).

١٥. الاحتجاج (تعليق وملاحظات: السيِّد محمَّد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦).

الطبريّ الإماميّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير بن رستم (ت ق٤هـ).

١٦. دلائل الإمامة (تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ١٤١٣هـ).

الطبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٨م).

١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطَّار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥).

الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).

١٨. التبيان في تفسير القرآن (تحقيق: أحمد حبيب العامليّ، ط١، مكتب الإعلام الإسلاميّ، إيران، ١٤٠٢هـ).

ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر (٣٨٠هـ).

١٩. بلاغات النساء (منشورات مكتبة بصيرتي، قم، شارع أرم، د.ت).

العامليّ.

٢٠. الانتصار (ط١، منشورات دار السيرة، بيروت، ١٤٢٢هـ).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريَّا (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م).

٢١. معجم مقاييس اللغة (تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، مكتب الإعلام الإسلاميّ، طهران، ١٤٠٤هـ).

المجلسيّ، محمَّد باقر (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

٢٢. بحار الأنوار (تحقيق: محمَّد مهدي السيِّد حسن الموسويّ وآخرون، ط٣، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٨٣).

الشريف المرتضى، أبو القاسم عليّ بن الحسين بن موسى (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م).

٢٣. الشافي في الإمامة (ط٢، منشورات مؤسَّسة الإمام الصادق، قم، ١٤١٠هـ).

مسلم النيسابوريّ، أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج (ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م).

٢٤. صحيح مسلم (دار الفكر، بيروت، د.ت).

ابن منظور، أبو الفضل محمَّد بن مكرم بن عليّ (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).

٢٥. لسان العرب (دار صادر، بيروت، د.ت).

الاقتباسُ بالنصِّ القرآنيّ لدى الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام (الخطبة الفدكيّة أنموذجًا)، دراسة تأريخيَّة

أ.م.د. حيدر عبد الحسين زوين
جامعة الكوفة/ كليَّة الآداب/ قسم اللغة العربيَّة
الباحثة نضال عليّ عبُّود
مديريَّة تربية محافظة ديالى

ملخَّص البحث

يُعدُّ الاقتباس بالنصِّ القرآنيّ من الفنون البلاغيَّة التي تُستعمل في التأليف والبحث العلميّ، وهو أحد أهمِّ الأعمدة الرئيسة في الكتابة، التي يعتمد عليها الباحثون قديمًا وحديثًا، والاقتباس بأنواعه المختلفة هو من أقدم طرق الكتابة، والهدف من الاقتباس القرآني هو تدعيم البحث؛ لكي يكون أكثر قوَّة ورصانة، وكذلك تقوية المُحتوى البحثيّ، والاقتباس القرآنيّ كما عرَّفوه: تضمين كتب البشر شيئًا من كلام الله، أي القرآن الكريم، وهو لا إشكال فيه عند جمهور الأئمَّة، وتعدُّ الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام من أهل البيت الذين عملوا به، وعمل من بعدها الأئمَّة والعلماء، إذ اقتبسوا في كثيرٍ من كتبهم وكتاباتهم.

والاقتباس بالنصِّ القرآنيّ، والتمثيل بآيات القرآن الكريم قديم، وصور الاقتباس والتمثيل منه متنوِّعة بين الاقتباس به بصورة مباشرة، وبصورة غير مباشرة، وأمَّا

الاقتباس المباشر، الذي هو فحوى بحثنا، فهو يعني به الباحث الاقتباس بالنصِّ الكريم، أو الاقتباس منه أصلًا، وهذا الاقتباس قد يكون بآية بأكملها، أو جزء منها، وأنَّ رسول الإنسانيَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، قد اقتبس في خطبه كثيرًا، سواء كان مباشرة أم غير مباشرة، ولو أنَّا أردنا استقصاء ما اقتبس به النبيّ صلى الله عليه وآله من القرآن الكريم لاستلزم ذلك منَّا مجلَّدات وصفحات كثيرة.

من خلال دراستنا للخطبة الفدكيَّة التي ألقتها الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام، التي قد أظهرت قدرتها ومكنتها في استعمال هذا الأسلوب، فضلًا عن مهارتها الكبيرة في توظيف النصِّ القرآنيّ، وعلى فهم موضوع البحث؛ ليفهم القارئ أهميَّة الاقتباس بالنصِّ القرآنيّ، ووجدنا أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تمتلك حِرَفيَّة كبيرة في مجال الاقتباس بالنصِّ، ونقل الأفكار، من دون القيام بتحويرها أو تغيير أي شيء فيها، وهذا ما وجدناه بشكلٍ جليٍّ، وظاهر، وواضح عند الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام، ولأهميَّة هذه الدراسة دار بحثنا حول المباحث الآتية:

المبحث الأوَّل: نظرة عامَّة على أهميَّة الاقتباس بالنصِّ القرآنيّ.

المبحث الثاني: الاقتباس بالنصِّ القرآني لدى الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام (الخطبة الفدكيَّة أنموذجًا).

مقدِّمة البحث

مشكلة البحث

تتركَّز المشكلة في البحثِ عن الحلول المناسبة لبناء المجتمع الإسلاميّ الموحَّدة، بل والسعي لاستعراض الفوائد العلميَّة والدينيَّة، من الاقتباس بالنصِّ القرآنيّ: أي الدراسات الحديثة المحفِّزة على الاقتباس، وأثر ذلك في المجتمع الإسلاميّ في المستقبل، وبناء شخصيَّة الإنسان المسلم.

أهداف البحث

١. إلقاء الضوء على إحدى النقاط الأساسيَّة التي كانت موضع جدال بين الخاصَّة والعامَّة، حول إرث الرسول صلى الله عليه وآله، وأحقيَّة ابنته وورثته فيه.
٢. بيان الفوائد الحقيقيَّة التي نحصل عليها من خلال الاقتباس بالنصِّ القرآنيّ، وتحديدها وتوظيفها من خلال إماطة اللثام عن فوائد هذا الموضوع.
٣. مناقشة ما طُرِح من بعض الموضوعات التي طرحتها السيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء في خطبتها الفدكيَّة، وأثرها في المجتمع الإسلاميّ.

منهجيَّة البحث

استعملنا في هذا البحث المنهج الوصفيّ التحليليّ، المبني على دراسة معيَّنة من آراء علماء بعض المفسِّرين للآيات، التي اقتبست منها الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء، بأسلوب حياديّ، بعيدًا عن الانحياز لإحدى الفئتَين.

المصادر والمراجع: الدراسات التاريخيَّة، واللغويَّة، والأدبيَّة، والقرآنيَّة.

هيكليَّة البحث

ولأهميَّة هذه الدراسة، دار بحثنا حول مبحَثَين، هما:

المبحث الأوَّل: نظرة عامَّة على أهميَّة الاقتباس بالنصِّ القرآنيّ.

المبحث الثاني: الاقتباس بالنصِّ القرآنيّ لدى الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، (الخطبة الفدكيَّة أنموذجًا).

المبحث الأوَّل

نظرة عامَّة على أهميَّة الاقتباس القرآنيّ فوائده وشروطه

إنَّ الاقتباس بآيات الذِّكر الحكيم فيه إصلاح أحوال الناس، على وفق هدايات الشَّرع الإسلاميّ وأحكامه وحِكمه ومقاصده، وعلى وفق ما افترض الله من وسائل وكيفيَّات، ولن يكون الباحث جديرًا بالإصلاح إلَّا إذا راعى هذا المقتضى، لذلك وجبَ على كلِّ خطيب أن يوظِّف القرآن الكريم وآياته، في خطبه، بأكبر قَدَر ممكن، بل إنَّ الجمهور المسلم أسرع إذعانًا وأكثر اقتناعًا بالخطاب المتضمِّن للاستشهاد بكلام الله تعالى، ويعدُّ الاقتباس بالنصوص القرآنيَّة في مجال البحث والكتابة أعلى حجَّة شرعيَّة مقبولة عند الباحثين والمسلمين على حدٍّ سَواء، وهو من أقوى الحجج تأثيرًا في المتلقِّي، بل إنَّ إيراده في مجال البحث يكون أكثر جلبًا لأذهان المتلقِّين والمخاطَبين، وأكثر استمالةً لهم للإذعان للحقِّ وقبول ما يدعو إليه الباحث وتسليمه بيُسر وقناعة له، وكلَّما أكثر الاقتباس بالنصوص القرآنيَّة زادت قوَّة البحث ومكانته في نفوس القرَّاء، وعظُمَت مكانة الكاتب لديهم، يقول الجاحظ[1]: «وكانوا يستحسنون أن يكون في الخُطَب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجُمَع، آيٌ مِن القرآن الكريم؛ فإنَّ ذلك ممَّا يورث الكلامَ البهاءَ والوقارَ، والرقَّة، وسلَس الموقع». إنَّ الباحثين والكتَّاب قد أخذوا القواعد النحويَّة وشواهدها من القرآن الكريم، التي وظِّفت لخدمته، فضلًا عن أنَّ الشواهد القرآنيَّة هي دليل حجَّة، تعطي الكاتب مزيدًا من الرصانة، وهي ليست كالشواهد الأخرى من

(١) البيان والتبيين: الجاحظ: ١/ ١٥٠-١٥١.

حديث وشعر؛ لأنَّ القرآن هو أعلى النصوص فصاحةً وبيانًا وبلاغةً وإعجازًا، كيف لا وهو كتاب الله المحكم آياته، وقد قال عنه أبو البقاء العكبريّ (ت ٦١٦هـ): «فأوَّل مبدوءٍ به من ذلك تلقُّف ألفاظه عن حفظه، ثمَّ تلقِّي معانيه ممَّن يعانيه، وأقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه، ويتوصَّل به إلى تبيين أغراضه ومغزاه، معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، والنظر في وجوه القراءات المنقولة عن الأئمَّة الأثبات»[1].

إنَّ الاقتباس بآيات الذِّكر الحكيم فيه إصلاح أحوال الناس، وبخاصَّة القرَّاء، وإذا تمَّ على وفق هدايات الشرع الإسلاميّ وأحكامه وحِكمه ومقاصده، وعلى وفق ما افترض الله من وسائل وكيفيَّات، فإنَّه الكمال بعينه، ولن يكون الباحث جديرًا بالإصلاح، إلَّا إذا راعى هذا المقتضى المهمّ، ولن يراعي هذا الشرط ما لم ينطلق في خُطَبه من الوحي المحمَّديّ في الاقتباس والاستمداد، لذلك وجَب على أي باحث أن يوظِّف القرآن الكريم وآياته في كتاباته وبحوثه بأكبر قدر ممكن، حتَّى يكون جمهور المتلقِّين المسلمين أسرع إذعانًا، وأكثر اقتناعًا بالخطاب المتضمِّن للاستشهاد بكلام الله تعالى، فينبغي للباحث أو الكاتب في أيِّ قضيَّة يريد أن يستدلَّ فيها، أن يتحرَّى أدلَّة القرآن بدقَّة، وأن يُجيد توظيف الدلالة القرآنيَّة بشكلٍ جيِّد، وبمزيد من التوضيح والشَّرح لبعض المعاني التي قد يجهلها بعضهم في معاني الألفاظ، أو ترتيب النتائج على المقدِّمات التي وردت في القرآن، وهذا الأمر عدَّه بعضهم من الأمور الشرعيَّة والعقليَّة، لاسيما وأنَّ القرآن الكريم هو معجز لا يمكن للناس أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا، وهو يناسب كلَّ الأزمنة والأذواق، وجميع البشر بجميع لغاتهم، سواء كان هذا الأمر في مجال الكتابة والبحث، أم في باب الإيمان بالله عزَّ وجلَّ ووحدانيَّته أو بالبعث أو بسائر أصول الدين، لأيِّ صنفٍ من البشر على المعمورة، وعلى اختلاف لغاتهم، لكنَّ الذين

(١) كشاف القناع، للشيخ منصور بن يونس البهوتّي، ج٢، ص٢٥٢.

يفقَهون العربيَّة جيِّدًا، لا شكَّ أنهم سيعرفون الدليل مباشرةً مِن القرآن بكلِّ يُسر، وإنَّ حجَّة النصِّ القرآنيّ ما بعدها حجَّة، فقد رُوِيَ أن عِمران بن حِطَّان قال: «سمعت شيخًا يقول: هذا الفتى أخطبُ العرَب، لو كان في خُطبته شيء من القرآن»[1]، وإنَّ النصوص القرآنيَّة، أو بالأحرى القرآن الكريم، زان اللغة العربيَّة ألقًا ورونقًا، ولولاه لم تصبح اللغة العربيَّة لغةً عالميَّة حيَّة إلَّا بسبب القرآن والإسلام، إذ تحت قيادة قريش، فتح البدو سكَّان الصحراء نصف العالم لهم وللإيمان، وبهذا صارت العربيَّة لغةً مقدَّسةً[2].

وإنَّ الاقتباس بآيات من كتاب الله تعالى يعدُّ جوهرَ الكلام، ودُرَرَه التي تُلزمنا بالإقناع، وتبعَث على الاطمئنان والسكينة، وحُسن السماع والاستماع، وإقامة الأدلَّة القاطعة به عليها، وكفى بذلك معينًا له في قصده ومغنيًا له عن غيره، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[3]، وإنَّ من فوائد الاقتباس بالنصِّ القرآنّي هوُ إحياء الأمَّة الإسلاميَّة من جديد، إلَّا بما أحياها اللهُ، إحياءً لمقوِّمات الذات الحضاريَّة، انطلاقًا مِن مقوِّماتها الإلهيَّة، وحفاظًا على البقاء والاستمرار، وتعزيزًا للشعور بالانتماء الحضاريّ، والانتساب لقافلة الأخيار مِن عباد الله تعالى من الأنبياء والمرسلين والعلماء المصلحين، وإنَّه تواصلٌ مع القيَم والمفاهيم التي كان عليها أسلافنا، وللاستشهاد القرآنيّ فوائد جمَّة، من أهمِّها:

١. **إنَّه هداية؛** لأنَّ القرآن الكريم هدًى للناس ورحمة، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[4]، وقوله في موضع آخر: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[5].

(١) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبريّ (ت٦١٦هـ)، ص١١.
(٢) البيان والتبيين، ج٢، ص٦.
(٣) سورة الأنعام، الآية ٣٨.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٩.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

إنَّ القرآن الكريم أساسًا كتاب هداية وصلاح، ومن خلال دعوته للهداية والصلاح، يأتي بالقصص القرآنيَّة الجميلة بتفصيلات بعيدة الحدث الزمان أو المكان وأسماء الأشخاص، ولكنَّه يركِّز على العبرة المتوخَّاة طلبًا للهداية، ومن خلال ذلك تردُ بعض الإشارات الجميلة والعلميَّة لتؤكِّد على أسبقيَّة القرآن الكريم لعصره، وعلى كلِّ العصور التي سبقته، واستحالة أن يكون من صنع البشر، وإنَّ الإشارات العلميَّة القرآنيَّة تدلُّ على جلال وعَظمة آلاء الخالق المؤسِّس جلَّ وعلا، واستحالة أن يكون معه نظير أو مثيل أو شريك، وأنَّ هناك نظامًا تشريعيًّا ربانيًّا فريدًا في القرآن الكريم، وموصولًا بالتقوى، وهذه أعظم دلائل الهداية، وبالتقوى يتميَّز التشريع الربانيّ والذي يعلو على كلِّ تشريعٍ بشريّ؛ لأنَّ الورع والتقوى فى سور القرآن الكريم وآياته التشريعيَّة تجعل الإنسان قاضيًا على نفسه ورقيبًا عليها، يخاف الله تعالى بالغيب والعَلَن، ويحاسب نفسه الأمَّارة بالسوء قبل أن يحاسبه القانون، فلا غرابة أن يصف الله الذين هم بعيدون عن القرآن من الذين هجروه، أو مَن يعيبون على الناس الاقتباس بالقرآن الكريم بالضَّالِّين أو الكافرين، ووصفهم بقوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾[1]، فلم يشبِّهوا بما ينعق، وإنَّما شبهوا بالمنعوق به، وإنَّما المعنى: مَثَلكم ومَثَل الذين كفروا كَمَثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع[2].

٢. **وإنَّه نورٌ**؛ لإخراج الناس من الظُّلمات إلى النور، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

(١) سورة البقرة، الآية ١٧١.
(٢) الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، ص٢١٢.
(٣) المائدة: ١٥-١٦

إنَّ آل البيت عليهم السلام، هم الذين صانوا القرآن وحفظوه؛ ليُخرِجوا هذه البشريَّة من الظلمات أوهَم ظلمات الخرافة، والمقصود بها ظلمات التقاليد الموروثة والأوضاع، ظلمات الضياع والتيه والحيرة في الأرباب المتفرِّقة، وليصلحوا اضطراب المنظومة القيميَّة والتصوُّرات والموازين التي كبَّلتنا، فلا بديل لنا غير النور الإلهيّ الذي يكشف عن هذه الظلمة، ويكشف عنَّا الغمَّة في التفكير وعالم الضمير، ثمَّ يكشف لنا واقع الحياة والقيم والأوضاع والتقاليد التي جعلتنا مأسورين، فبنوره أشرقت قلوبنا في هذا الكيان البشريّ المركَّب من نفحة الروح والطينة الغليظة، فإذا ما خلا من إشراق هذه النفحة القدسيَّة، وإذا ما طمست فيه هذه الإشراقة البهيَّة، تحوَّلنا إلى التيه والضياع، ولولا تلك الإشراقة النورانيَّة التي نفحها من روح الله، والتي تترقرق بالإيمان الذي يجلوها ويطلقها ترتشف وتنير في هذا الكيان المعتم، فبنور الله تشرق النفوس، وتهتدي إلى الطريق السويّ واضحة إلى الله؛ لكن لا ولن يحجبها ضباب ولا يشوبها غبش الخرافات وضباب الأوهام أو غبش الأطماع والشهوات، فمتى رأينا الطريق سرنا على هدى من دون تعثُّر ولا اضطراب ولا تردُّد ولا حيرة، فنور الله تشرق الحياة ونعيش المساواة؛ فلا عبيد ولا طغاة تربطنا بالكون، بل إنَّ العلاقة التي تربطنا بهذا الكون كلِّه رابطة الحب والمعرفة، معرفة الناموس الربَّانيّ الأزليّ المسيِّر لهذا الكون وما فيه ومَن فيه، إنَّه نور العدل والمعرفة، ونور الحريَّة، ونور الاستئناس بجوار الله والاطمئنان إليه وإلى رحمة عدله وحكمته في السرَّاء والضرَّاء، والشكر في السرَّاء الضرَّاء على نور من إدراك الحكمة في البلاء. إنَّه منهج حياة جميل وكامل، وليس مجرَّد عقيدة تغمر الضمير وتسكب فيه النور، إنَّه منهج حياة يقوم على مبدأ العبوديَّة لله وحده، والطاعة لربوبيَّته الواحدة التي تخلِّصنا من رقِّ العبيد والاستعلاء للسلاطين، إنَّه دستور الحياة ومنهاج الفوز بالسَّعادَتَين[1].

(١) مجلَّة صدى القرآن، ص٩٠.

٣. **فيه شفاءٌ للمسلمين ولأمَّة الإسلام**، إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

في هذه الحياة المليئة بالمتاعب، والضغوطات، والملذَّات، والصراعات، نحتاج دائمًا إلى شيء نستطيع اللجوء إليه، لنشفي نفوسنا ونتخلَّص من أحزاننا وهمومنا، وعلاج شتات أرواحنا الممزَّقة بالأحزان بالآلام والأوجاع، وليس هناك علاج للأرواح والنفوس أفضل من القرآن؛ لأنَّه ربيع القلوب والأرواح، وأنَّ القرآن هو العلاج الأفضل لقلوبنا وأرواحنا المثقلة بأحزان الحياة وهمومها، فهو يأخذك من عالمك المنهك المشتَّت إلى عالم آخر تسمو فيه نفسك وروحك عن كلِّ الآلام والأشجان والحزن، ويجعل منَّا إنسانًا متفائلًا جديدًا بروح جديدة، وقلبًا مليئًا بالأمل، مقبلًا على الحياة بروح السعادة التفاؤل والأمل، وإنَّ الأرواح البشريَّة دائمًا ما تحتاج إلى الغذاء كما تحتاج إلى الأجسام، فغذاء الأبدان الطعام والشراب، وغذاء الروح ذِكر الله، وأعظم أنواع الذِّكر هو ذِكر القرآن، إذ هو كتاب الله المعجز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، وكلَّما تدبَّر الانسان في القرآن الكريم وتعمَّق، كلَّما زادت روحه سموًّا وعلوًّا وارتفاعًا في دنيا الإيمان.

٤. **الاقتباس بالقرآن يبعد الشقاوة عن المسلمين ولجلب سعادة الدَّارَين**، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾[2].

إنَّ القرآن الكريم والاقتباس بنصوصه يُبعِد الانسان عن الشقاوة التي هي بخلاف السعادة، والشقاوة هي تعب، وليس كلُّ تعب هو شقاوة، فالتعب أعمُّ من الشقاوة، والسعادة في الأصل نوعَان، هما سعادة أُخرويَّة، أي في الجنَّة، وسعادة دنيويَّة، وهي سعادة بدنيَّة وسعادة نفسيَّة وخارجيَّة، وهذا ما أُطلِق عليه بسعادة الدَّارَين، ففي

(١) سورة يونس: الآية ٥٧.
(٢) سورة طه: الآية ١٢٣.

الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال صلى الله عليه وآله: «**ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حزن فقال: اللهمَّ إنِّي عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همِّي وغمِّي، إلَّا أذهب الله همَّه وغمَّه، وأبدله مكانه فرحًا**»[1].

٥. **إنَّ هَجْرَ القرآن وهجر الاقتباس به هو شقاء في الدنيا والآخرة**، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[2]، فالاقتباس بالنصوص القرآنيَّة هو رحمة وشفاء للمؤمنين، وأن المقصود الأوَّل هو شفاء ما في الصدور من أمراض (الشِّرك، والجهل، والنفاق، والكفر)، وأسوأ الأخلاق، مثل: (الكذب، والحسد، والغش)، وغيرها، وكذلك هو شفاء للأمراض البدنيَّة كالمغص، والصداع وسائر الأوجاع التي تصيب البدن، كما دلَّت على ذلك أقوال الرسول صلى الله عليه وآله، فقد ورد عنه قوله: «**لا رقية إلَّا من عين أو حُمَّة**»[3].

إنَّ النصوص القرآنيَّة هي الجَلال، لا يضاهيه جلال وكَمال، لا يبلغه كمال، مهَابة موصولة عليها هالَةٌ من النور الوهَّاج، لا يملِك أي شخص مفاتِحَه، على الرغم من أنَّ بابه مفتوح ولم يُوصد قطُّ مُذْ أُنزل، عظيم لا مثيل له في سائر الكلام، وأنَّى لمثله أن يُقَارن بغيره، معجز بليغ لا يصله بلغَاء الأدب وجهابِذة الثقافة والكتابة، وليس كسائر كلام البشر، إنَّه كلام ربِّ العزَّة، وهو مُتجدِّد أبدًا، لا يَتبدَّد على مرِّ الدهور، قريب عن النفوس والأبدان، أسَر قلوبنا، ملَّك لك نفوسنا، إن طاف بها الدنيا الخلائق لم يترك منها طَرفًا واحدًا إلَّا جعل لك منه نصيبًا، نجد فيه مُراد نفوسنا وجواب عقولنا، ترى منه كلَّ

(١) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبِّيّ الطهمانيّ النيسابوريّ، ج١، ص٥٠٩.

(٢) سورة طه: ١٢٤.

(٣) صحيح البخاريّ، محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاريّ الجعفيّ، ص٥٧٠٥.

شيء، وكأنَّ كلَّ شيء وأبدًا موجود، وفي كلِّ الوجود، فوائده فاقَت كلَّ شيء، فهو خير الكلام وأجوده لخير أمَّة أُخرِجت للناس، فالقدسيَّة تحيطهُ ولا تُحيط غيره، إنَّه القريب يستثيرك من كلِّ جهة وبكلِّ أسلوب جميل، فتارة يرغِّبك، وتارة يرهبك، وتارة يسألك، وتارة يحكِّم فيك عقلك، فهو لا يملك ولا يفقد منك الأمل، بل يُدنِيك إليه، يواسيك في مصابك، حتَّى إنَّك لتقول: وكأنَّه يعرفني أكثر ممَّا أعرف نفسي، ورحم الله ابن الأثير حينما وصف كتاب الله: «كلُّ سطرٍ فيه روضة، غير أنَّها ليلٌ في صباح، وكلُّ معنًى منه دمية، غير أن ليس على مصوِّرها جناح»[1].

ومن أهم ضوابط الاقتباس القرآنيّ:

١. يجب أن يكون الاقتباس يأتي عقب رأي أو فكرة أو دعوى ليدلِّل عليها ليستنبطها.

٢. دائمًا ما يكون الاقتباس بالآيات القرآنيَّة التي تتحدَّث عن الذات الإلهيَّة والقدرة مع تضمن التنبيه.

٣. الاقتباس يعطي مجالًا واسعًا للباحث، ولا يسمح بالتصرُّف في النصِّ، وهو على خلاف النصوص الأخرى.

٤. دائمًا ما يفضَّل الاقتباس القرآنيّ في الردِّ على المعاندين؛ لأنَّه من السهولة الرجوع إلى مصدر الاقتباس.

٥. الشاهد القرآنيّ شاهد يمكن شرحه وتوضيحه؛ لأنَّه جزء من الفكرة المطروحة للنقاش.

٦. الاقتباس القرآنيّ يجب أن يكون بالصحيح، فلا يجوز الاقتباس بالضعيف والمتواتر.

---

(١) المثل السائر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الموصلِّيّ، ج١، ص١٤٣.

٧. الاقتباس القرآنيّ يمكن تكراره، على عكس الحديث والشعر والنصوص الأخرى، فإنَّها لا تتكرَّر ولا تتعدَّد، والتكرار أقوم طريق يُسلَك في الوقوف على معناه، ويتوصَّل به إلى تبيين أغراضه ومغزاه[1].

(١) التبيان في إعراب القرآن، ج١، ص١٠.

المبحث الثاني

الاستشهاد بالنصِّ القرآنيّ في الخطبة الفدكيَّة

فدك هي موضع زراعيّ يقع بالحجاز شمال الجزيرة العربيَّة، على طريق الموصِل إلى بلاد الشام، وهي مدينة زراعيَّة تبعد على مسير ثلاثة أيَّام من المدينة المنورَّة تقريبًا، أي ما يقارب ١٤٠كم[١]، وهي تبعد عن خيبر بمرحلة أو مسافة، والمرحلة هي المسافة الحقيقيَّة التي يقطعها الراكب في اليوم الواحد، أي ما يقارب ١٢كم[٢].

وفدك هي بستان ورثتها الزَّهراء عليها السلام عن أبيها، إلَّا أنَّ الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وقد قرَّروا مصادرتها وجعلها في ميزانيَّة الدولة، وكان هدفهم تضعيف جانب أهل البيت عليهم السلام، إذ أرادوا محاربة عليٍّ عليه السلام حربًا اقتصاديَّة، وأن يكون عليًّا عليه السلام فقيرًا حتَّى لا يلتفَّ الناس حوله، ولا يكون له شأن على الصعيد الاقتصاديّ[٣]. وبسبب هذه المصادرة من بعض الصحابة، ألقت السيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هذه الخطبة المميَّزة.

لقد ذكر الخطبة الفدكيَّة أكثر الدارسين والمؤرِّخين من مذاهب إسلاميَّة مختلفة، منهم:

١. الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ) في كتابه العين.
٢. ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر.

(١) إمتاع الأسماع، المقريزيّ: ١/ ٢٧٠، و٩/ ٢٧٣.
(٢) من فقه الزَّهراء خطبتها عليها السلام في المسجد، محمَّد الحسيني الشيرازي، ج٢، ص٥٧٣.
(٣) تقرير عن قضيَّة فدك لحظة بلحظة، محمَّد باقر الانصاريّ، ص٣٤٥.

٣. ابن منظور (ت ٧١١هـ) في كتابه لسان العرب.

٤. الزبيديّ (ت ١٢٠٥هـ) في كتابه تاج العروس.

ومن مشاهير علماء الشيعة الذين ذكروها:

١. السيِّد المرتضى علم الهدى (ت٤٣٦هـ) في كتاب الساقي.

٢. السيِّد ابن طاووس (ت ٦٧٣هـ) في كتابه الطرائف.

٣. الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ).

٤. ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) في شرحه على نهج البلاغة.

٥. عليّ بن عيسى الأربلِّيّ (ت ٦٩٢هـ) في كتابة كشف الغمَّة.

٦. ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ).

٧. أبو عبيد الهرويّ (ت ٤٠١هـ).

٨. أبو القاسم الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ).

٩. الطبرسيّ في كتابه المعروف بالاحتجاج (ت ٥٤٨هـ)[١].

إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام استشهدت بالقرآن الكريم كثيرًا في الخطبة الفدكيَّة، وإذا ما تأمَّلنا استشهادها بالنصَّ القرآنيّ، وجدنا للقرآن فيها أثرًا، وكيف لا يكون ذلك، وهي بنت القرآن والنبوَّة، وربيبة الوحي، ونرى أنَّ عندها مفتاح القراءة هو القرآن، الذي صُمِّم لفتح العلم[٢].

من خلال دراستنا للخطبة الفدكيَّة يتبيَّن لنا أنَّ الزَّهراء عليها السلام، أكثرت من الاستشهاد بالنصوص القرآنيَّة الشريفة في مجال خطبتها، وذلك لأنَّ الاستشهاد عند الخطباء والكتاب والباحثين، هو أعلى حجَّة شرعيَّة ولغويَّة مقبولة عند عامَّة المسلمين، وهو أعلى وأقوى حجج التأثيرً في التعامل مع القارئ والمخاطَب، كما أنّ الاستشهاد بالنص يكون

(١) الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ، ج١، ص٣.

(٢) تاريخ الأدب العربيّ، أحمد حسن الزيَّات، ٢٠٠٨م، ص٦٧.

أكثر اهتمامًا وجلبًا لانتباه القرَّاء والمخاطَبين، وأكثر تأثيرًا واستمالةً للمتلقِّي، والإذعان إلى مبدأ الحقِّ والقبول، وما يدعو إليه الخطيب أو الكاتب أو الباحث والتسليم بيُسر وقناعة له، فالنصُّ القرآنيّ هو بلسم للنفوس وللفطرة والعقول والقلوب، وكلَّما أكثَر الاستشهاد في الكتابة، زادَتْ أهميَّة البحث وقوَّته في نفوس الجمهور، وعظُمَت مكانة الباحث لدى القارِئين، يقول شهاب الدين الحلبيّ: «ومِن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز إقامة الحجَّة، وقطع النزاع، وإذعان الخصم»[1].

لقد استشهدت الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بالنصِّ القرآنيّ في خطبتها الفدكيَّة في خمسة وعشرين موضعًا، وهي:

١. ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

٢. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[3].

٣. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

٤. ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾[5].

٥. ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾[6].

٦. ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[7].

٧. ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[8].

(١) صبح الأعشى في كتابة الإنشا، أبو العبَّاس شهاب الدين أحمد بن عليّ بن أحمد القلقشنديّ، ج١، ص١٦٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.
(٣) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٤) سورة التوبة، الآية ١٢٨.
(٥) سورة الأنفال، الآية ٢٦.
(٦) سورة المائدة، الآية ٦٤.
(٧) سورة التوبة، الآية ٤٩.
(٨) سورة الكهف، الآية ٥٠.

٨. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١).

٩. ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢).

١٠. ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾(٣).

١١. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ ﴾(٤).

١٢. ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾(٥).

١٣. ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾(٦).

١٤. ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾(٧).

١٥. ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٨).

١٦. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾(٩).

١٧. ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(١٠).

١٨. ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١١).

(١) سورة ال عمران، الآية ٨٥.
(٢) سورة المائدة، الآية ٥٠.
(٣) سورة مريم، الآية ٢٧.
(٤) سورة النمل، الآية ١٦.
(٥) سورة مريم، الآية ٥-٦.
(٦) سورة الانفال: ٧٥.
(٧) سورة النساء: ١١.
(٨) سورة البقرة: ١٨٠.
(٩) سورة هود: ٣٩.
(١٠) سورة آل عمران: ١٤٤.
(١١) سورة التوبة: ١٣.

١٩. ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[١].

٢٠. ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾[٢].

٢١. ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[٣].

٢٢. ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ ﴾[٤].

٢٣. ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[٥].

٢٤. ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾[٦].

٢٥. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾[٧].

١. **النصُّ الأوَّل**: الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿**اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ** ﴾.

توجِّه فاطمة الزَّهراء الكلام للذين اغتصبوا حقَّها أن يتَّقوه حقَّ تقواه، وأن يثبتوا على ما جاء به كتاب الله، وان يستقيموا عليه حتَّى الممات، ومداومة تقوى الله وطاعته، وأن يُطاع الله فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يكفر، فليس لكم أن تتصرَّفوا بحسب أهوائكم، إيَّاكم وظلم الناس، فلا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون، أي مخلصون لله، مذعنون له الألوهيَّة والعبادة[٨].

---

(١) سورة إبراهيم: ٨.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٣) سورة هود: ١٢١-١٢٢.

(٤) سورة مريم: ٦.

(٥) سورة يوسف: ١٨.

(٦) سورة محمَّد: ٢٤.

(٧) سورة غافر: ٧٨.

(٨) حقائق التأويل في متشابه التنزيل، أبو الحسن السيِّد محمَّد بن الحسين بن موسى الملقب بالشريف الرضي، ص٢٠١.

٢. **النص الثاني**: استشهادها بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

توجِّه الكلام للصحابة، وتقول لهم إنَّ الله اختار أبي محمَّد وأرسله، وسمَّاه قبل أن اجتباه، وقد كان معروفًا قبل البعثة بصدقه وكرمه، وإحاطته بحوادث الدهور وكرم الأجواد، وبعثه الله إتمامًا لأمره، وعزيمةً وإنفاذًا لمقادير حتمه، بعد أن كنتم عابدين للأوثان، منكرين الله، فأنار أبي محمَّد دياجير الظلام، وكشف عن قلوبكم الهمَّ، والحزن، وجلا عن قلوبكم غمَّها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم أبي من الغواية، وبصَّرهم من العماية، وهداهم إلى سبيل الرشاد، فإذا كنتم تحبُّون أبي؛ فلا تبخسوا حقِّي[1].

٣. **النصُّ الثالث**: الذي تستشهد به الزَّهراء، هو قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾.

تريد أن تقول للصحابة إنَّ إرجاع حقِّي هو إذكاء للفتنة التي أطفائها الله بين أظهركم، وأنَّ القرآن أحكامه ظاهرة زاهرة، وأعلامه باهرة، ونواهيه لائحة، ومقاصده واضحة، قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، أنَّكم بعملكم هذا باغتصاب حقِّي ترجعون إلى عصر الجاهليَّة الذي هو عصر العداوة والبغضاء، الذين اختلفوا ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[2].

٤. **النصُّ الرابع**: الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

تشير فاطمة الزَّهراء عليها السلام إلى الصحابة، أنتم وفي اغتصاب حقِّي بأخذ فدك منِّي، ترجعون إلى حكم الجاهليَّة، الذي ينصُّ على حرمان النساء من الإرث، وهذا الأمر

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينيّ الألوسيّ، ج٤، ص١٠.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، العلَّامة السيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ، ج٦، ص٣٦.

نَكرهُ الاسلام، وهذا افتراء ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾؛ لأنَّه حكم يخالف ما أنزل الله على رسول الإنسانيَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، فلا حكم إلَّا لله ورسوله، وإنَّ حكم الجاهليَّة مبنيٌّ على الجهل والظلم والغي، وأمَّا حكم الله تعالى فمبنيٌّ على العلم والنور والهدى والعدل والقسط، وأنتم باغتصابكم لفدك، قد رجعتم إلى حكم الجاهليَّة في أكل مال اليتامى[1].

٥. **النصُّ الخامس**: فيما يخصُّ إرثها من أبيها، بقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾.

لقد أكدَّت المصادر التاريخيَّة، الشيعيَّة والسنيَّة، على أنَّ أرض فدك، هي ما ورثه النبيّ صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة الزَّهراء عليها السلام، كانت ملكًا خالصًا للنبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله؛ لأنَّهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب، وقد وهبها النبيّ الأكرم نِحلة لفاطمة عليها السلام، وقال لها هي لكِ خاصَّة دون المسلمين[2].

لكن اجتماع الصحابة في السقيفة، بعد استشهاد رسول الإنسانيَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، كان من نتائج هذا الاجتماع، هو الاستحواذ على فدك الإرث الشرعيّ لفاطمة الزَّهراء، واغتصاب حقِّها، بفتوى منتسبة إلى حديث لا صحَّة له، ولم يُسمَع من النبيِّ الأعظم، ولا من المسلمين، ولا من ابنته، وهو قوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث، ما تركنا صدقة»[3]، وقالت لهم وهي باكية مثلما ورث سليمان عليه السلام داوود، من حقِّي أنا أن أرث أبي.

وكان الهدف من هذه الفتوى سلب حقوق فاطمة الزَّهراء، وحقُّ الإمام عليهما السلام وإرثهما، إذ كانت هذه فتوى سياسيَّة صدرت عن الخليفة، ينفرد بها، تخالف القرآن والسنَّة والعقل والعُرف، أفتى بها وأيَّدها المنافقون في المدينة[4].

(١) ينظر: السيرة الحلبيَّة، د.عليّ صلابي، ج١، ص٩٥.
(٢) أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج٥، ص٣٠٣.
(٣) تفسير فرات الكوفيّ، فرات بن إبراهيم الكوفيّ، ص٢٣٩.
(٤) عيون أخبار الرضا، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين الصدوق، ج٢، ص١١٢.

٦. **النصُّ السادس**: النصوص الثلاثة الآتية تخصُّ توزيع الإرث، وعدم سلب حقِّ أيِّ واحد من إرثه، قالى تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾.

بعد الرجوع لكتُب التفسيرِ المعتبرة من الشيعة والسنة، تُجمع أنَّ المراد بالإرث في القول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث، ما تركنا صدقة»، يعني النبوَّة والعلم والدين، لا إرث الأرض والمال والطين، من هذا يتبيَّن لنا أنَّ هدف الزَّهراء عليها السلام من المطالبة بمزرعة فدك ليس الحصول على الجانب المادِّيّ، بل كان هدفها أن تثبت للمسلمين أنَّ هناك مخالفة أحكام الإسلام، وأنَّ الخليفة الذي ظلم فاطمة الزَّهراء عليها السلام، لا يمكن أن يسلم بقية المسلمين من ظلمه، وأنَّها عليها السلام لم تذهب إلى الخليفة بصفته حاكم تعترف به وبعدالته، لأنَّها لم تبايعه أصلًا ولم تعترف به كخلفية، فكيف تقاضيه؟ يقول الشهيد السيِّد محمَّد باقر الصدر قدس الله نفسه، في النزاع على ملكيَّة فدك: لا يفهم منه ما يفهم من قضيَّة مطالبة بأرض، بل يتجلَّى له منها مفهوم أوسع من ذلك، ينطوي على غرض طموح يبعث إلى الثورة، ويهدف إلى استرداد عرشٍ مسلوب وتاج ضائع ومجد عظيم وتعديل أمَّة انقلبت على أعقابها[1].

٧. **النص السابع**: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

تبيِّن فاطمة الزَّهراء عليها السلام أهميَّة وصيَّة أبيها، فقد ثبتت وصيَّة الرسول عن طرق المصادر الشيعيَّة والسنيَّة، إذ إنَّ رسول الإنسانيَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، قد منح فدك بوصيَّة إلى ابنته الزَّهراء عليها السلام في حياته، وليس هي كما يزعمون إرثًا، وبحضور عليّ أمير المؤمنين عليه السلام وابن عبَّاس وأبي سعيد الخدريّ، وعندما نزل النصُّ:

(١) فدك في التاريخ، الشهيد السيِّد محمَّد باقر الصدر، ص٦٤.

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾[1]، دعا صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدك، وروي ذلك عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين، والباقر والصادق والكاظم والرِّضا عليهم السلام[2].

٨. **النصُّ الثامن:** ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

لقد انقلب الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وتناسوا جراحات الماضي كلَّها، ولم يظهروا الحبَّ والمودَّة لذريَّته، ولم يحترموا عليًّا صهره وحليفته، بل فضَّلوا مصلحتهم الدنيويَّة على بيضة الإسلام، كان الرسول صلى الله عليه وآله، وفاطمة الزَّهراء على علم مسبق بأنَّ الصحابة سينقلبون عليهم، وقال النبي صلى الله عليه وآله: «**لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، حتَّى أنَّه لو دخل أحدهم جُحر ضبٍّ لدخلتموه.** فقالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى، فقال: **فمن إذًا؟**»[3]، وكانوا يؤمنون إيمانًا صادقًا أنَّ عداءهما أو جاحدي فضلهما، هو ناكري رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسُنَّته، وأنَّ والتمسُّك بحبِّهما يضمن سعادة الدَّارَين، قال صلى الله عليه وآله: «**مَن سرَّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنَّة عدن غرسها ربِّي، فليوالِ عليًّا من بعدي، وليوالِ وليَّه، وليقتدِ بأهل بيتي من بعدي، فإنَّهم عترتي، خُلقوا من طينتي، ورُزقوا فهمًا وعلمًا، فويلٌ للمكذِّبين بفضلهم من أُمَّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي**»[4].

٩. **النصُّ التاسع:** الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾.

---

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ، ج٦، ص٦٣٤.

(٣) الاقتصاد فيما يتعلَّق بالاعتقاد، محمَّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسيّ، ص١١٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عزّ الدين المعتزليّ، ج٩، ص١٧٠.

لقد تنازلت الزَّهراء عليها السلام عن حقِّها في فدك، وبقيت صابرة محتسبة، كانت تعرف قُدمًا أن الله أثابها لأنَّها المظلومة، ويعاقب الظالم أنَّه سوف يسترجع الله حقَّها ويعاقب الظالم، وعن الإمام الباقر عليه السلام أسوة بجدِّه محمَّد وأبيه الإمام عليّ عليه السلام: «**إنَّا أهل بيتٍ لا نسترجع شيئًا أُخِذ منَّا ظلمًا، فكذلك لم يسترجع الإمام عليّ عليه السلام فدكًا لـمَّا وليَ النَّاس**»[1].

١٠. **النصُّ العاشر**: الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

تقول فاطمة الزَّهراء عليها السلام: إنَّ الله أرسل رسلًا كثيرة، وقصَّ، أي أنبأهم، أخبارهم وما لقوا من أصحابهم، فإذا جاء أمر الله، أي إذا جاء الوقت المسمَّى يوم الورود، يهلكهم الله، وإنَّما التأخير من علم الله، فيقضي بينهم بالحقِّ، وخسر هنالك الباطلون المبطلون السارقون حقوق الناس، أي الذين يتَّبعون الباطل والشِّرك، وهناك يكون الخسران المبين بعد أقفل الله على قلوبهم، وأنَّ هؤلاء الصحابة لهم قلوب لا تسمع ولا تعي ولا تخاف الله، وفي المحاسن عن الامام الصادق عليه السلام: «**إنَّ لك قلبًا ومسامعًا، وإنَّ الله إذا أراد أن يهدي عبدًا فتح مسامع قلبه، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه، فلا يصلح أبدًا، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾**»[2].

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمَّد بن عليّ ابن بابويه القمِّيّ، ج١، ص١٥٥.
(٢) تفسير الصافي، المولى محسن الملقَّب بالفيض الكاشانّي، ج٢، ص٥٤٩.

نتائج البحث وتوصياته

١. كانت الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام موفَّقةً في اقتباساتها بالقرآن الكريم في المجال التداوليّ الإسلاميّ، وكانت حجَّتها الشرعيَّة مقنعة مقبولة لدى القرَّاء والسامعين، كما وتعدُّ اقتباساتها دليلًا دامغًا على مصداقيَّة الرأي القائل بأهميَّة النصِّ.

٢. إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قد استطاعت من خلال هذه الخطبة الرائعة من إفعام مخالفيها من خلال قوَّة الحجَّة والبراهين والأدلَّة التي استطاعت أن تقدِّمها من خلال مجموعة من الأساليب، ومن ضمنها الاقتباس القرآنيّ.

٣. إنَّ النشأة النبويَّة للصدِّيقة الطاهرة الزَّهراء، والتزامها حلقات الدرس الفقهيّ والدينيّ، وتوجيه النساء وموعظتهنَّ، كلُّ ذلك أسهم بشكلٍ كبير في سعة اطِّلاع الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء، وتأثُّرها بالاقتباس القرآنيّ وغيره.

٤. غالبًا ما تعتمد السيِّدة الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في هذه الخطبة على أقوال الرسول الأعظم المتمثِّلة بالحديث النبويّ، علاوةً على العنصر الأعمّ الأغلب، وهو القرآن الكريم.

٥. إنَّ سعة اطِّلاع السيِّدة الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، واعتمادها على عدد من آيات القرآن الكريم التي جاءت موضوعاتها مع غرض الخطبة التي دارت أحداثها حول ضيعة فدك والمطالبة بها من خلال هذه الآيات القرآنيَّة التي حملت دلالات مهمَّة في هذا الشأن القرآنيّ.

٦. تعدُّ هذه الخطبة من أوائل الخطب التي تدعو المسلمين الى المطالبة بحقوقهم الشرعيَّة المغتصبة من قبل الحكَّام، وهي دستور ومسار للمظلومين والمضطهَدين في العالم الإسلاميّ.

٧. بلغت اقتباسات الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء خمسة وعشرين اقتباسًا كما وضَّحها هذا البحث.

٨. أكثر السور التي اقتبَست منها الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، هي: سورتا النساء، وآل عمران، بأربعة اقتباسات لكلٍّ منهما، وسورتا المائدة، والتوبة، بثلاثة اقتباسات، والأنفال، ومريم باقتباسَين لكلٍّ منهما، واقتباس واحد لكلٍّ من السور (إبراهيم، وهود، وغافر، ومحمَّد، ويوسف، والشعراء، والنمل) على التوالي.

٩. نوصي أن يكون هذا المؤتمر سنويًّا، وجعله مؤتمرًا دوليًّا.

١٠. نوصي بضرورة تأسيس منهج حقوق الإنسان والتربية، ويعتمد في ذلك على دراسات للمضامين الحقوقيَّة في الخطبة الفدكيَّة، والمناهج التربويَّة والأسريَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

١١. وظَّفت الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء النصَّ القرآنيّ، في خطبتها، توظيفًا جميلًا وموفَّقا، ينمُّ عن مدى تعلُّقها بهذا النصِّ المقدَّس، ممَّا أسهم بجلب اهتمام المتلقِّي، ومساعدته في الوصول إلى الحقيقة، كما وكان له تأثيرٌ واضح في المخاطَب والمتلقِّي على حدٍّ سواء.

ثبت المظان الرئيسة

١. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ (من علماء القرن السادس الهجريّ)، تحقيق الشيخ إبراهيم البهادريّ، والشيخ محمَّد هادي به، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم المقدَّسة،١٤١٦هـ.

٢. أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار المعارف، بيروت،١٩٨٣م.

٣. الاقتصاد فيما يتعلَّق بالاعتقاد، محمَّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن، الشيخ الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، دار الأضواء، بغداد، ١٤٠٦هـ.

٤. إمتاع الأسماع بما للنبيِّ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن عليّ بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسينيّ العبيديّ، تقي الدين المقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمَّد عبد الحميد النميسيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ بالولاء، الليثيّ، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٦. تاريخ الأدب العربيّ، أحمد حسن الزيَّات، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٧. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ (ت٦١٦هـ)، تحقيق عليّ محمَّد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، (د.ت).

٨. تفسير الصافي، المولى محسن الملقَّب بالفيض الكاشانيّ (ت١٠٩١هـ)، تحقيق محمود إماميان، دار ذوي القربى، قم المقدَّسة، ١٤٣٤هـ.
٩. تفسير فرات الكوفيّ، فرات بن إبراهيم الكوفيّ، تحقيق محمَّد كاظم، مؤسَّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ٢٠١٣م.
١٠. تقرير عن قضية فدك لحظة بلحظة، محمَّد باقر الأنصاريّ، ترجمة مرداني يور النعمانيّ، مؤسَّسة أنصاريان للنشر، قم، (د.ت).
١١. حقائق التأويل فى متشابه التنزيل، أبو الحسن السيِّد محمَّد بن الحسين بن موسى الملقَّب بالشريف الرضيّ (ت ٤٠٦هـ)، مطبعة الغريّ، النجف، ١٩٣٦م.
١٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسيّ (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق عليّ عبد الباري عطيَّة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٣. السيرة الحلبيَّة، د. عليّ صلابي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٦م.
١٤. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عزّ الدين المعتزليّ المدائنيّ(ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٨م.
١٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العبَّاس شهاب الدين أحمد بن عليّ بن أحمد القلقشنديّ الفزاريّ (ت٨٢١هـ)، دار الكتب المصريَّة، ١٣٤٠هـ.
١٦. صحيح البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

١٧. علل الشرائع، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمَّد بن عليّ ابن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تقديم السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

١٨. عيون أخبار الرضا، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين الصدوق (ت٣٨١هـ)، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٩. فدك في التاريخ، الشهيد السيِّد محمَّد باقر الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء، دار الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء، النجف الأشرف، ١٤٢٩هـ.

٢٠. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثيّ بالولاء، أبو بشر، الملقَّب سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢١. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتيّ، راجعه وعلَّق عليه: هلال مصيلحي، ومصطفى هلال أستاذ الفقه والتوحيد بالأزهر الشريف، مكتبة النصر الحديثة بالرياض، لصاحبَيها: عبدالله، ومحمَّد الصالح.

٢٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمَّد (ت٦٣٧هـ)، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

٢٣. مجلَّة صدى القرآن، إصدارات العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، دار القرآن الكريم، قسم الشؤون الفكريَّة، العدد ١٥، ٢٠٢٠م.

٢٤. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ، من أعلام القرن السادس الهجريّ، مطبعة العرفان، لبنان، صيدا، ١٣٥٣هـ.

٢٥. المستدرك على الصحيحَين، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ، مع تضمينات الذهبي في التلخيص والميزان، والعراقيّ في أماليه، والمناويّ في فيض القدير، وغيرهم، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٢٦. من فقه الزَّهراء، خطبتها عليها السلام في المسجد، محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، دار الرشيد، قم، ٢٠٠٧م.

٢٧. الميزان في تفسير القرآن، العلَّامة السيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ قدس سره، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة في قم المقدَّسة، ١٩٩٩م.

سيرة فاطمة الزَّهراء في الفكر الاستشراقيّ
بين الغلط والمغالطة

أ.د. أحمد الصفَّار
أكاديميّ مُتقاعد (جامعة مانشستر)/ بريطانيا

ملخَّص البحث

عمد أغلب المستشرقين بكتاباتهم عن أهل البيت عليهم السلام ألَّا يعتمدوا على تحليل النصِّ التاريخيّ بأسلوبٍ علميّ، وإنَّما يفتقدون إلى صدقيَّة البحث العلميّ ومناهجه؛ ليكتبوا بمزاجيَّة منحازة إلى الإساءة والافتراء، بل ومغالطة في كثير من كتاباتهم، وما لاقته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من ظلمٍ من قبل ابن هشام (ت ٢١٣هـ) في سيرته، وابن سعد (ت ٢٣٠هـ) في طبقاته، وغيرهما في أخبارهما الموضوعة، والتي اعتمد عليها كثيرًا المستشرقون الذين لم يلتفتوا إلى ما دوِّن من قِبَل المؤرِّخين الشيعة، ابتداءً من اليعقوبيّ (ت ٢٩٢هـ)، والكلينيّ (ت ٣٢٩هـ). في هذا البحث فنَّدت، ودحضت تخرُّصات المستشرقين، وذلك بالعودة إلى نصوص الروايات المعتمَدة.

والبحث ينقسم إلى مقدَّمة، وأربعة فصول. جاء في **الفصل الأوَّل**: كيفيَّة تحليل النصِّ التاريخيّ، وينشعب إلى ثلاثة محاور: التحليل الظاهري للنصّ، والتحليل الباطنيّ، والاستنتاج والتقييم. **والفصل الثاني**: حول الصعوبات المرافقة لتحليل النصِّ التاريخيّ. **والفصل الثالث**: منهج ودوافع الفكر الاستشراقيّ، **والفصل الرابع**: سيرة الزَّهراء في الفكر الاستشراقيّ، يعالج فيه الباحث آراء

وتحليلات المستشرقين في ستَّة محاور متعلِّقة بسيرة الزَّهراء عليها السلام، وهي: أمُّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، انعقاد نطفة الزَّهراء وولادتها، وشمائل الزَّهراء عليها السلام، وعصمة الزَّهراء، وجوانب من حياة فاطمة عليها السلام، وحزن فاطمة عليها السلام وبكاؤها، ثمَّ المصادر العربيَّة (٧٠ مصدرًا)، والأجنبيَّة (١٧ مصدرًا).

مقدِّمة

اعتمد المستشرقون في تحليلهم للنصِّ التاريخيّ على المزاجيَّة في أغلب الأحيان، من غير الالتفات للضوابط العلميَّة، والاعتماد على أكثر من مصدر أو أكثر من راوٍ للنصِّ، بل اتَّسمت دراستهم ومنهجيَّتهم بالانتقائيَّة، حتَّى وإن أُسقِط النصُّ لاعتبارات عديدة من قِبَل المؤرِّخين وكتَّاب السِّيَر. تمثَّلت غايتهم في نزع القدسيَّة عن الرمز، وفي بحثنا هنا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وعدم الاعتناء بالجانب الغيبيّ، والتعامل المادِّيّ مع مفردات النصِّ التاريخيّ. ولم ينجُ المعصوم من بذاءة الكلام الذي يتعمَّد المستشرق بوصف المعصوم عليه السلام، لأجل توهين صورته عند القارئ، ولأجل نقد أسلوب الاستشراقيِّين نمرُّ بكيفيَّة تحليل النصِّ التاريخيّ، ثمَّ نستعرض سيرة الزَّهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقيّ، وأخذ الباحث بعض النماذج التي حدَّدت اعتباطيًّا؛ لتغطِّي جوانب متفرِّقة من حياة الزَّهراء عليها السلام.

الفصل الأوّل

كيفيَّة تحليل النصِّ التاريخيّ

للنصِّ التاريخيّ، كوثيقة تاريخيَّة، أهميَّة كبيرة في قراءة حركة التاريخ، وتساعد على التركيز حول مضمون حادثة تاريخيَّة معيَّنة، وتكون شاهدة على الماضي البشريّ، شريطة أن تكون أصيلة؛ لأنَّ الوثيقة التاريخيَّة على العموم تشكِّل المادَّة الأوَّليَّة في التاريخ، وتحمل طابع تلك الفترة، ولتحليل النصِّ التاريخيّ، يتطلَّب من الباحث أن يكون ملمًّا بشروط وضوابط منهجيَّة البحث العلميّ، وبهذه المنهجيَّة يتمكَّن الباحث، وبمختلف أدوات وآليَّات منهجيَّة البحث، من تحليل النصِّ التاريخيّ، ومن ثمَّ الإلمام بالتصوُّرات العامَّة المرافقة زمكانيًّا، وتسهِّل عليه في فهم المواضيع التاريخيَّة وتفسيرها ونقدها، وذلك ابتداءً بالتحليل الظاهريّ (الخارجيّ) للنصِّ، وهذه الدراسة لا تقلُّ في أهميَّتها عن الدراسة في الخطوة التالية التي تعتمد على التحليل الباطنيّ (الداخليّ). للنصِّ.

يهتمُّ الباحث بالتحليل الخارجيّ للوثيقة، في محاولة منه للكشف عن فترة تدوين الحادثة أو كتابة الوثيقة، وكذلك تحقيق صورتها الأصليَّة على وجه التحديد، ولإنجاز التحليل الظاهريّ للنصِّ التاريخيّ، لا بدَّ من اتِّباع الخطوط الآتية:

أوَّلًا: التحليل الظاهريّ للنصِّ

١. تحديد الإطار الزمكانيّ للنصِّ.
٢. تعريف كاتب النصِّ أو الكتاب المتضمِّن للنصِّ.
٣. ترجمة الأعلام، وشرح المصطلحات الواردة في النصِّ.

٤. ما طبيعة النصِّ؟

٥. ما هي الفكرة العامَّة للنصِّ؟

٦. تحديد الأفكار الرئيسة في النصِّ.

ثانيا: التحليل الداخليّ للنصِّ (مضمون النصِّ)

١. تحليل النصِّ وشرحه.

٢. إعطاء النصِّ أبعادًا جديدة وإضافات وافية بعيدة عن التزييف.

٣. التقيُّد بالنصِّ وعدم اتِّباع الظنِّ.

٤. نقد النصِّ بالأساليب العلميَّة.

ثالثا: الاستنتاج والتقييم

١. الإلمام معرفيًّا بالفترة التاريخيَّة التي يتكلَّم النصُّ عن مجرياتها.

٢. قدرة الباحث على التحليل، واستنباط المعلومات، ومقارنة الأحداث، والتركيز عند المعالجة، دون الاعتماد على الأسلوب الوصفيّ والسرد الأدبيّ.

٣. الاضطلاع بلغة النصِّ وفهمه له.

٤. مقدرة الباحث على ربط المعلومات المتعلِّقة بواقعة تاريخيَّة معيَّنة، والمستقاة من مصادر مختلفة.

٥. مقدرة الباحث على استعمال أمَّهات الكتب المختلفة للبحث عمَّا يتعلَّق بتحليل نصٍّ تاريخيّ معيَّن، وليس الاعتماد على مصادر من مشربٍ واحد.

الفصل الثاني

الصعوبات المرافقة لتحليل النصِّ التاريخيّ

من أهمِّ الصعوبات في التحليل هي صحَّة المتن وصحَّة السند، نظرًا للفارق الزمنيّ بين كتابة النصِّ التاريخيّ، ووقت حدوث الواقعة التاريخيَّة التي دوِّن لها لظروف متعدِّدة، مع مراعاة السياق التاريخيّ.

الفصل الثالث

منهج ودوافع الفكر الاستشراقيّ

اعتمدت منهجيَّة المستشرقين على المصادر الضعيفة، وتقصُّدهم في تصيُّد الآراء الشاذَّة، والروايات الضعيفة المنكَرة، ومحاولتهم تفسير التاريخ تفسيرًا ماديًّا خاليًا من النزعة الروحيَّة المخلصة لله تعالى، وتفسيرًا ماديًّا لا علاقة له بالغيب، فكان أسلوبهم الافتراء، والكذب أحيانًا، وإلصاق الأخبار ببعض الشخصيَّات القيادية في التاريخ الإسلاميّ، وتميَّزت كتاباتهم بخلوِّها من التحليل العلميّ الرصين. إنَّ المستشرقين قد نَحَو منحًا مثيرًا للجدل في تعاملهم مع القرآن الكريم، والسيرة المطهَّرة، والأحداث التاريخيَّة، وتمادوا أيضًا في تعاملهم مع التراث الشيعيّ، ولم يسلم أصحاب الكساء عليهم السلام من التشويه والافتراء، وتطلَّب من المستشرقين أن يبحثوا كثيرًا في المذهب الشيعيّ الذي كان خارج بحوثهم، لعدم معرفتهم به، ويعزى سبب اهتمامهم بتقويض صورة أصحاب الكساء، وإلى هدم قدسيَّتهم، وتجريح شخوصهم، وذلك بعدما وجدوا أنَّ التشيُّع قوَّة تستطيع أن تقف في وجه الأطماع الأوروبيَّة، يبتغون بفعلهم هذا من إيجاد الفُرقة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى، تقديم صورة مشوَّشة عن الرموز الإسلاميَّة القياديَّة إلى الجهلة، وأنصاف المثقَّفين، والمغرورين بالحضارة الغربيَّة؛ لإرباكهم، وإضعاف ارتباطهم برموزهم المقدَّسة، ومن ثمَّ بدينهم، فقد كانت الدراسات الاستشراقيَّة حول التشيُّع عبارة عن «أخبار دوَّنها القساوسة، وأسفار، ومعلومات موجزة، وما إلى ذلك من تراث ضيِّق النِّطاق»[1].

(١) المستشرق المعاصر إيتان كوهلبرغ وحديث الإماميَّة، مصطفى مطهَّري، ترجمة: أسعد مندي=

فكانت كتابات المستشرقين «تحمل وجهًا وملامح وقسمات مستمدَّة من عجينة أخرى غير مادَّة السيرة، وروح أخرى غير روح النبوَّة، ومواصفات أخرى غير مواصفات الرسالة.. كتبوا أبحاثًا تسعى لأن تُخضِع حقائق السيرة لمقاييس عصر تنسخ كلَّ ما هو جميل، وتزيِّف كلَّ ما هو أصيل، وتميل بالقيم المشعَّة إلى أن تفقد إشعاعها، وترتمي في الظُّلمة، أو تؤول إلى البشاعة!!»[1].

لقد ذكر الدكتور كوربان[2]: «أنَّ ما جناه المستشرقون حتَّى الآن، من معلومات علميَّة عن الإسلام، اقتصر على مصادر أهل السنَّة ولم يتجاوزوها، تستوي في ذلك البحوث التي أنجزها هؤلاء على الكتب والآثار الإسلاميَّة، واللقاءات التي تمَّت لهم مع علماء الإسلام، إذ تمَّت هي الأخرى في محيط سنِّي، بحيث لم ينفتح المستشرقون على غير هذا المحيط فيما يحفل به من مصادر ورجال، بل نراهم عادوا إلى مصادر أهل السنَّة وعلمائهم في تشخيص المذاهب الإسلاميَّة المختلفة، ومعرفة الأصول والمباني التي تقوم عليها، ولم يتعدّوها إلى غيرها من النظريَّات»[3]. وعلى أيِّ حال؛ اعتمد المستشرقون على مصنَّفات ابن سعد، وابن هشام، والنيسابوريّ، وقليل على غيرها.

كان منهج المستشرقين مستمدٌّ من مادَّة غير السيرة، واختلط بالمزاج الاستشراقيّ الرامي إلى محاربة التراث الإسلاميّ، يقول المستشرق الأمريكي (روبرت بين Robert Payne) في مقدمة كتابه (السيف المقدَّس The Sacred Sword): «إنَّ

=الكعبيّ، دار الكفيل، ٢٠١٤، ص٣٣ عن: التشيُّع (باللغة الفارسيَّة)، هاينز هالم، ترجمه إلى الفارسيَّة: محمَّد تقي أكبري، ص٣٠.

(١) المستشرقون والسيرة النبويَّة، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ١٤٢٦هـ، ص٨.

(٢) هنري كوربان أستاذ الفلسفة في جامعتي السوربون (فرنسا) وطهران، ورئيس المعهد الفرنسّي-الإيرانيّ، وهو أحد المستشرقين الفرنسيِّين المعروفين، والمختصُّ بالدراسات الإيرانيَّة.

(٣) الشيعة: نصُّ الحوار مع المستشرق كوربان، السيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ، ترجمة: جواد عليّ، مؤسَّسة أمِّ القرى للتحقيق والنشر، إيران، ج١، ص٤٦.

لدينا أسبابًا قويَّة لدراسة العرب، فقد غَزَو الدنيا كلَّها من قبل، وأنَّ النَّار التي أشعلها محمَّد لا تزال تشتعل بقوَّة، وقد يفعِّلونها مرَّة ثانية، وهناك ألفُ سبب للاعتقاد بأنَّها شعلة غير قابلة للانطفاء»[١]. ويقول المستشرق الإيطالي (الكونت ليوني كايتاني)[٢] الذي استخلص تاريخ الفتح الإسلاميّ في تسعة مجلَّدات ضخمة بعنوان (حوليَّات الإسلام)، قال: «كيف أنَّ معاقل المسيحيَّة في الشرق قد تهاوت أمام المدِّ الإسلاميّ، بسبب تلك الجاذبيَّة وسطوع مبادئه»[٣]. كما ذكر (جِسَب Jessup)[٤] في كتابه الذي طُبع ١٩١٠، ويودُّ أن يمحي الإسلام من العالم[٥]، وجاء في كتاب (تقدُّم التبشير العالميّ) الذي ألَّفه الدكتور غلوور، ونشره في نيويورك سنة ١٩٦٠، يقول في نهاية الباب الرابع: «إنَّ سيف محمَّد، والقرآن أشدّ عدو، وأكبر معاند للحضارة، والحريَّة، والحقِّ، ومن بين العوامل الهدَّامة التي اطَّلع عليها العالم إلى الآن»[٦]، وقال المستشرق (ليوبولد فايس) الذي أسلم فيما بعد وغيَّر اسمه إلى (محمَّد أسد)، معبِّرًا عن واقع المستشرقين، فيقول

(١) مذاهب فكريَّة معاصرة، محمَّد قطب، ص٥٩٧.

(٢) الكونت ليوني كايتاني (١٨٦٩-١٩٢٦): دوق سيرمونتيا، بالإضافة إلى كونه أكاديميًّا وسياسيًّا ومؤرِّخًا للشرق الأوسط، وهو أبرز المستشرقين الإيطاليِّين. قدم كايتاني إلى التراث العربيّ والحضارة الإسلاميَّة كتابه الضخم (حوليَّات الإسلام)، جهد عملاق، حلَّل فيه الإسلام في عشرة مجلَّدات، وكان يحلم بتأليف ٢٥ مجلَّدًا، ولكن المنيَّة حالت دون ذلك. ساهم المستشرق دلا فيدا في تحرير مشروع (الحوليَّات) في عام ١٩١١، وقد أهدى له المجلَّد التاسع من (حوليَّاته)، معترفًا بفضله في الإسهام، واستكمل مشروعه الأساسيّ بكتاب (دراسات في تاريخ الشرق) في ثلاثة مجلَّدات.. وكتب تراجم عدد كبير من علماء المسلمين وأدبائهم في الأندلس، جمعها المستشرق الأسبانيّ (ربيرا)، ونُشِرت بالعربيَّة تحت عنوان (تجارب الأمم) لمسكويه.

(3) https://www.albayan.ae/our-homes/2010-09-01-1.279435.

(٤) مبشِّر أمريكيّ.

(٥) التبشير والاستعمار في البلاد العربيَّة (عرض لجهود المبشِّرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربيّ، مصطفى خالدي، عمر فروخ، المكتبة العصريَّة، بيروت، ط٥، ١٩٧٣، ص٣٦.

(٦) المستشرقون والسيرة النبويَّة، ص٢١.

عن موقفهم: «موقف كره في غير مبالاة فحسب، بل هو كره عميق الجذور، يقوم في الأكثر على صدور من التعصب الشديد، ويتحدَّث عن التجربة التي استحالت معضلة في مناهجهم يصعب تجاوزها، فيقول: فيما يتعلَّق بالإسلام، فإنَّ الاحتقار التقليديّ أخذ يتسلَّل في شكل تحزُّب غير معقول إلى بحوثهم العلميَّة، وبقي هذا الخليج الذي حفره التاريخ بين أوربا والعالم الإسلاميّ (منذ الحروب الصليبيَّة) غير معقود فوقه بجسر، ثمَّ أصبح احتقار الإسلام جزءًا أساسيًّا من التفكير الأوربيّ. والواقع أنَّ المستشرقين الأوَّلين في الأعصر الحديثة كانوا مبشِّرين نصارى، يعملون في البلاد الإسلاميَّة، وكانت الصورة المشوَّهة التي اصطنعوها من تعاليم الإسلام وتاريخه مدَّبرة على أساس يضمن التأثير في موقف الأوربيِّين من الوثنيِّين، غير أنَّ هذا الالتواء العقليّ قد استمرَّ، مع أنَّ علوم الاستشراق قد تحرَّرت من نفوذ التبشير.. ولم يبقَ لعلوم الاستشراق هذه عذر من حميَّة دينيَّة جاهليَّة تسيء توجيهها. أمَّا تحامل المستشرقين على الإسلام فغريزة موروثة، وخاصيَّة طبيعيَّة تقوم على المؤثِّرات التي خلَّفتها الحروب الصليبيَّة، بكلِّ ما لها من ذيول في عقول الأوربيِّين»[1].

ويقول المستشرق الألمانيّ (كارل بيكر Becker) بصراحة: «إنَّ هناك عداء من النصرانيَّة للإسلام، بسبب أنَّ الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى، أقام سدًّا منيعًا في وجه انتشار النصرانيَّة، ثمَّ امتدَّ في البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها»[2].

ويشرح المستشرق (مونتغمري واط) الأسباب الحقيقيَّة للتخوُّف من أن يعيق الإسلام طريق انتشار المسيحيَّة، قائلًا: «إنَّ الإسلام من وجهة نظر المسيحيَّة الغربيَّة

(١) الإسلام على مفترق الطرق، ليبولد فايس (محمَّد أسد)، ص ٦٠ فما بعد.

(٢) المستشرقون والمبشِّرون في العالم العربيّ والإسلاميّ، إبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى، مَنَّ الله عليه بالإسلام)، دار الوعي العربي، ص٣٨ عن:
Becker-Islamstudien, Von C.H. Becker, Zwei Baende, Leipzig 1924 and 1932.

يتَّسم بخلفيَّة إشكاليَّة لاهوتيَّة عميقة، فقد ألغى الإسلام حقيقة الأمر أي مكان لتجسيد الطبيعة الإلهيَّة، مع نفي تام لفكرة الثالوث المسيحيَّة، وبذلك التوجيه العقائديّ حطَّم الإسلام النظام البنيويّ- اللاهوتيّ الذي كان مهيمنًا في التصوُّرات المسيحيَّة، لاسيما في العصر الوسيط، حول التكوين الإلهيّ للتاريخ، وحول التقديس، وتجسيد الإله ذاته. هكذا كان ظهور الإسلام بالنسبة للديانَتَين اليهوديَّة والمسيحيَّة، نوعًا من التحدِّي الدينيّ- التاريخيّ»[1].

ويُفصح القس (كالهون سيمون) عن رغبة التبشير في تفريق المسلمين، ويجب أن يكون هدف التبشير هو التفرقة في توجيه المسلمين واتِّجاهاتهم بقوله: «إنَّ الوحدة الإسلاميَّة تجمع آمال الشعوب السُّمُر، وتساعدهم على التخلُّص من السيطرة الأوروبيَّة، ولذلك كان التبشير عاملًا مهمًّا في كسر شوكة هذه الحركات، ذلك لأنَّ التبشير يعمل على إظهار الأوروبيِّين في نورٍ جديدٍ جذَّاب، وعلى سلب الحركة الإسلاميَّة من عنصر القوَّة والتمركز فيها»[2]، «يجب أَن نحوِّل بِالتَّبْشير مجَارِي التَّفْكِير فِي الوَحدَة الإِسلَامِيَّة، حَتَّى تَسْتَطيع النَّصْرانِية أَنْ تَتغلغل فِي المسلِمين»[3].

ويكتب المستشرق الألمانيّ (باول شمتز) كتابًا، يتناول فيه عناصر القوَّة الكامنة في العالم الإسلاميّ، والإسلام، فيسمِّي هذا الكتاب (الإسلام قوَّة الغد العالميَّة)، فلماذا كتب هـذا الكتاب وقـام بهذه الدراسة؟. إنَّه لا يتورَّع أن يعلن صراحةً، وبدون مواربة، عن هدفه، الذي هو تبصير أوروبا الغافلة عن هذه القوَّة التي هي صوت نذير لأوروبا،

(١) لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكريَّة لعلاقة الغرب بنبيّ الإسلامﷺ، باسم خفاجي، الرياض، ٢٠٠٦، ص٦٦، عن كتاب: تأثير الإسلام على أوربا في القرون الوسطى، مونتغمري واط، موسكو، ١٩٧٦، ص ٨-١٠.

(٢) المصدر نفسه.

(3) Islam and Missions, by E.M. Vherry, S.M. Zwemer and C.G. Mylrea, N.Y. 1911; PP 68-69

وهتاف يجوب آفاقها، يدعو إلى التجمُّع، والتساند الأ
بدأ يصحو، وينفض النوم عن عينيه»[1].

ويحاول المبشِّرون أن يروا العداوة بين الإسلام وبين الغرب دينيَّة، ولكن الحقيقة لا تلبث أن تظهر في فلتات ألسنتهم، فإذا هي سياسية خطر الوحدة الإسلاميَّة على الغرب. إنَّ القوَّة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا، ولقد أبرز (لورنس براون) هذا الموقف في صورة واضحة حينما قال: «إذا اتَّحد المسلمون في إمبراطوريَّة عربيَّة، أَمكن أَن يُصبحوا لَعنة على العالم وخطرًا، وأمكن أَن يصبحوا أَيضًا نعمة لهُ، أَمَّا إذا بقوا متفرِّقين، فإنَّهم يظلُّون حينئذ بلا قوَّة ولا تأثير»[2].

ولا نستغرب ما يجري اليوم من تغيُّرات سياسيَّة حول اصطفاف الغرب (اللادينيَّة) ضدَّ عدم دخول تركيا (العلمانيَّة) إلى الاتِّحاد الأ
أصبحوا خطرًا على أوروبا منذ دخولهم في الإسلام؛ وعبَّر عن ذلك صراحة (أديسون) قائلًا: «لا لأنَّهم مسلمون، بل لأنَّهم قد أصبحوا قوَّة تستطيع أن تقف في وجه الأطماع الأوروبيَّة»[3].

وتستمر حملة المستشرقين في جهدهم، وتتغيَّر خططهم ووسائلهم بتغيُّر ظروف الشرق. لقد رأى هؤلاء أنَّ جهدهم يجب أن يستمر، ولكن وسائله يجب أن تتبدَّل، ذلك أنَّهم رأوا أنَّ العالم يتبدَّل، فأحبُّوا أن تتبدَّل خططهم حتَّى توافق الأحوال الجديدة[4].

(١) الاستشراق في الميزان، عبد العظيم الديب، دار دون للنشر والتوزيع، ص٦٥.

(2) Islam and Missions, By E.M. Vherry, S.M. Zwemer and C.G. Mylrea, N.Y. 1911; PP 44-48.

(3) The Christian Approach to the Moslem, By James Thayer Addison; N.Y. 1942; p 59.

(4) Re-Thinking Missions, By the Committee of Appraisal; Ernest Hocking. Chairman; N.Y. & London, 1932

لقد شكَّل خطاب المستشرقين صورة عدائيَّة نابعة من الإحساس بالاستعلاء والفوقيَّة، مقابل دناءة وضعف غيرهم، ومحاولتهم من السيطرة، ثمَّ النفوذ إلى المجتمعات بكلِّ الوسائل حتَّى تغيير برامجهم التربويَّة والتعليميَّة للمدارس الابتدائيَّة، فحاول المستشرقون بكلِّ الوسائل، وخاصَّة غير المشروعة من الافتراء والكذب، ولَيِّ الحقائق والتاريخ لمصلحتهم. وكان جلّ هدفهم ونصب أعينهم، هو استهداف الرموز المقدَّسة في الدين، للتمكُّن من توهين وإضعاف الدين، كالتزامٍ ومنهجٍ بين الناس، فيصبح لا قيمة له، وتكون صورته باهتة بالممارسة.

وبعد دراستهم لكتب ومصادر الشيعة، انبرى المستشرقون، فيما بعد، وزعموا أنَّ أصل التشيُّع فارسيّ، ومن بين هؤلاء: جوبيينو الفرنسيّ، وإدوارد البريطانيّ، والفرنسيّ دار مستتر، والإيطاليّ جويدي، والهولنديُّون دوزي وأوجست ملّر، وفون كريمر؛ إنَّ فكرة أصل التشيُّع كان فارسيًّا كانت متمثِّلة برأي المستشرق الإنجليزي براون القائل: «بأنَّ العقيدة المتعلِّقة بالحقِّ الإلهيّ التي أودعت في الأسرة الساسانيَّة، كانت ذات أثر عظيم في تاريخ الفرس والتشيُّع، ولقد جاءت فكرة انتخاب الخليفة متماشية مع ديمقراطية العرب، غير أنَّه لا يمكن أن تظهر في نظر الفرس إلَّا بمظهر ثوريّ غير مطابق لطبيعة الأشياء»[1].

تطلَّب من المستشرقين أن يبحثوا كثيرًا في المذهب الشيعيّ الذي كان خارج بحوثهم، لعدم معرفتهم به، واعتماهم فقط على المصادر السنيَّة في تدوين النصوص التاريخيَّة حتَّى القرن الرابع الهجريّ، فقد ظهر العديد من الأعمال الشيعيَّة الكبرى من قِبَل شخصيات مثل ابن جرير الطبريّ (الشيعيّ) (ت ٣٢٦)، والمؤرِّخ اليعقوبيّ (ت ٢٩٢)، والكلينيّ (ت ٣٢٩)، والمسعوديّ (ت ٣٤٦)، والنعمانيّ (ت ٣٦٠)، والقمِّيّ (ت القرن الرابع)، والصدوق (ت ٣٨١)، وانفردت المصادر السنيَّة في القرن

(١) أصول الإسماعيليَّة: دراسة، تحليل، نقد، سلمان عبد الله السلوميّ، دار الفضيلة، الرياض، ٢٠٠١، ص٩٧، نقلًا عن: تاريخ الأدب في إيران، لبراون.

الثالث بتدوين التاريخ ابتداءً من ابن هشام (ت ٢١٣)، ولم يكن، بأيِّ حالٍ من الأحوال، لوحده فقط، بل كان يعاصره أو في القرن نفسه كلٌّ من ابن سعد (ت ٢٣٠)، وابن حنبل (ت ٢١٤)، والدارميّ (ت ٢٥٥)، والبخاريّ (ت ٢٥٦)، ومسلم (ت ٢٦١)، وابن ماجه (ت ٢٧٣)، وأبو داوود (ت ٢٧٥)، والترمذيّ (ت ٢٧٩)، والبلاذريّ (ت ٢٧٩)، وبحلول القرن التالي، كانت كتابات النسائيّ (ت ٣٠٣) تكمِّل المجموعات التاريخيَّة الرئيسة الموالية للسلطة، بينما كان الطبريّ (ت ٣١٠) يؤرِّخ تاريخهم بترتيب زماني.

الفصل الرابع

سيرة الزَّهراء في الفكر الاستشراقيّ

من بين المستشرقين الذين تناولوا دراسة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، المستشرق (كريستوفر بول كلوهيسي[1] Christopher Paul Clohessy)، الذي قدَّم دراسة حول حياة الزَّهراء عليها السلام باتِّجاهات أربعة، وهي: أوَّلا: مولدها، وما رافقه من بشارة الرسول، وحمل أمِّها، ومن ثمَّ ولادتها، معتمدا في ذلك على الروايات الشيعيَّة[2]. ثانيًا: قصص المعجزات وما دوَّنته الكتب الشيعيَّة بما يتعلَق بالبشارة والحمل وولادة ابنها الحسين[3] عليه السلام. ثالثًا:

(1) Fatima, Daughter of Muhammad, Christopher Paul Clohessy, 2nd ed., Gorgias Press, 2013.

(٢) يقصد الحديث الذي فيه انعقاد نطفة الزَّهراء عليها السلام: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُكثر تقبيل فاطمة عليها السلام، فأنكرت ذلك عائشة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا عائشة، إنِّي لمَّا أُسريَ بي إلى السماء، دخلت الجنَّة، فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى، وناولني من ثمارها فأكلته، فحوَّل الله ذلك ماءً في ظهري، فلمَّا هبطت إلى الأرض، واقعت خديجة، فحملت بفاطمة عليها السلام، فما قبَّلتها قطُّ إلَّا وجدت رائحة شجرة طوبى منها**». راجع: الاحتجاج، أبي منصور أحمد بن عليّ ابن أبي طالب الطبرسيّ، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦، ج٢، ص١٩١، عيون أخبار الرِّضا، أبي جعفر الصدوق محمَّد بن عليّ بن الحسين بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١)، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٩٨٤، ج٢، ص١٠٧.

(٣) إنَّ الزَّهراء عليها السلام لـمَّا حملت بالحسين عليه السلام قال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: «**فإنِّي أرى في مقدَّم وجهك ضوءًا ونورًا، وذلك أنَّك ستلدين حجَّةً لهذا الخلق. فلمَّا تم شهر من حملي، وجدت فيَّ سخنة، فقلت لأبي ذلك، فدعا بكوز من ماء، فتكلَّم عليه وتفل عليه، وقال: اشربي، فشربت، فطرد الله عنِّي ما كنت أجد، وصرت في الأربعين من الأيام، فوجدت دبيبًا في ظهري كدبيب النمل في بين الجلدة والثوب، فلم أزل على ذلك حتَّى تمَّ الشهر الثاني، فوجدت الاضطراب والحركة، فوالله=**

فاطمة بصفتها (سيِّدة الحزن)، بمفهوم الشيعة-كما يقول- وحزنها المرتبط باستشهاد ولدها الحسين عليه السلام[1]. وأخيرًا: ما تميَّزت به فاطمة عليها السلام بالشفاعة، نتيجة لمكانتها العالية ومكافأتها على معاناتها، ممَّا يمنحها قوى مذهلة في يوم القيامة[2]. وقد اعتمد (كلوهيسي) في دراسة حياة الزَّهراء على كتابات المعاصرين، ومنهم علي شريعتي[3].

=**لقد تحرَّك وأنا بعيد عن المطعم والمشرب، فعصمني الله كأنِّي شربت لبنًا حتَّى تمَّت الثلاثة أشهر، وأنا أجد الزيادة والخير في منزلي، فلمَّا صرت في الأربعة آنس الله به وحشتي، ولزمت المسجد لا أبرح منه إلَّا لحاجة تظهر لي، فكنت في الزيادة والخفَّة في الظاهر والباطن حتَّى تمَّت الخمسة، فلمَّا صارت الستَّة، كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح، وجعلت أسمع إذا خلوت بنفسي في مصلاي التسبيح والتقديس في باطني**»، راجع: بحار الأنوار، المجلسيّ (ت ١١١١)، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ج٤٣، ص٢٧٣.

(١) لعلَّه يشير الحديث وغيره مثله: «عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة، نُصِب لفاطمة عليها السلام قبَّة من نور، وأقبل الحسين صلوات الله عليه، رأسه في يده، فإذا رأته شهقت شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرَّب ولا نبيّ مرسل ولا عبد مؤمن إلَّا بكى لها، فيمثِّل الله عزَّ وجلَّ رجلًا لها في أحسن صورة، وهو يخاصم قتلته (بلا رأس)، فيجمع الله قتلته والمجهزين عليه، ومن شرك في قتله، فيقتلهم حتَّى أتى على آخرهم، ثمَّ ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين، ثمَّ ينشرون فيقتلهم الحسن عليه السلام، ثمَّ ينشرون فيقتلهم الحسين عليه السلام، ثمَّ ينشرون، فلا يبقى من ذريَّتنا أحد إلَّا قتلهم قتلة، فعند ذلك يكشف الله الغيظ، ويُنسي الحزن**. ثمَّ قال أبو عبد الله عليه السلام: **رحمَ الله شيعتنا، شيعتنا والله هم المؤمنون، فقد والله شركونا في المصيبة بطول الحزن والحسر** . أنظر: بحار الأنوار، المجلسيّ، مصدر سابق، ج٤٣، ص٢٢٢.

(٢) في حديث طويل: «عن الصادق عليه السلام قال: **قال جابر لأبي جعفر عليه السلام: جُعلت فداك يا بن رسول الله حدِّثني بحديث في فضل جدَّتك فاطمة إذا أنا حدَّثت به الشيعة فرحوا بذلك.. فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنَّة يُلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبَّائي ما التفاتكم، وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟**». أنظر: بحار الأنوار، المجلسيّ، مصدر سابق، ج ٨، ص٥٢، وفي حديث آخر: «قال الرسول صلى الله عليه وآله: **يا فاطمة! أبشري فلكِ عند الله مقامٌ محمودٌ تشفعين فيه لمحبِّيك وشيعتك فتشفعين، يا فاطمة! لو أنَّ كلَّ نبيٍّ بعثه الله وكلَّ ملك قرَّبه شفعوا في كلِّ مبغضٍ لكِ، غاصب لكِ، ما أخرجه الله من النار أبدًا**». أنظر: بحار الأنوار، المجلسيّ، مصدر سابق، ج٢٩، ص٣٤٦.

(٣) عليّ محمَّد تقي شريعتي مزيناني (١٩٣٣-١٩٧٧): مفكِّر إيرانيّ إسلاميّ شيعيّ مشهور،=

أخذت دراسة حياة وسيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام المساحات الواسعة في كتابات المستشرقين مثل: (هنري لامنس H. Lammens)، (لورا فيتشا فاجليري Laura Veccia Vaglieri)، (بيفان Bevan)، (كلوهيسي Clohessy)، (ماسينيون Massignon). «إنَّما الغرابة الحقَّة تأتينا في كتابات كثيرٍ من جماعات (الاستشراق) الذين تناولوا بأقلامهم ذلك العهد المبكِّر من عهود الدولة الإسلاميَّة، فراحوا- عن تعصُّب وتحزُّب- يلغون في سيرة الزَّهراء ولوغ الكلاب، متكلِّفين ذرائع موهومة ودُّوا أن تنال من قدرها الرفيع، وتشوِّه صورتها النفسيَّة والبدنيَّة أمام العقول والعيان. فإن لم يكن سوء النيَّة هو دافعهم إلى هذا التكلُّف، فأيُّ شيءٍ غيره يكون؟ فانظرهم كيف يعتسَّفون الأسباب! إنَّ الزَّهراء- في رأيهم- إنَّما عَزَف عنها الخُطَّاب[1] سنين عددًا؛

=ويعتبر ملهم الثورة الإسلاميَّة. ولِد قرب مدينة سبزوار في خراسان، وتخرَّج من كليَّة الآداب، ليُرشَّح لبعثة لفرنسا عام ١٩٥٩ لدراسة علم الأديان، وعلم الاجتماع؛ ليحصل على شهادَتَي دكتوراه في تاريخ الإسلام وعلم الاجتماع. راجع:

https://ar.wikipedia.org/wiki/

(١) وهذا على النقيض ممَّا يقول، فقد جاء في كتب التاريخ أنَّ عددًا من الرجال تقدَّم لخطبة الزَّهراء عليها السلام، كما في (باب مِنهُ فِي فَضْلِها وتَزْوِيجِها بِعَلِيٍّ عليه السلام)، ١٥٢٠٦- عَنْ حُجْرِ بْنِ عَنْبَسٍ، وكانَ قَدْ أدْرَكَ الجاهِلِيَّةَ، قالَ: خَطَبَ عَلِيٌّ (رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ) إلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فاطِمَةَ، فَقالَ: «**هِيَ لَكَ يا عَلِيُّ لَسْتُ بِدَجَّالٍ**». رَواهُ البَزَّارُ، وقالَ: مَعْنى قَوْلِهِ صلى الله عليه وآله: «**لَسْتُ بِدَجَّالٍ**»، يَدُلُّ عَلى أنَّهُ قَدْ كانَ وعَدَهُ، فَقالَ: إنِّي لا أُخْلِفُ الوَعْدَ. ١٥٢٠٧- وعَنْ حُجْرِ بْنِ عَنْبَسٍ أيْضًا، وكانَ قَدْ أكَلَ الدَّمَ فِي الجاهِلِيَّةِ، وشَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ عليه السلام الجَمَلَ وصِفِّينَ، فَقالَ: خَطَبَ أبُو بَكْرٍ وعُمَرُ فاطِمَةَ عليها السلام، فَقالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «**هِيَ لَكَ يا عَلِيُّ**». ١٥٢٠٨- وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ رَسُولِ الله عليه السلام قالَ: «**إنَّ الله أمَرَنِي أنْ أُزَوِّجَ فاطِمَةَ مِن عَلِيٍّ**». رَواهُ الطَّبَرانِيُّ، ١٥٢٠٩. أنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسيّ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، ١٩٩٤، ج٩، ص٢٠٤، الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع الهاشميّ بالولاء، البصريّ، البغداديّ المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٠، ج٨، ص١. وخطبها عبد الرحمن بن عوف فلم يُجِبه، أنظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨)، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف،=

لأنّها كانت تفتقر إلى ما يجعل الرجل العربيّ- أيّ رجلٍ- يُقبِل على اختيارها شريكة حياة!! فهي ضامرة هزيلة، والأزواج حينذاك يفضِّلون المرأة ممتلئة الجسم، ريَّانة القوام[1]. وهي موسومة بالحزن، مكتئبة المزاج[2]، وما من بيتٍ يرفرف عليه التشاؤم

=١٩٥٦، ج ٣، ص ١٢٣

(١) كانت السُّمنة في الجاهليَّة تعدُّ القيمة الجماليَّة للمرأة، في بدانتها، ولذلك يصفها الشاعر بأنَّها تمشي ببطء لثقل وزنها:

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مر السحابة، لا ريث، ولا عجل

وقال آخر:

هركولة فنق درم مرافقها ... كأن أخمصها بالشوك منتعل

الهركولة: الضخمة الوركين الحسنة الخلق، وقيل: الحسنة المشي، والفنق: الفتية من النساء والإبل الحسنة الخلق، وواحد الدرم أدرم، والمؤنثة درماء، أي ليس لمرفقيها حجم، وجمع فقال (مرافق)، والأخمص: باطن القدم، وقوله (كأن أخمصها بالشوك منتعل) معناه إنَّها متقاربة الخطو، وقيل: لأنَّها ضخمة فكأنَّها تطأ على شوك؛ لثقل المشي عليها. أنظر: شرح القصائِد العشر، أبو زكريَّا يحيى بن عليّ بن محمَّد الشيبانيّ التبريزيّ (المتوفَّى ٥٠٢هـ)، المنيريَّة، ١٣٥٢هـ، ج١، ص٢٩١

(٢) غريب هذا الطرح الذي يفتقد لأبسط أساليب النقد العلميّ، وإن كنا لا نحتاج إلى تثبيت ما هو معروف عن شبه فاطمة الزَّهراء عليها السلام من الرسول، حتَّى أنَّ مشيتها كمشية رسول الله، فكانت الزَّهراء عليها السلام تشبه أباها صلى الله عليه وآله خلقًا وأخلاقًا ومنطقًا، وقد وصفها الصحابة المعاصرون لها بأنَّها كانت كأبيها صلى الله عليه وآله في مشيته وجلسته وسمته وهديه ما تخطي منه شيئًا. وجاء عن أنس بن مالك، قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي، وأضاف: وفاطمة ابنته عليها السلام. أنظر: المواهب اللدنيَّة بالمنح المحمَّدية، الشيخ أحمد بن محمَّد القسطلانيّ (ت ٩٢٣)، المكتبة التوفيقيَّة، القاهرة، ج٢، ص٦٨٨. لكنَّه يصبح من الضروري دحض هذا الافتراء، إذ يُستفاد من جملة الأحاديث والأخبار أنَّ فاطمة عليها السلام عُرِفت بالزَّهراء لجمال هيئتها والنور الساطع في غرَّتها، فهي مزهرة كالشمس الضاحية، ومشرقة كالقمر المنير. وسُئل الإمام الصادق عليه السلام عن فاطمة عليها السلام: لِمَ سمِّيت الزَّهراء؟ فقال عليه السلام: «**لأنَّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء، كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض**». أنظر: معاني الأخبار، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (الشيخ الصدوق)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ج١، ص٦٤، «**كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين عليه السلام من أول النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر=**

كبيتٍ قعيدته لا يعرف وجهها الابتسام[1]، وهي ليست على ذكاءٍ ملحوظ، وبُعد نظرٍ، وسعة حيلة[2]!! ثمَّ هي فوق هذا لم تكن ذات نصيبٍ من الوسامة يمكن أن توصَف

=المنير، **وعند غروب الشمس كالكوكب الدرِّي**». أنظر: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١١٠، ونكتفي هنا بنقل نشيد حفصة وسماع كلامها في ليلة زواجها نساء النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وأغلب نساء المهاجرين والأنصار، وكنَّ ينشدن أناشيد السرور، وقد سجل التاريخ نشيد أربعة منهنَّ: أمُّ سلمة، معاذة (اشمّ سعد بن معاذ)، وعائشة (بنت أبي بكر)، وحفصة (بنت عمر):

فـاطـمـة خـيـر نـسـاء الـبـشر ومـن لهـا وجـه كـوجـه الـقـمـر

أنظر: بحار الأنوار، المجلسيّ، مصدر سابق، ج٤٣، ص١١٦.

(١) وهذه أيضًا مغالطة عجيبة، إذ لم يعهد أنهَّا عليها السلام كانت بهذا المزاج في شبابها، قبل رحيل أبيها، من الحزن والكدر، كما وصفها المستشرقون، إلَّا بعد أن فارقت حبيبها رسول الله صلى الله عليه وآله، بل على العكس من ذلك، فقد وصفها الشاعر:

شعَّت فلا الشمس تحكيها ولا القمر زهـراء من نورها الأكوان تـزدهـر

أنظر: قصيدة للسيِّد محمَّد جمال الهاشميّ في ديوانه (مع النبيِّ وآله عليهم السلام)، ص٣٤، والصحيح أنَّها حزنت كثيرًا بعد فَقدِ أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله، فعن الباقر عليه السلام أنَّه قال: «روي عن الباقر عليه السلام قال: **ما رؤيت فاطمة عليها السلام ضاحكة مستبشرة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى قُبِضت**». أنظر: كشف الغمَّة في معرفة الأئمة، أبي الحسن عليّ بن عيسى أبي الفتح الأربلِّيّ (ت ٦٢٩)، الرضيّ، ج١، ص٤٧٠.

(٢) ما تتمتَّع به الزَّهراء عليها السلام من حصافة الرأي وتمام الوعي وتكامل الشخصيَّة. وأمَّا كمال العقل، فكان فيها عليها السلام ممَّا وصفها الرسول صلى الله عليه وآله من بين أربع نساء، قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «**كَمَلَ مِنَ الرِّجالِ كَثِيرٌ، ولَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّساءِ إلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرانَ، وآسِيَةُ امْرَأةُ فِرْعَوْنَ**». أنظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم وسننه وأيَّامه (صحيح البخاري)، محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاريّ الجعفيّ (ت ٢٥٦)، تحقيق: محمَّد زهير ابن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢، ج٥، ص٢٩، حديث ٣٧٦٩. واعتبار شهادتهنَّ كشهادة الرجال، باعتبارهنَّ من أهل الجنَّة، وهذه الفضيلة الخاصَّة، والامتياز على الآخرين، يجعلهنَّ بهذا المقام السامي، وبهذا المعنى يتجسَّد معنى شهادة المرأة الربَّانيَّة باعتراض أبي بكر بشهادة امرأتَين دون رجل، فحينما أرسل أبو بكر إلى فاطمة عليها السلام فأعلمها بذلك، فحلفت بالله الذي لا إله إلَّا هو أنَّهم ما شهدوا إلَّا بالحق. فقال أبو بكر فلعلَّ أن تكوني صادقة، ولكن أحضري شاهدًا لا يجر إلى نفسه. فقالت فاطمة: ألم تسمعا من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**أسماء بنت عميس وأمُّ أيمن من أهل الجنَّة؟** فقالا: بلى، فقالت: **امرأتان من الجنَّة تشهدان بباطل**». أنظر: الطرائف،=

معه بالجمال[1]!! فإذا اجتمع كلُّ ذلك إلى المعيشة الضنك التي كانت تحياها، فما الذي يبقى منها ليجذب إليها الخُطَّاب؟[2]. «قد يكون حديث الذكريات أحيانًا أوجع للقلب من حديث الحدثان، فإن لم تكن فاطمة عليها السلام بعد هذا كلُّه حزينةً، فمتى إذًا تكون؟ بل الطبيعيّ أن ينتهبها ألم الحزن، فتوشك ألَّا تُرى إلَّا وهي أليفة همٍّ، خدينة [رفيقة] أسًى،

=السيِّد ابن طاووس (ت ٦٦٤)، ترجمة داود إلهامي، قم، ج١، ص٢٤٨. بمعنى شهادتها كشهادة رجلين، ويشهد له أيضًا شهادة مريم لوحدها دون الرجال ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [سورة مريم: آية ٢٦]. ومن تجلّيات ذلك موقفها الذي حدَّدته من أبي بكر والصحابة. ولا يفوتنا أن نشير إلى ما يدلُّ على نحو استقلال مكانتها، ورجاحة عقلها، وقوَّة بصيرتها بشكلٍ أو بآخر، وذلك بخطبتها المشهورة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، لـمَّا أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكًا وبلغها ذلك، فجمعت سلام الله عليها في خطبتها بين تحليل القضيَّة وتحميل المسؤوليَّة، وتجد الخطبة كاملة في: الاحتجاج، أبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦، ج١، ص١٣٠.

(١) لقد تمادى المستشرقون بتوهين رموز أهل البيت بأيَّة وسيلة، وما وصفهم البذيء هذا إلَّا دليل على مجانبتهم الحقيقة عن عمد، وتغافلهم عن ذِكر الأخبار المرويَّة في مجال معيَّن، بل يعتمدون الباطل منها، أو يبترون ما لا يريدون ذِكره، ولكي نؤكِّد بطلان ادِّعائهم بهذا الشأن، فقد جاء عن أُمِّ سلمة، قالت: «كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أشبه الناس وجهًا وشبهًا برسول الله صلى الله عليه وآله». أنظر: كشف الغمة، ج١، ص٤٤٦، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد تجلَّت فيه الوسامة كما جاء عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام في وصف النَّبيِّ صلى الله عليه وآله، وأنَّه لم يرَ مثله لا قبله ولا بعده، فقال: «**كانَ عظيمَ الهامةِ، أبيضَ، مُشربًا بِحُمرةٍ، عَظيمَ اللِّحيةِ، ضَخمَ الكَراديسِ، شَثنَ الكفَّينِ والقدَمينِ، طويلَ المسرَبةِ، كثيرَ شعرِ الرَّأسِ راجِلَهُ، يتَكَفَّأُ في مِشيتِهِ كأنَّما ينحدرُ في صببٍ، لا طويلٌ، ولا قَصيرٌ، لم أرَ مِثلَهُ لا قبلَهُ ولا بعدَهُ**». أنظر: سنن الترمذيّ، محمَّد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩)، حديث ٣٦٣٨.

(٢) كلام سقيم إذ ما كان التنافس على طلب الزَّهراء عليها السلام على أساس غناها المادِّيّ بقدر ما نالته من شرف البيت النبويّ، وأنَّها بنت محمَّد صلى الله عليه وآله، «روى ابن بطَّة في الإبانة: أنَّه خطبها عبد الرحمن فلم يجبه». أنظر: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٤٥، وقد قال الشاعر:

كم خاطب قد رُدَّ فيها ولم يُجَب ... وكم طالبٍ صهرًا وما كان بالأهلِ
ولولا عليٌّ ما استُجيبَ لخاطبٍ ... ولا كانت الزَّهرا تُزفُّ إلى بعلِ

أنظر: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٢٣.

كاسفة البال [سيئة الحال]. وما هي إذًا بسويَّة النفس لو افتقدت القدرة على الإحساس بما تعانيه. وينكر ذلك النفر من رجال الاستشراق على الزَّهراء حصافة الرأي وألمعيَّة الذكاء، حتَّى لرأوها عاجزةً عن مقاومة دهاء عائشة، وحسن تبصُّرها بالأُمور، وإن كانت زوجة الرسول الأثيرة تصغرها حينذاك بخمس سنوات، فبأيِّ ميزانٍ عادلٍ وزنوا الاثنين، فشالت كفَّة فاطمة، ورجحت كفَّة أُم المؤمنين؟ إنَّهم يدَّعون أنَّ الرسول قال: «زينب أفضل بناتي»، ويستخلصون من هذا القول تأخُّرها في مجالات الذهن المتوقِّد والنظر اللمَّاح. فكأنِّي بهم قد أغفلوا أنَّ عائشة وصفتها: «ما رأيت أفضل من فاطمة إلَّا أباها»[1]، والفضل هو الفضيلة»[2].

«ويستند أُولئك الذين كادوا يجرِّدونها ممَّا يزيِّن الفتاة، إلى ندرة ما ورد عنها بكتب السيرة القديمة»[3]. وعَدَّ المستشرق (لامنس H. Lammens) تلك الشحَّة[4] في ذِكر الزَّهراء عليها السلام سُبَّة[5]، والسُّبَّة في الحقيقة على الإعلام الأمويّ والعبَّاسيّ الذي حجب سيرة الزَّهراء من أن تصل مكتوبة، وخير شاهد هي سيرة ابن هشام أن كتب حديثَين للزَّهراء، وهما حديث: «خُرُوجُ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى الْمَدِينَة للصُّلْح، وَإِخْفَاقُهُ»[6]، وحديث:

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، ج٣، ص٣٤٩ برقم (٢٧٤٢) عن عمرو بن دينار عن عائشة، ونحوه روى الحاكم، ج٤، ص٢٧٢ عن عائشة بنت طلحة عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله.

(٢) في نور محمَّد فاطمة الزَّهراء، عبد الفتاح عبد المقصود (ت ١٤١٣)، تحقيق: محمَّد شوقي، مركز التحقيقات والدراسات العلميَّة، طهران، ١٤٣٠، ص٣٣٦.

(٣) في نور محمَّد، ص٣٣١.

(4) Clohessy, P. 225.

(٥) ينتقده كلوهيسي فيقول: «يتغافل المستشرق الكاثوليكيّ (لامنس)، وهو القسُّ، أنَّ مريم العذراء قليلًا ما ذُكِرت في الأناجيل والنصوص الرسوليَّة وما بعدها، ولم يأتِ ذِكرها إلَّا بعد قرون». أنظر:

Fatima, Clohessy, P. 234.

(٦) سيرة ابن هشام، ج٢، ص٣٩٦، البداية والنهاية، ج٤، ص٣٢٠، تاريخ الإسلام، الذهبيّ، دار الكتاب العربيّ، ١٩٨٧، ج٢، ص٥٢٤، تاريخ الطبريّ، محمَّد بن جرير الطبريّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ج٢، ص٣٢٦.

«تَكْنِيَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله لِعَلِيٍّ بِأَبِي تُرَابٍ»[1]، لكنَّه (لامنس) لا يأخذ بالحديث الذي رَوَاهُ البُخَارِيّ فِي جَامعه، وَهُوَ «**فَجاءَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، وهو مُضْطَجِعٌ، قدْ سَقَطَ رِداؤُهُ عن شِقِّهِ، وأَصابَهُ تُرابٌ، فَجَعَلَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَمْسَحُهُ عنْه، ويقولُ: قُمْ أبا تُرابٍ، قُمْ أبا تُرابٍ**»[2]. ويعلِّل الصدوق سبب تكنيته بأبي تراب بالرجوع للحديث: «**لِمَ كَنَّى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلِيًّا عليه السلام أَبَا تُرَابٍ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ صَاحِبُ الْأَرْضِ وَحُجَّةُ اللهِ عَلَى أَهْلِهَا بَعْدَهُ، وَبِهِ بَقَاؤُهَا وَإِلَيْهِ سُكُونُهَا، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَرَأَى الْكَافِرُ مَا أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِشِيعَةِ عَلِيٍّ مِنَ الثَّوَابِ وَالزُّلْفَى وَالْكَرَامَةِ قَالَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا، يَعْنِي مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عز وجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾**»[3]. وفي تعليل آخر ما ورد في الحديث عن ابن عمر: «قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي نَخِيلِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَطْلُبُ عَلِيًّا عليه السلام، إِذ انْتَهَى إِلَى حَائِطٍ فَاطَّلَعَ فِيهِ فَنَظَرَ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام، وَهُوَ يَعْمَلُ فِي الْأَرْضِ وَقَدِ اغْبَرَّ، فَقَالَ: **مَا أَلُومُ النَّاسَ إِنْ يَكْنُّوكَ أَبَا تُرَابٍ**، فَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلِيًّا تَمَعَّرَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ»[4].

صحيح أنَّ ما كُتب أو روي في كتب السير والسنن عن الزَّهراء عليها السلام كان قليلًا، بل نادرًا، وبالخصوص في سيرة ابن هشام، مقارنةً بغيرها، وهذا أمر في غاية الحيرة، إذ إنَّ ابن هشام (ت ٢١٣) كان يكتب في القرن الثالث الهجريّ، ولم يكن بأيِّ حالٍ من الأحوال لوحده فقط، بل كان يعاصره، أو في القرن نفسه، كلٌّ من ابن سعد (ت ٢٣٠)، وابن حنبل (ت ٢١٤)، والدارميّ (ت ٢٥٥)، والبخاريّ (ت ٢٥٦)، ومسلم (ت ٢٦١)، وابن ماجه (ت ٢٧٣)، وأبو داوود (ت ٢٧٥)، والترمذيّ (ت ٢٧٩)، والبلاذريّ (ت ٢٧٩)، وبحلول القرن التالي، كانت كتابات النسائيّ

(١) سيرة ابن هشام، ج١، ص ٦٠٠.
(٢) الجامع الصحيح للبخاريّ، ص٤٤١.
(٣) علل الشرائع، الصدوق، منشورات المكتبة الحيدريَّة ومطبعتها في النجف، ج١، ص١٥٦.
(٤) علل الشرائع، ج١، ص ١٥٧.

(ت ٣٠٣) تكمِّل المجموعات التاريخيَّة الرئيسة الموالية للسلطة، بينما كان الطبريّ (ت ٣١٠) يؤرِّخ تاريخهم بترتيبٍ زمانيّ، وكلُّهم ذكروا ونقلوا عنها عليها السلام، وأنتجوا أُولى الأعمال الكبرى والجوهريَّة من المجموعة الروائيَّة وكتب التاريخ، وكانت بمثابة حجر الأساس في كتابة التاريخ والسيرة والحديث، واتُّخذت نهجًا لإرضاء السلطة آنذاك.

ونجد في معظم هذه الأعمال إشارات مهمَّة لفاطمة عليها السلام، إلَّا أنَّ ابن هشام، الذي سبقهم تاريخيًّا، لم يقل عنها عليها السلام شيئًا يُذكَر، سوى حديث أو اثنين لا أكثر، كما ذكرنا سابقًا. وفي القرن الرابع الهجريّ، ظهرت العديد من الأعمال الشيعيَّة الكبرى، من قبل شخصيَّات مثل ابن جرير الطبريّ (الشيعيّ) (ت ٣٢٦)، والمؤرِّخ اليعقوبيّ (ت ٢٩٢)، والكلينيّ (ت ٣٢٩)، والمسعوديّ (ت ٣٤٦)، والنعمانيّ (ت ٣٦٠)، والقمِّيّ (ت القرن الرابع)، والصدوق (ت ٣٨١).

أمُّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

جدير بأن نطَّلع على ما يكتبه المستشرقون ابتداءً عن أمِّها عليها السلام، فقد جاء في مجلَّة جمعية البحوث الشرقيَّة ما كتبه أحد المستشرقين، بمغالطة، تحليلًا منه، معتقدًا أنَّ تسمية الرسول لخديجة وفاطمة- ولا أدري ما علاقة الرسول صلى الله عليه وآله بتسمية زوجته باسم خديجة!!- وفسَّرهما بمعنَيَن تافهَين، وذلك حسب تحليل هذا المستشرق بقوله: لأجل مواجهة النبيّ معارضة مشركي مكَّة: كتب المستشرق (البارون كارا دي فو Baron Carra de Vaux): «الاسمان: خديجة وفاطمة يعتبران مُهينان إلى حدٍّ ما... فخديجة تعني: إجهاض الإبل، وفاطمة: تعني الناقة المفطومة حديثًا، وإنَّ هذين الاسمَين أُعطِيا بسبب المعارضة التي واجهها محمَّد»[1].

(1) Journal of the Society of Oriental Research, Volume 9, Page 21, Chicago, 1925

كلام (كارا دي فو) بالحقيقة موجَّه لغير العرب، أو حتَّى لو كان للعرب الذين تنطلي عليهم مثل هذه الترَّهات، ومعلوم أنَّ (خُداج) تعني غير كاملة[1]، ولعلِّي أذكر أحد الشواهد في استخدام النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله هذا اللفظ في الحديث: «**مَن صلَّى صلاةً لم يقرأ فيها بأمِّ القرآن، فهي خُداج، فهي خُداج، فهي خُداج غير تمام**»[2]، ويمكن إطلاق اللفظ على كلِّ شيء غير مكتمل، فلا يُقصَد منه التوبيخ والتسفيه إطلاقًا؛ ويُقال: «كانت خديجة تُدعى في الجاهليَّة الطاهرة، وأمُّها هي فاطمة بنت زائدة العامريَّة»[3]. أمَّا اسم فاطمة، فهو من الأسماء الشائعة[4]. وطبيعي جدًّا أنَّ الولادة والرضاعة يشترك بهما الإنسان مع باقي الحيوانات اللبونة، ولا يعني أنَّ الاسمين مختصَّان بالإبل فقط، وأنَّ ما ذكره المستشرق (كارا دي فو) في تعريف اللَّفظَين: خديجة وفاطمة، وملصقًا إيَّاهما

(١) اسم علم مؤنث عربيّ، وهي المولودة قبل أوان وضعها وتحيا.. وخَدَجتِ الدابَّةُ: ألقت ولدها ناقص الخلق، أو قبل تمام أيَّام الحمل؛ فهي خادج ومُخْدج، وولدها: خَديج، خديجة، خَدوج.

(٢) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزديّ السِّجِسْتانيّ (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، بيروت، ج١، ص٢١٦، حديث ٨٢١، وبزيادة ٢١٧.

(٣) إمتاع الأسماع بما للنبيِّ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن عليّ بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسينيّ العبيديّ، تقي الدين المقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الحميد النميسيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٩، ج٦، ص٢٥.

(٤) اسم علم مؤنَّث عربيّ، معناه: التي فُطم عنها ولدها. والفطام: فصلُ الولد عن الرضاع، من الفعل فطمَ الولدَ: فصله عن الرضاع، فطمَ الحبلَ: قطعه. واسم فاطمة كثير التداول حبًّا بالسيِّدة فاطمة بنت محمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله، فيسمُّونها: فاطمة الزَّهراء، وسبب التسمية هو أنَّ الله تعالى فطمها وفطم ذريَّتها ومحبِّيها عن النار بحسب ما جاء في الحديث الشريف، فجعلها سبحانه سيِّدة نساء أهل الجنَّة، وجعل من ذريَّتها الحسن والحسين عليهما السلام سيِّدَي شباب أهل الجنَّة، وجعل محبَّتها مُنجية من النار؛ لأنَّها محبَّة لقيم العفاف ومبادئ الشرف، والتعلُّق بمكارم الأخلاق التي تتحلَّى بها سيِّدة النساء عليها السلام. روى جابر بن عبد الله وابن عبَّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**إنَّما سمِّيت ابنتي فاطمة؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ فطمها وفطم محبِّيها عن النار**»، أنظر: الطرائف، بن طاووس، ج١، ص٣٧٧.

فقط بالإبل فقط؛ لأجل الانتقاص والاستهانة بشخص الرسول صلى الله عليه وآله، ولنا أن نتصَّور أي سفاهة بلغها المستشرقون في تحليل النصِّ التاريخيّ.

ثمَّ إنَّ المستشرقين الذين كتبوا في دائرة المعارف الإسلاميَّة كانوا محترفي الكذب والتزوير والغلط، فيأخذون من الروايات الباطلة والساقطة عنوانًا مهمًّا، ويخوضون كثيرًا في تحليلها البعيد عن المنهج العلميّ، وإسباغها بالتزويق اللفظيّ؛ لجعلها ذات أهميَّة وكأنَّها المحور، ومنها مثلًا قصَّة زواج خديجة عليها السلام بمحمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، فتقول دائرة المعارف أنَّ خديجة عليها السلام: «أُولى زوجات النبيّ[صلى الله عليه وآله]، وهي ابنة خويلد بن عبد العزَّى القرشيّ، وقد أجمع الثقات على أنَّها كانت- في الوقت الذي عرفت فيه محمَّدًا[صلى الله عليه وآله]، وعمل في تجارتها- أرملة تاجر ميسور الحال، تقوم بنفسها على شؤون تجارتها، وقد تزوَّجت قبل النبيّ[صلى الله عليه وآله] مرَّتين، وأعقبت فيهما ذريَّة؛ فأمَّا زوجها الأوَّل فهو رجل من مخزوم، وأمَّا الآخر فهو أبو هالة التميميّ[1] الذي اختلف الرواة في اسمه الحقيقيّ، وذكره بعضهم بين صحابة النبيّ[صلى الله عليه وآله]، إذا صحَّت هاتان الروايتان، فإنَّ خديجة تكون امرأة مطلَّقة[2]، وقد كشفت خديجة عليها السلام في وكيل تجارتها الشاب ما يتَّصف

(١) اختلف الرواة في اسم أبي هالة، هل هو النبَّاش بن زرارة، أو عكسه، أو هند، أو مالك، وهل هو صحابيّ أو لا، وهل تزوَّجته قبل عتيق، أو تزوَّجت عتيقًا قبله. أنظر: السيرة النبويَّة المسمَّاة: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمَّد بن عبد الله بن يحيى ابن سيِّد الناس (ت ٧٣٤)، مؤسَّسة عزِّ الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٦، ج١، ص٧٣. ولقد روي أنَّه كانت لخديجة أخت اسمها هالة، تزوَّجها رجل مخزوميّ، فولدت له بنتًا اسمها هالة، ثمَّ خلف عليها - أي على هالة الأولى- رجل تميميّ يقال له: أبو هند، فأولدها ولدًا اسمه هند. انظر: جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُريّ (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكَّار ورياض الزركليّ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦، ج١، ص٤٠٦.

(٢) لم تكن خديجة حين تزوَّجها رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة مطلَّقة، وممَّا نطق به الكوفيّ جوابًا شافيًا لهذه التخرُّصات على أمِّ المؤمنين سلام الله عليها، يقول: «وأنَّ خديجة لم تتزوَّج بغير رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك أنَّ الإجماع من الخاصِّ والعامِّ من أهل الأنام ونَقَلةِ الأخبار على أنَّه لم يبقَ من أشراف قريش ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم إلَّا من خطب خديجة، ورام تزويجها، فامتنعت على=

به من محامد، فعرضت عليه الزواج، كما تذهب إلى ذلك الرواية السائدة، ولم يكن أبوها على قيد الحياة، في حين تقول روايات أخرى إنَّه كان حيًّا، وقد عارض في ذلك الزواج، ولم تستطع حمله على قبوله إلَّا بعد أن أسكرته[1]، وهذا من الدوافع المقبولة في الروايات الخياليَّة[2]. وتذهب أكثر المصادر إلى أنَّ محمَّدًا[صلى الله عليه وآله] كان وقتذاك في الخامسة والعشرين، أمَّا خديجة فكانت في الأربعين. على أنَّ ما نعرفه- والكلام لازال لدائرة المعارف- من

=جميعهم من ذلك، فلمَّا تزوَّجها رسول الله صلى الله عليه وآله، غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلنَ لها خطبك أشراف قريش وأمراؤهم فلم تتزوجي أحدًا منهم، وتزوَّجت محمَّدًا يتيم أبي طالب، فقيرًا لا مال له. فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة يتزوَّجها أعرابيّ من تميم، وتمتنع من سادات قريش وأشرافها على ما وصفناه، ألَا يعلم ذو التميُّز والنظر أنَّه من أبين المحال وأفظع المقال، ولما وجب هذا عند ذوي التحصيل ثبت أنَّ خديجة لم تتزوَّج غير رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ قلت لمن يجادلني منهم على هذه الحالة، وليس ما ذهب عنكم وجهلتموه من معرفة جدَّتكم أهي خديجة أم أختها هالة». راجع: الاستغاثة في بدع الثلاثة، أبو القاسم الكوفيّ عليّ بن أحمد ابن موسى ابن الإمام الجواد محمَّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام (ت ٣٠٢)، مؤسَّسة الأعلمي، طهران، ج١، ص١١٥. وهناك شهادة يذكرها ابن شهرآشوب أنَّ خديجة كانت عذراء: «روى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفيّ في كتابيهما، والمرتضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص: أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله تزوَّج بها، وكانت عذراء، يؤكِّد ذلك ما ذُكِر في كتابَي الأنوار والبدع أنَّ رقيَّة وزينب كانتا ابنَتَي هالة أخت خديجة». أنظر: مناقب آل أبي طالب، ج١، ص١٣٨.

(١) جاء في روايَتَين يذكرهما ابن سعد، اخترنا أحدهما لقصرها: «أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بِغَيْرِ هَذَا الإِسْنَادِ أَنَّ خَدِيجَةَ سَقَتْ أَبَاهَا الْخَمْرَ حَتَّى ثَمِلَ وَنَحَرَتْ بَقَرَةً. وَخَلَّقَتْهُ بِخَلُوقٍ، وَأَلْبَسَتْهُ حُلَّةً حِبَرَةً. فَلَمَّا صَحَا قَالَ: مَا هَذَا الْعَقِيرُ؟ وَمَا هَذَا الْعَبِيرُ؟ وَمَا هَذَا الْحِبِيرُ؟ قَالَتْ: زَوَّجْتَنِي مُحَمَّدًا. قَالَ: مَا فَعَلْتُ! أَنَا أَفْعَلُ هَذَا، وَقَدْ خَطَبَكِ أَكَابِرُ قُرَيْشٍ فَلِمَ أَفْعَلُ؟». أنظر: الطبقات الكبرى، ج١، ص١٠٦.

(٢) غريب ما يقوم به المستشرقون، فأسلوبهم المتهافت، واجتزاؤهم للنصِّ يُفقِد القيمة العلميَّة والصدقيَّة في النقل، فيصف القصَّة بالخياليَّة، ويبني رأيه عليها، ولم يلتفت للسطر التالي في الرواية التي ذكرها ابن سعد، والذي جاء فيه: «قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: فَهَذَا كُلُّهُ عِنْدَنَا غَلَطٌ وَوَهْلٌ. وَالثَّبْتُ عِنْدَنَا، الْمَحْفُوظُ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ أَبَاهَا خُوَيْلِدَ بْنَ أَسَدٍ مَاتَ قَبْلَ الْفِجَارِ، وَأَنَّ عَمَّهَا عَمْرَو بْنَ أَسَدٍ زَوَّجَهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله» أنظر: الطبقات الكبرى، ج١، ص١٠٦.

أنَّ نساء العرب يهرمن بسرعة[1]، وأنَّ خديجة قد أنجبت له خمسة أطفال على الأقل، يجعل هذا القول بعيد الاحتمال[2]، على الرغم ممَّا نُسِب إلى نساء قريش بعد ذلك من صفات في هذا الشأن، لا قبل بها لغيرهنَّ من نساء العرب»[3].

انعقاد نطفة الزَّهراء وولادتها

يثير المستشرق (كلوهيسي) عدم توافق تاريخيّ بين معراج النبيﷺ ومولد الزَّهراء، ويذهب المستشرق (بيفان Bevan) إلى «أنَّ الإسراء والمعراج رحلتان منفصلتان، ولا يمكن التأكُّد[4] من

(١) يريد بكلامه الهابط هذا أن يغمز خديجة، وهذا لون آخر من ألوان المغالطة والتهافت في الغمز والتشكيك، فإذا كان عنوان الهرم للمرأة هو سنُّ اليأس، فيفنِّده قول الصادقعليه السلام، الذي استثنى المرأة القرشيَّة، فيقول: «**إذا بلغت المرأة خمسين سنة لم ترَ حمرة إلَّا أن تكون امرأةً من قريش**». أنظر: روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، زين الدين بن عليّ العامليّ المعروف بالشهيد الثاني، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٢٢، ج١، ص١٧٦، وما ورد في بعض الأخبار من إطلاق الحكم بالستِّين والخمسين، قال الصادقعليه السلام: «**قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهعليه السلام الْمَرْأَةُ الَّتِي قَدْ يَئِسَتْ مِنَ الْمَحِيضِ حَدُّهَا خَمْسُونَ سَنَةً. وَرُوِيَ سِتُّونَ سَنَةً أَيْضًا**». أنظر: الفروع من الكافي، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ البغداديّ (ت ٣٢٩)، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ج٣، ص١٠٧.

(٢) «ولِد للنبيّﷺ من خديجة قبل مبعثهعليه السلام: القاسم، ورقيَّة، وزينب، وأمُّ كلثوم، والطيِّب، والطاهر، وفاطمة» راجع: الكافي، الكلينيّ، ج١، ص٤٣٩. ويوضِّح الطبرسي: عبد الله ابن محمَّد، وهو الطيِّب الطاهر»، والناس يغلطون فيقولون: وُلد له منها أربع بنين: القاسم، وعبد الله، والطيب، والطاهر، وإنَّما وُلد له منها ابنان وأربع بنات: زينب، ورقيَّة، وأمُّ كلثوم، وفاطمة»، راجع: إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسيّ (ت ٥٤٨)، آل البيت، قم، ١٤١٧، ج١، ص٢٧٥. فيكون مجموعهم ستَّة.

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، تحرير: م.ت. هوتسما، ت.و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان الأجزاء (أ) إلى(ع): إعداد وتحرير: مجموعة من المؤلِّفين، مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، ط١، ١٩٩٨، ج١٥، ص٤٥٧١.

(٤) المشهور هو أنَّ الإسراء والمعراج قد كان قبل الهجرة بمدَّة وجيزة؟ فبعضهم قال: ستَّة أشهر، وبعضهم قال: في السنة الثانية عشرة للبعثة، أو في الحادية عشرة أو في العاشرة. وقيل: بعد=

تاريخيهما»[1]، إلَّا أنَّ (كلوهيسي) لا يركِّز كثيرًا على هذه الإشكاليَّة بقدر ما يثير مسألة أكل الرسول صلى الله عليه وآله للسفرجلة، التي منها علقت خديجة بفاطمة عليها السلام، استنادًا للحديث الذي يذكره الشوكانيّ[2]. ويحلِّل المستشرق (كلوهيسي) هذا الخبر، وإن كان ضعيفًا،

=الهجرة». أنظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، الشيخ حسين بن الحسن الدياربكريّ (ت ٩٦٦)، دار صادر، بيروت، ج١، ص٢٧٧، بينما يقول المجلسيّ: إنَّه كان في السنة الثانية من البعثة. أنظر: بحار الأنوار، المجلسيّ، ج١٨، ص٣١٩، وقيل: في السنة الثالثة، وقيل في السنة الخامسة، وقيل: في أوَّل البعثة. أنظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج٣، ص١٣٥، «وقيل: كان المعراج قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بسنة، وقيل: كان بعد النبوَّة بخمسة أعوام، وقيل: بعام ونصف عام، وقيل: بعد مبعثه بخمسة عشر شهرًا، وقيل: قبل الهجرة بسنة، وقيل: بعد سنة ونصف من رجوعه من الطائف، قبل الهجرة بسنة، من شِعب أبي طالب إلى بيت المقدس، وقيل: قبل الهجرة بستَّة أشهر، وقيل: فلمَّا أتت عليه إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر، أُسرِيَ به من زمزم إلى القدس، وقيل: قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا. أنظر: الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ مَن بعده من الخلفا، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجريّ المصريّ الحكريّ الحنفيّ، أبو عبد الله، علاء الدين (ت ٧٦٢هـ)، تحقيق: محمَّد نظام الدين الفُتَيِّح، دار القلم، دمشق، ج١، ص١٣٥، وقيل: كان بعد البعثة بستَّة عشر شهرًا، أنظر: شرح الشفا، عليّ بن (سلطان) محمَّد، أبو الحسن نور الدين الملَّا الهرويّ القاريّ (ت ١٠١٤هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ج١، ص٣٩٣.

(1) Bevan, A.A. "Mohammad's Ascension to Heaven". In Studien zur semitischen Philologie und Religionsgeschichte, Julius Wellhausen zum siebzigten Geburtstag am 17. Mai 1914 gewidmet, edited by K. Marti, 51-61. Giessen: Beihefte zur Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft 27, 1914. P. 51-61

(٢) قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: **أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ بِسَفَرْجَلَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَكَلْتُهَا لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَعَلِقَتْ خَدِيجَةُ بِفَاطِمَةَ، فَكُنْتُ إِذَا اشْتَقْتُ إِلَى رَائِحَةِ الْجَنَّةِ شَمِمْتُ رَقَبَةَ فَاطِمَةَ**. المستدرك على الصحيحين، النيسابوريّ (ت ٤٠٥)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٠، ج٣، ص١٦٩، وقريب منه بلفظ تفَّاحة، معاني الأخبار، الصدوق، ج١، ص٣٩٦، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبيّ (ت ٧٤٨)، دار المعرفة، بيروت، ص١٢٧، الفوائد المجموعة للأحاديث الموضوعة، الشوكانيّ (ت ١٢٥٥)، ١٣٨٠هـ، ص٣٨٩، وقيل: أطعم جميع ثمار الجنَّة. راجع: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، العلَّامة الحافظ محبُّ الدين أحمد بن عبد الله الطبريّ، دار=

فيقول: «ولِدت فاطمة نتيجة أكل والدها لفاكهة السفرجل في الجنَّة. وما يلفت الانتباه على الفور في هذا الحديث أنَّ الرواة السنَّة يضعِّفونه، لا على أساس أنَّ الفاكهة (سفرجلة)، وهي حكاية عن شيء محسوس، ولكن على أساس ما يرون أنَّه خطأ في تأريخ المعراج»[1]، معتمدًا في تشخيصه لهذا الخطأ- على ما يراه- على رواية ابن سعد في طبقاته «بأنَّ فاطمة الزَّهراء ولِدت حينما كانت قريش تبني الكعبة»[2]. بينما المعراج «كَانَ لَيْلَةُ السَّبْتِ لِسَبْعَ عَشَرَةَ خَلَتْ مِنْ شهر رَمَضَانَ قَبْلَ الْـهِجْرَةِ بِثَمَانِيَةَ عَشْرَ شَهْرًا»[3]، أي إنَّ المعراج جاء بعد ولادة الزَّهراء عليها السلام، وهنا يتوضَّح سبب اعتراضه؛ بينما يرى المجلسيّ بعد ذكره أحاديث عديدة أنَّ فاطمة عليها السلام قد «ولدت بعد النبوَّة بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين»[4]، ويقول المجلسيّ: في «سنة اثنتين من المبعث كان مولد فاطمة عليها السلام في بعض الروايات، وفي رواية أخرى سنة خمس من المبعث، ويروي العامَّة أنَّ مولدها قبل المبعث بخمس سنين»[5]. وبالبحث تَرى أنَّ كِلا التاريـخَين يأتيان قبل

=الكتب المصرية، ١٣٥٦، ج١، ص٣٦، وبلفظ آخر: رُطَبِ الجنَّةِ. أنظر: كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، عبد الرحمن بن عليّ ابن الجوزيّ (ت ٥٩٧)، أضواء السَّلف، ط١، ١٤١٨هـ، ج٢، ص٢٠٩، وانظر: ترتيب الموضوعات لابن الجوزيّ، الذهبيّ (ت ٧٤٨)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٥هـ، ص١٢٧، وانظر: بحار الأنوار، المجلسيّ، ج٤٣، ص٤، ويذهب النيسابوريّ إلى أنَّ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبُ الْإِسْنَادِ وَالمَتْنِ، وَشِهَابُ بْنُ حَرْبٍ مَجْهُولٌ وَالْبَاقُونَ مِنْ رُوَاتِهِ ثِقَاتٌ: المستدرك، النيسابوريّ، ج٣، ص١٦٩، ويذهب ابن حجر إلى أنَّ الوضع عليه ظاهر. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، ابن حجر العسقلانيّ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنوَّرة، ط١، ١٤١٥، ج٥، ص١٣٤، ويرى الشوكانيّ أنَّ إسناده مجهول. الفوائد المجموعة، الشوكانيّ، ص٣٨٩.

(1) Clohessy, p 28

(٢) الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٢.

(٣) الطبقات الكبرى، ج١، ص١٦٦.

(٤) بحار الأنوار، المجلسيّ، ج٤٣، ص٧، تاريخ الخميس، الدياربكريّ، ج١، ص٣٠١.

(٥) مرآة العقول، محمَّد باقر بن محمَّد تقي المجلسيّ (ت ١١١١)، دار الكتب الإسلاميَّة، ج٥، ص٣١٢.

المعراج أيضًا، ومع ذلك فـ«إنَّ اختلاف الأخبار في سنة المعراج وشهره ويومه من جهة تعدُّده، فإنَّ في بعض الأخبار أنَّه عرج النبي صلى الله عليه وآله مائة وعشرين مرَّة، وعلى هذا الأساس سمِّي المعراج الأوَّل بمعراج العجائب، وما عداه بمعراج الكرامة، وقد عيَّن بعض المؤرِّخين هذه السنة التي وقع فيها المعراج بالتأريخ الميلاديّ بعام ٦٢١ ميلاديَّة، وهي (٠-١) قبل الهجرة»[١].

وجميع الروايات تشير إلى أنَّ المعراج، وإن تكرَّر مائة وعشرين مرَّة، فكلُّها جاءت بعد مولدها الشريف، وهنا يكون اعتراض (كلوهيسي) وجيهًا استنادًا إلى تلك الروايات من كِلَا الطَّرَفين، وهذا ما ولَّد عند المستشرق (كلوهيسي) هذا الإشكال، فضلًا عن استهجانه لمسألة تناول الرسول صلى الله عليه وآله فاكهة الجنَّة التي منها علقت نطفة الزَّهراء عليها السلام.

شمائل الزَّهراء

يناقش المستشرق (كلوهيسي) سبب تميُّز الزَّهراء عليها السلام من بين النساء، في خَلقِها وخُلُقِها وسموِّها، وتفوُّقها في كلِّ الفضائل، والصفات الإنسانيَّة العليا على جميع النساء، فيأخذ الحديث: «**يبعث الله عبادًا يوم القيامة تهلِّل وجوههم نورًا، عليهم ثياب من نور، فوق منابر من نور، بأيديهم قضبان من نور، عن يمين العرش وعن يساره، بمنزلة الأنبياء، وليسوا بأنبياء، وبمنزلة الشهداء، وليسوا بشهداء.** فقام رجل فقال: يا رسول الله أنا منهم؟ فقال: لا، فقام آخر فقال: يا رسول الله أنا منهم؟ فقال: لا، فقال: من هم يا رسول الله؟ قال: فوضع يده على منكب عليّ عليه السلام فقال: **هذا وشيعته**»[٢]. وأراد من ذِكر هذا الحديث، بالإضافة إلى حديث كيفيَّة مجيئها إلى المحشر ودخولها عليها السلام[٣]،

(١) كتاب الصلاة، عليّ كاشف الغطاء (ت ١٤١١)، مؤسَّسة كاشف الغطاء، ص١٢.

(٢) بحار الأنوار، المجلسيّ، ج٦٨، ص١٦.

(٣) «عن أبي جعفر محمَّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: **سمعت جابر بن عبد الله الأنصاريّ يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة تُقبِل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنَّة مدبَّجة الجنبَين، خطامها من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد الأخضر، ذنبها من المسك الأذفر، عيناها=**

فيفسِّره تفسيرًا ماديًّا صِرفًا، بعيدًا عن الجانب العباديّ والروحيّ، وكمال شخصيَّتها، فيقول: «لأنَّها كانت على الأرض فقيرة وضعيفة، فكانت مكافأتها في السماء ستشمل ثروات لا تحصى، بما في ذلك مساكن مرصَّعة بالجواهر، ليس لها وحدها، ولكن أيضًا لأتباعها (الشيعة)، فكانت على الأرض مهملة ومهمَّشة، وتكابد من سوء المعاملة، ومحرومة من العدالة، ولكنَّها في الجنَّة، وكلُّ سكَّانها سوف تحني رؤوسها احتراما لها، فهي على الأرض بكت وحزنت بعد وفاة والدها محمَّد[صلى الله عليه وآله] حتَّى بعد موتها، استمر حزنها بلا هوادة على مقتل ابنها الحسين عليه السلام، والمعاملة السيِّئة لأهل البيت عليهم السلام. ولكن في يوم القيامة تكون أوَّل من يدخل الجنَّة، والجميع سوف تمسح دموعها كعقاب رهيب لقتلة ابنها، وستُمنح قوَّة لا توصف، بأن يمنحها الله الشفاعة لمن يحبّها ويلتصق بها»[1].

كانت المستشرقة الإيطاليَّة (لورا فيتشا فاجليري Laura Veccia Vaglieri) (١٨٩٣-١٩٨٩) التي تعتبر رائدة الدراسات العربيَّة والإسلاميَّة، وكانت أستاذة في

=ياقوتتان حمراوان، عليها قبة من نور، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، داخلها عفو الله، وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركنًا، كلُّ ركن مرصَّع بالدرِّ والياقوت، يضيءُ كما يضيءُ الكوكب الدرِّي في أفق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك، وعن شمالها سبعون ألف ملك، وجبرئيل آخذ بخطام الناقة، ينادي باعلا صوته: غضُّوا أبصاركم حتَّى تجوز فاطمة بنت محمَّد، فلا يبقى يومئذ نبيّ ولا رسول ولا صدِّيق ولا شهيد إلَّا غضُّوا أبصارهم حتَّى تجوز فاطمة، فتسير حتَّى تحاذي عرش ربِّها جلَّ جلاله، فتنزخ بنفسها عن ناقتها، وتقول: إلهي وسيِّدي أحكم بيني وبين من ظَلَمني اللهمَّ أحكم بيني وبين من قَتَل ولدي، فاذا النداء من قبل الله جلَّ جلاله: يا حبيبتي وابنة حبيبي سليني تعطَي، واشفعي تشفعي، فو عزَّتي وجلالي لا جازني ظلم ظالم، فتقول: إلهي وسيِّدي ذريَّتي وشيعتي وشيعة ذريِّتي ومحبِّيَّ ومحبِّي ذريِّتي». أنظر: بحار الأنوار، المجلسيّ، ج٤٣، ص٢٩، وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إذا كان يوم القيامة ووقف الخلائق بين يدَي الله تعالى، نادى منادٍ من وراء الحجاب: أيُّها الناس غضُّوا أبصاركم ونكِّسوا رؤوسكم، فإنَّ فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله تحوز على الصراط». أنظر: بحار الأنوار، المجلسيّ، ج٤٣، ص٢٢٣.

(1) Clohessy, P. 2.

جامعة نابولي في إيطاليا، قد كتبت: «إن حياة فاطمة قد ثبّطت عزيمة معظم كتاب السِّيَر، بصرف النظر عن الوضع اللاهوتيّ (القدسيّ) الذي شيَّده الشيعة (وبعض السنَّة) في كتبهم حول حياتها، عمليًّا، نحن لا نعرف عنها شيئًا، إنَّها تعيش بالقرب من أبيها، وخَدَمتهُ لفترة وجيزة، وأنجبت له أحفادًا عدَّة، وبسبب زواجها من عليّ، بالإضافة إلى أبنائها، أصبح لديها مادَّة تاريخيَّة معيَّنة، وكانوا سبب بروزها أيضًا، ومع ذلك -تُلاحِظ المستشرقة- أنَّ فاطمة بقيت في هوامش الأحداث الهامَّة في بدايات الإسلام[1]، ولم تَحظَ باهتمام يُذكر في أقدم المصادر التاريخيَّة»[2]. وهذا تجنٍّي على تاريخ الزَّهراء عليها السلام؛ لتجعلها (لورا) فعلًا على هامش التاريخ، لتغطِّي بذلك سوءات الآخرين ممَّن عاصر الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّهم كانوا خارج التاريخ، وتقلِّل من دور الزَّهراء عليها السلام منذ بدايات حياتها، وقبل زواجها. وهذه كتب الحديث[3] تروي أنَّ فاطمة عليها السلام كان لها بصمات في

(1) Veccia Vaglieri, L., Fātima, In Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Vol. IIb, edited by H.A.R. Gibb et al., 841-850. Leiden: E.J. Brill, 1965, P. 841.

(2) Veccia, P. 841.

(٣) ينقل البخاري في حديث طويل نأخذ منه مقطعًا، والكلام حول فاطمة عليها السلام ودفاعها عن الرسول صلى الله عليه وآله: «**أَقْبَلَتْ تَسْعَى، وألْقَتْ فَرْثِ جزور ودَمِهَا وسَلاهَا من على ظهره بينما كان ساجدًا يصلِّي عند الكعبة قد وضعه مشركو قريش**». أنظر: الجامع الصحيح للبخاريّ، ص٥٢٠، البداية والنهاية، ابن كثير، ج٣، ص٣٧٢. وكذلك رفعها التراب عن رأس أبيها صلى الله عليه وآله، والذي نُثر عليه: «لـمَّا نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك التراب، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب، وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: **لا تبكي يا بنيَّة، فإنَّ الله مانع أباكِ**» أنظر: سيرة ابن هشام، ج٢، ص٢٨٣. أمَّا بعد زواجها عليها السلام فتشهد ساحة معركة أحد مشاركتها في غسل الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد ومعالجتها الجرح، وعليٌّ يسكبُ علَيهِ الماءَ، وموقف آخر غسلها لسيفي الرسول صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام في معركة أُحد. أنظر: سيرة ابن هشام، ج٣، ص٦١٤. ولكن ابن هشام كعادته أسقط اسمَي فاطمة وعليّ عليهما السلام، واستبدلهما بمالك بن سنان، وأبي سعيد الخدريّ. وهناك موقف آخر يدوِّنه التاريخ فيقول ابن سعد في طبقاته: «**إِنَّ ابْنَةَ حَمْزَةَ لَتَطُوفُ بَيْنَ الرِّجَالِ، إِذْ أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهَا، فَأَلْقَاهَا إِلَى فَاطِمَةَ فِي هَوْدَجِهَا**». أنظر: الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٦، فضلًا عمَّا دونه التاريخ من موقفها=

التاريخ، وقد ألقت بعض الضوء على حياتها، وعن دور فاطمة عليها السلام قبل معركة بدر، وفي وقفتها الشهيرة مدافعة عن رسول الله صلى الله عليه وآله لترفع عنه سلى الجزور.

عصمة الزَّهراء عليها السلام

هناك اتِّجاه آخر بين المستشرقين الغربيِّين، من بينهم اثنان: لويس ماسينون (ت ١٩٦٢) Louis Massignon)، والقس هنري لامنس (ت ١٩٣٧) Henri Lammens)، كما هو الحال مع بعض الكتَّاب المسلمين الذين ادَّعوا التشابه بين شخصية الزَّهراء عليها السلام وبعض الرموز المسيحيَّة، فقد كتب (لويس ماسينون) كثيرًا في هذا المجال[1]، لكنَّ القسَّ اليسوعيّ (هنري لامنس)، ذو النظرة السلبيَّة الخاصَّة جدًّا حول الإسلام، يرفض هذا التصوُّر، ويذهب بعيدًا لنزع العِصمَة والبُعدُ القدسيُّ (اللاهوتيّ) عنها عليها السلام، بل ويرفض كلَّ ما كُتِب حولها من أحاديث ودراسات، باعتبارها عليها السلام مخلوقًا باهتًا وغير جذَّاب وغير عاقل، ومصدر إزعاج لأبيها وإزعاج لزوجها، وأنَّها مملَّة وكثيرة الشكوى[2]، ممَّا دفع محمَّد[صلى الله عليه وآله] إلى

=من فدك، وخطبتها الشهيرة، والمباهلة، وزيارة قبر عمِّها الحمزة، وغيرها كثير من المواقف، لكن كتب التاريخ أهملت ذِكرها؛ لأنَّها كانت تكتب بيدِ من يُجحَد فضلها.

(1) Massignon, L. "Der Gnostische Kult der Fatima im Schiitischen Islam, pp: 514-552; La Mubahala de Médine et l'Hyperdulie de Fatima, pp: 550-572; La Notion de Voeu et la Dévotion Musulmane à Fatima, pp: 573-591; L'Oratoire de Marie à l'Acqa, vu sous le Voile de Deuil de Fatima pp: 592-618.

(٢) يبدو أنَّ (لامنس) يعدُّ الشكوى التي يقرأها في الخبر نوعًا من التذمُّر والضجر، ممَّا يدفع المقابل بالنفور، وذلك من استقرائه الخاطئ للأحاديث في هذا المجال: «جاءَتْ فاطمةُ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله تشتكي مَجْلَ يَدَيْها مِنَ الطَّحْنِ». أنظر: الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمَّد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيليّ المكِّيّ (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلميَّة، بيروت، ١٩٨٤، ج١، ص١٣٢، وفي حديث آخر: «إنَّ فاطمةَ جاءت إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله تشتكي الخِدْمةَ قالت: **يا رسولَ اللهِ واللهِ لقد مَجِلَتْ يداي مِنَ الرَّحا أطحَنُ مرَّةً وأعجِنُ**». أنظر: مجمع الزوائد،=

رفضها[1]، في الحقيقة أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله لم يرفضها، ولم ينهرها كما أراد المستشرق تسويقه للقارئ، بل إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله علَّمها شيئًا خيرًا لها ممَّا طلبته، وعلمها الدعاء المذكور: [اللهمَّ ربَّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم...]، وخرجت الزَّهراء عليها السلام راضية قانعة. فلا يمكننا أن نتصوَّر أنَّها كانت مغمومة لعدم تلبية طلبها، كما

=الهيثميّ، ج ١٠، ص ١٢٥، لنعد إلى شكاية الزَّهراء هل كانت تطلب أمرًا تنفرد به عن باقي الناس، أم كان أمرًا عاديًّا في زمن الرسول صلى الله عليه وآله؟ فالموضوع كان: «أنَّها جرت بالرحى حتَّى أثَّر في يدها، واستقت بالقربة حتَّى أثَّر في نحرها، وكنست البيت حتَّى اغبرَّت ثيابها، وأوقدت القدر حتَّى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضر، فأتى النبيّ صلى الله عليه وآله خدم، فقلت: لو أتيتِ أباك فسألتيه خادما!.. إلى آخر الحديث». أنظر: سنن أبي داوود، ج٣، ص١٥٠. ويبيِّن الحديث التالي أنَّ مسألة طلب الخادم إنَّما هو أمر مستساغ، فقد جاء في الحديث عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنَّه قال لفاطمة عليها السلام: «فقال: إذا جاء سبي فأتينا! فجاء سبي من ناحية البحرين، فلم يزل الناس يطلبون ويسألونه إيَّاه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله معطاء، لا يُسأل شيئًا إلَّا أعطاه، حتَّى إذا لم يبقَ شيء أتته تطلب، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: **جاءنا سبي فطلبه الناس، ولكن أعلِّمك ما هو خير لكِ من خادم! إذا أويت إلى فراشك فقولي: اللهمَّ ربَّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيء، مُنزِل التوراة والإنجيل والقرآن، وفالق الحبِّ والنوى، إنِّي أعوذ بك من شرِّ كلِّ شيءٍ أنت آخذ بناصيته، أنت الأوَّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، اقضِ عنَّا الدَّين وأغنِنا من الفقر**. فانصرفت فاطمة رضي الله عنها راضية بذلك من الجارية. قال عليّ رضي الله عنه: **فما تركتها منذ علَّمني رسول الله صلى الله عليه وآله**، قيل: ولا ليلة صفِّين؟ قال: **ولا ليلة صفِّين**». أنظر: كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، العلَّامة علاء الدين عليّ المتَّقي بن حسام الدين الهنديّ البرهان فوري (ت ٩٧٥)، مؤسَّسة الرسالة، ج١٥، ص٥٠١.

(١) فالمتمعِّن بالحديث يرى أنَّه لم يرفضها: «فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: **جاءنا سبي فطلبه الناس، ولكن أعلِّمك ما هو خير لك من خادم! إذا أويت إلى فراشك فقولي: اللهمَّ ربَّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيء، مُنزِل التوراة والإنجيل والقرآن، وفالق الحبِّ والنوى، إنِّي أعوذ بكَ من شرِّ كلِّ شيءٍ أنت آخذ بناصيته، أنت الأوَّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، اقضِ عنَّا الدَّين وأغنِنا من الفقر**. فانصرفت فاطمة رضي الله عنها راضية بذلك من الجارية. قال عليّ رضي الله عنه: **فما تركتها منذ علمني رسول الله صلى الله عليه وآله**، قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: **ولا ليلة صفين**». أنظر: كنز العمال، ج١٥، ص٥٠١.

يدفعنا المستشرق (لامنس) لتقبُّل طرحه، ولك أن تتصوَّر كيف تُلوى الحقائق وتغالَط!.

ربَّما اعتمد (لامنس) في تصوُّره هذا، بالإضافة إلى حقده، واختلاقه تصوُّرات سلبية حول الزَّهراء عليها السلام، فانبرى بكلِّ وقاحة معتمدًا على الرواية المنسوجة بعناية في صحيح البخاري فِي تَسْمِيَةِ عَلِيٍّ أَبَا تُرَابٍ، بقوله كان عليّ غاضبَ الزَّهراء عليها السلام، فترك الدار ليضطجع في المسجد: «جاءَ رَسولُ اللهصلى الله عليه وآله بَيْتَ فاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا في البَيْتِ، فَقالَ: أَيْنَ ابنُ عَمِّكِ؟ قالَتْ: كانَ بَيْنِي وبيْنَهُ شيءٌ، فَغاضَبَنِي، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي. فَقالَ رَسولُ اللهصلى الله عليه وآله لِإِنْسانٍ: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟ فَجاءَ فَقالَ: يا رَسولَ الله، هو في المَسْجِدِ راقِدٌ، فَجاءَ رَسولُ اللهصلى الله عليه وآله وهو مُضْطَجِعٌ، قدْ سَقَطَ رِداؤُهُ عن شِقِّهِ، وأَصابَهُ تُرابٌ، فَجَعَلَ رَسولُ اللهصلى الله عليه وآله يَمْسَحُهُ عنْه، ويقولُ: قُمْ أبا تُرابٍ، قُمْ أبا تُرابٍ»(١).

ولا أستبعد أنَّ تلك الأفكار الشيطانيَّة التي تجرَّأت على تصوير بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام بهذا الوهن والضعف، وكيف أنَّ تلك الأيادي الآثمة صاغتها فحوَّلت عليّ عليه السلام الربَّانيّ الترابيّ إلى رجل هزيل وضيع سفيه، لا يدري كيف يُدير بيته، بل كيف يسيطر على قواه، فيقول ابن هشام في سبب كنيته بأبي تراب؛ لأنَّه حينما يغضب عليّ عليه السلام يحثو التراب على رأسه، فأورد الحديث التالي: «إنَّ رَسُولَ اللهصلى الله عليه وآله إنَّمَا سَمَّى عَلِيًّا أَبَا تُرَابٍ، أَنَّهُ كَانَ إذَا عَتَبَ عَلَى فَاطِمَةَ فِي شَيْءٍ لَمْ يُكَلِّمْهَا، وَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا تَكْرَهُهُ، إلَّا أَنَّهُ يَأْخُذُ تُرَابًا فَيَضَعُهُ عَلَى رَأْسِهِ. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهصلى الله عليه وآله إذَا رَأَى عَلَيْهِ التُّرَابَ عَرَفَ أَنَّهُ عَاتِبٌ عَلَى فَاطِمَةَ، فَيَقُولُ: مَا لَكَ يَا أَبَا تُرَابٍ؟ فالله أَعْلَمُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ»(٢)، وبسبب هذه الأحاديث الموضوعة دفعت المستشرقين للجرأة بالكاتبة السلبية على أهل البيت عليهم السلام.

(١) صحيح البخاري، حديث ٤٤١

(٢) سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٤٣٤

جوانب من حياة فاطمة عليها السلام

يُفرِد المستشرق (كلوهيسي) فصلًا بعنوان: «الميزات فوق الطبيعيَّة في مولد فاطمة بحديث شيعيّ، التربية والتقوى»[1]، ناقش فيه حديث يرويه الخوارزميّ: «إنَّ فاطمة ليست كنساء الآدميِّين، ولا تعتلُّ كما يعتلِلْنَ»[2]، ويُسهب في تحليل هذا الحديث، ويدرس تعارضه مع الروايات السنيَّة، فينقل رأي ابن الجوزيّ في اعتراضه على هذا الخبر القائل: «إنَّ فاطمة ولِدت قبل النبوَّة بخمس سنين، وإنَّ الإسراء كان قبل الهجرة بسنة بعد موت خديجة»[3]. ويستنتج (كلوهيسي) بأنَّ هناك خلافًا في مادَّة هذه الأحاديث، ولا يمكن الركون إلى أحاديث جهة محدَّدة، وأنَّ الخلاف ليس دقيقًا تمامًا، فيرفض الأحاديث الشيعيَّة كلَّها، ويأخذ بالمرويَّات السنيَّة فقط، كما فعل (لامنس)، وفي ذات الوقت هو يتبنَّى رأي المستشرق (لامنس) القائل: «إنَّ فاطمة مخلوق مُمِل وباهتة الشخصيَّة».

تكمن مشكلة (لامنس) في ندرة الأحاديث المرويَّة عن الزَّهراء عليها السلام في كتب التاريخ القديمة، ويستشهد كثيرا بابن هشام في سيرته، حيث روى عنها عليها السلام حديثَين فقط؛ وعلى ذلك استنتج ضعف شخصيَّتها، وقال إنَّها امرأة عادية. لكنَّه (لامنس) ناقض نفسه بالقول أنَّه: «خلال حياتها كانت تُعامَل على أنَّها امرأة عادية من قِبَل معاصريها، بما في ذلك والدها وزوجها وأبرز الصحابة مثل أبي بكر وعمر. وهل سنجد أنَّها تتمتَّع في أيِّ مكان بمميِّزات وخصوصيَّات أكبر من ذلك، تلك التي تدفعها لأن تكون أكبر شأنًا من المرأة البدويَّة؟ ولكي نقنع أنفسنا أنَّها كذلك، فإنَّنا لا نرى غير حديثَين يرويهما

(1) Clohessy, P. 67.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، الموفَّق الخوارزميّ (ت ٥٦٨)، أنوار الهدى، قم، ١٤٢٣، ج١، ص١٠٥

(٣) الموضوعات من الأحاديث المرفوعة، ابن الجوزيّ (ت ٥٩٧)، المكتبة السلفيَّة، المدينة المنوَّرة، ١٩٦٦، ج١، ص٤١٥.

ابن هشام عنها في سيرته»[1]. وكما ترى أنَّ (لامنس) يعتمد على مصدر واحد، ومن كثرة الأخبار أو قلَّتها في ذلك المصدر، يحدِّد قوَّة ومكانة شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام، فيتغافل عن باقي المصادر التاريخيَّة من جهة، ودور التأثير السياسيّ على تدوين الأحاديث من جهة أخرى. لقد دوَّن الترمذيّ والبلاذريّ وكذلك اليعقوبيّ، وما بعدهم، الكثير من الأحاديث والأخبار عنها عليها السلام. ومرَّة أخرى ينتقد المستشرق (كلوهيسي) توهينَ (لامنس) للزَّهراء عليها السلام بالقول: «يبدو لي أنَّ (لامنس) ليس فقط مخطئًا بشكلٍ قاطعٍ في تقييمه [للزَّهراء]، ولكن يبدو أيضًا أنَّه فاتته نقطة، وهي: حتَّى الفحص السريع للنصوص السنيَّة فإنَّه يوحي بوجود مكانة لفاطمة تختلف تمامًا عن تلك التي مُنِحَت لمعاصريها. وسنكون مضطربين بالتقييم، لو اعتمدنا على النصوص السنيَّة فقط، لنتماشى في ذلك مع تقييم (لامنس)، لكن الحقيقة هي أنَّه (على الرغم من أنَّه ليس من الافتراض المألوف)، فإنَّ مكانة فاطمة المتميِّزة ليست اختلاقًا من الشيعة، فإنَّها كذلك تحظى بنفس المكانة عند السنَّة»[2].

يناقش المستشرق (كلوهيسي) عذريَّة فاطمة عليها السلام فيقول: «فاطمة هي في الواقع أقرب إلى بعض الآلهة الوثنيَّة ممَّا هي عليه بالنسبة لمريم عليها السلام في العقيدة الكاثوليكيَّة. فلم تكن عذريَّة الآلهة الوثنيَّة لأجل أي سبب أخلاقيّ، أو لصالح فضيلة الطهارة، فإنَّهنَّ بقينَ عذارى، ويرفضنَ تقدُّم الذكور إليهنَّ؛ لأنَّهنَّ يشعرن بأهميَّتهنَّ المتميِّزة، وأنَّهنَّ ذوات خصوصيَّة عالية»[3]. وقد اعتمد (كلوهيسي) في طرحه هذا على ما كتبه (وارنر Warner) تفسيرًا منه لعذريَّة الآلهة، فيقول: «إنَّها تحتفظ بحريَّة الاختيار: في أن تأخذ العشاق أو ترفضهم»[4]، ولكنه يرفض فكرة حريَّة الاختيار بقوله «لكنَّ فاطمة مختلفة،

(1) Lammens, P. 222, 226-227.

(2) Clohessy, P. 229.

(3) Clohessy, P. 232.

(4) Warner, M. Alone of All Her Sex. The Myth and Cult of the Virgin=

حتَّى عن هؤلاء الآلهة الوثنيِّين، فإنَّها كانت متزوِّجة من زوجٍ واحد، وبهذا المعنى لا تتمتَّع بحريَّة الاختيار»[1].

حزن فاطمة عليها السلام وبكاؤها

لقد تفرَّد القس (لامنس) بالاستخفاف والازدراء من شخصية الزَّهراء من تحليله لأحاديث أحزانها. فيقول بوصفٍ لاذع أنَّها: «المخلوق الحزين دائمة النحيب، ويقارنها بالشخصية الأسطوريَّة (نيوبي)[2]»[3]، ويزيد في ادِّعائه «كيف تمكَّن الشيعة من خلق هذا الشبح الحزين مثيرًا للاهتمام»[4]، ويقول أيضًا: «إنَّ أنسب دور تقوم به فاطمة هو البكاء»[5]، ويعلِّق المستشرق (كلوهيسي) على نقد (لامنس) قائلاً: «لكن يبدو أنَّ (لامنس) لم يستوعب المكانة السامية، والأهميَّة اللاهوتيَّة (القدسيَّة) للبكاء التي أكدها الشيعة، وقراءة حقيقة لبكاء فاطمة وذرف دموعها»[6]. ولم يكلِّف نفسه لمراجعة أحد مصادر الشيعة مثل بحار الأنوار الذي أفرد كاتبه بابًا بعنوان: «ما وقع عليها من الظلم وبكائها وحزنها وشكايتها، في مرضها إلى شهادتها وغسلها ودفنها، وبيان العلَّة في إخفاء دفنها صلوات الله عليها، ولعنة الله على من ظلمها»[7]، ويبدو أنَّ (لامنس) تعامى عن

=Mary. London: Pan Books Ltd.,1985, P. 47-48.

(1) Clohessy, P. 232.

(٢) نيوبي كان لديها سبعة أبناء وسبع بنات، وكانت تفخر بجمالهم، قُتِلوا انتقامًا منها، ظلَّت جثثهم غير مدفونة لتسعة أيَّام، ثمَّ دفنتهم الآلهة، وظلَّت تبكي حتَّى حوَّلها إلى حجر، حيث تبكي على خسارتها للأبد. أنظر:
https://web.archive.org/web/20191215110337/http://id.loc.gov/authorities/names/no2018111585.html.

(3) Lammens, p: 227.

(4) Lammens, p: 228.

(5) Lammens, p: 241.

(6) Clohessy, P 148.

(٧) بحار الأنوار، المجلسيّ، ج ٤٣، ص ١٥٥

سبب بكاء الزَّهراء عليها السلام، وإغفاله عن كثرة الأحاديث التي تناولت سبب بكائها من الظلم الذي سيلحق بالرسالة ومسارها، وما ستتعرَّض له، وما شاهدته من عسف وعنف على بيت أمير المؤمنين عليه السلام، وبنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وما سينال الرسالة من نزو الأشرار في محاولتهم لمحقها وتشويه هدفها[1]. ويذكر المجلسيّ حديثًا عن الرسول صلى الله عليه وآله بهذا المعنى، جاء فيه: «لـمَّا حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة، بكى حتَّى بلَّت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: **أبكي لذريَّتي وما تصنع بهم شرار أمَّتي من بعدي، كأنِّي بفاطمة بنتي وقد ظُلِمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمَّتي**. فسمعت ذلك فاطمة، فبكت»[2]

ويضيف (لامنس)[3]: «بأنهَّا موسومة بالحزن، مكتئبة المزاج، وما من بيتٍ يرفرف عليه التشاؤم كبيت قعيدته لا يعرف وجهها الابتسام»[4]. ما كان بكاء الزَّهراء عليها السلام لمرض نفسي أو تعرضها للكآبة، ولو راجعنا سبب بكائها فيما روي من أحاديث فإنَّ

(١) خُذ على سبيل المثال حينما وقفت الزَّهراء عليها السلام خطيبة بوجه الخليفة، فصعد الخليفة المنبر بعد أن انتهت الزَّهراء من خطبتها، وخرجت من المسجد، وقد شقَّ عليه مقالتها، قال ذامًّا أمير المؤمنين عليه السلام، فوصفه بأنَّه ثعالة، وأنَّه مربٍّ لكلِّ فتنة، وأنَّه كأمِّ طحال، وأنَّ فاطمة ذَنبَه التابع له، ولم يذكر عن الميراث قليلًا أو كثيرًا. فقال: «أيها الناس ما هذه الرعة إلى كلِّ قالة؟ أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألا مَن سمع فليقل، ومن شهد فليتكلَّم، إنَّما هو ثعالة شهيده ذنبه مربٍّ لكلِّ فتنة، هو الذي يقول كروهًا جذعة بعد ما هرمت يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء كأمِّ طحال أحبُّ أهلها إليها البغي، ألَا إنِّي لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت إنِّي ساكت ما تركت. ثمَّ التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم وأحقُّ من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، ألا إنِّي لست باسطًا يدًا ولا لسانًا على مَن لم يستحقَّ ذلك منَّا»، راجع: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، ج١٦، ص٢١٤.

(٢) بحار الأنوار؛ المجلسيّ، ج ٤٣، ص١٥٦.

(3) Clohessy, P. 148.

(٤) وهذه أيضًا مغالطة عجيبة، إذ لم يعهد أنَّها عليها السلام كانت بهذا المزاج في شبابها، قبل رحيل أبيها، من الحزن والكدر، كما وصفها المستشرقون، إلَّا بعد أن فارقت حبيبها رسول الله صلى الله عليه وآله، بل على=

بكاؤها مرَّة كان خشوعًا[١]، ومرَّة خوفًا لفقد حبيبها رسول الله صلى الله عليه وآله[٢]، وفي مرضه[٣]، وبعد مماته، وكلَّما تذكَّرته، حتَّى حينما يُرفَع الآذان[٤]، ومرَّة كان بكاء فاطمة عليها السلام على حال أبيها لـمَّا رأت أنَّ ثيابه اخلولقت[٥]، ومرَّة بكت خوفًا على أبيها من مشركي

=العكس من ذلك فقد وصفها الشاعر:

«شعَّت فلا الشمسُ تحكيها ولا القمرُ زهـراءُ من نورها الأكـوان تـزدهرُ»

أنظر: قصيدة للسيِّد محمَّد جمال الهاشميّ في ديوانه (مع النبيِّ وآله عليهم السلام)، ص٣٤، والصحيح أنَّها حزنت كثيرًا بعد فَقدِ أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله، فعن الباقر عليه السلام أنَّه قال: «**ما رؤيت فاطمة عليها السلام ضاحكة مستبشرة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى قُبِضت**». أنظر: كشف الغمَّة، ج١، ص٤٧٠.

(١) كما في الحديث: «دخل النبيّ صلى الله عليه وآله على فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها، فوجدها تبكي، فقال: **يا قرَّة عيني ما الذي أبكاك؟** قالت: ذكرت قول الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، فقعد النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: **يا قرَّة عيني لقد ذكرت يومًا عظيمًا**». أنظر: إحقاق الحقِّ وإزهاق الباطل، القاضي نور الله المرعشيّ، مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤٠٩، ج٢٥، ص٥٢٧.

(٢) كما في الحديث: «بينما فاطمة جالسة إذ أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى جلس إليها، فقال: **يا فاطمة ما لي أراك باكية حزينة؟** قالت: **كيف لا أبكى وتريد أن تفارقني**. فقال لها: **يا فاطمة لا تبكين وتحزنين، فلا بدَّ من مفارقتك**. قال: فاشتدَّ بكاء فاطمة». أنظر: إحقاق، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣٣٣

(٣) عن أنس بن مالك: «جاءت فاطمة ومعها الحسن والحسين إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في المرض الذي قُبِض فيه، فانكبَّت عليه فاطمة وألصقت صدرها بصدره وجعلت تبكي». أنظر: بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السلام، عماد الدين أبي جعفر محمَّد بن أبي القاسم الطبريّ (ت ق٦)، تحقيق: جواد القيُّوميّ الأصفهانيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٢٠، ج١، ص٢٠٣.

(٤) روي أنَّه لـمَّا قُبِض الرسول صلى الله عليه وآله امتنع بلال عن الأذان، وقال: لا أؤذِّن لأحد بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، «إنَّ فاطمة رضي الله عنها قالت ذات يوم: **أشتهي أن أسمع صوت مؤذِّن أبي بالأذان**، فبلغ ذلك بلال رضي الله عنه، فأخذ في الأذان، فقال: الله أكبر الله أكبر، ذكرت أباها وأيَّامه، فلم تتمالك نفسها من البكاء، فلمَّا بلغ إلى قوله: وأشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله، شهقت فاطمة رضي الله عنها وسقطت لوجهها وغُشي عليها». أنظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١)، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميّة، قم، ج١، ص٢٩٨.

(٥) «كانَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله إذا رجَعَ من غَزاةٍ أو سَفرٍ أتى المَسجِدَ، فصَلَّى فيه رَكعتَينِ، ثمَّ ثَنَّى=

مكَّة[1]، ومرَّة عيرَّتها نساء قريش بفقر زوجها[2]، أو بكاؤها على مصاب ولدها الحسين عليه السلام لـمَّا أخبرها النبيّ صلى الله عليه وآله بقتل ولدها الحسين، وما يجري عليه من المحَن[3]؛ ولا يذهبنَّ أحد إلى أنَّ واحدة من تلك المواقف التي تُبكِي الإنسان تدلِّل على تشاؤم صحابها، فلماذا يريد (لامنس) أن يؤطِّر بكاء الزَّهراء عليها السلام بإطار الشؤم، وأنَّ وجهها غابت عنه البسمة، فهل يعني تعلُّق البنت بأبيها شؤم[4]؟ أم انصياع المؤمن لرسوله وذوبانه بالرسالة غلط؟ يعلم (لامنس) جيِّدًا أنَّ ما نطق به يُراد منه الحطَّ من شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام بالمغالطة والافتراء، ولوي عنق الحقيقة، وإلَّا لو راجعنا كتب التاريخ والسِّيَر لوجدنا الكثير ممَّن

=بفاطِمةَ رَضيَ اللهُ عنها، ثمَّ يَأْتي أزْواجَه، فلمَّا رجَعَ خرَجَ منَ المَسجِدِ، تَلقَّتْه فاطِمةُ عندَ بابِ البَيتِ تَلثَمُ فاهُ، وعَينَيْهَا تَبْكي، فقالَ لها: **يا بُنَيَّةُ، ما يُبْكيكِ؟** قالَتْ: **يا رَسولَ الله، ألا أَراكَ شَعِثًا نَصِبًا قد اخلَوْلَقَتْ ثيابُكَ**، قالَ: فقالَ: **فلَا تَبْكي، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ بعَثَ أباكِ لأمْرٍ لا يَبْقى على ظَهرِ الأرْضِ بَيتُ مَدَرٍ ولا شَعَرٍ إلَّا أدخَلَ اللهُ به عزًّا أو ذُلًّا حتَّى يَبلُغَ حيثُ بلَغَ اللَّيلُ**». راجع: المستدرك، النيسابوريّ، ص٤٧٩٨.

(١) «دخَلَتْ فاطِمةُ على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وهي تَبْكي، فقالَ: **يا بُنَيَّةُ، ما يُبْكيكِ؟** قالتْ: **يا أَبَهْ، ما لي لا أَبْكي وهؤلاء الْـمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ في الحِجْرِ يَتَعاقَدونَ باللَّاتِ والعُزَّى ومَناةِ الثَّالِثةِ الأُخْرى، لوْ قد رَأَوْكَ لَقاموا إليكَ فَيَقْتُلونَكَ، وليس مِنْهُمْ رَجُلٌ إلَّا وقد عَرَفَ نَصيبَهُ مِنْ دَمِكَ؟**» راجع: المستدرك، النيسابوري، ص٥٩٣.

(٢) عن أبي سعيد الخدريّ قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لفاطمة، وقد جاءته ذات يوم تبكي وتقول: **يا رسول الله عيَّرتني نساء قريش بفقر عليّ...**» راجع: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد، ١٩٩٣، ج١، ص٣٦.

(٣) «بكت فاطمة بكاءً شديدًا، وقالت: **يا أبت متى يكون ذلك؟** قال: **في زمان خال مني ومنك ومن عليّ**، فاشتدَّ بكاؤها». راجع: بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٩٣.

(٤) روى البخاريّ: «دَعا النبيُّ صلى الله عليه وآله فاطِمَةَ ابْنَتَهُ في شَكْواهُ الذي قُبِضَ فيه، فَسارَّها بشيءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعاها فَسارَّها فَضَحِكَتْ، قالَتْ: فَسَأَلْتُها عن ذلكَ، فَقالَتْ: **سارَّني النبيُّ صلى الله عليه وآله فأخْبَرَني أنَّه يُقْبَضُ في وجَعِهِ الذي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَبَكَيْتُ ثُمَّ سارَّني فأخْبَرَني أنِّي أوَّلُ أهْلِ بَيْتِهِ أتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ**». راجع: صحيح البخاريّ: ٣٦٢٥، وأنظر: المسند الصحيح، النيسابوريّ، ص٢٤٥٠.

وصفوا بكثرة بكائهم[1]، ولم يتعرَّض لهم هذا المستشرق بالقدح والذمِّ، إمَّا لتقصيره في البحث، وهذا خلاف الأمانة العلميَّة، أو، وهذا ما أميل إليه، تقصَّد في الغمز والافتراء على أهل البيت عليهم السلام.

(١) يروي ابن هشام كيف أَنَّ عَبْدَ الْـمُطَّلِبِ لَـمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَعَرَفَ أَنَّهُ مَيِّتٌ جَمَعَ بَنَاتِهِ: صَفِيَّة، وبَرَّة، وَعَاتِكَةَ، وَأُمَّ حَكِيمٍ الْبَيْضَاءَ، وأمَيْمة، وأرْوَى، فَقَالَ لَـهُنَّ: ابْكِينَ عليَّ حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُلْنَ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ، فرثته كلُّ واحدةٍ بشعرٍ وهي تبكي. راجع: سيرة ابن هشام، ج١، ص١٥٦، ويقال: «كانَ أبو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إذا قَرَأَ القُرْآنَ، فأفْزَعَ ذلكَ أشْرافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ». أنظر: صحيح البخاريّ: ص٤٧٦، وهذا عمر بن عبد العزيز تبكي جدران المسجد لبكائه: «قرأ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٢-١٣] فبكى وبكى أهل المسجد، وارتجَّ المسجد بالبكاء حتَّى رأيت حيطان المسجد تبكي معه». أنظر: تاريخ ابن عساكر، ج٣٣، ص٤١٦، وهذا الْعَلَاءُ بن زياد البصري، كان من العباد الصالحين مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْخَوْفِ وَالْـوَرَعِ، وَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي بَيْتِهِ وَلَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ، لَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى عَمِيَ، أنظر: البداية والنهاية، ج٩، ص٣٣، وغيرها كثير من الشواهد.

المصادر والمراجع

المصادر العربيَّة

١. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، ابن حجر العسقلانيّ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنوَّرة، ط١.

٢. الاحتجاج، أبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦.

٣. إحقاق الحقِّ وإزهاق الباطل، القاضي نور الله المرعشيّ، مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤٠٩.

٤. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد، ١٩٩٣.

٥. الاستشراق في الميزان، عبد العظيم الديب، دار دون للنشر والتوزيع.

٦. الاستشراق والمستشرقون بين الغلوِّ والمغالاة؛ رضوان السيِّد، في محاضرات الموسم الثقافيّ الخامس عشر، مؤسَّسة الثقافة والفنون، المجمع الثقافيّ، أبو ظبي، ١٩٩٩.

٧. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى بن حسني السباعيّ، (ت ١٣٨٤هـ)، دار الورَّاق.

٨. الاستغاثة في بدع الثلاثة، أبو القاسم الكوفيّ عليّ بن أحمد بن موسى ابن الإمام الجواد محمَّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمَّد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام (ت ٣٠٢)، مؤسَّسة الأعلميّ، طهران.
٩. الإسلام على مفترق الطرق، ليبولد فايس (محمَّد أسد).
١٠. الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا، مغلطاي بن قليج ابن عبد الله البكجريّ المصريّ الحكريّ الحنفيّ، أبو عبد الله، علاء الدين (ت ٧٦٢هـ)، تحقيق: محمَّد نظام الدين الفُتَيّح، دار القلم، دمشق.
١١. أصول الإسماعيليَّة، دراسة، تحليل، نقد، سلمان عبد الله السلومي، دار الفضيلة، الرياض، ٢٠٠١.
١٢. إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسيّ (ت ٥٤٨)، آل البيت، قم، ١٤١٧.
١٣. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسينيّ العبيديّ، تقي الدين المقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الحميد النميسيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٩.
١٤. بحار الأنوار، المجلسيّ (ت ١١١١)، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
١٥. بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السلام، عماد الدين أبي جعفر محمَّد بن أبي القاسم الطبريّ (ت ق٦)، تحقيق: جواد القيُّوميّ الأصفهانيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٢٠.
١٦. تأثير الإسلام على أوربا في القرون الوسطى، مونتغمري واط، موسكو، ١٩٧٦.
١٧. تاريخ الإسلام، الذهبيّ، دار الكتاب العربيّ، ١٩٨٧.
١٨. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، الشيخ حسين بن الحسن الدياربكريّ (ت ٩٦٦)، دار صادر، بيروت.

١٩. تاريخ الدولة الإسلاميَّة وتشريعها؛ بوجينا ستشيجفسكا، التجاريَّة، بيروت، ١٩٦٦.

٢٠. تاريخ الطبريّ، محمَّد بن جرير الطبريّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت.

٢١. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلَّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعيّ المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١)، دراسة وتحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.

٢٢. التبشير والاستعمار في البلاد العربيَّة، عرض لجهود المبشِّرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربيّ، مصطفى خالدي، عمر فروخ، المكتبة العصريَّة، بيروت، ط٥، ١٩٧٣.

٢٣. ترتيب الموضوعات لابن الجوزيّ، الذهبيّ (ت ٧٤٨)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٤. التشيُّع (باللغة الفارسيَّة)، هاينز هالم، ترجمه إلى الفارسيَّة: محمَّد تقي أكبري.

٢٥. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسننه وأيَّامه (صحيح البخاريّ)، محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاريّ الجعفيّ (ت ٢٥٦)، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢.

٢٦. جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُريّ (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركليّ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.

٢٧. الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ العقيدة الإسلاميَّة، السير توماس و. أرنولد، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط١، مكتبة النهضة المصريَّة، ١٩٤٧.

٢٨. ديوان مع النبيّ وآله عليهم السلام، محمَّد جمال الهاشميّ.

٢٩. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، العلَّامة الحافظ محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبريّ، دار الكتب المصريَّة، ١٣٥٦.

٣٠. روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، زين الدين بن عليّ العامليّ المعروف بالشهيد الثاني، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٢٢.

٣١. سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد ابن عمرو الأزديّ السِّجِسْتانيّ (ت ٢٧٥)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، بيروت.

٣٢. سنن الترمذيّ، محمَّد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩).

٣٣. السيرة النبويَّة المسمَّى عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمَّد ابن عبد الله بن يحيى ابن سيِّد الناس (ت ٧٣٤)، مؤسَّسة عزّ الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

٣٤. السيرة النبويَّة، ابن هشام الحميريّ (ت ٢١٨)، دار المعرفة.

٣٥. شرح الشفا، عليّ بن (سلطان) محمَّد، أبو الحسن نور الدين الملَّا الهرويّ القاريّ (ت ١٠١٤)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢١.

٣٦. شرح القصائِد العشر، أبو زكريَّا يحيى بن عليّ بن محمَّد الشيبانيّ التبريزيّ، (المتوفَّى ٥٠٢)، المنيريَّة، ١٣٥٢.

٣٧. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ.

٣٨. الشيعة: نصُّ الحوار مع المستشرق كوربان، السيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ، ترجمة: جواد عليّ، مؤسَّسة أمّ القرى للتحقيق والنشر، إيران.
٣٩. صورة أصحاب الكساء بين تجنِّي النص واستباحة الخطاب الاستشراقيّ، هنري لامنس أنموذجًا، شهيد كريم محمَّد الكعبيّ، دار الكفيل.
٤٠. الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمَّد بن عمرو بن موسى بن حمَّاد العقيليّ المكِّيّ (ت ٣٢٢)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلميَّة، بيروت، ١٩٨٤.
٤١. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع الهاشميّ بالولاء، البصريّ، البغداديّ المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٠.
٤٢. الطرائف، السيِّد بن طاووس (ت ٦٦٤)، ترجمة: داود إلهامي، قم.
٤٣. عقيدة الشيعة؛ دوايت م. دونالدسون، تعريب: ع.م.، مؤسَّسة المفيد، ط٢، بيروت، ١٩٩٠.
٤٤. عيون أخبار الرِّضا، أبي جعفر الصدوق محمَّد بن عليّ بن الحسين بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١)، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٩٨٤.
٤٥. الغرب والتشيُّع تاريخ أئمَّة الشيعة في كبرى موسوعات المستشرقين عن الإسلام، مهرداد عبَّاسيّ، عليّ آقائي، مجلَّة المنهاج، ع٤٤، السنة ١١، ٢٠٠٧.
٤٦. الفروع من الكافي، أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن اسحاق الكليني البغدادي (ت ٣٢٩)، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.
٤٧. الفكر الإسلاميّ الحديث وصلته بالاستعمار الغربي؛ محمَّد البهي.
٤٨. الفوائد المجموعة للأحاديث الموضوعة، الشوكانيّ (ت ١٢٥٥)، ١٣٨٠هـ.

٤٩. في نور محمَّد فاطمة الزَّهراء، عبد الفتاح عبد المقصود (ت ١٤١٣)، تحقيق: محمَّد شوقي، مركز التحقيقات والدراسات العلميَّة، طهران، ١٤٣٠.

٥٠. قصيدة للسيِّد محمَّد جمال الهاشميّ في ديوانه (مع النبيّ وآله عليهم السلام).

٥١. كتاب الصلاة، عليّ كاشف الغطاء (ت ١٤١١)، مؤسَّسة كاشف الغطاء.

٥٢. كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، عبد الرحمن بن عليّ ابن الجوزيّ (ت ٥٩٧)، أضواء السَّلف، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٣. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، أبي الحسن عليّ بن عيسى أبي الفتح الأربليّ (ت ٦٢٩)، الرضيّ.

٥٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، العلَّامة علاء الدين عليّ المتَّقي بن حسام الدين الهنديّ البرهان فوري (ت ٩٧٥)، مؤسَّسة الرسالة.

٥٥. لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكريَّة لعلاقة الغرب بنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، باسم خفاجي، الرياض، ٢٠٠٦.

٥٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين عليّ بن أبي بكر بن سليمان الهيثميّ (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسيّ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، ١٩٩٤.

٥٧. مذاهب فكريَّة معاصرة، محمَّد قطب.

٥٨. مرآة العقول، محمَّد باقر بن محمَّد تقي المجلسيّ (ت ١١١١)، دار الكتب الإسلاميَّة.

٥٩. المستدرك على الصحيحَين، أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبِّي الطهمانيّ النيسابوريّ المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٠.

٦٠. المستشرق المعاصر إيتان كوهلبرغ وحديث الإماميَّة، مصطفى مطهَّري، ترجمة أسعد مندي الكعبيّ، دار الكفيل، ٢٠١٤.

٦١. المستشرقون والسيرة النبويَّة، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ١٤٢٦هـ.

٦٢. المستشرقون والمبشِّرون في العالم العربيّ والإسلاميّ، إبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى مَنَّ الله عليه بالإسلام)، دار الوعي العربيَّة.

٦٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، مسلم بن الحجَّاج أبو الحسن القشيريّ النيسابوريّ (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٦٤. معاني الأخبار، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّي (الشيخ الصدوق)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٦٥. مقتل الحسين عليه السلام، الموفَّق الخوارزميّ (ت ٥٦٨)، أنوار الهدى، قم، ١٤٢٣.

٦٦. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمَّد بن عليّ ابن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١)، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم.

٦٧. مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب مشير الدين أبي عبد الله محمَّد بن عليّ ابن شهرآشوب بن أبي نصر بن أبي حبيشيّ السرويّ المازندرانيّ (ت ٥٨٨)، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٩٥٦.

٦٨. المواهب اللدنيَّة بالمنح المحمَّديَّة، الشيخ أحمد بن محمَّد القسطلانيّ (ت ٩٢٣)، المكتبة التوفيقيَّة، القاهرة.

٦٩. موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، تحرير: م.ت. هوتسما، ت.و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، الأجزاء (أ) إلى (ع)، إعداد وتحرير: مجموعة من المؤلِّفين، مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، ط١، ١٩٩٨.

٧٠. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبيّ (ت ٧٤٨)، دار المعرفة، بير

المصادر الأجنبية.

1. Becker, Islamstudien, Von C.H. Becker, Zwei Baende, Leipzig, 1924 und 1932.
2. Bevan, A.A. "Mohammad's Ascension to Heaven". In Studien zur semitischen Philologie und Religionsgeschichte, Julius Wellhausen zum siebzigten Geburtstag am 17. Mai 1914 gewidmet, Edited by K. Marti, 51-61. Giessen: Beihefte zur Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft 27, 1914.
3. Fatima, Daughter of Muhammad, Christopher Paul Clohessy, 2nd Ed., Gorgias Press, 2013.
4. https://ar.wikipedia.org/wiki/.
5. https://web.archive.org/web/20191215110337/http://id.loc.gov/authorities/names/no2018111585.html.
6. https://www.albayan.ae/our-homes/2010-09-01-1.279435.
7. Islam and Missions, by: E.M. Vherry, S.M. Zwemer and C.G. Mylrea, N.Y. 1911.
8. Journal of the Society of Oriental Research, Volume 9, Chicago, 1925.

9. L'Oratoire de Marie à l'Acqa, vu sous le Voile de Deuil de Fatima pp: 592-618.
10. La Mubahala de Médine et l'Hyperdulie de Fatima, pp: 550-572.
11. La Notion de Voeu et la Dévotion Musulmane à Fatima, pp: 573-591.
12. Lammens H., Fatima, and the daughters of Muhammad, In the quest for the historical Muhammad, Edited and Translated by Ibn Warraq, New York, Prometheus Books, 2000.
13. Massignon, L. "Der Gnostische Kult der Fatima im Schiitischen Islam", pp: 514-552.
14. Re-Thinking Missions, By the Committee of Appraisal; Ernest Hocking. Chairman; N.Y. & London, 1932.
15. The Christian Approach to the Moslem, By James Thayer Addison; N.Y., 1942.
16. Veccia Vaglieri, L., Fātima, In Encyclopaedia of Islam, 2nd Edn., Vol. IIb, Edited by H.A.R. Gibb et al., 841-850. Leiden: E.J. Brill, 1965.
17. Warner, M. Alone of All Her Sex. The Myth and Cult of the Virgin Mary. London: Pan Books Ltd., 1985.

صورة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من الولادة حتَّى الزواج في رؤية عليّ شريعتي- دراسة نقديَّة

أ.د. عبَّاس فضل حسين المسعوديّ
جامعةُ المثنَّى/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة/ قسم التاريخ

مخلَّص البحث

يقدِّم هذا البحث صورة سيِّدة نساء الله العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وفق رؤية المفكِّر عليّ شريعتي في كتابه (فاطمة هي فاطمة)، من الولادة حتَّى زواجها عليها السلام، بطريقة نقديَّة استقرائيَّة لكلِّ ما ذكره هذا المفكِّر حول دور الزَّهراء عليها السلام في مكَّة منذ طفولتها حتَّى زواجها من الإمام عليّ عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة المباركة.

ويلحظ القارئ الكريم أنَّ هذه الصور المتعدِّدة التي سنذكرها في هذا البحث قد تمَّ تأطيرها بطريقة شاعريَّة وبأسلوبٍ تشويقيٍّ مميَّز، وهو الأسلوب الذي اعتاد عليه شريعتي في إيصال أفكاره إلى مجتمعه بطريقة مبسَّطة، ساهمت في نشر أفكاره بسرعة بين عامَّة الناس.

إنَّ ميلاد الزَّهراء وإرهاصاته، وارتباطها بشجرة النبوَّة الممتدَّة حتَّى إبراهيم عليه السلام، وتشابه دورها مع دور النبوَّة، وتحمُّلها أعباء الدعوة منذ نعومة أظفارها، وشاهدت أباها العظيم كيف عانى من اضطهاد الشِّرك، ومساهمتها في الدفاع عن النبيّ صلى الله عليه وآله، ومن ثمَّ هجرتها، وطبيعة علاقاتها مع عليّ عليه السلام قبل الزواج، ومن ثمَّ الزواج المبارك.

المقدِّمة

يمثِّل الشهيد عليّ شريعتي تيَّارًا فكريًّا ذو طبيعة ثوريَّة تهدف إلى تغيير الجمود في المجتمع الإسلاميّ بشكلٍ عامٍّ، والمجتمع الإيرانيّ بشكلٍ خاصٍّ، ونلمس ذلك بوضوح من خلال كتاباته حول تاريخ الإسلام وأهل البيت عليهم السلام، والتي امتازت بكونها غير نمطيَّة، ومختلفة عن المتداوَل في تلك الفترة التي سبقت قيام الثورة الإسلاميَّة الإيرانيَّة.

وبحثنا اليوم حول موقف شريعتي ورؤيته لتاريخ سيِّدة أهل البيت عليها السلام (فاطمة الزَّهراء البتول) سلام الله عليها، وقد جُمِعت محاضراته عنها في كتابٍ سمِّي (فاطمة هي فاطمة)، تناول فيه دور الزَّهراء في الإسلام بشكلٍ مميَّزٍ، وبأطروحة جديدة تختلف عن معاصريه، بكلماته القويَّة جدًّا، التي استهدفت إيقاظ الروح الثوريَّة للشباب المسلم، واستفاد من دراساته في فرنسا لاختصاص علم الاجتماع، والتي وظَّفها، مع ثقافته الدينيَّة، ليقدِّم لنا صورة جميلة زاهية لتاريخ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

ونظرًا لضيق الوقت، وكثافة المادَّة العلميَّة الموجودة في كتابه المشار إليه اعلاه، فقد تمَّ اختيار مدى البحث من ولادة الزَّهراء إلى زواجها عليها السلام.

واقتضت طبيعة البحث تقسميه على أربعة محاور:

١. تطرَّق المحور الأوَّل إلى صورة الزَّهراء في المجتمع الإسلاميّ المعاصر، تحت عنوان (صورة تاريخ فاطمة عليها السلام في أذهان الناس).

٢. المحور الثاني: (صورة فاطمة عليها السلام في مكَّة قبل الإسلام).

٣. المحور الثالث: (صورة فاطمة «أمُّ أبيها»).

٤. المحور الرابع: (صورة الزَّهراء عليها السلام في المدينة المنوَّرة).

المحور الأوَّل

صورة تاريخ فاطمة عليها السلام في أذهان الناس

يشكِّل تاريخ فاطمة الزَّهراء عليها السلام، عند شريعتي، نقطة مضيئة في تاريخ الإسلام الأوَّل، فهو يؤكِّد أنَّ «تاريخ فاطمة بوجودها، هو معيار لقياس مقدار تحوُّل المجتمع النسائيّ، وثباته على مبادئه الإسلاميَّة»(١).

وهذا التاريخ العظيم لا يعرفه إلَّا قلَّة من المجتمع معرفة ضئيلة جدًّا، وسطحيَّة لا تليق بمكانتها العظيمة في الإسلام لدى جميع المسلمين(٢).

وممَّا يشكل عليه أنَّه اعتمد على كتب السيرة والوثائق التاريخيَّة السنيَّة؛ لأنَّه نظر إليها بكونها أكثر وثاقة علميًّا وتاريخيًّا(٣)، ويفسرِّ شريعتي هذا الأمر بأنَّ «صورة فاطمة بكونها مرآة التشيُّع العلويّ المظلوم والمعترض في أعين أهل السنَّة واضح لكلِّ مَن يبحث عن الحقيقة بصورة منطقيَّة»(٤).

يُعطي شريعتي نقدًا اجتماعيًّا ذي بُعدٍ تاريخيّ لفهم الناس لتاريخ فاطمة الزَّهراء، فهو يرى أنَّهم يتحدَّثون بشكلٍ دائمٍ عن السيِّدة فاطمة عليها السلام، ويبكون عليها بالعشرات، وتُقام من أجلها مئات الاحتفالات ومجالس العزاء، ناهيك عن المدح والتعظيم ونقل الكرامات من المعجزات(٥)،

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٠.
(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٠.
(٣) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١١.
(٤) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١١.
(٥) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٦.

وعن بكائها[1]، ومصائبها، ولعن وسبِّ كلّ من آذاها[2]، ومع كلِّ ذلك، فهو يرى أنَّ هذا غير كافٍ، لأنَّه لم يُظهِر الوجه الحقيقيّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام[3]، ويعطي شريعتي رواية طويلة جدًّا، عن سيرتها العطرة، بقوله: «والشيء المعروف عندنا من هذه الشخصيَّة العظيمة، والذي يُعاد ذِكره جيلًا بعد جيل، وقرنًا بعد قرن، وهي كانت تحكي ليلَ نهار وطور عمرها هذه القصة..»[4]، ومردُّ تلك القصَّة التي أوردها شريعتي بتفاصيلها، وملخَّصها: أنَّ جبريل عليه السلام نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله وأخبره أنَّ الله يمنعه من الاقتراب من زوجته السيِّدة خديجة لمدَّة أربعين صباحًا، وكان يأكل من طعام الجنَّة، وبعدها اقترب منها، وحملت بالسيِّدة فاطمة، وأنَّ أمّها كانت تحسُّ بنورها في رحمها، وأنَّها كانت تُحادث أمَّها وهي بداخل بطنها[5] [6].

وهذا في بداية حياتها في عهد أبيها العظيم عليه السلام، ثمَّ ينتقل شريعتي إلى الصورة الأخرى الماثلة في أذهان الناس في كلِّ عصر، وهي تاريخها عليها السلام بعد رحيل أبيها سيِّد المرسَلين، وهي اغتصاب أبي بكر لفدك[7]، وهجوم عمر على بيتها ومعه رجال عدَّة، وكسروا الباب، وكسر ضلعها وضربها من قبل قنفذ غلام عمر المتوحِّش، فأسقطت

(١) ابن المغازلي، مناقب عليّ، ص١٩٥، الواقدي، المغازي، ج١، ص٣١٣، الترمذي، الشمائل المحمَّدية، ج١، ص٢٢٦، المقدسيّ، الأحاديث المختارة، ج١٢، ص٢٤١.

(٢) ينظر: البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٧، ص٧، الطوسيّ، أمالي الطوسيّ، ج٢، ص١٢٨، النسائيّ، سنن النسائيّ، ج٧، ص٤٥٨.

(٣) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٦.

(٤) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ، ص١٦.

(٥) انظر تفاصيل القصَّة: ابن حاتم العاملّي، الدرُّ النظيم، ص٤٥٣، السيِّد القزويني، فاطمة من المهد إلى اللحد، ص٢١.

(٦) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٦-١٧.

(٧) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله في سنة سبع صُلحًا. ينظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٨-٢٤٩.

جنينها محسنًا[1]، ومنذ ذلك الحين، بحسب رأي شريعتي: «صار عملها هي لأخذ أطفالها وسوقهم خارج المدينة في خربة باسم (بيت الأحزان)[2]، كي تبكي هناك وتلعن غاصِبي فدك، وتقضي بذلك ساعات عديدة من النَّوح والبكاء، وهكذا انقضت أيَّام عمرها القصيرة بالبكاء واللعن، حتَّى توفِّيت وأوصت بدفنها ليلا[3]، كي لا ينبش أبو بكر وعمر قبرها[4]»[5]، ويطرح شريعتي بعَجَل هذا التساؤل المهمّ جدًّا: «وأمَّا الذي يجب أن نتعلَّمه من فاطمة فلا شيء، والدور الذي تلعبه شخصيَّتها في حياة ومصير أتباعها ليس إلَّا الشقاء»[6].

وينتقل شريعتي إلى صورة من صور القيامة، والتي وردت في بعض الروايات، ذكرًا هذه الرواية على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله: «فينادي منادٍ من بين العرش في مجمع الخلائق: غضُّوا أبصاركم كي تسير فاطمة بنت حبيب الله إلى قصرها، فتمرُّ ابنتي فاطمة عليها السلام، ترفل بحُلَّتين خضراوَين، وحولها سبعون ألف حوريَّة، فيصلها النداء من ربِّ العالمين جلَّ جلاله: إن حفظت لمصيبتك إلَّا نظر في محاسبة العباد حتَّى تدخلي الجنَّة أنت وأبناؤك وشيعتك وكلُّ من أحسن إليك من غير شيعتك، فيدُخِلهم ربّ العالمين جميعًا إلى الجنَّة، قبل أن ينشغل بمحاسبة

(١) انظر تفاصيل الحادثة: البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج١، ص٥٦١، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٨، ص٣٠٨.

(٢) بيت الأحزان: بيت بناه الإمام عليّ للسيِّدة فاطمة خارج المدينة؛ لتقضي فيه يومها بالبكاء على فقدان النبيّ صلى الله عليه وآله. ينظر: المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٥-١٧٨، وينظر: القمِّيّ، بيت الأحزان، ص١٦٥.

(٣) حول هذا الحادثة راجع: البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٠٥، الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ج٣، ص٣٠٨.

(٤) حول هذه الحادثة راجع: الهلاليّ، كتاب سليم بن قيس، ص١٥٠، الشيخ المفيد، الاختصاص، ص١٨٣، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٨، ص٣٠٥.

(٥) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٧.

(٦) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٧.

الآخرين»[1] [2].

ويشير شريعتي إلى كلِّ هذه المعلومات الموجودة في أذهـان الناس عن هذه الشخصيَّة العظيمة: «أولئك الذين يعترفون بعظمتها وجلال مقامها بكلِّ وجودهم، وبكلِّ قدرة الروح والاسمان والإرادة التي يمكن لأمَّة أو لمجموعة إنسانية أن تحتويها في قلبها»[3]، ويتساءل شريعتي عمَّن يتحمَّل الذنب حول النساء، تبكي على فاطمة وزينب بكلِّ وجودهنَّ وتضحِّي نفسها إذا كانت تعلم أنَّ لذلك فائدة، ولكنها «لا تعرفها ولا تعرف كلمة من أحاديثها، ولم تقرأ سطرًا واحدًا عن سيرتها، ولا تتذكر فاطمة إلَّا في اللحظة التي تكون فيها خلف باب بيتها، ويُكسَر ضلعها»[4]، ويقول هذا الكلام الرائع: «فاطمة نموذج للمرأة المثاليَّة التي كان بإمكانها أن توجَد، ولكنَّ أحدًا لم يمثِّل وجودها»[5].

(١) ورد هذه الحديث بالفاظ متعدِّدة، ينظر: أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج٢، ص٧٦٣، المحبُّ الطبريّ، ذخائر العقبى، ج١، ص٨٤، المالكيّ، المجالسة، ج٨، ص١٨٢، الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج١، ص١٠٨.

(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٧-١٨.

(٣) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٨.

(٤) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص٣٦.

(٥) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص٣٩-٤٠.

المحور الثاني

صورة فاطمة عليها السلام في مكَّة قبل الإسلام

أوَّلًا: صورة المجتمع العربيّ قبل ظهور فاطمة عليها السلام

تعمَّق شريعتي في حديثه عن المجتمع العربيّ القَبَليّ قبل الإسلام من الناحية الاجتماعيَّة، لكي يمهِّد للصورة الرائعة التي وضع السيِّدة الزَّهراء فيها، وكيف أنَّ ظهورها ووجودها ساهم بشكلٍ كبير في التصدِّي للعادات الجاهليَّة القديمة، وكشف إنَّها كان نموذج تطبيقيّ للنبوَّة في مواجهة عادة احتقار المرأة ودفنها حيَّة، وإهانتها في ذلك المجتمع القاسي القائم على تقديس الآباء، وتمجيد الذكورة[1].

يرى شريعتي أنَّ المجتمع العربيّ القبليّ، قبيل ظهور عصر النبيّ صلى الله عليه وآله وابنته الزَّهراء عليها السلام، كان مجتمعًا قاسيًا متعطِّشًا للدماء، قائم على القتال؛ بسبب البيئة الصحراويَّة التي تتطلَّب القسوة والقوَّة والشدَّة[2]، ممَّا يعني أنَّه مجتمع يميل إلى الذكور؛ لأنهَّم الأقدر على تحمُّل هذه الطبيعة[3]، خاصَّةً أنَّ الذَّكر والولد، بسبب المجتمع القاسي، تحوَّل إلى قيمة اجتماعيَّة، إلى منفعة وقيمة اجتماعيَّة عُليا، وشرفًا اجتماعيًّا وأخلاقيًّا، وبنفس النسبة فهو يحتقر البنت والأنثى؛ لأنَّها ضعيفة ذليلة، تتحوَّل إلى الأسر الذي يذلُّ أُسرتها، ويُضعِف قيمتها الإنسانيَّة، فتُصبِح مملوكةً للرجل وعبدةً في بيته[4]، فهي جزء من مجتمع

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٠.
(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٠
(٣) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٠.
(٤) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣١.

كان يقدِّس الآباء والأجداد وسلطتهم في القبيلة[1] [2].

وأشار شريعتي إلى أنَّ الأنبياء عليهم السلام[3]، قد ثاروا ضدَّ دين الآباء والأجداد والتديُّن بأساطير الأوَّلين[4]؛ لأنَّها مرجعيَّة دينيَّة تقليديَّة موروثة، وتعتمد عبادة الآباء والأجداد، وكانت ثورة الأنبياء هي بعثة ثوريَّة واعية وفكريَّة على أساس عبادة الله[5]، وأنَّ سيرة النبيّ العربيّ الأمين لم تخرج عن هذا النهج، بل طبَّقت ذلك بشكلٍ عَمَليّ.

ويؤكِّد شريعتي أنَّ هذا المجتمع الذكوريّ القاسي ينظر إلى المرأة بأنَّها عورة ضعيفة جدًّا إلى درجة يجب الدفاع عنها، وتعيق المحاربين في القتال، وهناك «هاجس وقوعها أسيرة بيد العدوِّ، وربَّما تسبيبها لفضيحة أو وصمة عار تبقى في جبين شباب القبيلة، وبعد كلِّ هذا التعب والمصارف والخوف والهواجس، تُصبح صيدًا سهلًا لشخصٍ آخر، ومزرعة يزرع فيها الغريب ويحصد، فلهذا كانوا يفضِّلون بطيبعة الحال قتلها متى وُلِدت، وزفافها للصهر الصامت الرهيب القبر[6]، والرجل الذي لا صبيَّ عنده أبتر عقيم بلا امتداد ولا استمرار، والكوثر[7] تعني الامتلاء والكثرة والخير والبركة، وكثرة الذريَّة التي بشَّر بها الله جلَّ وعلا نبيّه الحبيب، ردًّا على نعت الكفَّار له بالأبتر»[8].

(١) انظر: ابن إسحاق، السيرة، ص١٩٨.

(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٠.

(٣) انظر الآيات: المؤمنون، الآية: ٢٤، القصص، الآية: ٣٦.

(٤) انظر الآيات: الأنعام، الآية: ٢٥، الأنفال، الآية: ٣١، النحل، الآية: ٢٤، المؤمنون، الآية: ٨٣، الفرقان، الآية: ٥.

(٥) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٠-١٣١.

(٦) ينظر: أبو هلال العسكريّ، ديوان المعاني، ج٢، ص٢٥١، إذ يورد قول الشاعر:

«لكلِّ أبي بنتٍ يُراعي شؤونها ... ثلاثةُ أصهارٍ إذا طُلبَ الصِّهرُ

فبعلٌ يُراعيها وخدرٌ يكنها ... وقبرٌ يُواريها وخيرُهما القبرُ

وجعل القبر خير الثلاثة الأصهار، فإنَّه نِعم الصِّهر في الستر».

(٧) سورة الكوثر، الأيات: (١-٣).

(٨) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٦-١٣٧.

ويضيف شريعتي بأسلوبه الرائع قائلًا: «في جوٍّ كهذا وعصرٍ كهذا، كان التقدير وراء ستار الغيب يعمل حثيثًا من أجل خلط كلِّ شيء، وانهيار كلِّ شيء، وخفيةً يخطِّط لثورة تقتلع الجذور، وعاصفة تُثير كلَّ شيء في هذا المستنقع الراكد العفن، وفجأة كفَّ عن خطَّة رائعة، ولكن صعبة، انتُخِب لتنفيذها وجهان: أبٌ وابنته، على محمَّد أن يتحمَّل العبء الأكبر فيها (الأب)، وعلى فاطمة أن تُبرز في شخصيَّتها خلقَ قِيَمٍ ثوريَّة جديدة (البنت)»[1].

ثانيا: صورة فاطمة عليها السلام في الأسرة النبويَّة المباركة

يعطي شريعتي وصفًا جامعًا لقبيلة قريش، قبيلة محمَّد صلى الله عليه وآله، بأنَّها أكبر قبيلة عربيَّة حافلة بالمفاخر الدينيَّة والدنيويَّة، ووجه الشَّرف لكلِّ عربيٍّ وعزَّتهم، وفيها أُسرتَين متنافسَتَين هما بني أميَّة، وبني هاشم[2]. ثمَّ يضيف مقارنة اجتماعيَّة ذات طبيعة دينيَّة بين الأسرتَين، فهو يعتبر بني أميَّة أكثر قوَّةً وثراءً من بني هاشم، الذين بقي مقامهم محترمًا بين العرب؛ بسبب كونهم سَدَنة الكعبة الشريفة، وأنَّ شيخهم عبد المطَّلب هو الذي مهَّد لهم تلك المكانة التي لم يستطع ابنه أبي طالب من بعده ملء تلك المكانة[3]؛ بسبب حياته الصعبة وفقره المدقع، الذي دفعه إلى توزيع أولاده على أقربائه[4] [5]، وأنَّ هذه المنافسة بين الأسرتَين قويَّة جدًّا، فقد حاول الأمويُّون امتلاك كلِّ شيء في قريش بكلِّ مفاخرها ومناصبها، وهزيمة بني هاشم معنويًّا ونفسيًّا[6].

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٧.
(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٧.
(٣) ينظر: ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٧٩-١٨٠.
(٤) ينظر: ابن هشام، السيرة، ج١، ص٢٤٦، الخركوشيّ، شرف المصطفى، ج١، ص٤٢٣، المحبُّ الطبريّ، ذخائر العقبى، ج١، ص٨٥.
(٥) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٧.
(٦) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٧.

وفي خضمِّ أجواء المنافسة العنيفة بين الأسرتَين، كان لا بدَّ من وجود أسرة من بني هاشم تستطيع الوقوف بوجه منافسة بني أميَّة لها، وتكون ذات اعتبار ومكانة دينيَّة مهمَّة، وهذه أسرة محمَّد صلى الله عليه وآله حفيد عبد المطَّلب الذي أصبح مركزه قويًّا بزواجه من السيِّدة خديجة، المرأة القرشيَّة الثريَّة الشهيرة، ويعطي شريعتي عدَّة صفات للنبيّ صلى الله عليه وآله، والتي ساهمت في بروز شخصيَّته في المجتمع القرشيّ فوق، يقول: «كما أنَّ رزانة شخصيَّته وقوَّتها وأمانته والمكانة التي حصل عليها محمَّد بين الناس، وبالأخصِّ في بني هاشم ورجال قريش، لفتت الأنظار إليه، وجعلتهم يرون به مفاخر عبد مناف وحارس عزَّة بني هاشم، وبالأخصِّ محيي اعتبار عبد المطَّلب، فحمزة شاب بطولي متهور، وأبو لهب رجل لا قيمة له، والعبَّاس ثري بلا شخصيَّة، وأبو طالب رجل ذو شخصيَّة، ولكنَّه فقير، ومحمَّد هو الوحيد الذي كان ذا شخصيَّة نافذة، هو وزوجته مع شبابه، وصاحب ثروة لا يُستهَان بها، فعلى شجرة بني هاشم أن تُزرَق وتتفرَّع من هذه الأسرة، وتلقي بظلالها على كلِّ مكَّة، الكلُّ يتنظر أن يولَد في هذا البيت فتية أشاوس، يهبون آل عبد المطَّلب وعائلة محمَّد القدرة والاعتبار والقوَّة»[1].

إنَّ هذا النص ووصفه يمثِّل نظرة المجتمع المكِّيّ القبليّ قبل الإسلام، لكلِّ أسرة، أن يلد فيها الأولاد الذين يشكِّلون عنصر قوَّة لها، بحسب العُرف الاجتماعيّ السائد آنذاك.

وبعد أن يسرد أسماء أولاد النبيّ صلى الله عليه وآله قبل ميلاد فاطمة عليها السلام، بطريقة شاعريَّة تجذب القارئ لكلِّ ما يقوله، من أجل أن يهيِّئ الأذهان لفكرته الأساسيَّة، فهو يقول: «وكان المولود الأوَّل بنتًا زينب، ولكن العائلة تنتظر صبيًّا، المولود بنت أيضًا رقية، اشتدَّت لهفة الانتظار، وازدادت الحاجة، الثالث أم كلثوم، وفجاءه صبيَّان القاسم وعبد الله، كانت تلك بشارة كبيرة، ولكنَّهما أفلا قبل أن يلتمع نجمها في سماء العائلة، ولم يبقَ في هذه

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٧-١٣٨.

الأسرة إلَّا ثلاثة أطفال كلُّهم بنات»[1].

ثمَّ يتنقل شريعتي إلى الفرصة الأخيرة لهذه العائلة بميلاد صبيٍّ لها، فهو يصفها بهذا الشكل «هل ستأتي خديجة التي قارب عمرها على النهاية بطفل؟ كان الأمل ضعيفًا جدًّا. أجل التهب الحماس والأمل في هذا لبيت وتأجَّج إلى آخر حدٍّ، هذه آخر فرصة لعائلة عبد المطَّلب، وآخر أمل.. لكن.. إنَّها بنت مرَّة أخرى. سمِّيت البنت فاطمة»[2].

ويعلِّق شريعتي واصفًا هذا الأمر بقوله: «انتقل الأمل والحماس إلى بني أميَّة، وانتشرت الهمسات والشماتة والاستهزاء في وسط العدو المتربِّص، وسمِّي محمَّد «بالأبتر»[3] الرجل الذي آخر حلقة في سلسلة أسرته يملك عائلة بأربع بنات فقط»[4].

ثالثا: صورة فاطمة عليها السلام امتداد للنبوَّة وصلتها بالأنبياء

تمثِّل فاطمة عليها السلام في رؤية شريعتي مثالًا إنسانيًّا عظيمًا، فهو يعدّها «وارثة كلّ مفاخر أسرتها، ووريثة نبل جديد لا ينشأ عن الأرض والدَّم والمال، بل ظاهرة وحي صنيع الإيمان والجهاد والثورة والفكر والإنسانية، ونسيج جميل من كلِّ قيم الروح المتعالية»[5]، يستطرد أيضًا واصفًا النبيّ بأنَّه لم يكن مرتبطًا بعبد المطَّلب وعبد مناف وقريش والعرب فقط، بل كلّ تاريخ البشر، ووراث إبراهيم نوح وموسى وعيسى، وفاطمة هي وارثه الوحيد[6]، مستشهدًا بسورة الكوثر المباركة[7]. إذن في رؤية شريعتي يظهر أنَّ عدو محمَّد صلى الله عليه وآله هو أبتر بما عنده، رغم أولاده العشرة، ونحن أعطياك الكوثر فاطمة، هكذا

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٨.
(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٨-١٣٩.
(٣) انظر: ابن إسحاق، السيرة، ص٢٤٥، ابن حبَّان، السيرة، ج١، ص٤٠٨، ابن الجوزيّ، المنتظم، ج٢، ص٣١٧.
(٤) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٣٩.
(٥) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٠.
(٦) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٠.
(٧) قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾.

ظهرت الثورة (يقصد بها فاطمة)، في صميم ضمير الزمن[1].

وبذلك تحوَّلت فاطمة عليها السلام إلى ملاك مبادئ أبيها العظيم، ووريثة كلِّ مفاخر أسرتها المباركة، وامتدادًا لسلسلة كبيرة ممتدَّة من آدم الإنسان الأوَّل، وتمرُّ على كلِّ قادة الحريَّة واليقظة في تاريخ البشر، فتصل إلى إبراهيم العظيم، وتلحق بموسى وعيسى، متَّجهة نحو النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، كي تنتهي بآخر حلقة في سلسلة العدل الإلهيّ، نعم هذه سلسلة الحقيقة الصحيحة التي أسماها محمَّد صلى الله عليه وآله فاطمة[2].

ليأتي دور فاطمة عليها السلام، بحسب رؤية شريعتي، لتكون ثورة تحرير المرأة من براثن الجاهليَّة واحتقارها للبنت، ذلك أنَّها تعرف ماذا تفعل، وتعرف مَن تكون، فهي وارثة دين إبراهيم، وامتداد لثورته المباركة، فهي تريد ألَّا تُدفَن البنت في مسجد إبراهيم (البيت الحرام)، وتحرِّره من رجس الجاهليَّة[3].

ويذكر شريعتي قصَّة هاجر زوجة النبيّ إبراهيم وابنهما إسماعيل عليهما السلام، وربطها بقضيَّة وجود فاطمة عليها السلام، فإنَّ بناء البيت اشترك فيه الثلاثة كلٌّ حسب دوره، ونترك شريعتي يصف ذلك بقوله: «فربُّ إبراهيم يختار جنديَّه المجهول من بين هذه الأمَّة الكبيرة (امرأة، أم، جارية)، أي الكائن المحروم من أيِّ مقام في الأنظمة البشريَّة، أجل هكذا يثورون في هذا الدين، يحرِّرون المرأة، فهذا تكريم لمنزلة المرأة، والآن مرَّة أخرى اختار ربُّ إبراهيم فاطمة»[4].

وبذلك أصبحت السيِّدة فاطمة عليها السلام، وفق هذه الرؤية، الأنثى الوارثة لكلِّ مفاخر أهلها وصاحبة مبادئ أسلافها، وامتداد شجرة نسبها، واعتبارها بديلًا عن الذَّكر المنشود، في ذلك المجتمع الذي لم يكن يرى غسل عار البنت إلَّا بوأدها حيَّة، وأفضل

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٠.
(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٠
(٣) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤١.
(٤) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤١.

الأصهار الذي يتمنَّاه كلُّ أب هو القبر[١].

وتُنقَل الصورة إلى جانب آخر مشرق من حياة الزَّهراء، حسب وصف شريعتي، هذه الصورة جمعت بدون تسلسلٍ تاريخيّ العلاقة بين البنت العظيمة وبين أبيها سيِّد البشر، فالنبيّ العظيم، وفق رؤيته، كان يعلم ما يريده القدر منه، ويعرف مَن هي فاطمة، وماذا ستكون، ولهذا يقف التاريخ مدهوشًا أمام تعامله عليه السلام مع ابنته الصغيرة، وراكعًا أمام مديحه غير العاديِّ لها[٢]. ويُعطي شريعتي وصفًا دقيقًا لهذه الصورة، فبيت محمَّد وفاطمة متجاوران[٣]، وفاطمة هي الشخص الوحيد مع زوجها عليّ التي تشارك النبيّ السكن في مسجده[٤]، ذلك البيت الذي لا يفصله عن بيت النبيّ سوى مترَين ونافذة متقابلة مع نافذة النبيّ صلى الله عليه وآله، وفي كلِّ صباح يفتح الأب نافذته، ويحيِّي ابنته الصغيرة[٥].

ثمَّ يسير شريعتي في وصف آخر وصورة أخرى من صور فاطمة العظيمة، فهو يذكر مضمون الروايات التي تشير إلى أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان كلَّما سافر طرق بيت فاطمة وودَّعها[٦]، «فتكون هي دائماً آخر مَن يودِّع، وكلَّما عاد من السفر، كان بيت فاطمة هو أوَّل بيت يزوره، بطرق بابها ويسأل عن صحَّتها»[٧].

وينقل من المصادر التاريخية أنَّ «النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقبِّل وجه فاطمة ويديها[٨]، معاملة

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٢.
(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٢.
(٣) ينظر: النسائيّ، سنن النسائيّ، ج٧، ص٤٢٣، الطبرانّي، المعجم الكبير، ج٣، ص٤٩، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٣، ص٣٣٣.
(٤) ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٢، ص١٢٢، الخركوشيّ، شرف المصطفى، ج٢، ص٤٥١، الحلبيّ، السيرة الحلبيَّة، ج٣، ص٤٨٨.
(٥) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٢.
(٦) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٢.
(٧) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٢.
(٨) ينظر: ابن داوود، سنن ابن داوود، ج٤، ص٣٥٥، الترمذيّ، سنن الترمذيّ، ج٥، ص٧٠٠، النسائيّ، سنن النسائيّ، ج٧، ص٣٩٣.

كهذه تعني شيئًا أكثر من التدليل والحبِّ الأبويّ الذي يمكن أن يفيض به قلب أبٍ على ابنته، هذا التصرُّف يعتبر ضربة ثوريَّة انهالت على العوائل والعلاقات غير الإنسانيَّة للبيئة هناك «نبي الإسلام يقبِّل يد فاطمة»(١).

وهكذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله يُكبِر من شأن فاطمة، لا علامة على حبِّه الأبويّ لها فقط، بل كواجب ومهمَّة خطيرة، قائلًا: «**أفضل نساء العالم أربع: مريم آسية خديجة فاطمة** عليهن السلام»(٢)، و«**إنَّ الله يرضى لرضاكِ ويغضب لغضبكِ**»(٣)، و«**رِضا فاطمة مِن رضاي وغضبها من غضبي، مَن أحبَّ ابنتي فاطمة فقد أحبَّني، ومَن أرضاها فقد أرضاني، ومَن أغضبها فقد أغضبني**»(٤)، و«**فاطمة بَضعة منِّي مَن آذاها فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله..**»(٥). وبعد أن أورد شريعتي هذه الأحاديث في حقِّ فاطمة، يطرح هذا السؤال المهم: «لماذا كلُّ هذا التكرار؟ لماذا يصرُّ النبيّ صلى الله عليه وآله على مدح ابنته الصغيرة بهذا الشكل؟ ولماذا يصرُّ على الثناء عليها أمام الناس واطْلاعهم على حبِّه الخاصِّ لها؟ وأخيرًا لماذا يؤكِّد دائمًا على غضبها ورضاها؟ ويكرِّر بهذه الصورة كلمة أذيَّتها، وأنَّ جواب لماذا هذه، وإن كان خطرًا حادًّا جدًّا، إلَّا أنَّه واضح، فقد أجاب التاريخ على كلِّ شيء، والمستقبل، عمر فاطمة القصير بعد وفاة أبيها، كشف لنا سرَّ قلق أبيها»(٦).

---

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٢.
(٢) ينظر: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٤، ص٤٠٩، ابن كثير، السيرة النبويَّة، ج٢، ص١٣٧.
(٣) ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٧، ص٢١٦، السيوطيّ، الخصائص الكبرى، ج٢، ص٤٦٤.
(٤) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص٤٥، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك، ج٣، ص١٤٠.
(٥) ينظر: البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٥، ص١٢، ابن أبي شيبة، المصنّف، ج٦، ص٣٨٨، الذهبيّ، تاريخ الإسلام، ح٣، ص٤٤.
(٦) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٣.

المحور الثالث

صورة فاطمة (أمّ أبيها)

استعان شريعتي بهذه العبارة «أمُّ أبيها»[1]، لكي يبيِّن ماهيَّة هذا الاسم، وكيف استحقَّت الزَّهراء هذا الوسام بجدارة، ويبدأ بعرض السيرة العطرة للزَّهراء بكونها أصغر بنات النبيّ صلى الله عليه وآله، وعاشت في خضمِّ العواصف والمِحَن[2]، ويؤكِّد بأنَّ التاريخ مختلف في تاريخ ولادتها عليها السلام، فقد اتَّفق الطبريّ[3]، وابن إسحاق[4]، وابن هشام[5]، على أنَّها كانت قبل البعثة بخمس سنوات[6]، بينما يذكر المسعوديّ أنهَّا كانت في السنة الخامسة بعد البعثة[7]، في حين كان اليعقوبّي أشار أنَّها بعد نزول الوحي[8]، ولهذا السبب جعل أهل السنَّة في السنة الخامسة بعد البعثة تاريخًا لتلك الولادة، بحسب رؤية شريعتي، الذي لم يُعِر أيَّ اهتمامٍ لها، والتحقُّق من صحَّتها، وأكَّد أنَّها من مهام المحقِّقين، وأنَّ ما يهمُّه من كلِّ ذلك فاطمة نفسها، سواء ولِدت قبل البعثة أم بعدها[9].

(١) ينظر: أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبين، ص١٢، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٢، ص١٥٢.
(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٤.
(٣) تاريخ الطبريّ، ج١١، ص٥٩٧.
(٤) راجعت الكتاب فلم أجد شيئًا ممَّا ذكره شريعتي.
(٥) راجعت الكتاب فلم أجد شيئًا ممَّا ذكره شريعتي.
(٦) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٤.
(٧) مروج الذهب، ج٢، ص٢٢٧، وقد أخطأ شريعتي في نقله؛ لأنَّ المسعودي قال إنَّها ولِدَت بعد البعثة بثمان سنين.
(٨) تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٤٢٥.
(٩) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٤.

في كلِّ القولَين حول ولادة فاطمة، يرى شريعتي أنَّها كانت صغيرة جدًّا، وبقيت في بيت أبيها وأمِّها، فشهدت كلَّ الصعاب والآلام التي أحاطت بهذه الأسرة في سبيل الدعوة إلى الله، فهو يقول: «على أيَّة الحال اتَّفقت بداية عمرها مع بداية الرسالة الخطيرة، واشتداد القتال، والصعاب والآلام التي خيَّمت على بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، يحمل الأب على عاتقه رسالة أيقاظ الناس وتوعيتهم، ويتحمَّل عداوتهم، والأمُّ المريضة تتابع زوجها المحبوب، فكانت فاطمة منذ نعومة أظفارها، وفي أوَّل تجارب طفولتها، تعرف طعم الألم والحزن وخشونة الحياة..»[1] [2].

كانت طفولة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في فكر شريعتي، ذات معاناة شديدة، فهي لم تكن مثل باقي الأطفال الذين يلاعبهم آباؤهم في أزقَّة المدن؛ لأنَّ أبيها العظيم كان منشغلًا وحده في المواجهة الشرسة مع أئمَّة الكفر في مكَّة، وكانت هي تعرف ذلك جيِّدًا، فربطت مصيرها بمصير أبيها، وسعيه نحو هداية البشر[3].

ويستطرد شريعتي في تتبُّعه لدور الزَّهراء عليها السلام في عصر الدعوة الأوَّل، ويسرد رؤيته بطريقة شاعريَّة مؤثِّرة تجذب المستمع وتشدُّه لكلِّ ما يقوله حول هذه السيِّدة العظيمة، فهو يكرِّر بأنَّها تلك البنت الصغيرة التي شاهدت أبيها أكثر من مرَّة وهو يحدِّث الناس وحيدًا، بأسلوبه الرؤوف الرحيم، يدعوهم بالرأفة والرحمة، وهم يتعدون عنه بالعنف، ولا يستجيبون له إلَّا بالسباب والشتم[4]، فيعود وحيدًا فريدًا، لكنه كان هادئًا صابرًا[5].

وذهب شريعتي إلى روايات التاريخ لأثبات كلامه، فقال: «إنَّ فاطمة كانت تقف

(١) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص٣٧٩.
(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٤-١٤٥.
(٣) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٥.
(٤) ينظر: ابن إسحاق، السيرة، ص١٧١، ابن هشام، السيرة، ج١، ص٣٥٦.
(٥) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٥.

قريبة من أبيها، عندما انهالوا عليه يومًا بالضَّرب والشتم في المسجد الحرام، وقد عادت معه بعد ذلك إلى البيت»[1] [2]، ويضيف قائلًا: «وكذلك في اليوم الذي كان فيه النبيّ ساجدًا وجاء أحد أعدائه ورمى رأسه بكرشة شاة، أوصلت فاطمة نفسه، فجاءت إلى أبيها وأزاحتها، ثمَّ قامت بمسح وجهه وشعره بيديها الصغيرتَين الحميمَتَين، حتَّى عادا معًا إلى البيت»[3] [4].

وبذلك استحقَّت لقب «أمِّ أبيها»[5] بحسب رؤية شريعتي، ذلك أنَّ الناس شاهدوا نحافة تلك الطفلة الصغيرة، كيف وثقت إلى جناب أبيها البطل الوحيد، وكيف يمكن لطفل رعاية أبيه ويلاطفه ويواسيه في المصاعب بكلِّ وجوده بكلمات وتصرُّفات بريئة حنونة، تلك فاطمة الزَّهراء عليها السلام[6].

انتقل شريعتي مباشرةً إلى دور الزَّهراء بعد وفاة أمِّها السيِّدة خديجة عليها السلام، فقد وصف تلك الصورة بهذا الشكل: «أمَّا فاطمة فيبدو أنَّها أحسَّت اليوم أكثر من أي وقت آخر بمعنى ومسؤوليَّة كنيتها (أمّ أبيها)، فعندما ألفت نفسها وحيدة بعد ذهاب أخواتها إلى بيوت أزواجهنَّ، تعلَّقت بأمِّها قائلة: **أمَّا أنا لا أحبُّ أبدًا أن أختار بيتًا غير هذا البيت، أمَّاه أنَّني لن أفارقكم أبدًا**. فأجابتها خديجة بابتسامة تقطر إعجابًا: **إنَّ الجميع يقول هذا، وقد قلناه نحن قبلك يا ابتني، دعي موعده يصل بنفسه**. فتقول فاطمة مصرَّة: **كلَّا إنَّني لن أترك أبي أبدًا، فلن يستطيع أي أحد فَصْلي عنه**. فصمتت الأم. والآن بعد وفاة

(١) ينظر: ابن إسحاق، السيرة، ص٢٣٤.
(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٥.
(٣) أنظر القصَّة: ابن إسحاق، السيرة، ص٢١١، الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٤٩، أبو نعيم الأصبهانيّ، دلائل النبوَّة، ج١، ص٢٦٦، البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج١، ص١٢٥.
(٤) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٥-١٤٦.
(٥) ينظر: الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ج١١، ص٤٩٩، المقريزيّ، إمتاع الأسماع، ج٥، ص٣٥١، الشاميّ، سبل الهدى، ج١١، ص٣٧.
(٦) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٦.

أمِّها، تشعر فاطمة بأنَّ رسالتها هي هذه، وعهدها الذي لم يكن رغبة طفوليَّة، ازداد إيمانها برسالتها عندما أباها يخاطب قريشًا هكذا..»[1]. ويروي شريعتي هذه الرواية التاريخيَّة ويوظِّفها بطريقة بديعة تدلُّ على عمق فهمه لدور الزَّهراء عليها السلام، فقال على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله: «يا مجمع قريش عودوا إلى أنفسكم، فلست بمغنٍ عنكم شيئًا أمام الله، يا أبناء عبد مناف، لست بمغنٍ عنكم شيئًا أمام الله، يا عبَّاس بن عبد المطَّلب أنَّني.. يا صفيَّة بنت عبد المطلب.. يا فاطمة لك من ثروتي ما تشائين، ولكنِّي لست بمغنٍ عنكِ شيئًا أمام الله. فتجيبه فاطمة بشوقٍ وثبات: بلى بلى يا أغلى أب وأفضل داعية»[2] [3].

فهذا الخطاب، بحسب فكر شريعتي، يدلُّ على عظيم مكانتها لدى النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّه ساوى بينها، هي البنت الصغيرة، وبين كبار القوم وعظماء قريش وسادة مكَّة، فقال: «عجبًا له، يخاطبها باسمها أمام كبار قريش وشخصيَّات بني هاشم وعبد مناف، هي طفلة صغيرة، ويختارها هي من دون كلِّ أفراد عائلته، فيتبدَّل الإحساس الطفوليّ والحبُّ الواله لهذه البنيَّة، والتي كانت قد كرَّرت كثيرًا أنَّها لن تتزوَّج ولن تترك أباها، يتحوَّل تدريجيًّا إلى عهدٍ واعٍ ويتَّخذ لونًا من المسؤوليَّة والرسالة»[4].

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٥٥.
(٢) هناك اختلاف بينه وبين النصوص التاريخيَّة. ينظر: ابن إسحاق، السيرة، ص١٤٧.
(٣) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٥٥-١٥٦.
(٤) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٥٦.

المحور الرابع

صورة فاطمة في المدينة المنوَّرة

أوَّلًا: صورة الزَّهراء المرأة وتأسيس الأسرة المثاليَّة

اهتمَّ شريعتي بهذا الصورة بشكلٍ أساسيٍّ؛ لأنَّه يعتقد أنَّ بيت الزَّهراء وأسرتها تشكِّل الركيزة الأولى لبناء الأسرة الإسلاميَّة الصحيحة، التي يحتاجها المجتمع الإنسانيّ في كلِّ عصر.

ويركِّز شريعتي على معاناة الزَّهراء في مكَّة في سنين الدعوة الأولى، فهي عاشت سنين عمرها الأولى، سنين البعثة ومصاعبها وآلالامها، فهي تعدُّ أنسب أبناء محمَّد صلى الله عليه وآله، ومن كلِّ الأبناء، لتحمُّل تلك الصعاب، وعناء أثقال الرسالة التي حملها أبوها على كتفه[1]، عالمة بمصيرها هي وأبيها وأمِّها[2].

ولكي يمهِّد شريعتي لانتقال فاطمة وارتباطها بعليّ عليهما السلام لاحقًا في المدينة بعد الهجرة، يصوِّر لنا المعاناة التي عاشها هَذَين الرُّوحَين الأقرب للنبيّ صلى الله عليه وآله، فهو يصوِّر لنا حال فاطمة قائلًا: «وفاطمة أحقُّ في أن تذوق هذا العذاب بقدر ما أنعم الله عليها في كونها بنت النبيّ، وما اختصَّها من حبِّه واعتزازه بها»[3]، ويضيف: «ومحمَّد الذي

(١) أورد ابن إسحاق بعض ما عانته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بقوله: «شجَّ غلام من قريش فاطمة بنت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وهي غادية، فنادت: يا آل عبد شمس، فخرج أبو سفيان، وخرج أبو جهل، فقال: يا أبا سفيان هذه يدي، فرجع». ينظر: السيرة، ص٢٣٤.

(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٥٦.

(٣) شريعتي، فاطمة، هي فاطمة، ص١٥٧.

انقضت خمسون عامًا من عمره، وأصبحت حياته سندان كلِّ الضربات الموجعة، يعيش وحيدًا مع فاطمة ابنته الحزينة، ولكن لا، فالقدر قد جاء بولد إلى هذا البيت مع وجود أبيه، ولا أحد يعلم ماذا يحدث خلف ستار الغيب.. عليّ.. فعليّ يجب إلَّا يعيش في بيت أبيه[1]، بل يجب أن يكون إلى جانب فاطمة منذ الطفولة، ويصنع في بيت والد فاطمة، فمصير هذا الصبي مرتبط ارتباطًا عجيبًا بمصير هذا الأب وابنته»[2].

وانتقلت هذه الصورة الجميلة إلى بُعد آخر وضعه شريعتي، فهو يرى أنَّ فاطمة هي البداية الأولى في الرسالة الخطرة، تلك الرسالة التي تهدف إلى تهديم أدران الجاهليَّة، والتاريخ بحاجة إلى عليّ عليه السلام من أجل هذه المهمَّة[3].

ثانيا: الزواج الميمون

يمهِّد شريعتي في رسمه لصورة زواج السيِّد فاطمة عليها السلام من الامام عليّ عليه السلام، بالتطرُّق إلى قضيَّة الإخاء، وكيف اختار النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ أخا له من دون أصحابه[4]، فهو هنا يقول هذه المقولة الرائعة: «ومِن بين كلِّ الوجوه يقف عليّ إلى جانب محمَّد، ويقترب خطوة أخرى نحو محمَّد، ففاطمة أمُّ عليّ عليه السلام هي التي رعت محمَّدًا صلى الله عليه وآله، وكان أبو طالب أبو عليّ عليه السلام حاميًا لمحمَّد صلى الله عليه وآله، ومحمَّد صلى الله عليه وآله ترعرع في بيت عليّ عليه السلام، وعليّ عليه السلام في بيت محمَّد صلى الله عليه وآله، والى جانب فاطمة بنت محمَّد عليها السلام، وفي حضن خديجة أمّ فاطمة، وهو ابن عمِّ محمَّد صلى الله عليه وآله، والآن هو آخر لمحمَّد صلى الله عليه وآله»[5].

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة، ج١، ص٢٤٦، الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ج٢، ص٣١٣، ابن سيِّد الناس، عيون الأثر، ص١١١.
(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٥٧.
(٣) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٥٨.
(٤) ينظر: ابن هشام، السيرة، ج١، ص٥٠٤-٥٠٥، ابن عبد البرِّ، الدرر في اختصار المغازي، ص٩٠.
(٥) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٦٠.

ولم يبقَ سوى خطوة واحدة ليصل إلى آخر منزلة قُدِّرت له في تاريخ محمَّد صلى الله عليه وآله، وفي رفقة الإسلام، لكن، بحسب رأي شريعتي، لازالت السيِّدة فاطمة عليها السلام وفيَّة لعهدها، ولم تترك حضن الزُّهد والوحدة في بيت أبيها، ذلك عندما رفض النبيّ صلى الله عليه وآله خطبة كبار الصحابة لها[1]، ويفسرِّ شريعتي ذلك بأنَّ النبيّ لا يجيب خاطبًا إلَّا بعد استشارتها[2].

ويناقش شريعتي طبيعة علاقة فاطمة عليها السلام بعليّ عليه السلام قبل الزواج الميمون، بقوله: «فاطمة ترعرعت مع عليّ أخًا عزيزًا لها، وفراشة محبَّة ترفرف حول أبيها، كان قد ربط مصير هذَين الاثنين بصورة خاصَّة منذ الطفولة، فكلاهما لا صلة لهما بالجاهليَّة، وكلاهما كبرَا ودرجَا في عاصفة البعثة منذ سنين عمرهم الأولى، وترعرعا تحت نور الوحي»[3]، ويُطلق شريعتي العنان لأحاسيسه متسائلًا: «ماذا كان إحساس فاطمة نحو عليّ، وعليّ أيّ صورة علَّقها عن فاطمة على جدار قلبه الكبير الشجاع، والمملوء عاطفة؟»[4].

ويعترف شريعتي بالعجز صراحةً عن بيان ذلك، رغم الخيال الواسع الذي يملكه، ذلك أنَّ الكلمات «ستعجز عن الوصف، فكيف يمكن وصف عاطفة متشابكة تركَّبت من الإيمان، الحبِّ، الاحترام، الإعجاب، الحبّ الأخوي، الاشتراك في المصير، قرابة الرُّوحَين، الاشتراك في تحمُّل آلام ومصاعب المستقبل، وأخيرًا الاشتراك في السَّفر خطوة خطوة، لحظة لحظة، طوال طريق الحياة، والتمتُّع بالنفس منبع الحبِّ والإلهام والأمان»[5].

ولـمَّا خطب عليًّا فاطمة عليها السلام، تطرَّق إليها شريعتي بتفاصيل كما وردت في كتب

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٦، ابن الجوزيّ، المنتظم، ج٣، ص٨٥.
(٢) شريعتي، فاطمة، فاطمة، ص١٦٠.
(٣) شريعتي، فاطمة، هي فاطمة، ص١٦٠-١٦١.
(٤) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٦١.
(٥) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٦١.

التاريخ[1]، مبيِّنًا إعجابه الشديد بطريقة اتمام هذا الزواج[2]، لكنَّه رسم لنا صورة وداعيَّة بين فاطمة وأبيها عليهما السلام، حينما وضعها في بيت الزوجيَّة الجديد، فقال: «أراد أن يعود، فبكت فاطمة بشدَّة، إنَّها تفارق أباها لأوَّل مرَّة. هدَّأها النبيّ قائلًا: لقد أوكلتكِ لأقوى الناس إيمانا، وأكثرهم علمًا، وأفضلهم أخلاقًا، وأسماهم روحًا»[3] [4].

(١) ينظر: ابن اسحاق، السيرة، ص٢٤٦، البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٠٢.
(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٦٢-١٦٣.
(٣) ينظر: البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج٢، ص١٠٤.
(٤) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٦٣.

خاتمة البحث

يمكننا أن نلخِّص ممَّا تقدَّم:

١. أنَّ شريعتي قدَّم لنا رؤية جديدة فيما يتعلَّق بسيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، استوحاها من بطون المصادر التاريخيَّة، وقدَّمها بطريقة مشوِّقة ذات بُعد ثوريّ، يستنهض فيها همم الناس في مواجهة الطغيان في عصره.

٢. نظر شريعتي للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام بأنَّها النموذج الأنثويّ التطبيقيّ لعظمة الإسلام في تقديمه مثالًا للمرأة المؤمنة المدافعة عن حقوق الضعفاء، وهي صورة إسلاميَّة تستحقُّ الاقتداء بها في كلِّ زمانٍ ومكان.

٣. يرى شريعتي أنَّ السيِّدة الزَّهراء مثَّلت امتدادًا نبويًّا لعصر الأنبياء السابقين، وامتدادًا رساليًّا لدعوة أبيها العظيم محمَّد صلى الله عليه وآله، في إنقاذ المجتمع من أمراض الشِّرك، والجاهليَّة، واحتقار المرأة.

قائمة المصادر والمراجع

أوَّلًا: المصادر

* القرآن الكريم.

ابن الأثير، عليّ بن محمَّد (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة (تحقيق: عليّ محمَّد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٤م).

ابن إسحاق، محمَّد بن يسار المطَّلبيّ (ت١٥٠هـ):

٢. السيرة النبويَّة (تحقيق: أحمد المزيديّ، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٤م).

الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ):

٣. فضائل الصحابة (تحقيق: وصي الله محمَّد عبَّاس، ط١، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣).

٤. مسند أحمد بن حنبل (تحقيق: شعيب أرناؤوط واخرون، ط١، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م).

ابن حبَّان البستيّ، محمَّد بن حبَّان بن أحمد بن حبَّان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميميّ (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):

٥. السيرة النبويَّة وأخبار الخلفاء (تصحيح وتعليق: الحافظ السيِّد عزيز بك، ط٣، مكتبة الكتب الثقافيَّة، بيروت، ١٤١٧هـ).

البلاذريّ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

٦. جمل من أنساب الأشراف (تحقيق: سهيل زكَّار ورياض الزركليّ، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م).

الترمذيّ، محمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحَّاك (ت٢٧٩هـ/ ٨٨٠م):

٧. سنن الترمذيّ (تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ، مصر، ١٩٧٥م).

٨. الشمائل المحمَّدية (تحقيق: سيِّد بن عبَّاس، ط١، المكتبة التجاريَّة، مكَّة المكرَّمة، ١٩٩٣م).

البخاريّ، محمَّد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م):

٩. صحيح البخاريّ (تحقيق: محمَّد زهير ناصر، ط١، دار الأطواق، دمشق، ١٩٩٧م).

ابن الجوزيّ، عبد الرحمن بن عليّ (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):

١٠. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٢م).

ابن حاتم الشاميّ، جمال الدين يوسف (أعلام القرن السابع الهجريّ):

١١. الدرُّ النظيم في مناقب الأئمَّة اللهاميم (تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، قم، ١٤٢٠هـ).

الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م):

١٢. المستدرك على الصحيحَين (تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٠م).

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ):

١٣. شرح نهج البلاغة (تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، د.ت).

الحلبيّ، عليّ بن إبراهيم بن أحمد (ت١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م):

١٤. السيرة الحلبيَّة المعروفة بـ(إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) (ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٧هـ).

الخركوشيّ، عبدالملك بن محمَّد بن إبراهيم (ت٤٠٧هـ/ ١٠١٦م):

١٥. شرف المصطفى (ط١، دار البشائر، مكَّة، ١٤٢٤هـ).

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٩م):

١٦. سنن ابن داود (تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد، مكتبة صيدا، بيروت، د.ت).

الذهبيّ، محمَّد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

١٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (تحقيق: عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٩٣م).

ابن سعد، أبو عبد الله محمَّد بن سعد (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م):

١٨. الطبقات الكبرى (تحقيق: محمَّد عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٠م).

ابن سيِّد الناس، محمَّد بن محمَّد (ت٧٣٤هـ):

١٩. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِّير (تعليق: إبراهيم محمَّد رمضان، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٩٣).

السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

٢٠. الخصائص الكبرى (دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت).

الشامي، محمَّد بن صالح (ت٩٤٢هـ):

٢١. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوَّته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ عليّ محمَّد معوَّض، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٤م).

ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمَّد بن إبراهيم بن عثمان (ت٢٣٥هـ/ ٨٤٩م):

٢٢. الكتاب المصنَّف في الأحاديث والآثار (تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة ابن رشد، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيُّوب بن مطير اللخميّ الشاميّ (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م):

٢٣. المعجم الكبير (تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت).

الطبريّ، محمَّد بن جرير بن يزيد (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م):

٢٤. تاريخ الرسل والملوك، (ط٢، دار التراث، بيروت، ١٩٦٧م).

الطوسي محمَّد بن الحسن (ت٤١٣هـ):

٢٥. أمالي الطوسيّ (تحقيق، بهراد الجعفريّ وعليّ أكبر الغفاريّ، ط١، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٨٥هـ).

ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد البرّ (ت٤٦٣هـ):

٢٦. الدرر في اختصار المغازي والسِّيَر (تحقيق: شوقي ضيف، لجنة إحياء التراث الإسلاميّ، القاهرة، ١٩٦٦م).

ابن عساكر، عليّ بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م):

٢٧. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمرويّ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ):

٢٨. السيرة النبويَّة (تحقيق: مصطفى بن عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٦م).

أبو الفرج الأصفهانيّ، عليّ بن الحسين (ت٣٥٦هـ):

٢٩. مقاتل الطالبين (شرح وتحقيق: أحمد صقر، ط٣، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٩٩٨م).

المحبُّ الطبريّ، أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ):

٣٠. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (نشر: مكتبة المقدسيّ، القاهرة، ١٣٢٦هـ).

الشيخ المفيد، محمَّد بن محمَّد العكبريّ (ت٤١٣هـ):

٣١. الاختصاص (تحقيق: عليّ أكبر غفاري، ط١، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ٢٠٠٩م).

المالكيّ، أحمد بن مروان (ت٣٣٣هـ):

٣٢. المجالسة وجواهر العلم (تحقيق: مشهور بن حسن، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ).

المسعوديّ، عليّ بن الحسين بن عليّ (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):

٣٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر (اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصريَّة، بيروت، ٢٠٠٥م).

ابن المغازليّ، عليّ بن محمَّد الواسطيّ (ت٤٨٣هـ):

٣٤. مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام (تحقيق: تركي بن عبد الله، ط١، دار الآثار، صنعاء، ٢٠٠٣م).

المقدسيّ، محمَّد بن عبد الواحد (٦٤٣هـ):

٣٥. الأحاديث المختارة أو المستخرَج من الأحاديث المختارة ممَّا لم يخرجه البخاريّ ومسلم في صحيحيهما (تحقيق: محمَّد بن عبد الواحد، ط٣، دار خضر للطباعة، بيروت، ٢٠٠٠).

المقريزيّ، أحمد بن عليّ بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

٣٦. إمتاع الأسماع بما للنبيِّ من الأحوال والأموال والحَفَدة والمتاع (تحقيق: محمَّد عبد الحميد النميسيّ، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٩م).

أبو نعيم الأصبهانيّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠هـ/ ١٠١٨م):

٣٧. دلائل النبوَّة (تحقيق: محمَّد رواس قلعه جي، عبد البر عبَّاس، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٦م).

النسائيّ، أحمد بن شعيب بن عليّ (ت٣٠٣هـ/ ٩١٥م):

٣٨. السنن الصغرى (تحقيق: عبد الفتاح أبو غـدَّة، ط١، مكتب المطبوعات الإسلاميَّة، حلب، ١٩٨٦م).

الواقديّ، محمَّد بن عمر بن واقد السهميّ الأسلميّ (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م):

٣٩. المغازي (تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلميّ، بيروت، ١٩٨٩م).

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيُّوب الحميريّ (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م):

٤٠. السيرة النبويَّة (تحقيق: مصطفى السقَّا وآخرون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ١٩٥٥م).

الهلاليّ، سليم بن قيس (ت ٧٦هـ):

٤١. كتاب سليم بن قيس (تحقيق، محمَّد باقر الأنصاري، ط١، مطبعة الهادي، قم، ١٤٢٠هـ).

أبو هلال العسكريّ، الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ):

٤٢. ديوان المعاني، (دار الجيل، بيروت، د.ت).

ياقوت الحمويّ، ياقوت بن عبد الله الروميّ (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):

٤٣. معجم البلدان، (ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م).

اليعقوبيّ، أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م):

٤٤. تاريخ اليعقوبيّ (تحقيق: عبد الأمير مهنَّا، ط١، الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠م).

ثانيًا: المراجع

شريعتي، عليّ:

٤٥. فاطمة هي فاطمة، ط٢، ترجمة: هاجر القحطانيّ، دار الأمير (بيروت، ٢٠٠٧م).

القمّيّ، عبَّاس:

٤٦. بيت الأحزان في مصائب سيِّدة النسوان البتول الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام (تقديم وتحقيق: باقر قرباني، ط١، دار زين العابدين للنشر، طهران، ٢٠١١).

السيِّد القزويني، محمَّد كاظم:

٤٧. فاطمة من المهد إلى اللحد (مطبعة سيِّد الشهداء عليه السلام، قم، ١٤١٤هـ).

المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١هـ):

٤٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت).

فاطمة الزَّهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله

م.د.حيدر عليّ كاظم حسين التميميّ
جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام/ كليَّة الآداب/ قسم التاريخ

ملخَّص البحث

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمَّد وآله. سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام بضعة رسول الله وحبيبه، بنت خديجة بنت خويلد، أمُّ الحسنَين عليهما السلام، زهرة رسول الله، لذلك اقتضى من الضرورة معرفة سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، والبحث عنها بعد وفاة أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله، وما حدث لها من مظلوميَّة بحقِّها، والحزن الذي أصابها.

انقسم البحث إلى عدَّة مباحث أساسيَّة، ومنها المبحث الأوَّل، وهو السيرة الذاتيَّة لفاطمة الزَّهراء عليها السلام من ولادتها ونسبها واسمها وألقابها، والأحاديث النبويَّة بحقِّها، أمَّا المبحث الثاني الذي تميَّز بمعرفة أحوال فاطمة الزَّهراء، ومظلوميَّتها، والأحداث التي حلَّت بها من حزنها على فَقدِ أبيها، واغتصاب حقِّها الذي ورثته من أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله، وخطبتها الشهيرة عن فدك، والمبحث الثالث الذي عرَّف بالهجوم على دارها، والأحداث التاريخيَّة التي حدثت بوقتها، إلى استشهادها، والمبحث الأخير عرَّف بأقوال بعض المستشرقين عنها.

الكلمات المفتاحيَّة: النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، فاطمة الزَّهراء، الإمام عليّ- استشهادها- دفنها).

المبحث الأوَّل

السيرة الذاتيَّة لفاطمة الزَّهراء عليها السلام

سمِّيت الزَّهـراء بفاطمة لعدَّة اسباب، وهي اسم فاطمة مشتقٌّ من الفطم، وهو معنى القطع، يُقال: فطمت الأمُّ طفلها. وقد وردت روايـة حول تسميتها. روي عن الإمـام الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**يا فاطمة أتدرين لِـمَ سُمِّيت فاطمة؟** قال عليّ عليه السلام: **لِـمَ سُمِّيت؟** قال: **لأنَّها فُطمت هي وشيعتها من النار**»[1].

كما قال النبي صلى الله عليه وآله **لعليّ** عليه السلام: «**هل تدري لِـمَ سُمِّيت فاطمة؟** قال عليّ عليه السلام: **لِـمَ سُمِّيت فاطمة يا رسول الله؟** قال: **لأنَّها فُطِمت هي وشيعتها من النار**»[2].

---

(١) الكوفيّ، محمَّد بن سليمان (ت ٣٠٠هـ/ ٩٢٠م) مناقب الإمام أمير الؤمنين عليه السلام، تحقيق: محمَّد باقر المعموريّ، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، (قم المقدَّسة، ١٤١٢هـ)، ج٢، ص١٨٨، الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١هـ/ ٩٩٩م) علل الشرائع، تحقيق: محمَّد صادق بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدريَّة، (النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ)، ج١، ص١٧٨، عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، تحقيق: حسين الأعلميّ للمطبوعات، (لبنان، ١٤٠٤هـ)، ج١، ص٧٨، المازندرانيّ، مولى محمَّد صالح (ت١٠٨١هـ)، شرح أصول الكافي، تحقيق: أبو الحسن الشعرانيّ، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، (لبنان، ١٤٢١هـ)، ج٥، ص٢٢٨، الحرُّ العامليّ (ت١١٠٤هـ)، الجواهر السنيَّة، مطبعة النعمان، (النجف الأشرف، ١٣٨٤هـ)، ص٢٤٠.

(٢) الطبريّ، أبي جعفر محمَّد بن جرير الإماميّ (ت٤١١هـ/ ١٢٤٢م)، دلائل الإمامة، دار الذخائر، (قم، ١٣٨٣هـ)، ص٥٤، ابن شهر آشوب، أبي جعفر محمَّد بن عليّ (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء للطباعة والنشر، (بيروت، ١٤١٢هـ)، ج٣، ص٣٧٧،=

ومن أسمائها: (الصدِّيقة، السيِّدة، العذراء، الحوراء، المباركة، الطاهرة، الزكيَّة، الراضية، المرضيَّة، المحدَّثة، مريم الكبرى، الكبرى، النوريَّة، السماويَّة، الحانية، المدوِّنة، الصدِّيقة بالأقوال، والمباركة بالأحوال، والطاهرة بالأفعال، الزكيَّة بالعدالة، والرضيَّة بالمقالة، والمرضيَّة بالدلالة، المحدِّثة بالشفقة، والحرَّة بالنفقة، والسيِّدة بالصدقة، الحرَّة)[1].

نسبها:

فاطمة بنت النبي محمَّد (حبيب الله) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس ابن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن يشجب بن نبت بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما[2].

أولادها:

الحسن الحسين، المحسن، زينب، أم كلثوم[3].

أمها:

السيِّدة خديجة رضي الله عنها بنت خويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قصي، فالسيِّدة خديجة رضي الله عنها تلتقي مع النبيّ صلى الله عليه وآله في أحد أجداده، وهو قصي[4]، عن أبي نجيع عن أبيه، عن رجل سمع

=الشاميّ، جمال الدين بن يوسف بن حاتم (ت ٦٦٤هـ/ ١٢٦٤م) الدرُّ النظيم في مناقب الأئمَّة اللهاميم، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ (قم، ١٤٢٠هـ)، ص٤٥٦.

(١) الطبريّ، دلائل الإمامة، ص١٠، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٤٠٦، الشامي، الدرُّ النظيم، ص٤٥٥.

(٢) ابن سعد، محمَّد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار الصادق للطبع والنشر والتوزيع، (بيروت، د.ت)، ج١، ص٧٦، ابن المغازليّ، مناقب عليّ عليه السلام، ص٢١٢، يماني، محمَّد عبدة، إنها فاطمة الزَّهراء، دار المنار للنشر، (بيروت، ١٤١٦هـ)، ص٢٩-٣٠.

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٤٠٥.

(٤) عبَّاس، محمَّد رضا القمِّيّ، منتهى الآمال في تواريخ النبيّ والآل، دار المجتبى، النجف، العراق، ط١، ٢٠٠٨، ج١، ص٩.

عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت أيُّنا أحبُّ إليك أنا أم فاطمة؟ قال صلى الله عليه وآله: «**فاطمة أحبُّ إليَّ منك، وأنْت أعزُّ عليَّ منها**»(١)، وعن بريدة عن أبيه قال: «كان أحبَّ النساء إلى رسول الله فاطمة، ومن الرجال عليّ»(٢)، وعن زيد ابن الأرقم قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «**أنت معي في قصري في الجنَّة مع فاطمة ابنتي**»(٣)، وكانت فاطمة إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله رحَّب بها، وقام إليها فأخذ بيدها فقبَّلها، وأجلسها مجلسه، وكانت فاطمة إذا دخل عليها رسول الله قامت إليه مستقبِلة، وقبَّلت يده(٤)، وقال النبيّ بعد زواجها من الإمام عليّ عليه السلام: «**اللهمَّ أعيذها بك وذريَّتها من الشَّيطان الرجيم**»(٥) وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**تُحشر ابنتي فاطمة ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتتعلَّق بقائمة من قوائم العرش، وتقول يا عدل يا جبَّار، أحكم بيني وبين قاتل ولدي**. قال صلى الله عليه وآله: **فيُحكم لابنتي ورب الكعبة**»(٦)، وقال صلى الله عليه وآله: «إنَّه نظر إلى عليّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين. فقال: **أنا حرب لمن حاربكم، وسِلم لمن سالمكم**»(٧).

(١) الضحَّاك، ابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ/ ٩٠٦م)، الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل، ط١، دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م، ١٤١١هـ)، ج٥، ص٣٦.

(٢) النيسابوريّ، أبي عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: يوسف عبد الرحمن، ج٣، ص١٢٨.

(٣) أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ/ ٩٨٢م)، المعجم الكبير، ط٢، دار أحياء التراث العربيّ، (د.م، د.ت)، ج٥، ص٢٢.

(٤) الترمذيّ، أبي عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ/ ٩٠٠م)، سنن الترمذيّ، دار الفكر للطباعة والنشر، (لبنان، ١٤٠٣هـ)، ج٣، ص٥٧١.

(٥) ابن حبَّان، محمَّد بن حبَّان (ت ٣٥٤هـ/ ٩٧٨م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسَّسة الرسالة، (د.م، ١٤١٤هـ)، ج١، ص٣٩٤.

(٦) ابن المغازليّ، أبو الحسن عليّ بن محمَّد الواسطيّ (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٠٨م)، مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، منشورات دار مكتبة الحياة، (لبنان، د.ت)، ح٩١.

(٧) الطبرانيّ، أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ/ ٩٨٢م)، المعجم الكبير، دار أحياء التراث العربيّ، ج٣، ص٢٥ و٤٠، الخطيب البغداديّ، أبي أحمد بن عليّ (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٨٤م)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربيّ، (بيروت، ١٤٠٥هـ)، ج٧، ص١٣٦، الطوسيّ، عماد الدين أبي=

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ لكلِّ بني آدم عصبة ينتمون إليهم، إلَّا ابنتي فاطمة، فأنا وليُّها وعصبتها**»(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها**»(٢). وقال: «**إنِّي تارك فيكم الثَّقَلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسَّكتم بهما لن تظلُّوا بعدي**»(٣).

تزوَّج الإمام عليّ عليه السلام من فاطمة بالمدينة بعد سنة من الهجرة، وبنى بها(٤) بعد

=جعفر محمَّد بن الحسن بن عليّ (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٨٠م)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، (قم، ١٤١٤هـ)، ص٣٣٦، ابن البطريق، يحيى ابن الحسن (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٦م)، العمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، (قم، ١٤٠٧هـ)، ص٣٢١، الهيثميّ، نور الدين عليّ بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ/ ١٦٠٠م)، موارد الضمآن إلى زوائد ابن حبَّان، تحقيق: حسين سليم، دار الثقافة العربيَّة، ج٧، ص٢٠٣، الدمشقيّ، جواهر المطالب، ج١، ص١٧٤، المجلسيّ، محمَّد باقر (ت ١١١١هـ/ ١٧١٠م)، بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، تحقيق: محمَّد الباقر، ط٢، مؤسَّسة الوفاء (لبنان ١٤٠٣هـ)، ج٢٢، ص٢٨٦.

(١) الترمذيّ، سنن الترمذيّ، ج٥، ص٦٩٩، الحاكم النيسابوريّ، أبي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ/ ٨١٠م)، المستدرك على الصحيحَين، ج٣، ص١٦٤، العجلونيّ، إسماعيل بن محمَّد (ت ١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الالتباس عمَّا اشتُهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ط٣، دار الكتب العلميَّة، (بيروت، ١٤٠٨هـ)، ج٢، ص١٢٠، المرعشيّ، شرح إحقاق الحقِّ، ج٣٣، ص٣٧٨.

(٢) النسائيّ، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩٢٣م)، فضائل الصحابة، دار الفكر، (لبنان، ١٣٤٨هـ)، ص٧٨، ابن شاهين، عمر (ت ٣٨٥هـ/ ٩٠٨م)، فضائل سيِّدة النساء، تحقيق: أبو إسحاق، مكتبة التربية الإسلاميَّة، ص٣٣، النوويّ (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٠٠م)، شرح مسلم، دار الكتاب العربيّ، (لبنان، ١٤٠٧هـ)، ج٢، ص٢٠٢، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٩، ص٣٣٧، الدرازيّ، حسين بن محمَّد (ت١٢١٦هـ/ ١٨٤٠م)، الدرَّة الغرَّاء في وفاة فاطمة الزَّهراء، ص١٠.

(٣) المرعشيّ، شرح إحقاق الحقِّ، دار صادر، بيروت، ج١٤، ص٣٢٩.

(٤) قوله: «بَنَى بها»، أي حملها إلى بيته ودخلَ بها، وكلام العرب في ذلك: بنى عليها يبني بناءً: أي=

ذلك بنحو عام، وولدت فاطمة، الحسن والحسين ومحسن- مات وله ستَّة أشهر- وأمُّ كلثوم الكبرى، وزينب الكبرى[1]، وقيل من قبل المؤرِّخين: «إنَّ الله تعالى أوحى إلى جبرئيل: **زوِّج النور من النور**. وكان الولي الله، والخطيب جبرئيل، والمنادي ميكائيل، والداعي إسرافيل، والناثر عزرائيل، والشهود ملائكة السماوات والأرَضين، ثمَّ أوحى إلى شجرة طوبى أن انثري ما عليك، فنثرت الدرَّ الأبيض، والياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، واللؤلؤ الرطب، فبادرن الحور العين يلتقطن ويهدين بعضهنَّ إلى بعض»[2].

=ضرب عليها قبَّة، أي خيمة، لزفِّها وحملها اليه، ثمَّ صار عبارة عن الزفاف، بنى عليها قبَّة أو لا. ينظر: النسفيّ، نجم الدين أبي حفص عمر بن محمَّد (ت٥٣٧هـ)، طلبة الطلبة في الاصلاحات الفقهيَّة على ألفاظ كتب الحنفية، دار الطباعة العامرة، (بغداد، ١٣١١هـ)، ص١١٧، ابن منظور، أبي الفضل، جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، (قم، ١٤٠٥) ج٤، ص٣٩٣، ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ/ ١٤٠٧م)، البداية والنهاية، تحقيق: عليّ شيري، دار إحياء التراث العربيّ، (بيروت، ١٤٠٨هـ)، ج٣، ص٤١٨، ابن نجيم المصريّ، زين بن إبراهيم بن محمَّد (ت ٩١٠هـ)، البحر الرائق، تحقيق: زكريَّا عميرات، ط١، محمَّد عليّ بيضون، (لبنان، ١٤١٨هـ)، ج٣، ص١٨٤، السيوطيّ، الثغور الباسمة، ص٥٥، الزبيديّ، مصعب الدين أبي فيض محمَّد مرتضى (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، (لبنان، ١٤١٤هـ)، ج٧، ص٤، سليمان بن إبراهيم (ت ١٢٩٤هـ/ ١٨٩٨م)، ينابيع الموذَّة لذوي القربى، تحقيق: عليّ جمال، دار الأسرة للطباعة والنشر، (د.م، ١٤١٦هـ)، ج٢، ص١٤٢.

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٢٢، الأصفهانيّ، أبي بكر أحمد بن موسى (ت٤١٠هـ/ ٨٣٠م)، حلية الأولياء، دار الحديث، (قم، ١٤٢٤هـ)، ج٨، ص٣٩-٤٣، الذهبيّ، شمس الدين بن محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٤٦٠م)، سير أعلام النبلاء، شعيب الأرنؤوط، مؤسَّسة الرسالة للنشر، (لبنان، ١٤١٣هـ)، ج٢، ص١١٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٣٣٢.

(٢) الطبريّ، محب الدين أبي العبَّاس أحمد بن عبد الله بن محمَّد (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٩م)، العقبى في مناقب ذوي القربى، بلا.ت، ص٧٢، الطبريّ، دلائل الإمامة، ص٢٠-٢٥، الخوارزميّ، الموفَّق بن أحمد بن محمَّد (ت٥٦٨هـ/ ١١٨٠م)، المناقب، ص٣٤١، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٣.

المبحث الثاني

فاطمة الزَّهراء بعد وفاة أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله

ذكر الإمام عليّ عليه السلام حال سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام تقول: «**وَا أَبَتَاهُ، مِن ربِّه ما أَدْناهُ! وَا أَبَتاهُ، جنَّةُ الفِردَوْسِ مَأْواهُ، وَا أَبَتَاهُ، أجابَ ربًّا دَعاهُ**»(١). كما ذكر المورخين «أنَّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسِّم لها ميراثها ممَّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله، ممَّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورِّث، ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة، فهجرت أبا بكر، ولم تزل مهاجرته حتَّى توفِّيت، وعاشت بعد ذلك ستَّة أشهر، وكانت فاطمة تسأل نصيبها ممَّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله، من خيبر و(فدك)، وصدقته بالمدينة»(٢). قال النبيّ صلى الله عليه وآله إلى فاطمة الزَّهراء، فبكت طويلًا، فأومأ اليها بالدنو منه، فأسرَّ إليها شيئًا فتهلَّل وجهها له، فقيل لها عليها السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله: ما الذي أسرَّ اليك رسول الله صلى الله عليه وآله، فسرَّى عنك به

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤١٦، النيسابوريّ، أبي عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤)، فضائل فاطمة الزَّهراء عليها السلام، دار الفرقان، للنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٤٢٩)، ص١٣٢، وص٩٣-٩٤، ابن حبَّان، علاء الدين عليّ بن بلبان (ت ٧٣٩هـ/ ١٤٠٨م)، صحيح ابن حبَّان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسَّسة الرسالة، بلا.ت، ج١٤، ص٥٩٢، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢١٣، المرعشيّ، شرح إحقاق الحقِّ، ج٢٥، ص٥٠٩، الروحانيّ، مهدي، أحاديث أهل البيت عليهم السلام عن طرق أهل السنَّة، (د.م، ١٤٢١هـ)، ج١، ص٥٣٠، الأنصاريّ، أبو أسد الله محمَّد بن حياة بن الحافظ محمَّد عبد الله، فضائل أهل البيت عليهم السلام من كتب مصادر الحديث، بلا.ت، ص١٤٠.

(٢) أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٦٢م)، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، بلا.ت، ص٦، البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٤، ص٤٢، النيسابوريّ، فضائل فاطمة، ص١٢٥-١٢٦.

ما كنت عليه من الحزن والقلق بوفاته؟ قالت: **إنَّه أخبرني أنَّني أوَّل أهل بيته لحوقًا به، وأنَّه لن تطول المدَّة لي بعده حتَّى أُدركه، فسرَّى ذلك عنِّي**»[1]

بعد وفاة النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله، اجتمع المهاجرون والأنصار بينما كان الإمام عليّعليه السلام مشغول بنعش رسول الله، وبعد سجالٍ ونقاشٍ حادٍّ وطويل، اتَّفقوا على مبايعة أبي بكر ليكون خليفة رسول الله[2].

وأعلن الإمام عليّعليه السلام رفضه لبيعة أبي بكر، واعتبرها اعتداءً صارخًا عليه، وأجمع رأي الحزب القرشيّ على إرغام الإمام عليّعليه السلام على بيعة أبي بكر، لكنَّ الإمام عليّعليه السلام رفض البيعة، ممَّا جعل حكومة أبي بكر وعمر أن يتَّخذوا الإجراءات الصارمة ضدَّ أهل البيت، ممَّا جعل من الحكومة تهجم على دار فاطمة الزَّهراءعليها السلام، وحسب قول المؤرِّخين، يقول البلاذريّ: «إنَّ أبا بكر أرسل إلى عليّعليه السلام يريد بيعته، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة فتلقَّته فاطمةعليها السلام على الباب فقالت له: **أتراك محرقًا عليَّ بابي؟** قال: نعم، وذلك

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٣٩، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٦، ص٢٨٢، الطبريّ، دلائل الإمامة، ص١٢٠، الكلينيّ، أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٩هـ/ ٩٥٠م)، الأصول من الكافي، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٥، طهران، بلا.ت، ج١، ص٢٤٩، الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١هـ/ ٩٠٠م)، الهداية (في الأصول والفروع)، تحقيق: مؤسَّسة الإمام الهاديعليه السلام للنشر، ط١، (قم، ١٤١٨هـ)، ص١٤٣، ابن البرَّاج، عبد العزيز (ت٤٨١هـ/ ١٠٠٨م)، المهذب، تحقيق: جعفر السبحانيّ، موسَّسة النشر الإسلاميّ، (قم، ١٤٠٧هـ)، ج١، ص١٣، الطوسيّ، الثاقب في المناقب، مؤسَّسة أنصاريان للطباعة والنشر، (إيران، ١٣٧٧هـ)، ص٤٢٢، ابن الأثير، عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٥٠م)، الكامل في التاريخ، دار الصادر للطباعة والنشر، (لبنان، ١٣٨٦). ج٢، ص٣٢٣، المازندراني، مولى محمَّد صالح (ت١٠٨١هـ/ ١٦٩٩م)، شرح أصول الكافي، تحقيق: أبو الحسن الشعرانيّ، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، (لبنان، ١٤٢١هـ)، ج٦، ص١٠، الشيرازيّ، محمَّد الحسينيّ، أعلام الهداية، مركز الجواد للتحقيق والنشر، (لبنان، ١٤٠٤هـ)، ص٢٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٤.

أقوى ممَّا جاء به أبوك»[1]. أمَّا الطبريّ فيذكر: «أتى عمر بن الخطَّاب منزل عليّ عليه السلام، وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأرقن عليكم أو لتخرجنَّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتًا بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه»[2]، وابن عبد ربِّه يذكر: «الذين تخلَّفوا عن بيعة أبي بكر عليّ والعبَّاس والزبير وسعد بن عبادة، فأمَّا عليّ والعبَّاس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة عليها السلام، حتى بعث إليهم أبو بكر وعمر بن الخطَّاب ليخرجوا من بيت فاطمة، وقال له أن أبَوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدَّار، فلقيته فاطمة، فقالت: **يابن الخطَّاب أجئت لتحرق دارنا؟** قال: نعم»[3]، أمَّا المسعودي فيقول: «إنَّ العبَّاس صار إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقام أمير المؤمنين ومَن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فتوجَّهوا إلى منزله فهجموا عليه، وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرهًا، وضغطوا سيِّدة النساء بالباب»[4] والشهرستانّي يقول: «إنَّ عمر كان يصيح: أحرقوا دارها»[5].

ونأتي إلى ابن أبي الحديد الذي يقول: «جاء عمر إلى بيت فاطمة عليها السلام في رجال من الأنصار، ونفر قليل من المهاجرين، فقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنَّ إلى البيعة أو لأحرقنَّ الدار عليكم»[6]، فوقفت فاطمة عليها السلام خلف الباب وخاطبت القوم: **ويحك**

(١) البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٩م)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمَّد باقر، ط١، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، (لبنان، ١٣٩٤هـ)، ج١، ٥٨٦.

(٢) الطبريّ، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١٩٨.

(٣) ابن عبد ربِّه الأندلسّي، أحمد بن محمَّد (ت٣٢٨هـ/ ٩٥٠م)، بركات يوسف هبود، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، (بيروت، ١٩٩٩م)، ج٥، ص١٢.

(٤) المسعوديّ، أبو الحسن عليّ بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، إثبات الوصيَّة للإمام عليّ عليه السلام، مكتبة بصيرتي، إيران، قم، بلا.ت، ص١٢٣.

(٥) الشهرستانّي، أبو الفتح محمَّد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/ ١٠٦٩م)، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمَّد الوكيل، مؤسَّسة الحلبيّ، (القاهرة، ١٩٦٨م)، ج١، ص٥٦.

(٦) ابن أبي الحديد، عزّ الدين (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق: محمَّد=

يا عمر ما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا وتفنيه وتطفئ نور الله؟ والله متمٌّ نوره. فركل عمر الباب برجله، فاختبأت فاطمة عليها السلام بين الباب والحائط؛ رعاية للحجاب، فدخل القوم إلى داخل الدار ممَّا سبَّب عصرها عليها السلام، وكان ذلك سببًا في إسقاط جنينها المحسن عليه السلام»[1]، أمَّا اسمه، «فقد سمَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله (محسنًا) قبل أن يولَد»[2].

حزنت فاطمة الزَّهراء حزنًا شديدًا على موت النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله من جهة، وغصب حقِّها هي والإمام عليّ من جهة أخرى، فكانت كثيرة البكاء والحزن. قال الإمام محمَّد الباقر عليه السلام: «**ما رؤيت فاطمة عليها السلام ضاحكة مستبشرة منذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى قُبِضت**»[3]، وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**البكَّاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمَّد، وعليّ بن الحسين عليهم السلام، أمَّا آدم فبكا على الجنَّة حتَّى صار في خدَّيه أمثال الأودية، وأمَّا يعقوب فبكى على يوسف حتَّى ذهب بصره، وأمَّا يوسف فبكى على يعقوب حتَّى تأذى به أهل السجن، وأمَّا فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله**

=أبو الفضل، ط١، دار إحياء الكتب العربيَّة، (د.م، ١٣٧٨هـ)، ج١، ص١٢٤.

(١) ابن قتيبة، أبي محمَّد عبد الله (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢٨م)، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمَّد، بلا.ت، ج٢٩، ص٣٠، الكوفيّ، عليّ بن أحمد بن موسى بن محمَّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمَّد ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام (ت٣٥٢هـ/ ٩٩٨م)، الاستغاثة في بدع الثلاثة، بلا.ت، ج٢، ص٧٧، عبد الزَّهراء، الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، ص١٢٤، جعفر مرتضى، مأساة الزَّهراء عليها السلام، ط٢، دار السيرة، (لبنان، ١٤١٨هـ)، ج١، ص١١٩، الجعفر، فاطمة عليّ، متجلَّيات الفاطميَّة، ص٣١٣.

(٢) الكلينيّ، الكافي، ج٢٦، ص١٨، الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١هـ/ ١٠٠٨م)، الخصال، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرِّسين، (قم، ١٤٠٣هـ) ص٦٣٤، العامليّ، الانتصار، ج٧، ص٢٢٢، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٩٥، الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج٢، ص٥٦٩، عبد الزَّهراء مهدي، الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، ص٤٩١، جعفر مرتضى، مأساة الزَّهراء عليها السلام، ص٥٨.

(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٥٥.

حتَّى تأذَّى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء، فتبكي حتَّى تقضي حاجتها ثمَّ تنصرف، وأمَّا عليّ بن الحسين، فبكى على الحسين عشرين سنة»[1]. وعن فضَّة خادمة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، قالت لورقة بن عبد الله الأزديّ[2]: «اعلم أنَّه لـمَّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله، افتجع له الصغير والكبير، وكثر عليه البكاء، وعظم رزؤه على الأقرباء والأصحاب، ولم يكن أحد أشدَّ حزنًا وأعظم بكاءً وانتحابًا من مولاتي فاطمة عليها السلام، حيث جلست سبعة أيَّام للعزاء، لا يهدأ لها أنين، ولا يسكن منها الحنين، كلَّ يومٍ جاء كان بكاؤها أكثر من الأوَّل، فلمَّا كان اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن، وهي تندب أباها: **وا أبتاه وا صفيَّاه وا محمَّداه وا أبا القاسماه وا ربيع الأرامل والأيتام، مَن للقبلة والمصلَّى، ومَن لابنتك الواهة الثكلى**. من شدَّة حزنها على والدها صلى الله عليه وآله أقبلت الزَّهراء عليها السلام تعثر في أذيالها وهي لا تبصر شيئًا من عبرتها حتَّى دنت من قبر أبيها، فلما نظرت إلى الحجرة وقع طرفها على المأذنة، فقصرت خطاها، ودام نحيبها إلى أن أغمي عليها، فلمَّا أفاقت من غشيتها قالت: **رُفعت قوَّتي وخانني جَلَدي وشمت بي عدوِّي والكمد قاتلي، يا أبتاه بقيت والهة وحيدة، فقد انخمد صوتي، وتنغَّص عيشي، وتكدَّر دهري، وانقلبت بعدك يا أبتاه الأسباب، وتغلَّقت دوني الأبواب، فأنا للدنيا بعدك قالية، وعليك ما تردَّدت أنفاسي باكية»**[3]. وبسبب الحزن اجتمع كبار أهل

(١) الفيض الكاشانيّ، محسن (ت١٠٩١هـ/ ١٧٠٠م)، التفسير الصافي، مؤسَّسة الصافي، (قم، ١٣٧٤هـ)، ج٣، ص١٩.

(٢) ورقة بن عبد الله الأزديّ: روى عن فضَّة أحوال فاطمة الزَّهراء عليها السلام وكيفيَّة وفاتها. ينظر: مستدركات علم رجال الحديث، ج ٨، ص١٠١.

(٣) الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين (ت٣٨١هـ/ ١٠٠٢م)، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، (قم، د.ت)، ج١، ص٢٩٧، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٥٧، البروجرديّ، جامع احاديث الشيعة، (قم، ١٣٩٧هـ)، ج٤، ص٦٣٩، الخوئيّ، أبو القاسم، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط٥، (قم، ١٤١٣هـ)، ج٤، ص٢٧١، الهاشميّ، هاشم، حوار مع فضل الله حول الزَّهراء عليها السلام، ط٢، دار الهدى، (د.م، ١٤٢٢هـ)، ص٢٤٠.

المدينة المنورة، وذهبوا إلى الامام عليّ عليه السلام وقالوا: «يا أبا الحسن إنَّ فاطمة تبكي الليل والنهار، فلا أحد منَّا يهنأ بالنوم في الليل على فُرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنَّا نخبرك أن تسألها إمَّا أن تبكي ليلًا أو نهارًا، فقال عليّ عليه السلام: **حبًّا وكرامةً.**

فأقبل عليّ عليه السلام حتَّى دخل على فاطمة عليها السلام، وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء، فلمَّا رأته سكنت هنيئة، فقال لها: **يا بنت رسول الله إنَّ شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إمَّا أن تبكي أباك ليلًا وإمَّا نهارًا.** فقالت: **يا أبا الحسن ما أقلَّ مكثي بينهم! وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلًا ولا نهارًا أو أَلحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله،** فقال عليّ عليه السلام: **افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لكِ**»[1]، ممَّا جعل من الإمام عليّ عليه السلام أن يبني لها بيتًا على مقربة من المدينة، عُرِف بـ(بيت الأحزان)، وكانت إذا أصبحت قدَّمت الحسن والحسين أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية، فلاتزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل، أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها وساقها بين يديه إلى منزلها[2]. بعد ذلك عمدت قريش وحكومتها على البيت وهدموه، والتجأت إلى شجرة واستظلَّت بظلِّها فعمدوا أيضًا إلى تلك الشجرة وقطعوها[3]، لم تكتفِ حكومة الشَّيخَين بغصب حقِّ

(١) العامليّ، الانتصار، ج٧، ص١٨٢، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٧، التبريزيّ، اللمعة البيضاء، تحقيق: هاشم الميلانيّ، ط١، مؤسَّسة الهادي، (قم، ١٤١٨هـ)، ص٨٥٨، العامليّ، جواهر التاريخ، ج١، ص١٣٤، المرنديّ، مجمع النوريّ، ص١٤١، القمِّيّ، بيت الأحزان في مصائب سيِّدة النسوان البتول الطاهرة فاطمة الزَّهراء (سلام الله عليها)، ط١، انتشارات فاروس، (إيران، ١٤٢٨هـ)، ص١٦٥، عبد الزَّهراء مهدي، الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام ص٤٤، فاطمة علي الجعفر، التجليات الفاطمية، القدس للطباعة والنشر، ص٣٤٤.

(٢) وهي من قصيدة للسيِّد عليّ التركيّ يخاطب بها الإمام المهديّ عليه السلام، يُشير فيها إلى ما ألـمَّ بالزَّهراء عليها السلام بعد أبيها صلى الله عليه وآله من ظلم وهوان من أعداء أهل البيت عليهم السلام. ينظر: الرضويّ، محمَّد الرضيّ، كذبوا على الشيعة، (د.م، د.ت)، ص١٥١.

(٣) العامليّ، الانتصار، ص١٨٣، عبد الزَّهراء مهدي، الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، ص٤٤١، الدرازيّ، الدرَّة الغرَّاء في وفاة فاطمة الزَّهراء، ص٣، المرنديّ، مجمع النورين، ص١٤١.

الإمام عليّ عليه السلام بحقِّه بالخلافة من بعد النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله حبيب الله وابن عمِّه، بل تجاوزا إلى حدٍّ أنَّهم اغتصبوا فدك[1]، وفدك مُلكٌ خاصٌّ للنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله؛ لأنَّها أرض لم يوجف عليها خيل ولا ركاب، إنَّما تملَّكها رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق المصالحة، ولأنَّه فتحها هو وأمير المؤمنين، ولم يكن معهم أحد، أعطاها النبيّ هبة إلى ابنته فاطمة الزَّهراء عليها السلام[2]، ذكر الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ولـمَّا بويع أبو بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار، بعث إلى وكيل فدك وأخرجه، فجاءت فاطمة الزَّهراء عليها السلام إليه فقالت: **لِـمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول**

(١) فدك: قرية بالحجاز، فيها عين فوَّارة ونخلٌ كثير، بينها وبين المدينة ثلاثة أيَّام، وكان سكَّانها طائفة من اليهود، وقد أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله؛ لأنَّه فتحها هو وأمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن معهما أحد؛ لذلك زال عنها حكم الفيء، ولزمها حكم الأنفال، وكان ذلك لـمَّا نزل النبيّ صلى الله عليه وآله خيبر وفتح حصونها، ولم يبقَ إلَّا ثلاثة، واشتدَّ الحصار، فراسلوا رسول الله صلى الله عليه وآله يسألونه الصلح معهم على النصف من أموالهم وثمارهم، فأجابهم إلى ذلك حدود فدك. الحمويّ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار احياء التراث العربيّ، (لبنان، ١٣٩٩هـ)، ج٤، ص٢٣٨.

(٢) الطبريّ، محمَّد بن جرير بن رستم (ت القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد)، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: أحمد المحموديّ، ط١، مؤسَّسة الثقافة الإسلاميَّة، (قم، ١٤١٥هـ)، ص٥٠١، المفيد، أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان (ت ٤١٣هـ/ ١٠٤٤م)، الأمالي، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، دار المفيد للطباعة، (لبنان، ١٤١٤هـ)، ص٤٠، الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، تفسير جوامع الجامع، ط١، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، (د.م، ١٤١٨هـ)، ج١، ص٥١٥، الحمويّ، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٨، التستريّ، إحقاق الحقِّ وإزهاق الباطل، منشورات المرعشيّ، (قم، ١٤٠٦هـ)، ص٢٢٤، العامليّ، محمَّد حسين، حقوق آل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنَّة باتِّفاق الأمَّة، ط١، (قم، ١٤١٥هـ)، ص١٧٥، داوود، نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة الإماميَّة، ط١، دار المؤرِّخ العربيّ، (لبنان، ١٤١٥هـ)، ص٢٢٢، المسعوديّ، الأسرار الفاطميَّة، ص٤٣٩، الهمدانيّ، أحمد الرحمانيّ، الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من حبه عنوان الصحيفة لأقلِّ العباد تراب أقدام المتمسِّكين بحبل الولاء العلويّ، ط١، المنير للطباعة والنشر، (طهران، ١٤١٧هـ)، ص٧٣٦، الجعفر، فاطمة عليّ، التجلِّيات الفاطميَّة، ص٣٢١.

الله صلى الله عليه وآله **بأمر من الله تعالى؟** فقال: هاتي على ذلك بشهود، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟** قال: نعم. قال عليه السلام: **أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**[1]**، فينا نزلت أم في غيرنا؟** قال: بل فيكم، قال: **فلو أنَّ شهودًا شهدوا على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بفاحشة، ما كنت صانعًا بها؟** قال: كنت أقيم عليها الحدّ، كما أقيم على سائر نساء المسلمين. قال: **إذًا كنت عند الله من الكافرين.** قال: ولِمَ؟ قال: **لأنَّك رددت شهادة الله لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله وحكم رسول الله، إذ جعل لها فدك، وقَبضَته في حياته، ثمَّ قبلت شهادة أعرابيّ بائل على عقبيه عليها، وأخذت منها فدك، وزعمت أنَّه فيءٌ للمسلمين»**[2] ومع هذا كلّه، لكن لم يرجع فدك إلى أهل البيت.

---

(١) الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) الطبرسيّ، أبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب (ت ٥٤٨هـ/ ١١٦٦م)، الاحتجاج، تحقيق: محمَّد باقر، دار النعمان للطباعة والنشر، (النجف، ١٣٨٦هـ)، ج١، ص١٢١، التبريزيّ، اللمعة البيضاء، ص٣٠٩، شرف الدين، عبد الحسين (ت ١٣٧٧هـ)، المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة، تحقيق: محمَّد بدري، ط١، مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، (قم، ١٤٢١هـ)، ص٣٠٥، النقديّ، الأنوار العلويَّة والأسرار المرتضويَّة (في أحوال أمير المؤمنين وفضائله ومناقبه وغزواته عليه السلام)، ط٢، المكتبة الحيدريَّة، (النجف الأشرف، ١٣٨١هـ)، ص٢٩٢، المرنديّ، مجمع النورَين وملتقى البحرين، مصادر سيرة النبيّ والأئمَّة، بلا.ت، ص١٣٤، القمِّيّ، بيت الأحزان، ص١٣٣، عبد الله الحسن، مناظرات في العقائد والأحكام، ط٢، انتشارات دليل، (د.م، ١٤٢١هـ)، ج١، ص١٨٦، الجعفر، فاطمة عليّ، التجلِّيات الفاطميَّة، ص٣٢٢، ص٣٢٣.

المبحث الثالث

استشهاد فاطمة الزَّهراء عليها السلام

كلُّ حيٍّ إلى زوال، كتاب الله تعالى على كلِّ مخلوق، فكلُّ من عليها فان، ويبقى وجه ربِّك سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام، الحيُّ الذي لايموت. والموت أجلٌ محتوم لاينجو منه نبيٌّ مُرسل، ولا مَلَكٌ مقرَّب، وقد كتبه الله على عباده، فلا بدَّ أنَّهم ملاقوه صغارًا أو كبارًا، مرضى أو أصحَّاء، ولكلٍّ منهم أجلٌ محتوم لايعدوه، فإذا حان الأجل، وجاءت سكرة الموت، ووافى المرء حمامه، فقد استوفى حظَّه من الحياة، وأقبل على الخالق ليجزيه الجزاء الأوفى بما عمل في حياته الدنيا، وقد مات السليم، وعاش العليل، كلٌّ بقدر الله وتدبيره، وحلَّ بفاطمة الزَّهراء عليها السلام ما حلَّ بأبيها صلى الله عليه وآله من مصيبة الموت على قرب ما بين وفاتها، فطويت صفحتها من بين الأحياء، ولم تُطوَ سيرتها وذِكرها، فكُتب لها خلود ذكراها والبركة في نسلها وذريَّتها، فمرضت بعد موت أبيها مع ما أصابها من حزن شديد شغلها عن نفسها، فأخذت تعدُّ للقاء الله سبحانه وتعالى نفسها، مستبشرةً باللحاق بسيِّدها وأبيها النبيّ صلى الله عليه وآله، على وعدٍ منه، مفوِّضة أمرها لله سبحانه وتعالى في شأن أولادها (الحسن، الحسين، زينب، أمُّ كلثوم)، وزوجها الإمام عليّ عليه السلام، فلم يكن شبح الموت بعيدًا عنها في ريعان شبابها، ولا غفلت يومًا عن المصير الذي يلقاه كلَّ حيّ[1]، وانتشر خبر انزعاج فاطمة عليها السلام من حكومة الشيخَين، وغضبها على مَن سكتوا عن الحقِّ، وتناسوا كلَّ النصوص التي نزلت في آل الرسول صلى الله عليه وآله، وأعرضوا عن

(١) البركانيّ، نايف بن هاشم الدعيس، فاطمة الزَّهراء عليها السلام إحدى سيِّدات أهل الجنَّة، دار الثلوثيَّة للطبع والنشر، السعوديَّة (الرياض، ٢٠١٨م) ص١٣٠.

كلِّ حديثٍ سمعوه من شَفَتَي الرسول صلى الله عليه وآله في حقِّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام وزوجها الإمام عليّ عليه السلام وولديها، وبدأت ضمائر العامَّة تُأنِّبهم، وأدركوا أنَّهم على خطأ بدعم حكومة أبي بكر وعمر، التي انتزعت الزعامة من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، ولاتهتمُّ للحقِّ اهتمامًا، ولا للمنطق موقعًا، سوى القوَّة وحدِّ السَّيف[1]، لذلك كان أهل المدينة يذهبون إلى بيت فاطمة إلَّا الشيخَين (أبو بكر، وعمر)، فكان لا بدَّ من الأخيرَين أن يذهبوا إلى فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فقال عمر لأبي بكر، حسب المصادر التاريخيَّة: «انطلق بنا إلى فاطمة، فإنَّا قد أغضبناها، فانطلقا فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليًّا فكلَّماه، فأدخلهما عليها، فلمَّا قعِدا عندها، حوَّلت وجهها إلى الحائط، فسلَّما عليها، فلم تردَّ عليهما السلام، فتكلَّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، والله إنَّ قرابة رسول الله أحبُّ إليَّ من قرابتي، وإنَّكِ لأحبُّ إليَّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنِّي متُّ، ولا أبقى بعده، أ فَتَراني أعرفك وأعرف فضلك واشرافك، وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ إلَّا أنِّي سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نوِّرث، ما تركناه صدقة. فقالت عليها السلام: **أرأيتكما إن حدَّثتكما حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟** فقالا: نعم، فقالت: **نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رِضا فاطمة من رِضاي، وسخَط فاطمة من سخَطي، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟** قالا: نعم، وسمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت عليها السلام: **فإنِّي أُشهد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ صلى الله عليه وآله لأشكونَّكما إليه.**

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سَخَطه ومِن سخَطك يا فاطمة، ثمَّ انتحب أبو بكر يبكي، حتَّى كادت نفسه أن تزهق، وفاطمة تقول: **لا والله لأدعونَّ عليكما**

(١) الشيرازيّ، أعلام الهداية، مركز الجواد للتحقيق والنشر، لبنان (بيروت، ١٤٠٤هـ)، ص٤١، مهدي، عبد الزَّهراء، الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، بلا.ت، ص٣٨٤.

في كلِّ صلاةٍ أصلِّيها. ثمَّ خرج باكيًا فاجتمع الناس إليه، فقال لهم: يبيت كلُّ رجل معانقًا حليلته مسرورًا بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي»[1].

كانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام قبل موتها أوصت الإمام عليّ عليه السلام أن يغسِّلها ويدفنها ليلًا، ولا يحضر جنازتها مَن أغضبها، ومنهم أبي بكر وعمر وغيرهم[2]، ومع ذلك فإنَّها عليها السلام أوصت زوجها الإمام عليّ عليه السلام بعدَّة وصايا، فقالت له: «**يابن عمِّ إنَّه قد نُعيَت إليَّ نفسي وإنَّني لا أدري ما بي إلَّا أنَّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي**. قال لها عليّ عليه السلام: **أوصيني بما أحببتِ يا بنت رسول الله** صلى الله عليه وآله. فجلس عند رأسها، وأخرج مَن كان في البيت، ثمَّ قالت: **يا بن عمِّ ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني؟** فقال عليّ عليه السلام: **معاذ الله أنتِ أعلم بالله وأبرَّ وأتقى وأكرم وأشدَّ خوفًا من الله من أن أوبِّخك بمخالفتي، وقد عزَّ عَلَيَّ مفارقتكِ وفقدكِ، إلَّا أنَّه أمرٌ لا بدَّ منه، والله لقد جدَّدتِ عليَّ مصيبة رسول الله** صلى الله عليه وآله، **وقد عظمت وفاتك وفقدكِ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأحزنها!! هذه مصيبة لا عزاء منها، ورزيَّة لا خلف لها**. ثمَّ بكيا جميعًا ساعة، وأخذ الإمام رأسها وضمَّها إلى صدره، ثمَّ قال:

(١) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج١، ص٣١، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٩، التبريزيّ، اللمعة البيضاء، ص٨٥٩، الأميني، الغدير، ج٧، ص٢٢٩، المرعشيّ، شرح إحقاق الحقِّ، ج١٠، ص٢١٧، الشيرازيّ، أعلام الهداية، ص٤٤، المرنديّ، مجمع النورَين، ص١٥٣، السودانيّ، عبد المنعم حسن، بنور فاطمة اهتديت، ط١، دار المعروف، (لبنان، ١٤١٩هـ)، ص١٠٩، شرف الدين، عبد الحسين (ت ١٣٧٧هـ)، النصُّ والاجتهاد، تحقيق: أبو مجتبى، ط١، مطبعة سيِّد الشهداء عليه السلام للنشر، (قم، ١٤٠٤هـ)، ص٨٩، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٠، محمَّد بيُّومي، السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ص١٤٥.

(٢) الطبريّ، ذخائر العقبى، ص١٠٣، العينيّ، عمدة القاري، ج١٦، ص٢٤٩، السيوطيّ، الثغور الباسمة، ص٨٢، المرعشيّ، شرح إحقاق الحقِّ، ج١٠، ص٤٨١، الدرازيّ، حسين ابن محمَّد (ت١٢١٦هـ) الدرَّة الغرَّاء على وفاة فاطمة الزَّهراء، أستان، بلا.ت، ص١٤، ص٢١.

أوصيني بما شئت فإنَّك تجديني وفيًّا أمضي كلَّ ما أمرتني به، وأختار أمركِ على أمري. فقالت عليها السلام: **جزاك الله عنِّي خير الجزاء، يا بن عمِّي أوصيك أوَّلًا: أن تتزوَّج بعدي.. فإنَّ الرجال لا بدَّ لهم من النساء، أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، فإنَّهم عدوِّي وعدو رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تترك أن يصلِّي عليَّ أحد منهم ولا من أتباعهم، وادفنِّي في الليل إذا هدأت الأصوت ونامت الأبصار.** ثمَّ قالت عليها السلام: **يا بن العم إذا قضيت نحبي فاغسلني ولا تكشف عنِّي، فإنِّي طاهرة مطهَّرة، وحنِّطني بفاضل حنوط أبي رسول الله صلى الله عليه وآله، وصلِّ عليَّ، وليصلِّ معك الأدنى فالأدنى من أهل بيتي، وادفنِّي ليلًا لا نهارًا، وسرًّا لا جهارًا، وعُفَّ موضع قبري، ولا تُشهِد جنازتي أحدًا ممَّن ظلمني، يا بن العمِّ، أنا أعلم أنَّك لا تقدر على عدم التزويج من بعدي، فإن أنت تزوَّجت امرأة، اجعل لها يومًا وليلة، واجعل لأولادي يومًا وليلة، يا أبا الحسن: ولا تَصِح في وجوههما، فيصبحا يتيمَين غريبَين منكسرَين، فإنَّهما بالأمس فقدا جدَّهما، واليوم يفقدان أُمَّهما»**[1].

وضمن لها الإمام تنفيذ تلك الوصايا، وانصرف عنها وهو غارق بالأفكار المتعبة من الحزن، أمَّا الزَّهراء عليها السلام فقد عرضت على أسماء بنت عميس، وكانت وصيفتها وممرِّضة لها، أن يُصنَع لها سرير يواري جسدها الشريف، فقد كانت العادة يُحمَل الميت على لوحة من خشب يبدو فيها جسده، فعملت لها سريرًا يستر جسدها شاهدته عندما كانت بالحبشة، فلمَّا نظرت له سُرَّت به وابتسمت، وكانت أوَّل ابتسامة لها بعد وفاة أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله [2]، وفي يومها الأخير من هذه الحياة، ظهر بعض التحسُّن على صحَّتها،

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٩١، التبريزيّ، اللمعة البيضاء، ص٨٦٨، عبَّاس القمِّيّ، الأنوار البهيَّة، ص٥٩، الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٣٢١، المرنديّ، مجمع النورَين، ص١٥٠، عبَّاس القمِّيّ، بيت الأحزان، ص١٧٦، حسن، عبد المنعم، بنور فاطمة اهتديت، ص١١١.

(٢) المجالس السنيَّة، ج٢، ص١٣٧، المستدرك على الصحيحَين، ج٣، ص١٣٧.

وبدا لها السرور والفرح، فقد علمت أنَّه اليوم الأخير لها بهذه الدنيا، وأنَّها ستلتقي بأبيها النبيّ في القريب العاجل، كما أنَّها رأت أباها في المنام وهو يقول لها: «**هلمّي إليَّ يا بنيَّة فإنِّي إليك مشتاق**. ثمَّ قال لها: **أنت الليلة عندي**. انتبهت من غفوتها واستعدَّت للرحيل إلى الآخرة، فقد سمعت من أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله الذي قال: **مَن رآني فقد رآني**»[1]، وقامت بغسل أولادها، وصنعت لهما من الطعام ما يكفيهم ليومهم هذا، وأمرتهما بالخروج إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله جدِّهما، ونظرت لهما نظرة أخيرة، نظرة الوداع، وقلبها يتفطَّر على فراقهما الأخير، وخرج الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام، ووضعهما مضطرب وكأنَّ شيئًا ما سيحدث، وبعدما أصبح البيت فارغًا عدا فاطمة الزَّهراء عليها السلام وأسماء[2]، تذكر المصادر التاريخيَّة تلك اللحظه بقولهم: «اشتكت فاطمة شكواها التي قُبضت فيها، فكنت أمرِّضها، فأصبحت يومًا وخرج عليّ لبعض حاجته، فقالت: **يا أَمَة اسكبي لي غُسلا**، فسكبت لها غُسلًا، فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثمَّ قالت: **يا أَمَة أعطيني ثيابي الجُدد**، فأعطيتها فلبستها، ثمَّ قالت: **يا أَمَة قدِّمي فَرشي وسط البيت**، فاضطجعت واستقبلت القبلة، وجعلت يدها تحت خدِّها، وقالت: **يا أَمَة إنِّي مقبوضةٌ، وقد تطهَّرت فلا يكشفني أحد**، فقُبضَت مكانها، فجاء عليّ فأخبرته، فقال: لا والله، لا يكشفها أحد، فدفنها بغُسلها ذلك، ودُفنت في البقيع ليلًا، ولـمَّا توفِّيت عليها السلام كان عمرها ثمان وعشرين سنة»[3]

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٣١، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٩، التبريزيّ، اللمعة البيضاء، ص٨٥٩، المرنديّ، مجمع النورَين، ص١٥٣.

(٢) القريشّي، باقر شريف، موسوعة أهل البيت، دار المعروف للنشر، العراق، (النجف، ٢٠١٢م)، ج٩، ص٣٧٠

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٧، الطبريّ، دلائل الإمامة، ص٤٧-٤٨، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٤١٣، الشافعيّ، مطالب السؤول، ص٥٠-٥١، السيوطيّ، الثغور الباسمة، ص٨٣.

وتذكر المصادر التاريخيَّة «أنَّ فاطمة عليها السلام لـمَّا حضرتها الوفاة قالت لأسماء: **إنَّ جبرئيل أتى النبيّ لـمَّا حضرته الوفاة بكافور من الجنَّة، فقسَّمه أثلاثًا، ثلثًا لنفسه، وثلثًا لعليّ، وثلثًا لي.** وكان أربعين درهمًا، فقالت عليها السلام: **يا اسماء ائتني ببقية حنوط والدي من موضع كذا وكذا، وضعيه عند رأسي،** فوضعته، ثمَّ قالت لأسماء حين توضَّأت وضوءها للصلاة: **هاتي طيبي الذي اتطيب به، وهاتي ثيابي التي أصلي فيها،** فتوضَّأت ثمَّ تسجَّت بثوبها، ثمَّ قالت: **انتظريني هنيئةً وادعيني فإن أجبتك وإلَّا فاعلمي أنِّي قَدِمت على أبي، فأرسلي إلى عليّ**»[1]

وعندما انكشف الغطاء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، نظرت نظرة حادة ثمَّ قالت: «**السلام على جبرئيل، السلام على رسول الله، اللهمَّ مع رسولك، اللهمَّ في رضوانك وجوارك ودارك دار السلام،** ثمَّ قالت: **هذه مواكب أهل السماوات، وهذا جبرئيل، وهذا رسول الله يقول: يا بنيَّة أقدِمي فما أمامك خير لك.** وفتحت عينيها ثمَّ قالت: **وعليك السلام يا قابض الأرواح عجِّل بي ولا تعذِّبني،** ثمَّ قالت: **إليك ربِّي لا إلى النار،** ثمَّ أغمضت عينيها ومدَّت يديها ورجليها. فنادتها أسماء فلم تُجبها، فكشفت الثوب عن وجهها، فإذا بها قد فارقت الحياة، فوقعت عليها تقبِّلها وهي تقول: يا فاطمة إذا قدمتِ على أبيك رسول الله فأقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام. ودخل الحسن والحسين عليهما السلام فوجدا أمّهما مسجَّاة، فقالا: **يا أسماء ما ينيم أمّنا في هذه الساعة؟** قالت: يا ابني رسول

(١) الأربلِّيّ، كشف الغمَّة، ج٢، ص١٢٢، الشهيد الأوَّل، محمَّد بن جمال الدين مكِّيّ (ت ٧٨٦هـ)، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، ط١، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، (قم، ١٤١٩)، ج١، ص٣٣٧، الحرُّ العامليّ، وسائل الشيعة (آل البيت)، ج٣، ص١٥، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٨٦، التبريزيّ، اللمعة البيضاء، ص٨٦٤، الميرزا النوريّ، حسين (ت ١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ط٢، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام للنشر، (لبنان، ١٤٠٨هـ)، ج٢، ص٢١٠، عبَّاس القمِّيّ، بيت الأحزان، ص١٧٩، البروجرديّ، جامع أحاديث الشيعة، ج٣، ص٢٢٠، الشيرازيّ، أعلام الهداية، ص٤٥، المسعوديّ، الأسرار الفاطميَّة، ص٣٣٥.

الله ليست أمُّكما نائمة، لقد فارقت الدنيا. فألقى الحسن نفسه عليها يقبِّلها مرَّة ويقول: **يا أمّاه كلِّميني قبل أن تُفارق روحي بدني**. وأقبل الحسين يقبِّل رجلها ويقول: **أنا ابنك الحسين كلِّميني قبل أن يتصدَّع قلبي فأموت**. فقالت لهما أسماء: «يا ابنَي رسول الله، انطلقا إلى أبيكما عليّ فأخبراه بموت أمِّكما، فخرجا حتَّى إذا كانا قرب المسجد، رفعا أصواتهما بالبكاء، فابتدر إليهما جمع من الصحابة، وسألوهما عن سبب بكائهما، فقالا: **قد ماتت أمُّنا فاطمة عليها السلام**، فوقع الإمام عليّ عليه السلام على وجهه يقول: **بمن العزاء يا بنت محمَّد**»[1]

وبعد تلك الليلة الحزينة الموحشة، وفي اليوم الثاني كان الأمام عليّ عليه السلام قد عمل في البقيع سبعة قبور، فاشتبه على الناس الأمر، ولم يميِّزوا القبر الحقيقيّ لفاطمة الزَّهراء، فضجَّ الناس، ورجع بعضهم يؤلم بعضًا، وقالوا: «لم يخلِّف نبيُّكم إلَّا بنتًا واحدة، تموت وتُدفَن ولم تحضروا وفاتها والصلاة عليها، ولا تعرفون قبرها، فقال بعضهم: هاتوا مِن نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتَّى نخرجها فنصلِّي عليها»[2].

وتذكر المصادر التاريخيَّة أنَّ الإمام عليّ عليه السلام «سوَّى حولها قبورًا مزوَّرة مقدار سبعة، حتَّى لا يُعرَف قبرها. وروي أنَّه رشَّ أربعين قبرًا حتَّى لا يبين قبرها من غيره فيصلُّوا عليها»[3]. كما ذُكِر أنَّ الإمام عليه السلام قال عندما دفن فاطمة عليها السلام: «**السلام عليك**

(١) الأربلِّيّ، كشف الغمَّة، ج٢، ص١٢٣، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٨٦، التبريزيّ، اللمعة البيضاء، ص٨٦٥، المسعوديّ، الأسرار الفاطميَّة، ص٣٣٥، القرشيّ، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، ط١، مطبعة الآداب للنشر، (النجف الأشرف، ١٣٩٤هـ)، ج١، ص٢٧٣.

(٢) الطبريّ، دلائل الإمامة، ص١٣٦، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٩٩، الشيرازيّ، أعلام الهداية، ص٤٧.

(٣) الفتَّال النيسابوريّ، روضة الواعظين، ص١٥٢، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٤١٢، الصبَّاغ، الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، ج١، ص٦٦٨، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٨٣، التبريزيّ، اللمعة البيضاء، ص٨٦٤، القمِّيّ، الأنوار البهيَّة، ص٦٣،=

يا رسول الله عنِّي وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، قلَّ عن صفيَّتك صبري، ورقَّ فيها تجلُّدي، إلَّا أنَّ في التأسِّي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك، موضع تعزٍّ، فلقد وسَّدكتم في ملحود قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فلقد استُرجِعت الوديعة، وأُخذَت الرهينة، أمَّا حزني فسرمد، وأمَّا ليلي فمسهَّد، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وينقلني من الأكدار والتأثيم، وستنبئك ابنتك بتضافر أمَّتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال. هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذِّكر. والسلام عليكما سلام مودِّع لا قالٍ ولا سئِم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد الله الصابرين»[1]

وذهب كلٌّ من أبي بكر وعمر والناس يريدون الصلاة على فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فقال المقداد: «قد دفنَّا فاطمة عليها السلام البارحة، فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال: ألم أقل لك إنَّهم سيفعلون؟ قال العبَّاس: أنَّها أوصت أن لا تصلِّيا عليها، فقال عمر: لا تتركون يا بني هاشم حسدكم القديم لنا أبدًا، إنَّ هذه الضغائن التي في صدوركم لن تذهب، والله لقد هممت أن أنبش قبرها فأصلِّي عليها. وصل خبر محاولات القوم لنبش القبر إلى الإمام عليّ عليه السلام، فلبس القباء الأصفر الذي كان يلبسه في الحروب، وحمل سيفه ذو الفقار، وقد أحمرَّت عيناه ودرَّت أوداجه من شدَّة الغضب، وقصد نحو البقيع، وسبقت الأخبار عليًّا إلى البقيع، ونادى مناديهم: هذا عليّ بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه، يقسم بالله لئن حوِّل من هذه القبور حجر ليضعنَّ السيف على رقاب الآمرين، فقال عمر بن الخطَّاب: ما لك يا أبا الحسن؟ والله لننبشنَّ قبرها ولنصلينَّ عليها؟

=العامليّ، جواهر التاريخ، ج١، ص١٦٠، المرنديّ، مجمع النورَين، ص١٥١.

(١) المفيد، الأماليّ، ص٢٨٢، الطبريّ، بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السلام، ص٣٩٧، الطوسيّ، الأماليّ، ص١٠٩، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٤١٣، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢١١، الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٣٢٢، النقديّ، الأنوار العلويَّة، ص٣٠٤.

فضرب عليّ عليه السلام بيده إلى جوامع ثوب الرجل، وهزَّه ثمَّ ضرب به الأرض، وقال له: يا بن السوداء، أمَّا حقِّي فقد تركته مخافة أن يرتدَّ الناس عن دينهم، وأمَّا قبر فاطمة، فوالذي نفس عليّ بيده، لئن رُمتَ وأصحابك شيئًا من ذلك؛ لأسقينَّ الأرض مِن دمائكم»[1].

هنا خاف أبو بكر على نفسه وعلى صاحبه عمر فقال: «يا أبا الحسن بحقِّ رسول الله وبحقِّ فاطمة ألا خلَّيت عنه، فإنَّا غير فاعلين شيئًا تكرهه، فخلَّى عنه، وتفرَّق الناس»[2].

وكان سبب وفاتها أنَّ قنفذًا مولى الرجل عمر بن الخطَّاب، لكزنها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسنًا ومرضت من ذلك مرضًا شديدًا، ولم تدع أحدًا ممَّن آذاها يدخل عليها، وعندما سأل كلٌّ من أبي بكر وعمر شفاعة فاطمة الزَّهراء، قالا لها: «كيف أنت يا بنت رسول الله؟ فقالت: بخير بحمد الله، ثمَّ قالت لهما: **أما سمعتما من النبيّ يقول فاطمة بضعة منِّي فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟** قالا: بلى، قالت: **والله لقد آذيتماني**. فخرجا من عندها

(١) الطبريّ، دلائل الإمامة، ص١٣٦، عبد الوهاب، حسين (ت القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد)، عيون المعجزات، الناشر: محمَّد كاظم، (النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ)، ص٤٨، العامليّ، الانتصار، ج٧، ص٢١٦، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٩٩، الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٣٢٢، التبريزيّ، اللمعة البيضاء، ص٨٥٢، المرعشيّ، شرح إحقاق الحقِّ، ج١٩، ص١٧١، النقديّ، الأنوار العلويَّة، ص٣٠٦، الشيرازيّ، أعلام الهداية، ص٤٧، المرنديّ، مجمع النورَين، ص١٤٨، عبَّاس القمِّيّ، بيت الأحزان، ص١٨٥، عبد المنعم حسن، بنور فاطمة اهديت، ص١١٤.

(٢) الطبريّ، دلائل الامامة، ص٤٦-٤٧، العامليّ، الانتصار، ج٧، ص٢١٧، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٢، التبريزيّ، اللمعة البيضاء، ص٨٥٣، الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٣٢٢، النقديّ، الأنوار العلويَّة، ص٣٠٦، عبَّاس القمِّيّ، بيت الأحزان، ص١٨٦، عبد المنعم حسن، بنور فاطمة اهتديت، ص١١٤، الهاشميّ، حوار مع فضل الله حول الزَّهراء عليها السلام، ص٣٨٤.

وهي ساخطة عليهما»[1].

وفيما يخصُّ عمرها حين استشهادها، فهناك عدَّة روايات تاريخيَّة بهذا الأمر، وهي أنَّ عمرها ثمان عشرة سنة[2]، وهناك رأي يقول عمرها إحدى وعشرون سنة[3]، ورأي يقول خمسة وعشرون سنة[4]، والآخر يقول سبعة وعشرون سنة[5]، كما اختلفت المصادر التاريخيَّة في المدَّة التي عاشتها الزَّهراء عليها السلام بعد أبيها النبي صلى الله عليه وآله، ومنها تقول عاشت ثلاثين يومًا أو خمسة وثلاثين يومًا[6]، وأخرى تقول أربعين يومًا[7]، وهناك تقول خمسة وسبعين يومًا[8]، أمَّا مكان دفنها، فمنهم من يقول إنهَّا دُفِنت في البقيع[9]، وأخرى تقول دُفنت في بيتها[10]، وهناك مصادر تقول دُفنت ما بين المرقد النبويّ والمنبر الشَّريف، ففي الحديث: «ما بين قبري ومَنبَري روضة من رياض الجنَّة»[11].

(١) الطبريّ، دلائل الإمامة، ص٤٥، العامليّ، الانتصار، ج٧، ص٢١٥، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٠، عبد الزَّهراء مهدي، الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، ص١٢٦، التبريزيّ، أبو القاسم، صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات، ط١، (د.م، ١٤١٨هـ)، ج٣، ص٤٤١.
(٢) ذخائر العقبي، ج١، ص٥٢.
(٣) المستدرك على الصحيحَين، ج٣، ص١٧٨.
(٤) القريشيّ، موسوعة أهل البيت، ص٣٧٣.
(٥) سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١٢٨.
(٦) اليعقوبيّ، تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص١١٥.
(٧) مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص١١٦.
(٨) الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٤٥٨.
(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٣٣٤.
(١٠) تهذيب الأسماء واللغات، ج٢، ص٣٥٣.
(١١) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٨٥.

المبحث الرابع

أقول المستشرقين عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء

حظيت فاطمة عليها السلام باهتمام العديد من المستشرقين الغربيِّين الذين أطلقوا بحقها عدد من الألقاب، ومنها (الأمُّ الحزينة)، وهو لقبٌ يأتي في الإيقونات والفنّ المسيحيّ ضمن (تقديس مريم)، وتعني الأمُّ المُتألِّمة(١).

ويقول هنري كوربان بحقِّها: العذراء والبتول هما: «الصفتان الممنوحتان لمريم وفاطمة الزَّهراء»(٢).

أمَّا المستشرق لويس ماسينيون، فيقول: «وتشبه فاطمة في دورة محمَّد، تشبه دورة المسيح، إنَّها تُمثِّل صور المرأة الكاملة، حواء الجديدة التي تتوافق على الصعيد السايكولوجيّ مع البنية الدائمة للاوعي الجماعي، والمثال النموذجيّ للأنثى الخالدة، الأم، الأخت، الزوجة»(٣).

أمَّا جيب هاملتون فيقول: «إنَّ فاطمة الزَّهراء تُجسِّد كلّ ما هو إلهيّ لدى المرأة، لكلِّ ما هو طاهر وصحيح في جنسها»(٤)

(١) روحي أنثى، الأنوثة في الإسلام، ص٥٦.

(٢) كوربان، هنري، الخيال الخلَّاق، ترجمة: فريد الزاهي، منشورات الجمل، ألمانيا (برلين، ٢٠٠٨م)، ص١٨٥.

(٣) ماسينيون، لويس، الغنوصيَّة عبادة فاطمة في الإسلام الشيعيّ، ترجمة: تقي المصعبيّ، مركز الإمام الحسين للمخطوطات والوثائق، ص٢.

(٤) هاملتون، جيب، الاتِّجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: هاشم الحسنيّ، (دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٦م)، ص١٣٣.

والمستشرق الفرنسيّ المونسينيور بيير بوز: «وعند تعداد النساء اللواتي وسمنَ الإسلام في بداياته، يستحيل أن ننسى ابنة محمَّد، فاطمة، التي بزواجها من عليّ بن أبي طالب غدت إحدى الشخصيَّات الأكثر جاذبيَّة في تاريخ الإسلام»[1].

وجرهارد كونسلمان يقول: «هي التي أعطت الفرصة لعليّ ليسري دم رسول الله في أجيال جديدة، ظلَّت هبة الرسول المؤثِّرة طوال مئات السنين»[2].

(١) بوز، بيير، قراءة مسيحيَّة للرسالة المحمَّدية، ترجمة وتعليق وتعقيب: د. لويس صليبا، ضمن كتاب الإسلام في مرآة الاستشراق المسيحيّ- دراسة نصوص مترجمة، دار ومكتبة بيبلون، لبنان، (جبيل، ٢٠١٣م)، ص٣٧٠.

(٢) سطوع نجم الشيعة، ص٣٦.

سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ومكانتها بين وجود أبيها صلى الله عليه وآله وفقده

الباحثة إيمان ستَّارعليّ

ملَّخص البحث

يهدف البحث للتعرُّف على سيرة سيِّدة نساء العالمين عليها السلام، ومكانتها عند وجود أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، ونشأتها في بيت النبوَّة، وما لها من دورٍ اجتماعيٍّ ورساليٍّ؛ لأنَّها فرع النبوَّة الشَّامخ، ولتحقيق مضامين البحث، أتَّبعت المنهج الاستقرائيّ، كاستقراء أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، وروايات آل البيت عليهم السلام.

وقد جاء البحث بثلاثة مباحث، كُرِّس الأوَّل منها للتعرُّف على نشأة الزَّهراء عليها السلام في بيت النبوَّة، وفقدِ أُمِّها، ووقوفها مع الرسول صلى الله عليه وآله، وما يحيط به من شدائد وأهوال وعداوات، بالرغم من صغر سنِّها، حيث كانت أنموذجًا ليس في داخل البيت فقط، بل تعدَّى ذلك للدفاع عنه ضدَّ المشركين، وهذا ما يدلُّ على عِظَم تفكيرها وحُسن تدبيرها، وهو ما لا يُستغرَب مع عالمة، وغير معلَّمة. وقد كُرِّس المبحث الثاني للأحداث العظيمة بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وغصب حقِّها في أرث أبيها صلى الله عليه وآله، كما تطرَّقنا إلى المعنى الاصطلاحيّ واللغويّ لمعنى (الحقِّ)، و(الميراث)، و(النِّحلة)، ومنعها من البكاء على أبيها صلى الله عليه وآله، ومقاطعتها قريش حتَّى استشهادها عليها السلام، وقد كُرِّس المبحث الثالث لأهمِّ النتائج والتوصيات ومقترحات البحث، والحمد لله ربِّ العالمين.

المبحث الأوَّل

فاطمة الزَّهراء عليها السلام في بيت النبيّ صلى الله عليه وآله

في هذا البيت الذي اختاره الله سبحانه وتعالى، مهبطًا للوصي ومقرًّا للنبوَّة؛ لتبليغ رسالته والإنذار بدعوته، ولدت ونشأت وترعرعت الزَّهراء عليها السلام بين أقدس زوجَين في ذلك العالم الذي يلفُّه الظلام والظلال، فكان البيت بما يحتويه من عميده النبيّ صلى الله عليه وآله، وزوجته خديجة الكبرى، وابن عمِّه الوصيّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وابنته الطاهرة الصدِّيقة، سلام الله عليهم أجمعين، هالةً من النور، وبيرقًا للهداية، وماهي إلَّا سنين قلائل حتَّى تبَّددت سحب الظلال بنور الإيمان وشملت رأية التوحيد أمُّ القرى وما حولها.

توالت على الزَّهراء عليها السلام، بعد نشأتها، المشاهد القاسية التي كانت أليمة الوقع على نفسها الطاهرة وقلبها العطوف منذ نعومة أظفارها، فقد فتحت عينها على المحَن التي قاساها أبوها صلى الله عليه وآله في سبيل الدعوة الإسلاميَّة.

وما رافقها من التعذيب والتنكيل بالمستضعَفين من أتباعه، وحصار بني هاشم في شِعب أبي طالب نحو ثلاث سنين قضتها الزَّهراء عليها السلام مع أمِّها وأبيها صلوات الله عليهم، بحرمانٍ وفاقةٍ وانقطاعٍ عن الناس، ولم تهنأ الزَّهراء عليها السلام بالعيش الرغيد مع أمِّها وأبيها، ففي العام الذي توفِّيت فيه أمُّها عليها السلام، ولـمَّا تبلغ الخامسة من العمر، فُجعت رسالة الإسلام بموت كفيل النبيّ صلى الله عليه وآله وناصره، وحامي رسالته، عمِّه أبي طالب عليه السلام.

واشتدَّت شوكة المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه المستضعفين حتَّى نثر بعضهم التراب على رأسه الكريم، وكانت الزَّهراء عليها السلام ترى بعينيها ما يفعله المستهزؤون ويقوله المتآمرون، فكانت تحنو على أبيها صلى الله عليه وآله كالأمِّ الرؤوم، وتغمره بحنانها، وتفديه بروحها، وتميط عنه الأذى، وتخفِّف من آلامه، وتهبُّ لنصرته، وتصبُّ الدمع الهتون إذا مسَّه التعب، ولو من هبوب النسيم، وكان ذلك أحد الوجوه المذكورة في سبب تكنيتها بأمِّ أبيها من والدها صلى الله عليه وآله.

روى مسلم في الصحيح عن ابن مسعود، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله يصلِّي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس، وقد نُحِرت جزورٌ بالأمس، فقال أبو جهل: أيُّكم يقوم إلى شكى جزور بني فلان، فيأخذه فيضعه في كتفَي محمَّد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلمَّا سجد النبيّ صلى الله عليه وآله وضعه بين كتفيه، قال: فاحتكموا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم انظر، لو كانت لي مَنَعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله، والنبيّ صلى الله عليه وآله ساجد ما يرفع رأسه، حتَّى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت، وهي جويريَّة[1]، فطرحته عنه، ثمَّ أقبلت عليهم تشتمهم، فلمَّا قضى النبيّ صلى الله عليه وآله صلاته، رفع صوته ثمَّ دعا عليهم[2].

الزَّهراء عليها السلام فرع النبوَّة الشامخ

روى البهيقيّ بالإسناد عن ابن عبَّاس عن فاطمة عليها السلام قالت: «اجتمع مشركو قريش في الجحر، فقالوا: إذا مرَّ محمَّد صلى الله عليه وآله عليهم ضربه كلُّ واحدٍ منَّا ضربة، فسمعته فاطمة عليها السلام، فدخلت على أبيها صلى الله عليه وآله فذكرت ذلك له، فقال: **يا بنيَّة اسكتي**. ثمَّ خرج فدخل عليهم المسجد، فرفعوا رؤوسهم ثمَّ نكَّسوا، فأخذ قبضة من تراب

(١) لفظ جويريَّة يشهد بكونها مولودة بعد البعثة لا قبلها.

(٢) صحيح مسلم ١٤١٨: ٣/ ١٠٧ كتاب الجهاد واليسر، دار الفكر، بيروت، ودلائل النبوَّة، البهيقيّ ٢/ ٢٧٩، دار الكتب العلميَّة.

فرمى بها نحوهم، ثمَّ قال: **شاهت الوجوه**، فما أصاب رجلًا منهم إلَّا قُتِل يوم بدرٍ كافرًا[1].

وهذه النصوص تكشف لنا أداء الزَّهراء عليها السلام لدورها الرساليّ في الوقوف إلى جنب أبيها صلى الله عليه وآله في مطلع الدعوة، والدفاع عنه وحمايته ونصرة ودعوته في مواقع تنكص فيها الشجعان عن المواجهة، وتتردَّد فيها الرجال عن المنازلة، هذا على الرغم من صغر سنِّها.

ومن هنا نعلم أنَّ فاطمة عليها السلام بعد فقد أمِّها لم تكن تلك اليتيمة التي تشكِّل عبئًا على أبيها، بل وقفت موقف العالمة بظروف أبيها صلى الله عليه وآله، الداركة لخطر الرسالة التي يدعو لها، وما يحيط به من شدائد وأحوال عدوات، فصارت ربَّة بيته التي تكفيه التفكير بمشاغل البيت، ووقفت إلى جنبه موقف المرأة البطلة المكافحة والمضحِّية براحتها ورفاهيَّتها، وليس ثمَّة كلمة تعبِّر عن تقديره صلى الله عليه وآله لما لقي من ابنته الصغيرة في مواقفها المختلفة أفضل من (أمِّ أبيها) في أحد معاني هذه الكنية العظيمة، وإذا كانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام قد فُجِعت بأمِّها وهي بأمسِّ الحاجة إليها، فقد صارت أشدّ لصوقًا بأبيها صلى الله عليه وآله؛ لتنهل من سجايا نفسه الزكيَّة، ومكارم خلفه الرفيه، وكان صلى الله عليه وآله يفيض عليها بحبِّه وعطفه وشفقته؛ ليعوِّضها عن شعورها بالحرمان من أمِّها.

الزَّهراء عليها السلام نموذجًا للبيت المسلم

حيث أنَّها تعيش في بيتها المتواضع، زهد الرسالة وروحانيَّة الإيمان، وبساطة العيش، وقناعة النفس، وصفاء الروح، لتعطي مثلًا ونموذجًا حيًّا للبيت المسلم بأن يعيش الأجواء الإسلاميَّة الخاصَّة، من أجل أن تنمو الأجيال وتتنفَّس في جوٍّ إسلاميٍّ خالص.

---

(١) دلائل النبوَّة، البيهقيّ: ٢/ ٢٧٦، ومجمع الزوائد: ٨/ ٢٢٨، ومسند فاطمة عليها السلام، السيوطيّ: ١١٨.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله الأب الحنون والمربِّي لها، ومعلِّمها الأوَّل، يُعطيها في كلِّ يوم من أخلاقه أدبًا وخلقًا، ومن روحه وعقله علمًا ووعيًا.. كانت معه في مكَّة المكرَّمة وجزءًا من حياتها في المدينة المنوَّرة، في الليل والنهار، يناجيها وتناجيه، وتتلمذ على يديه، وتستمد من علمه وأخلاقه. روى الحكم في المستدرك: أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان إذا سافر كان آخر الناس به عهدًا فاطمة.. أي إنَّ آخر من يلتقيه فاطمة، لتبقى صورتها في باله، وليبقى حنان فاطمة وعاطفتها التي كانت تفيضها عليه في سفره يعيش في ذاكرته، فيرتاح له.

ويضيف الحاكم في المستدرك أيضًا: «وإذا قدِم من سفر كان أوَّل الناس عهدًا به فاطمة[1]؛ لأنَّه صلى الله عليه وآله كان يعيش الشوق أليها كما لم يعش الشوق إلى أيِّ إنسان آخر، ولذلك كان يعبِّر عن حرارة هذا الشوق باللقاء بها أوَّل من كان يلتقيه من الناس.

وفي الاستيعاب بشدة: «سُئلت عائشة: أيُّ الناس كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: فاطمة. قلت: من الرجال؟ قالت: زوجها، إنه كان صوَّامًا قوَّامًا»[2].

وفي رواية أخرى وردت في حلية الأولياء لأبي نعيم أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لها: «**يا بنيَّة أما ترضين أنَّك سيِّدة نساء العالمين؟ قالت: يا أبت فأين مريم ابنة عمران؟** قال: **تلك سيِّدة نساء عالمها، وأنت سيِّدة نساء عالمك**»[3].

وفي كلمة أخرى له صلى الله عليه وآله تعبِّر عن المنزلة الرفيعة لسيِّدة النساء عليها السلام، يقول فيها: «**فاطمة بضعة منِّي، فمن أغضبها فقد**

(١) أعيان الشيعة، ج١، ص٣٠٧.
(٢) أعيان الشيعة، ج١، ص٣٠٨.
(٣) حلية الأولياء، ج٢، ص٤٢٠، عوالم الزَّهراء عليها السلام، ص٩٨.

أغضبني»[1]، ويقول أيضًا صلى الله عليه وآله: «**إنَّما ابنتي فاطمة بضعة منِّي يؤذيني ما آذاها**»[2].

وفي آية التطهير المباركة.. تؤكِّد على طهارتها وعصمتها وعصمة أهل بيتها عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا، وهذه مشاهدة حقٍّ مؤكَّدة، لا يقال فيها الباطل ابدًا، حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3].

(١) صحيح البخاريّ، شرح الكرمانيّ، ج١، ١٥ ص٥.
(٢) صحيح مسلم، ج٤، ص١٩٠٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

المبحث الثاني

فاطمة الزَّهراء عليها السلام والأحداث العظيمة بعد فَقدِ أبيها صلى الله عليه وآله

المطالبة بالحقوق

الحقُّ لغةً: هو الوجوب والتثنيات والعدل والإسلام والقرآن والمال والموت، والصدق هو نقيض الباطل، وهو مصدر الفعل حق، وجملة حقوق أو حقائق(٤)، كما أنَّه اسم من أسماء الله الحسنى، والحقُّ موجود ضمن ما يحكمه الدين والشريعة الإسلاميَّة، وهو ما يقرُّه القانون للأشخاص، سواء أكان حكم القانون بتكليف ماليّ أو غير ماليّ أو سلطة(٥).

الحقُّ اصطلاحًا: وهو حكم يثبت الحقَّ الموجود.

مفهوم الحقِّ فقهيًّا: هو الحكم الذي قرَّره الشارع.

وعرِّف في النظريَّات الحديثة: بأنَّه ميزة يمنحها القانون لشخص ما، ويحميها بطرق قانونيَّة، وبمقتضاها يتصرَّف الشخص.

المطالبة بالحقوق

وأهمُّ ما كان في يدها عليها السلام فدك، وهي قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل

(٤) مزاحم مهدي، نظريَّة الحقِّ، كليَّة العلوم الإسلاميَّة.
(٥) الحقُّ (المعاني) اطلع عليه بتاريخ ٣/ ٧/ ٢٠٢١، بتصرُّف.

ثلاثة، وفيها عين فوَّارة ونخيل كثيرة[1]،وقصَّة فدك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله عندما انتهى من معركة خيبر، بقيت بقيَّة من أهل خيبر تحصَّنوا، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يحقن دماءهم ويسيِّرهم، ففعل، فسمع بذلك أهل فدك، فنزلوا على مثل ذلك، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصَّة، لأنَّه لم يوجِف عليها خيل ولا رِكاب[2].

رواية أخرى أنَّه صلى الله عليه وآله لـمَّا فرغ من خيبر، قذف الله الرَّهب في مكان أهل فدك، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فصالحوه على النصف من فدك[3]، فأنزل الله تعالى على نبيِّه صلى الله عليه وآله: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ.. ﴾[4].

ثمَّ أوحى إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: **يا فاطمة، إنَّ الله أمرني أن أدفع فدك إليك**، فقالت: **قد قبِلت يا رسول الله مِن الله ومنك**، فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمَّا ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها[5]، فتقدَّمت الزَّهراء عليها السلام إلى الخليفة الأوَّل في مطالبتها بحقِّها.

المعنى اللغوي للنحلة

ويراد بها معانٍ:

١. **النحلة**: وهي قول الزَّهراء عليها السلام بأنَّ أباها صلى الله عليه وآله قد وهبها فدكًا في حياته، ويستدلُّ على ذلك أنَّ فاطمة عليها السلام عندما كلَّمت أبا بكر حول موضوع فدك، قال لها: يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، والله ما ورَّث أبوك دينارًا ولا درهمًا وأنَّه قال: إنَّ الأنبياء لا يورِّثون، فقالت:

---

(١) معجم البلدان، يا قوت الحمويّ، ج٤، ص٢٣٨.

(٢) سنن أبي داود، ج٣ ص٢١٨ رقم ٣٠١٦، رواها أبو داود عن حسن بن عليّ العجليّ، عن يحيى بن آدم عن أبي زائدة عن محمَّد بن إسحاق عن الزهريّ.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١٠.

(٤) سورة الروم، الآية ٣٨.

(٥) أصول الكافي، كتاب الحجَّة، ج١، ص٥٤٣، رقم ٥، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس، والدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، ج٤، ص١٧٧.

إنَّ فدكًا كانت وهبها لي رسول الله صلى الله عليه وآله..

ويستدلُّ ايضًا على أنَّ فدكًا كانت بيد فاطمة الزَّهراء عليها السلام خلال حياة أبيها صلى الله عليه وآله، ثمَّ انتُزِعت منها قول أمير المؤمنين في كتابه لعثمان بن حنيف: لا بلى كانت في أيدينا فدك من كلِّ ما أظلَّته السماء، فشحَّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بعدك وغير فدك والنفس مضانها في غد جدت تتقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها[1].

٢. **النحلة بمعنى العطيَّة**: يقال: نحل فلان تبره له بنيّ[2].

قيل: ومن هذا المعنى سمِّي ذباب العسل نحلًا.

قال ابن الاثير: النحل بالضمِّ العطيَّة والهبة ابتداءً من غير عوض والاستحقاق[3].

قال الراغب الأصفهانيّ: والنحلة عطيَّة على سبيل التبرُّع وهو أخصُّ من الهبة، إذ كلُّ هبة نحلة، وليس كلُّ نحلة هبة، واشتقاقه فيما أرى أنه من النَّحل، وذلك ما يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[4].

وبيَّن الحكماء أنَّ النحل يقع على الأشياء وكلها فلا يضرها بوجه عام وبنفع، فإنَّه يُعطي ما فيه الشفاء، كما وصفه الله تعالى[5].

٣. **ويُطلَق على صداق المرأة نحلة**: يُقال: نحلت المرأة مهرها عن طيب نفسٍ من غير مطالبة.

وقال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[6].

(١) والصواعق المحرقة، ابن حجر، الباب الثاني، ص٣١
(٢) المعجم الوسيط: ٢/ ٩٠٧، مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٦٥/ ٥، مجد الدين أبو السعادات.
(٤) سورة النحل، آية رقم ٦٨.
(٥) المفردات، ص٤٨٥، الراغب الأصفهانيّ.
(٦) سورة النساء، آية رقم ٤.

فقولهم: أنحل المرآة أي أعطاها مهرها[١].

٤. **وتطلق النحلة** ويراد بها الفريضة، وهذا على تفسيرات النحلة في قوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾[٢].

وتعرَّف النحلة اصطلاحًا: الأهواء والآراء والمعتقدات التي تنتحلها جماعة ليس لها دين، كالفلاسفة والدهريَّة[٣].

وتعرف ايضًا بأنَّها الأهواء والدعاوى التي اخترعها البشر، وجعلوها لهم دينًا، وليس لها أصل سماويّ[٤].

والقسم الثاني: أصل الأهواء والنحل: مثل الفلاسفة والدهريَّة وعَبَدة الكواكب والبراهمة وغيرهم[٥].

فاطمة عليها السلام واحتجاج الخليفة الأوَّل

إنَّ فاطمة عليها السلام احتجَّت على أبي بكر، فقالت له: «**إنَّ رسول الله أعطاني فدكًا**»، فقال لها: أفبرجل وامرآة تستحقينها[٦].

واحتجاج الخليفة بتلك الطريقة في غاية الغرابة.

كان على الخليفة الأوَّل ألَّا يستظهر عليها عليها السلام بطلب شهادة أو بيِّنة[٧]، فهو يعلم مكانها في الدين وموقعها من رسول الله صلى الله عليه وآله. قال المعتزليّ: سألت عليّ بن الفارقيّ

(١) المعجم الوسيط (٩٠٧/ ٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
(٢) سورة النساء آية ٤.
(٣) علم الملل ومناهج العلماء فيه ص٢٠ (احمد بن عبدالله جود).
(٤) مقدمة في الملل والنحل، د. ناصر القفاري ص٩.
(٥) انظر الملل والنحل للشهرستاني (٤/ ١/ وانظر منهج الشهرستاني في كتابة الملل والنحل، د. عبدالعزيز السحيباني، ص٢٠٣.
(٦) (شرح نهج البلاغة) ج١٦، ص٢١٦.
(٧) (نهج البلاغة) كتاب رقم ٤٥، ص٥٣٢.

مدرِّس المدرسة الغربيَّة ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟[1].

قال نعم: قلت: فلمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدك، وهي عنده صادقة؟ فتبسَّم ثمَّ قال كلامًا لطيفًا مستحسنًا مع قاموسه وحرمته وقلَّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدكًا بمجرَّد دعواها، لجاءت اليه غدًا وادَّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والمعارضة بشيء؛ لأنَّه يكون قد سجَّل على نفسه أنَّها صادقة فيما تدَّعي كائنًا ما كان، من غير حاجة إلى بيِّنة ولا شهود، وهذا كلام صحيح، وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل[2].

تداول فدك بين الأيادي عدا فاطمة عليها السلام

قال أبو الفداء في ذكر بعض ما نقم الناس على عثمان: وأقطع مروان ابن الحكم فدكًا، وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله التي طلبتها فاطمة من أبي بكر، فقال لها أبو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث ما تركناه صدقة». ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه إلى أن تولَّى عمر بن عبد العزيز، فانتزعها من اهله وردَّها صدقة[3].

وأخرج البهيقي: «قال الشيخ: إنَّما أقطع مروان فدكًا في أيَّام عثمان بن عفَّان، وكأنَّه تأوَّل في ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا أطعم الله نبيًا طعمة، فهي للذي يقوم من بعده، وكان مستغنيًا عنها بماله، فجعلها لأقربائه[4]. ووصل بها رحمهم.. وذهب آخرون إلى أنَّ المراد بتلك التولية وقطع جريان الإرث فيه، ثمَّ تصرَّف في مصالح المسلمين، كما كان أبو بكر وعمر يفعلان[5].

---

(١) (الصوابق المحترقة) ابن حجر، الباب الثاني، ص٣١.
(٢) تاريخ أبي الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج١:ص١٦٩.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٨٤.
(٤) تاريخ أبي الفداء: المختصر في اخبار البشر: ج١، ص١٦٩.
(٥) السنن الكبرى، البهيقي، ج٦، ص٣٠١، باب بيان معرف أربعة أخماس الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهنا يثار تساؤل معقول: وهو ان فدكًا لو كانت فيئًا للمسلمين كما ادَّعاه أبو بكر، وعلى وجه التخصيص بمروان؟ فما هو دخل الخليفة الأوَّل والثالث في ذلك؟ وإن كانت نحلة من النبيّ صلى الله عليه وآله لابنته عليها السلام، فكيف يجوز هذا التصرُّف بملك الغير؟ إنَّ تضارب أعمال الخلفاء الثلاثة في أمر فدك، حيث انتزعها أبو بكر منهم عليهم السلام، وردَّها عمر إليهم، وأعطاها عثمان لمروان، أكبر دليل على عدم كفائتهم في التعامل مع مصداق شرعيّ من مصاريف الولاية، وهو الملكيَّة، ودور ذات اليد عليها.

الميراث لغة: الميراث يُطلق بإطلاقَين، الأوَّل: بمعنى المصدر، أي الوارث. والثاني: بمعنى اسم المفعول، أي الموروث، والميراث بالمعنى المصدريّ له معنيان، أحدهما: البقاء منه اسم الله تعالى الوارث، وثانيهما: انتقال الشيء من شخص إلى آخر حيًّا، كانتقال الأموال والأعيان من شخص إلى آخر. وأمَّا الميراث بمعنى اسم المفعول هو مرادف للإرث، ومعناه في اللغة: الأصل والبقيَّة، سمِّي به ما يتركه الميت من مال؛ لأنَّه بقيَّة تركها للوارث[1].

الميراث اصطلاحًا: في اصطلاح الفقهاء، هو اسم لما يستحقُّ الوارث من مورِّثه بسبب من أسباب الإرث، أو هو انتقال مال الغير إلى الغير على سبيل الخلافة، فعلم الميراث يبحث في الحقوق المتعلِّقة بالتركة إجمالا[2]، وأسباب الميراث وشروطه وموانعه وأنواع الورثة وبيان نصيب كلِّ واحد منهم.

دعوى الميراث

لـمَّا حاولت الزَّهراء عليها السلام بكلِّ ما لديها من أدلَّة وفصاحة وعمق في الدين إقناع

(١) مجد الدين الفيروزآباديّ، القاموس المحيط، ج١، ط٣، المطبعة المصريَّة، القاهرة، ١٩٣٣، ص٣٧٦.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطيّ، الفتح الكبير، ج٢، مطبعة دار الكتب المصريَّة، القاهرة، ٩١١هـ، ص٢٥١.

الخليفة الأوّل بحقّها في فدك، وأبى أبو بكر أن يقبل منها ذلك، رأت أن تبسط الخصومة بطريق آخر، وهو طريق الميراث، فإنَّ فدك ممَّا افاء الله به على رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

فإذا لم تنقل في حياته صلى الله عليه وآله إلى ابنته عليها السلام، حسب زعم أبي بكر، فلا بدَّ أن تنتقل إليها بعد وفاته صلى الله عليه وآله بالميراث، فقالت في خطبة لها: «**إيُّها المسلمون أأُغلب على إرثي؟ يا ابن قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريًا.**

أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ..﴾(٢)، **وقال فيما قصَّ من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال:** ﴿..فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ..﴾(٣)، **وقال:** ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ..﴾.

وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصَّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم تقولون إنَّ أهل ملَّتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملَّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمِّي؟».

وكان جواب الخليفة الأوّل في غاية الاضطراب، فمرَّة كان يقول: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنَّ الله إذا أطعم نبيًّا طعمة، فهي للذي يقوم من بعده»[4]. وقال في آخرى: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنَّا معاشر الأنبياء لا نورِّث، ما تركناه صدقة»[5]. وثالثة: سمعت رسول الله يقول صلى الله عليه وآله: «إنَّ النبيّ لا يورث من كان النبيّ يعوله، ومن كان النبيّ صلى الله عليه وآله ينفق عليه، فأنا أنفق عليه..»[6].

---

(١) السنن الكبرى، البهيقي، ج٦، ص٣٠١. باب بيان معرف أربعة أخماس الفيء بعد الرسول صلى الله عليه وآله.
(٢) سورة النمل: الآية ١٦.
(٣) سورة مريم: الآية ٦-٥.
(٤) سنن أبي داوود، ج٣، ص١٩٨، رقم ٢٩٧٣.
(٥) تاريخ الخلفاء، السيوطيّ، ص٧٣.
(٦) شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١٩، قال أبو بكر الجوهريّ.

وقد انفرد أبو بكر برواية حديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، وما تركناه صدقة»[1].

مقاطعة قريش حتَّى استشهادها عليها السلام

وبقيت فاطمة الزَّهراء عليها السلام بعد تلك الأحداث، وإلى جنبها عليّ عليه السلام، باكية العين، محترقة القلب بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت الصدمة فيما حصل بعد الوفاة من أحداث عظيمة ومحزنة، فقرَّرت مقاطعة قريش من الذين تولّوا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. قال ابن قتيبة الدينوريّ: «فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإنَّا قد أغضبناها. فانطلقا جميعًا فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا عليًّا عليه السلام فكلَّمها فأدخلمها عليها، فلما قعدا عندها، حوَّلت وجهها إلى الحائط، فسلَّما عليها فلم تردَّ السلام، فتكلَّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنَّ قرابة رسول الله أحبّ إليَّ من قرابتي، وإنَّك لأحبُّ إليَّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أن متُّ ولا أبقى بعده، أفتَراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقَّك وميراثك من رسول الله، إلَّا أنِّي سمعتُ أباك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورِّث ما تركناه صدقة.

فقالت عليها السلام: **نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رضى فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟**.

قالا: نعم، سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقالت عليها السلام: **فإنِّي أُشهِد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ صلى الله عليه وآله لأشكونَّكما إليه.**

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يافاطمة. ثمَّ انتحب يبكي.. وهي تقول: **والله لأدعونَّ الله عليه في كلِّ صلاة أصلِّيها.**

(١) تفسير التغلبيّ، ص٤٥٢ وصحيح البخاريّ، ج٥، ص١٧٧، باب غزو خيبر.

روى أحمد بن أبي طاهر طيفور بيندة عن عطيَّة العوفيّ، قال: «ولـمَّا مرضت فاطمة عليها السلام المرضة التي توفِّيت بها، دخل النساء عليها، فقلن: كيف أصبحت يا بنت رسول الله ؟ فقالت عليها السلام: **أصبحت والله عائفة لدنياكم، مبغضة لرجالكم، لفظتهم بعد أن عجمتهم ، وشنئتهم بعد أن سبرتهم** (أبغضتهم بعد أن جرَّبتهم)، **فقبحًا لفلول الحدِّ** (قلم السيف)، **وخور القنا** (كسر الرماح)، **وخطل الرأي** (فساده)، **وبئس ما قدَّمت لهم أنفسهم، إنَّ سَخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون**»[1].

(١) الإمامة والسياسة، ج١، ص١٣.

المبحث الثالث

النتائج

بعد هذه الرحلة التي تعطرَّت بأريج ذِكر المختار وآل بيته الأطهار، وتزيَّنت بذِكر سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فقد توصَّل البحث إلى نتائج عدَّة، من أهمِّها:

١. إنَّ الزَّهراء عليها السلام عالمة غير معلَّمة، وهبها الباري علم الدين، وممَّا زادها علمًا أنَّها تربَّت في بيت النبوَّة.
٢. تمثَّلت مسؤوليَّة العناية برسول الله صلى الله عليه وآله بعد فَقدِ أمِّها، وتخفيف ألم فراقها عليه.
٣. لم يقتصر دور الزَّهراء عليها السلام في بيتها فقط، بل كانت خير ناصر ومُعين لرسول الله صلى الله عليه وآله في دفع الأذى عنه، بسبب مضايقات المشركين له.
٤. كانت الزَّهراء عليها السلام نِعمَ المرشد لإصلاح المجتمع، والدفاع عن الرسالة الإسلاميَّة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد وفاته.
٥. أعطت الزَّهراء عليها السلام حقَّ المجتمع بعلاقتها الروحيَّة والماديَّة والعلميَّة.

التوصيات:

في نهاية البحث هناك مجموعة من التوصيات، من أهمِّها:

١. ضرورة الاستفادة من سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لتعزيز دور المرأة في المجتمع الإسلاميّ.

٢. الاقتداء بسيِّدة نساء العالمين للمرأة المسلمة في عصرنا، هذا مع تعدُّد الأدوار التي أدَّتها الزَّهراء عليها السلام في المجتمع، إلَّا أنَّها عليها السلام بقيت ملزمة بأحكام دينها، وأدَّت كلَّ دور من أدوارها على أكمل وجه.

٣. الإفادة عن المطالبة بالحقوق المشروعة للمرأة، والمساواة بينها في مسائل الإرث ومتعلَّقاته.

٤. إفادة مؤسَّسات الدولة، وخاصَّة الإرشاديَّة، ودور القضاء، من سيرة الزَّهراء عليها السلام لحقوق المرأة.

٥. تضمين بعض من مواقف السيِّدة الزَّهراء في المناهج الدراسيَّة، وخاصَّة كليَّات التربية للبنات، لإفادة هذا الجيل من خلال الاقتداء بها عليها السلام.

الخاتمة

إنَّ دراسة شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام تمتدُّ إلى مجالات ذات أبعاد كثيرة، وما لها من دور كبير في بناء وتدعيم قواعد الدين الإسلاميّ، وتثبيت أركانه، سواء من المنظور السياسيّ أو الإعلاميّ.

ومن خلال الكشف عن الجانب القياديّ عن أحد أركان الدعوة الإسلاميَّة المهمَّة، وهي بضعة الرسول الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله، كونها أحد الأمثال المهمَّة والمؤثِّرة في كيان الحضارة الإنسانيَّة، وأيضًا أوَّل صنَّاع المفهوم القياديّ للمرأة المسلمة على مرِّ التاريخ، من خلال أدوارها في نشر الرسالة الإسلاميَّة، ووقوفها بجنب الرسول صلى الله عليه وآله في مواجهة المصاعب التي واجهت نشر الرسالة الإسلاميَّة، وموقعها المهم في الحصار الذي تعرَّض له المسلمين، إضافة إلى الموقف السياسيّ الصعب الذي واجهته بكلِّ قوَّة بعد استشهاد والدها الرسول صلى الله عليه وآله، وبروز الجانب الإعلاميّ في كشف المرتدِّين والظَّلمة، فهذه المواقف تبيِّن قوَّة شخصيَّتها، وجهدها الكبير في نشر الإسلام، جنبًا إلى جنب مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وزوجها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وبالرغم من أنَّها عليها السلام فارقت الحياة في عمر قصير، ولكنَّها باقية إلى ما شاء الله، مدرسة للأجيال، ومشعل نور يكشف عن الزَّيف والاستبداد، ويقارع الطغاة الظالمين، ويقف بوجه كلِّ من يريد طمس معالم هذا الدين الحنيف.

والحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر

١. صحيح مسلم، كتاب الجهاد واليسر، دار الفكر، بيروت.
٢. دلائل النبوَّة، البهيقيّ، دار الكتب العلميَّة.
٣. مجمع الزوائد.
٤. مسند فاطمة عليها السلام، السيوطيّ.
٥. أعيان الشيعة.
٦. حلية الأولياء.
٧. في عوالم الزَّهراء عليها السلام.
٨. صحيح البخاريّ، شرح الكرمانيّ.
٩. صحيح مسلم.
١٠. مزاحم مهدي (نظريَّة الحقِّ)، كليَّة العلوم الإسلاميَّة.
١١. الحقّ (المعاني اطلع عليه بتاريخ ٣/ ٧/ ٢٠٢١، بتصرف).
١٢. معجم البلدان، يا قوت الحمويّ.
١٣. سنن أبي داوود.
١٤. شرح نهج البلاغة.
١٥. اصول الكافي، كتاب الحجَّة، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس.
١٦. الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور.

١٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة.
١٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات.
١٩. المفردات، الراغب الأصفهانيّ.
٢٠. علم الملل ومناهج العلماء فيه، أحمد بن عبد الله جود.
٢١. مقدِّمة في الملل والنحل، د. ناصر القفاريّ.
٢٢. الملل والنحل للشهرستانيّ.
٢٣. منهج الشهرستانيّ في كتابة الملل والنحل، د. عبدالعزيز السحيبانيّ.
٢٤. الصواعق المحرقة، ابن حجر.
٢٥. تاريخ أبي الفداء، المختصر في أخبار البشر.
٢٦. مجد الدين الفيروزآباديّ، القاموس المحيط، المطبعة المصريَّة، القاهرة، ١٩٣٣.
٢٧. جلال الدين عبد الرحمن السيوطيّ، الفتح الكبير، ج٢، مطبعة دار الكتب المصريَّة، القاهرة، ٩١١هـ.
٢٨. تاريخ الخلفاء، السيوطيّ.
٢٩. تفسير التغلبيّ.
٣٠. الإمامة والسياسة.

السيِّدة الزَّهراء عليها السلام دراسة في رؤى النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله

م.م. باسم عبد الزَّهرة جمعة
مديريَّة تربية محافظة البصرة/ قسم تربية القرنة

ملخَّص البحث

تُعدُّ دراسة شخصيَّة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في رؤى النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله من الدراسات التاريخيَّة المهمَّة؛ لأنَّها تُسلِّط الضوء على حقبة زمنيَّة معيَّنة من التاريخ، وإنَّها تحتوي على موضوعاتٍ في شتَّى المجالات والجوانب، فقد كان لها شأنٌ كبيرٌ في التاريخ الإسلاميّ والإنسانيّ، فقد قُسِّم البحث على خمسة مباحث، خُصِّص المبحث الأوَّل لرؤى النبيّ صلى الله عليه وآله عن ولادتها، أمَّا المبحث الثاني فقد شمل وفاتها، ودرسَ المبحث الثالث رؤى النبيّ صلى الله عليه وآله من منظورٍ قرآنيّ، وتناول المبحث الرابع زواجها من الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، في حين اختصَّ المبحث الخامس بمكانتها عليها السلام عند النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، ومن ثمَّ الخاتمة.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، نحمده ونشكره ونستعين به في السرَّاء والضرَّاء، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لو أن هدانا الله، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الأطهار.

تناول بحثنا هذا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام التي امتازت بمميِّزات عديدة، ومكانة عظيمة عند النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، إذ أفاضت الأحاديث النبويَّة والروايات الكثيرة عن تلك المكانة التي احتلَّتها، والتي لم تكن من باب العاطفة المجرَّدة من قِبَل النبي صلى الله عليه وآله، فقد اقتضت خطَّة البحث تقسيم الدراسة على مقدِّمة وخمسة محاور، تناول المحور الأوَّل رؤى النبيّ صلى الله عليه وآله عن ولادتها عليها السلام، أمَّا المحور الثاني، فقد شمل وفاتها، أمَّا المحور الثالث، فقد تناول رؤى النبيّ صلى الله عليه وآله من منظور قرآنيّ، وتناول المحور الرابع زواجها من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، في حين اختصَّ المحور الخامس بمكانتها عليها السلام عند النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، ومن ثمَّ الخاتمة.

المحور الأوَّل

ولادتها عليها السلام

لقد تميَّزت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام منذ ولادتها بميزات عدَّة سمت بها عن جميع الخلق؛ لأنَّها كانت بضعة النبيّ الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والمرسَلين، وأمُّها خديجة بنت خويلد، تلك السيِّدة التي كانت تمتلك عصب الاقتصاد في الجزيرة العربيَّة كلَّها، وقد أنفقت كلَّ تلك الأموال على المسلمين في الظروف الحرجة التي واجهها المسلمون أبان اضطهاد قريش وحصارها الاقتصاديّ للمسلمين، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله يتولَّى مسألة الإنفاق على المسلمين من تلك الأمـوال، فقد كان لخديجة شرف لم تضارعها امرأة من قريش في مكانتها وعلوِّ منزلتها، فهي سيِّدة نساء عصرها، وهي أوَّل من آمنت بالنبيّ صلى الله عليه وآله وصدَّقته وأعانه في تثبيت أركان الدعوة الإسلاميَّة في تلك المدَّة الحرجة من التاريخ، فقد زاد ذلك السيِّدة الزَّهراء عليها السلام شرفًا بانتسابها إلى الأبوَين العظيمَين[1].

ولِدت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قبل المبعث النبويّ بخمس سنين، وقيل بسبع سنين وستَّة أشهر، وقريش تبني الكعبة، وقيل ولِدت بعد النبوَّة، وعند ولادتها كان النبيّ صلى الله عليه وآله يصلِّي صلاة المغرب، فلمَّا بلغه خبر ولادتها عليها السلام، بعد انتهاء الصلاة، سجد شكرًا لله تعالى[2].

---

(١) العامليّ، الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله: ٢/ ٢٣٣، النصر الله، العوَّاد، صاحبة التسبيح المقدَّس: ١٥-١٦.

(٢) ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ٥/ ٣٥٤، الكلينيّ، الكافي: ١/ ٤٥٧، الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٣٩٩، العينيّ، عمدة القاري: ١٦/ ٢٤٩، البحرانيّ، الحدائق الناظرة: ٦/ ٥٨.

جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **إنَّ الله خلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن يخلق السماء والأرض**، فقال البعض: يا رسول الله، أفليست هي إنسيَّة؟ فقال صلى الله عليه وآله: **فاطمة حوراء إنسية**، قالوا: وكيف هي حوراء إنسيَّة؟ قال صلى الله عليه وآله: **خلقها الله من نوره قبل أن يخلق آدم، إذ كانت الأرواح، فلمَّا خلق الله عز وجل آدم عُرِضت عليه**، قيل: يا نبيَّ الله وأين كانت فاطمة؟ قال: **كانت في حقَّه تحت ساق العرش...**[1].

وجاء عن عائشة أنَّها قالت: «كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وآله يقبِّل فاطمة، فقلت: يا رسول الله إنِّي أراك تفعل شيئًا ما كنت أراك تفعله من قبل، فقال: **يا حميراء إنَّه لـمَّا كان ليلة أُسريَ بي إلى السماء دخلت الجنَّة، فوقفت على شجرة من شجر الجنَّة لم أرَ في الجنَّة شجرة أحسن منها حُسنًا، ولا أبيض منها ورقًا، ولا أطيب منها ثمرًا، فتناولت ثمرة من ثمراتها فأكلت، فصارت نطفة في صُلبي، فلمَّا هبطت الى الأرض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فإذا أنا اشتقت إلى الجنَّة شممت ريح فاطمة، يا حميراء إنَّ فاطمة ليست كنساء الآدميِّين، ولا تعتلُّ كما يعتلُّون**»[2].

(١) الصدوق، معاني الأخبار: ٣٩٦، المجلسيّ، بحار الأنـوار: ٤٣/ ٤، الأمينيّ، الغدير: ٣/ ١٨.

(٢) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٤٠٠-٤٠١.

المحور الثاني

وفاتها عليها السلام

عندما مرض النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله مرضه الأخير، دخلت عليه السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فلمَّا رأته انكبَّت وبكت وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها، ثمَّ ضمَّها إليه وقال: «**يا فاطمة لا تبكي فداكِ أبوكِ، فأنت أوَّل من تلحقين بي مظلومة مغصوبة**»[1].

تؤكِّد الرواية السابقة أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي أوَّل أهل بيت النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله لحوقًا به، كما أشار النبيّ صلى الله عليه وآله في نفس الرواية على مظلوميَّتها عليها السلام، بأنها تموت مظلومة مغصوبة.

وجاء عن السيِّدة عائشة أنَّها قالت: ما رأيت أحدًا من خلق الله أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله دنيًا ولا جلسةً من فاطمة، كانت إذا دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله رحَّبت به وقامت من مجلسها وقبَّلت يده وأجلسته في مجلسها، وكانت إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله رحَّب بها وقام إليها وقبَّل يدها وأجلسها في مجلسه، وإنَّها دخلت عليه وهو في بيته فسارَّها فبكت، ثمَّ أسرَّ إليها فضحكت، فقالت عائشة: إن كنت لا أرى أنَّ لهذه المرأة فضلًا على النساء بينما هي تبكي، إذ هي تضحك، فسألتها بعد ذلك: ما أسرَّ إليك الرسول صلى الله عليه وآله؟ فلم تُجِبني، فلمَّا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله سألتها فقالت، قال: **إنِّي ميت في مرضي هذا، فجزعت فبكيت، ثمَّ أسرَّ إليَّ أنِّي أوَّل أهل بيته لحوقًا به، فسررت بذلك، فضحكت**[2].

---

(١) الخزاز القمِّيّ، كفاية الأثر: ٣٦، هاشم البحرانّي، غاية المرام: ٢/ ٢٤٢، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٣٦/ ٢٨٨، الأمين، أعيان الشيعة: ٨/ ٢٠٧.

(٢) الطبرانيّ، المعجم الأوسط: ٤/ ٢٤٢.

إنَّ ما قامت به السيِّدة الزَّهراء في الرواية السابقة من ترحيبٍ بالنبيّ محمَّدﷺ ووقوفها إليه وتقبيل يده الشريفة عند دخوله عليها، يُعدُّ أمرًا طبيعيًّا، وهذا ما يفعله الأبناء تجاه آبائهم، ويعتبر أمرًا لا غرابة فيه، لكنَّ الغريب هو ما يقوم به النبيّﷺ من ترحيبه ووقوفه للسيِّدة الزَّهراءعليها السلام وتقبيله يدها، وهي ابنته، وهذا إن دلَّ على شيء، إنَّما يدلُّ على مكانة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام في السيرة النبويَّة، ويبيِّن ضرورة احترامها من قِبَل الأمَّة من بعده، أي إنَّهﷺ يريد إرسال رسالة إلى الأمَّة بذلك، ولكن هل التزمت الأمَّة بما أراده النبيّﷺ؟ كما أكَّدت السيِّدة عائشة في نفس الرواية السابقة على مكانة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام بقولها للنسوة: إن كنت لا أرى أنَّ لهذه المرأة فضلًا على النساء.

اختلفت الروايات في الفترة التي عاشتها السيِّدة الزَّهراءعليها السلام بعد وفاة النبيّﷺ، فقيل إنَّها توفِّيت بعد رسول اللهﷺ بثلاثة أشهر، وقيل خمسة وسبعين يومًا، وقيل ستَّة أشهر، وما رؤيت ضاحكةً بعده، كما اختُلِف في عمرها الشريف، فقيل كان عمرها عند وفاتها ثمانية عشر سنة، وقيل سبع وعشرون سنة، وقيل ثمان وعشرون سنة، ودفنها الإمام عليّعليه السلام ليلا[1].

إنَّ الرواية الأقرب لعمر السيِّدة الزَّهراءعليها السلام عند وفاتها هي أنَّها توفِّيتعليها السلام وعمرها ثمان وعشرون سنة، وذلك لأنَّ ولادتها إذا كانت قبل المبعث النبويّ بخمس أو سبع سنين، وأنَّ النبيّﷺ أقام في مكَّة بعد المبعث النبويّ مدَّة ثلاثة عشر سنة لتبليغ رسالة السماء، ثمَّ هاجر بعد ذلك إلى المدينة، وأقام عشر سنوات فيها، وعاشت السيِّدة الزَّهراءعليها السلام بعده لستَّة أشهر، وتوفِّيت سنة ١١هـ[2].

(١) الكلينيّ، الكافي: ١/ ٤٥٧، الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٣/ ٥٧-٥٨، الهيثميّ، مجمع الزوائد: ٩/ ٢١١.

(٢) الهيثميّ، مجمع الزوائد: ٩/ ٢١١.

المحور الثالث

رؤى النبي صلى الله عليه وآله من منظور قرآنيّ

يُعدُّ القرآن الكريم هو المصدر الأوَّل للتشريع، فقد نزل في بيوت طابت وطهُرت، وقد خصَّ أهل البيت عليهم السلام بآيات عدَّة، يأتي في مقدِّمتها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، فقد جاء تفسير الآية من قِبَل الطبريّ[2]، الذي يُعدُّ من أقدم وأشهر المفسِّرين، أنَّ أهل البيت الذين خصَّهم الله سبحانه وتعالى في الآية أعلاه، هم (محمَّد وعليّ وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام)، وقد أورد ستَّة عشر رواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وأهل البيت، وبعض الصحابة، وعن السيِّدة عائشة، تؤكِّد ذلك، فقد جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**نزلت الآية فيَّ وفي عليّ وفاطمة وحسن وحسين**»، فقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله يمرُّ ببيت فاطمة عليها السلام مدَّة ستَّة أشهر، كلَّما خرج إلى صلاة الفجر، فيقول: **الصلاة الصلاة أهل البيت**، ويردِّد الآية، ثمَّ يقول: «**اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي، اللهمَّ أهلي أحقُّ**».

يبدو ممَّا تقدَّم أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله أراد من خلال التركيز على بيت السيِّدة فاطمة عليها السلام لمدَّة ستَّة أشهر، ويقف عند الباب، أنَّه أراد إيصال رسالة لهذه الأمَّة أنَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصَّتي، لذلك ركَّز على أصحاب هذا البيت عليهم السلام، فمن غير المعقول أن يقف لتنبيههم بحلول وقت الصلاة؛ لأنَّ من الطبيعي أنَّ صلاة أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) جامع البيان: ٢٢/ ٩-١٣، للمزيد ينظر: الديراويّ، عكرمة البربريّ: ٢٨٨-٣٠٩.

هي مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يكن قصد النبيّ صلى الله عليه وآله هو التنبيه بحلول وقت الصلاة، وإنَّما هو تنبيه هذه الأمَّة بأنَّ هؤلاء أهل بيتي، وهم الذين جاء ذِكرهم في القرآن الكريم، وهم الذين خصَّهم الله تعالى بآياتٍ عدَّة، وهم الذين وجب على الأمَّة طاعتهم والالتزام بما يريدونه، وبما إنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي محور ذلك البيت ومركزه، فيجب على الأمَّة المحافظة على حُرمة ذلك البيت، ولكن هل التزمت الأمَّة بذلك؟! وهل حافظت على حُرمة ذلك البيت[1]؟!.

(١) للمزيد ينظر: النصر الله، العوَّاد، صاحبة التسبيح المقدَّس: ١٨٩-١٩٠.

المحور الرابع

زواجها من الإمام عليّ عليهما السلام

عندما تقدَّم الإمام عليّ عليه السلام لخطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، قال له النبي صلى الله عليه وآله: **هي لك يا عليّ**، وقال صلى الله عليه وآله: **إنَّ الله أمرني أن أزوِّج فاطمة من عليّ ففعلت**، فقال جبرائيل عليه السلام: **إنَّ الله بنى قبَّة من لؤلؤ، بين كلِّ قصبة إلى قصبة لؤلؤة من ياقوت مشذَّرة بالذهب، وجعل سقوفها زبرجدًا أخضر، وجعل فيها طاقات من لؤلؤ كلَّلة بالياقوت، ثمَّ جعل عليها غرفًا، لبنة من فضَّة، ولبنة من ذهب، ولبنة من درّ، ولبنة من ياقوت، ولبنة من زبرجد، ثمَّ جعل فيها عيونًا تنبع في نواحيها، وحفَّت بالأنهار، وجعل على الأنهار قبابًا من درٍّ قد شُعِّبت بسلاسل الذهب، وحفَّت بأنواع الشجر، وبنى في كلِّ غصن قبَّة، وجعل في كلِّ قبَّة أريكة[1] من درَّة غشاؤها السندس[2] والاستبرق[3]، وفرش أرضها بالزعفران والمسك والعنبر، وجعل في كلِّ قبَّة حوراء[4]، والقبَّة لها مائة باب، على كلِّ**

(١) هي سرير مزَّين، أو فيه حجلة في قبة، وقيل هي كلُّ ما اتُّكئ عليه من سرير أو فراش أو منصَّة. ينظر: الفراهيدي، العين: ٥/ ٤٠٤، الجوهريّ، الصِّحاح: ٤/ ١٥٧٢، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ١/ ٨٤، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ١/ ٤٠.

(٢) هو نوع من أنواع الديباج، وقيل هو رقيق الديباج. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤٠٩، ابن منظور، لسان العرب: ١٣/ ٥٢، الطريحيّ، مجمع البحرين: ٢/ ٤٣٥.

(٣) هو نوع من أنواع الحرير والإبريسم، وقيل هو الديباج الصفيق الغليظ الحسن. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ١/ ٤٧، ابن منظور، لسان العرب: ١٠/ ٥.

(٤) جمعها حور، وهي المرأة التي تمتاز بشدَّة بياض العين مع شدَّة سوادها. ينظر: الجوهريّ، الصِّحاح: ٢/ ٦٣٩، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ١/ ٤٨٥، ابن منظور، لسان العرب: ٤/ ٢١٩.

باب حارسان وشجرتان، في كلِّ قبَّة مفرش وكتاب، حول القباب آية الكرسي. قلت: يا جبرائيل، لمن بنى الله هذه الجنَّة؟ قال: **بناها لفاطمة ابنتك وعليّ بن أبي طالب عليهما السلام، سوى جنانها تحفة أتحفها وأقر عينيك يا رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، إنَّ الله زوَّجك أشرف أهل بيتك**[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنَّ الله أمرني أن أزوِّج عليّ من فاطمة إن رضيَ عليّ بذلك**، وكان الإمام عليّ عليه السلام غائبًا، فقد بعثه النبيّ صلى الله عليه وآله في حاجة، ثمَّ أقبل الإمام عليّ عليه السلام، ولـمَّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله تبسَّم إليه، وقال: **يا عليّ إنَّ الله أمرني أن أزوِّجك فاطمة**. فخرَّ الإمام عليّ عليه السلام ساجدًا لله تعالى، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **جعل الله فيكم الخير الكثير الطيِّب وبارك فيكما**، ثمَّ قال: **يا عليّ لا تدخل على أهلك حتَّى تقدِّم لهم شيئًا**، فقال الإمام عليّ عليه السلام: **ما لي شيء يا رسول الله** صلى الله عليه وآله، فقال: **أعطها درعك الحطيمة، إنَّ فاطمة زوجتك في الدنيا والآخرة**[2]. ولـمَّا كان صبيحة يوم العرس، جاء النبيّ صلى الله عليه وآله بعس[3] فيه لبن، فقال لفاطمة عليها السلام: **إشرَبي فداكِ أبوكِ**، وقال لعليّ عليه السلام: **إشرب فداك ابن عمِّك**[4].

لا بدَّ لنا من الوقوف على الرواية السابقة التي قال فيها النبيّ صلى الله عليه وآله للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام: **إشرَبي فداكِ أبوكِ**، أي إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله يضحِّي بنفسه من أجلها، وهو الذي

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٣/ ٥٧-٥٨، ٤/ ٣٤، ٢٢/ ٤٠٧.
(٢) الطبرانيّ، المعجم الأوسط: ٣/ ١٨٤، ٧/ ١٨٩، المعجم الكبير: ١٠/ ١٥٦، ابن قدامة، المغني: ٨/ ٥٧، الهيثميّ، مجمع الزوائد: ٩/ ٢٠٤، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ١١٩، البحرانيّ، الحدائق الناظرة: ٢١/ ٤٧٨، ابن عابدين، ردُّ حاشية المختار: ٢/ ٢١٤.
(٣) هو القدح الضخم، وجمعه عساس وعسة. ينظر: الفراهيديّ، العين: ١/ ٧٤.
(٤) الطبرسيّ، أعلام الورى: ١/ ٢٩٨، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٣٢، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ١١٧.

قال عنه الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، أي إنَّ كل ما يقوله النبيّ صلى الله عليه وآله لا يأتي من باب الهوى أو عاطفة الأبوَّة، وإنَّما هو بتسديد إلهيّ لا يقبل الشكَّ ولا الريب، فأيُّ مكانة تحتلُّها السيِّدة الزَّهراء عند النبيّ صلى الله عليه وآله ليقول لها ذلك؟ هذا ما لا يعلمه إلَّا الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة النجم: ٣-٤.

المحور الخامس

مكانتها عند النبيّ صلى الله عليه وآله

كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا قَدِم من سفر أو من أحدى الغزوات، فإنَّه يبدأ بالسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قبل بيوت أزواجه، فتستقبله عليها السلام على باب البيت، فتقبِّل وجهه وعينيه وتبكي، فيقول لها رسول الله صلى الله عليه وآله: **ما يُبكيكِ؟** فتقول: **أراك يا رسول الله صلى الله عليه وآله قد شحب لونك، واخلولقت**[1] **ثيابك**. فيقول لها: **يا فاطمة لا تبكي، فإنَّ الله بعث أباكِ على أمرٍ لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر**[2]**، ولا وبر، ولا شعر، إلَّا أدخله الله به عزًّا أو ذلًّا حتَّى يبلغ حيث يبلغ الليل**[3].

كانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أصغر بنات النبيّ صلى الله عليه وآله وأحبهنَّ إليه، فجاء عن الإمام عليّ عليه السلام أنَّه قال: **يا رسول الله صلى الله عليه وآله أيّما أحبُّ إليك، أنا أم فاطمة** عليها السلام، قال صلى الله عليه وآله: **فاطمة أحبُّ إليَّ منك، وأنت أعزُّ إليَّ منها**[4].

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: **أنَّ ملكًا من السماء لم يكن قد زارني، فاستأذن الله تعالى في زيارتي، فبشَّرني أنَّ فاطمة سيِّدة نساء أمَّتي**[5]، إلَّا أنَّ هناك رواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله

(١) أي إنها بالية. ينظر: ابن سلام، غريب الحديث: ٤/ ٥٦.

(٢) هي قطع من الطين اليابس. ينظر: الفراهيدي، العين: ٨/ ٣٨.

(٣) النسائيّ، السنن الكبرى: ٥/ ٣٩٢، الطبرانيّ، المعجم الأوسط: ٤/ ٢٤٨، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك: ١/ ٤٩٨، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٠/ ٣٣٠، المتَّقي الهنديّ، كنز العمَّال: ١/ ٣٠٤، البهوتيّ، كشف القناع: ٥/ ١٣، القندوزيّ، ينابيع المودَّة: ٢١/ ٥٩.

(٤) الطبرانيّ، المعجم الأوسط: ٧/ ٣٤٣، المعجم الكبير: ٢٢/ ٣٩٦.

(٥) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٤٠٣.

تؤكِّد بأنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، حيث يقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ابنتي فاطمة سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، أمَّا مريم فإنَّها سيِّدة نساء عالمها**»(١).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يطرق باب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فتقول: **مَن الطارق؟** فيقول: **رسول الله** صلى الله عليه وآله، فتقول عليها السلام: **أليس البيت بيتك، والبنت بنتك، فما المانع من الدخول**، فيقول صلى الله عليه وآله: **إنَّ الله تعالى أمرني أن لا أدخل إلَّا بإذنك**(٢).

الرواية السابقة تُشير إلى حرمة بيت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وأنَّ الرسول الكريم محمَّد صلى الله عليه وآله، وهو أبو الزَّهراء عليها السلام، لا يدخل الدار إلَّا بعد أن يستأذن من أهل الدار، وأنَّ طرقه للباب قبل الدخول، ما هو إلَّا دليل على حرمة ذلك البيت، إذن كيف تجرَّأ هؤلاء القوم على الهجوم على بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وحرق باب الدار، وفعلوا ما فعلوا(٣)؟!.

وصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر يومًا، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: **إنَّما ابنتي فاطمة بضعة منِّي، يريبني ما أرابها، يؤذيني ما آذاها، يبغضني ما أبغضها، ويبسطني ما أبسطها، فهي شجنة(٤) منِّي، فاطمة أعز البرية عَلَيَّ**، وكان صلى الله عليه وآله يردِّد دائمًا ويقول: **من أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني**(٥)، وقال صلى الله عليه وآله: **هي روحي التي بين جنبي**(٦)، ودخل النبيّ صلى الله عليه وآله

(١) النعمان المغربيّ، شرح الأخبار: ٣/ ٥٢٠، الصدوق، الأمالي: ٧٨، معاني الأخبار: ١٠٧.
(٢) النصر الله، العوَّاد، صاحبة التسبيح المقدَّس: ١٨٨.
(٣) للمزيد ينظر: الميانجيّ، مواقف الشيعة: ٣/ ١٢٥، العامليّ، مأساة الزَّهراء عليها السلام: ٢/ ١١١.
(٤) هي الرحم المعلَّقة بالعرش، والقرابة المشتبكة، وهي كالغصن من الشجرة. ينظر: الفراهيديّ، العين: ٦/ ٣٦.
(٥) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٠/ ١٨، ٢٢/ ٤٠٤، ابن حزم، المحلَّى: ٨/ ٥٧، السرخسيّ، المبسوط: ٣٠/ ٢٨٨، الحِلِّيّ، مختلف الشيعة: ١/ ١٢١، البهوتيّ، كشف القناع: ٦/ ٥٤١.
(٦) الصدوق، الأمالي: ١٧٥، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٧/ ٦٣، النمازيّ، مستدرك سفينة البحار: ٨/ ٢٤٦.

يومًا على السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، والإمام عليّ عليه السلام قائم، وهي مضطجعة، وابناها إلى جنبها، فاستسقى الحسن عليه السلام، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله إلى لحقه فجلب لهم فأتى به، فاستيقظ الحسين عليه السلام، فجعل يعالج أن يشرب قبله حتَّى بكى، فقال النبي صلى الله عليه وآله: **إنَّ أخاك استسقى قبلك**. فقالت فاطمة عليها السلام: **كأنَّ الحسن آثرُ عندك؟** فقال النبي صلى الله عليه وآله: **ما هو بآثر عندي منه، وإنَّما هما عندي بمنزلة واحدة وإيَّاك وعليّ لفي مكان واحد يوم القيامة**(١).

وأشارت أمُّ سلمة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في بيتها يومًا، فجائته السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بسخيَّة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **انطلقي فجيئي بزوجك وابنَيك**، فانطلقت وجاءت بهم، فأكلوا من ذلك الطعام، ورسول الله صلى الله عليه وآله على منامة لنا، وتحته كساء خيبريّ، فأخذ الكساء فجلَّلهم به، ثمَّ رفع يده إلى السماء وقال: «**اللهمَّ هؤلاء عترتي وأهلي، فإذهِب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا**، فقالت أمُّ سلمة: يا رسول الله وأنا من أهل بيتك، فقال: **وأنت إلى خير**»(٢).

أمَّا عن عمل السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في بيتها، فقد جاء أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله رآها وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عيناه فقال: **يا بنتاه تعجَّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة**، فقالت عليها السلام: **الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه**(٣).

كما أشار النبي صلى الله عليه وآله إلى أنَّ ذريَّته هي من السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بقوله: «**كلُّ الأولاد ينتمون إلى آبائهم إلَّا أولاد فاطمة، فإنَّهم ينتسبون إليّ**»(٤).

أمَّا عن التسبيح المعروف عند طائفة من المسلمين المسمَّى بتسبيح الزَّهراء عليها السلام، فقد جاء أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام جاءت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله تسأله خادمًا، فشكت إليه العمل، فقال صلى الله عليه وآله: **ما ألفيته عندنا**، ثمَّ قال: **ألا أدلك على ماهو خير من خادم، تسبحين**

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٤٠٥-٤٠٦.
(٢) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٣/ ٣٩٦.
(٣) الإسكافيّ، التمحيص: ٦.
(٤) ابن عابدين، رد حاشية المختار: ٤/ ٣١٢.

ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين ثلاثًا وثلاثين، وتكبرين أربعًا وثلاثين حين تأخذين مضجعك، فتلك مائة باللسان وألفًا في الميزان وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] **إلى مائة ألف**[2].

وعندما مرضت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في أحد الأيَّام، جاءها النبيّ صلى الله عليه وآله ورآها نائمة بعد طلوع الشمس، فقال لها: **يا فاطمة ما ينيمك في هذه الساعة؟** قالت: **ما زلت منذ البارحة محمومة**، فقال صلى الله عليه وآله: **فأين الدعاء الذي علَّمتك؟** ثمَّ قال: «**قولي يا حيُّ يا قيُّوم، برحمتك أستغيث، فأصلح لي شأني كلَّه، ولا تكِلني إلى أحد من الناس ولا إلى نفسي طرفَة عين**»[3].

أمَّا عن ولادة الإمام الحسين عليه السلام، فقد جاء عن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنَّها قالت: **دخل إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ولادة الإمام الحسين عليه السلام وبعدما أخذه قال: خُذيه يا فاطمة، فإنَّه إمام ابن إمام وأبو الأئمَّة، تسعة من صُلبه، أئمَّة أبرار، والتاسع قائمهم**، ثمَّ قال: **إنَّ الله وهب لكِ غلامًا اسمه الحسين تقتله أمَّتي**، قالت: **فلا حاجة لي فيه**، قال: **إنَّ الله عزَّ وجلَّ وعدني أن يجعل الأئمَّة عليهم السلام من ولدِه**، قالت: **رضيت يارسول الله** صلى الله عليه وآله[4].

لقد أشار النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله في الرواية السابقة إلى أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، وأنَّهم من صُلب الإمام الحسين عليه السلام، كما كانت هناك إشارة إلى الإمام صاحب العصر والزمان في الرواية، وإنَّه من ولد السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وتطرَّق صلى الله عليه وآله إلى مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وكيفيَّة قبول السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بما يجري عليه؛ لأنَّه في سبيل رفع راية الإسلام، أي إنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي الوعاء الطاهر الذي ينتسب إليه الأئمَّة الذين يحملون رسالة الإسلام بعد النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله.

(١) سورة الأنعام: ١٦٠.
(٢) الطبرانيّ، المعجم الأوسط: ٣/ ١٢٩، ٧/ ١٢٧.
(٣) الطبرانيّ، المعجم الأوسط: ٤/ ٤٢.
(٤) ابن بابويه، الإمامة والتبصرة: ٥٠.

ولـمَّا مرض الإمام الحسين عليه السلام في أحد الأيَّام، احتملته أمُّه الزَّهراء عليها السلام فأتت به النبيّ صلى الله عليه وآله مستغيثةً مستجيرة، فقالت: **يا رسول الله صلى الله عليه وآله ادع لابنك أن يشفيه الله تعالى،** ووضعته بين يديه، فقام النبيّ صلى الله عليه وآله حتَّى جلس عند رأسه، ثم قال: **يا فاطمة يا بنيَّة، إنَّ الله هو الذي وهبه لكِ، وهو قادر على أن يشفيه،** فهبط عليه جبرائيل عليه السلام، فقال: **يا محمَّد، إنَّ الله لم ينزل عليك سورة من القرآن إلَّا فيها فاء[1] من آفة، ما خلا الحمد لله، فإنه ليس فيها فاء، فادع بقدح من ماء، فاقرأ فيه الحمد أربعين مرَّة، ثمَّ صبَّ عليه، فإنَّ الله يشفيه.** ففعل ذلك، فكأنَّما أنشط من عقال[2].

في الرواية السابقة تأكيد من السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام على أنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو ابن النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله بقولها عليها السلام: **ادع لأبنك أن يشفيه الله،** بحيث إنَّها لم تقل ابني، وإنَّـما ابنك يا رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا يدلُّ على أنَّ ذريَّـة الزَّهراء عليها السلام هم ذريَّـة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله.

أمَّا عن موقف الزَّهراء عليها السلام يوم القيامة، فقد قال النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله: **إذا كان يوم القيامة، قيل يا أهل الجمع غضُّوا أبصاركم لتمرَّ فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله، قال فتمرُّ وعليها ريطتان[3] خضراوان، على ناقة من نوق الجنَّة مدبجة[4] الجنين، خطامها[5] من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد الأخضر، ذنبها من المسك الأذخر[6]، عيناها ياقوتتان**

(١) هي الرجوع من الشيء، أي من المرض إلى العافية، ويقال: فاء إلى كذا، فهو يفيء فيئًا. ينظر: ابن قتيبة، غريب الحديث: ١/ ٤٦.

(٢) القاضي النعمان، دعائم الإسلام: ٢/ ١٤٦.

(٣) ريطة: هي الثوب اللين الرقيق الذي يكون من نسج واحد أو قطعة واحدة. ينظر: الزبيديّ، تاج العروس: ١٠/ ٢٦٧.

(٤) هو الذي زيِّنت أطرافه بالديباج. ينظر: ابن الأثير، غريب الحديث: ٢/ ٩٧، ابن منظور، لسان العرب: ٢/ ٢٦٢.

(٥) هو الحبل الذي يُقاد به البعير، جمعه خطم. ينظر: ابن الأثير، غريب الحديث: ٢/ ٥٠.

(٦) هو نوع من الحشيش طيِّب الرائحة. ينظر: ابن الأثير، غريب الحديث: ١/ ٣٣، ابن منظور،=

حمراوان، عليها قبَّة من نور، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، داخلها عفو الله، وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركنًا، كلُّ ركن مرصَّع بالدرِّ والياقوت، يضيء كما يضيء الكوكب الدرِّيّ في آفاق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك، وعن شمالها سبعون، وجبرائيل آخذ بخطام الناقة، ينادي بأعلى صوته: غضُّوا أبصاركم حتَّى تجوز فاطمة بنت محمَّد على الصِّراط، فتمرُّ كالبرق الخاطف وشيعتها على الصراط. ثمَّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ويُلقى أعدائها وأعداء ذريَّتها في جهنَّم[1].

=لسان العرب: ٢/ ٥٤٦.

(١) الطبرانيّ، المعجم الأوسط: ٣/ ٣٤، الصدوق، الأماليّ: ٦٩، ثواب الأعمال: ٢٢٠.

الخاتمة

لقد أفضت نتيجة البحث إلى جملة من النتائج، يمكن إيجازها بالشكل الآتي:

١. إنَّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مميِّزات ومكانة عظيمة وكبيرة عند النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله منذ ولادتها، ميَّزتها عن بقيَّة الخلق، وقد أكَّد النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك بقوله: «**إنَّ الله خلق نور فاطمة قبل أن تُخلَق السماوات والأرض**»، وأنَّها حوراء إنسيَّة، كذلك كان لها خصائص حتَّى عند وفاتها.

٢. لها مكانة كبيرة، سواء في القرآن الكريم؛ لأنَّها محور أهل بيت النبوَّة، بل مركزهم، أو مكانتها في السيرة النبويَّة، تلك المكانة التي لم تأتِ من باب الحنان والعطف الأبويّ من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله، وإنَّما من باب التزامها بتعاليم الشَّرع الإسلاميّ، وما جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله، لذلك يقول عنها: «**فِداكِ أبوكِ**»، أي إنَّه يضحِّي بنفسه من أجلها، لذلك فإنَّ مكانتها لا يعلمها إلَّا الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ورغم ما لها من تلك المكانة، إلَّا أنَّ هناك من تجرَّأ عليها بعد وفاة أبيها، ولا أعلم كيف سيواجهون الله تعالى بما فعلوه؟!.

٣. تأكيد النبيّ صلى الله عليه وآله بأنَّها سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، وأنَّ السيِّدة مريم عليها السلام هي سيِّدة نساء عالمها فقط.

٤. إنَّها عليها السلام من أصحاب الكساء الخمسة الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا، بل هي محورهم ومركزهم.

٥. إنَّ ذرية النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله منها عليها السلام، وقد أكَّد ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: «كلُّ الأولاد ينتمون إلى آبائهم، إلَّا أولاد فاطمة، فإنَّهم ينتسبون إليَّ»، أي إنَّه صلى الله عليه وآله نسبهم إلى نفسه.

٦. إنَّ الأئمَّة عليهم السلام هم من ذريَّتها، انتهاءً إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، الذي يملأ الأرض قِسطًا وعدلًا بعد أن تُملَأ ظلمًا وجورًا.

٧. قبولها عليها السلام التضحية بابنها الإمام الحسين عليه السلام بعد أن أخبرها النبيّ صلى الله عليه وآله بمقتله؛ وذلك لأن قتله في سبيل الله تعالى، وإعلاء راية الحقِّ.

٨. كذلك تبيَّن من خلال البحث المكانة العظيمة التي ميَّزت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام يوم القيامة دون غيرها من المخلوقين، وكيف يأتي النداء بأن يغضَّ الخلق أبصارهم لتمرَّ على الصراط كالبرق الخاطف، كما بين صلى الله عليه وآله مصير أعدائها وأعداء ذريَّتها ذلك اليوم.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أوَّلاً: المصادر الأوَّليَّة

الإسكافيّ، أبو علي محمَّد بن همام (ت٣٣٦هـ/ ٩٤٨م).

١. التمحيص، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، بلا.ط، (قم، بلا.ت).

ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م).

٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمَّد الطناجيّ وطاهر أحمد الزاوي، بلا.ط، مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر، (قم، بلا.ت).

ابن بابويه، أبو الحسن عليّ بن موسى (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م).

٣. الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ط١، (قم، ١٩٨٤م).

البحرانيّ، أحمد بن يوسف (ت ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م).

٤. الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة، تحقيق: محمَّد تقي الأيروانيّ، بلا.ط، جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، (قم، بلا.ت).

البحرانيّ، السيِّد هاشم الحسينيّ الموسويّ (ت ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م).

٥. غاية المرام وحجَّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاصِّ والعام، تحقيق: السيِّد عليّ عاشور، بلا.ط، بلا.مكا، بلا.ت).

البهوتيّ، منصور بن يونس الحنبليّ (ت١٠٥١هـ/ ١٦٤١م).

٦. كشف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: محمَّد حسن الشافعيّ، ط١، دار الكتب العلميَّة، (بيروت، ١٩٩٧م).

الجوهريّ، إسماعيل بن حمَّاد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م).

٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، ط١، دار العلم للملايين، (القاهرة، ١٩٥٦م).

الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م).

٨. المستدرك على الصحيحَين، تحقيق: يوسف بن عبد الرحمن المرعشليّ، بلا.ط، دار المعرفة، (بيروت، بلا.ت).

ابن حزم، أبو محمَّد عليّ بن سعيد بن حزم الأندلسيّ (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م).

٩. المحلَّى، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، بلا.ط، دار الفكر، (بيروت، بلا.ت).

الحِلِّيّ، العلَّامة أبو منصور الحسن بن يوسف (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م).

١٠. مختلف الشيعة، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، (قم، ١٩٩٧م).

الخزَّاز، أبو القاسم عليّ بن محمَّد بن عليّ (ت٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م).

١١. كفاية الأثر في النصِّ على الأئمَّة الاثني عشر، تحقيق: عبد اللطيف الحسينيّ، بلا.ط، مطبعة بيدار، (قم، ١٩٨٠م).

الزبيديّ، محبُّ الدين أبو الفيض السيِّد محمَّد الحسينيّ (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).

١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عليّ شيري، بلا.ط، دار الفكر للطباعة، (بلا.مكا، ١٩٩٤م).

السرخسيّ، شمس الدين محمَّد بن أحمد (ت٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م).

١٣. المبسوط، بلا.تح، بلا.ط، دار المعرفة للطباعة، (بيروت، بلا.ت).

ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام الهرويّ (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م).

١٤. غريب الحديث، تحقيق: محمَّد عبد المعيد خان، ط١، دائرة المعارف العثمانيَّة، (حيدر آباد، ١٩٦٦م).

ابن شهر آشوب، محمَّد بن عليّ المازندرانيّ (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).

١٥. مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من الأساتذة، بلا.ط، المطبعة الحيدريَّة، (النجف، ١٩٥٦م).

الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م).

١٦. الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة، (قم، ١٩٩٦م).

١٧. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، بلا.ت، ط١، منشورات الرضا، (قم، ١٩٤٩م).

١٨. معاني الأخبار، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، بلا.ط، (قم، ١٩٤٣م).

الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخميّ (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).

١٩. المعجم الأوسط، تحقيق: أبو المعاذ طارق بن عوض وعبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ، بلا.ط، دار الحرمَين للطباعة والنشر، (بلا.مكا، ١٩٩٥م).

٢٠. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢، (بلا.مكا، بلا.ت).

الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسين (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).

٢١. أعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، مطبعة ستاره، (قم، بلا.ت).

الطبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٢٢. جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: صدقي جميل العطَّار، بلا.ط، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٩٥م).

الطريحيّ، فخر الدين النجفيّ (ت ١٠٨٥هـ/ ١٦٤٧م).

٢٣. مجمع البحرين ومطلع النيرين، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، ط٢، مكتب نشر الثقافة الإسلاميَّة، (بلا.مكا، بلا.ت).

ابن أبي عاصم، أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحَّاك (ت٢٨٧هـ/ ٩٠٠م).

٢٤. الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط١، دار الدراية، (السعوديَّة، ١٩٩١م).

ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

٢٥. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلَّها من الأماثل واجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق: عليّ شيري، بلا.ط، دار الفكر للطباعة، (بيروت، ١٩٩٥م).

العينيّ، بدر الدين أبو محمَّد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

٢٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، بلا.تح، بلا.ط، دار إحياء التراث العربيّ، (بيروت، بلا.ت).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريَّا (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م).

٢٧. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، بلا.ط، مكتب الإعلام الإسلاميّ، (بلا.مكا، ١٩٨٤م).

الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ/ ٧٩١م).

٢٨. العين، تحقيق: مهدي المخزوميّ، و د. إبراهيم السامرَّائيّ، ط٢، مؤسَّسة دار الهجرة، (إيران، ١٩٨٩م).

القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمَّد التميميّ المغربيّ (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م).

٢٩. شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، تحقيق: محمَّد الحسينيّ الجلاليّ، بلا.ط، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، (بلا.مكا، بلا.ت).

ابن قدامة، موفَّق الدين أبو محمَّد عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م).

٣٠. المغني، بلا.تح، بلا.ط، دار الكتاب العربيّ، (بلا.مكا، بلا.ت).

ابن قتيبة، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن مسلم الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).

٣١. غريب الحديث، تحقيق: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلميَّة، (بيروت، ١٩٨٨م).

ابن قدامة، موفَّق الدين أبو محمَّد عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م).

٣٢. المغني، بلا.تح، بلا.ط، دار الكتاب العربيّ، (بلا.مكا، بلا.ت)

القندوزيّ، سليمان بن إبراهيم الحنفيّ (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م).

٣٣. ينابيع المودَّة لذوي القربى، تحقيق: سيِّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ، ط١، مطبعة أسوة، (بلا.مكا، ١٤١٦هـ).

الكلينيّ، أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م).

٣٤. الكافي، تحقيق: عليّ أكبر غفاريّ، بلا.ط، دار الكتب الإسلاميَّة، (بلا.مكا، بلا.ت).

المتَّقي الهنديّ، علاء الدين عليّ المتَّقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م).

٣٥. كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حيائي، بلا.ط، مؤسَّسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٩م).

المجلسيّ، محمَّد باقر (ت ١١١١هـ/ ١٧٠٠م).

٣٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، بلا.تح، ط٢، مؤسَّسة الوفاء، (بيروت، ١٩٨٣م).

ابن منظور، أبو الفضل محمَّد جمال الدين بن مكرم الأفريقي(ت٧١١هـ/ ١٣١١م).

٣٧. لسان العرب، بلا.تح، بلا.ط، (قم، ١٩٨٤م).

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م).

٣٨. السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيِّد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلميَّة، (بيروت، ١٩٩١م).

الهيثميّ، نور الدين عليّ بن أبي بكر (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).

٣٩. مجمع الزوائد، بلا.تحقيق، بلا.ط، دار الكتب العلميَّة، (بيروت، بلا.ت).

ثانيًا: المراجع الثانويَّة

الأمين، السيِّد محسن (ت ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م).

٤٠. أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، بلا.ط، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، بلا.ت).

الأمينيّ، عبد الحسين بن أحمد النجفيّ (ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

٤١. الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، تحقيق: حسن إيرانيّ، بلا.ط، دار الكتاب العربيّ، (بيروت، بلا.ت).

العامليّ، جعفر مرتضى (ت١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م).

٤٢. الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، ط٤، دار الهادي للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٩٥م).

٤٣. مآساة الزَّهراء عليها السلام، بلا.تح، ط١، دار السيرة، (بيروت، ١٩٩٧م).

ابن عابدين، محمَّد أمين.

٤٤. ردُّ حاشية المختار على الدرِّ المختار شرح تنوير الأبصار في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، بلا.تح، بلا.ط، دار الفكر للطباعة، (بيروت، ١٩٩٥م).

الميانجيّ، الشيخ عليّ الأحمديّ (ت١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٤٥. مواقف الشيعة، بلا.تح، ط١، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، (قم، ١٩٩٦م).

النصر الله، جواد كاظم، والعواد، انتصار عدنان.

٤٦. صاحبة التسبيح المقدَّس، حواريَّة تاريخيَّة في ردِّ الشبهات عن سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الرافد للمطبوعات، ط١، ٢٠١٢م.

النمازيّ، عليّ الشاهروديّ (ت١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

٤٧. مستدرك سفينة البحار، تحقيق: حسين بن عليّ النمازيّ، بلا.ط، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، (قم، بلا.ت).

ثالثًا: الرسائل والأطاريح

الديراويّ، باسم عبد الزهرة جمعة.

٤٨. عكرمة البربريّ (ت١٠٧هـ) ودوره في الحركة الفكريَّة، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كليَّة الآداب، ٢٠٢١.

محور الدِّراسات التربويَّة والنَّفسيَّة والاجتماعيَّة

قراءة تحليليَّة للفكر التربويّ في سيرة حياة سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام

أ.د. بشير هادي الطائيّ
الباحث عبد الأمير عودة شاوردي
جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربيّ

ملخَّص البحث

تحظى سيرة الزَّهراء عليها السلام باهتمامٍ بالغٍ على صعيد الدراسات الاجتماعيَّة والدينيَّة والفلسفيَّة؛ لما تزخر به من قيمٍ إنسانيَّةٍ عُليا، وفكرٍ تربويٍّ مستوحى من كونها مشكاة النبوَّة التي أضاء لؤلؤها في سماء الدنيا والآخرة، يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة في السنة الخامسة من البعثة، فهي سليلة الدوحة المحمَّديَّة، وأشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خُلقًا وحديثًا ومنطقًا. فجاءت هذه الدراسة لتسلِّط الضوء على أهمِّ المحطَّات التربويَّة في فكر سيِّدة نساء العالمين عليها السلام منذ ولادتها وحياتها في بيت أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ انتقالها إلى بيت زوجها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكيف تعاملت تربويًّا مع ذريَّتها عليهم السلام.

وقد انطلقت الدراسة من فرضيَّة مفادها «أنَّ الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام يتكوَّن من مجموعة من المعاملات الإنسانيَّة التي تتجسَّد باتِّجاهين: الأوَّل عباديّ، والثاني علميّ، وأنَّ هَذين الاتِّجاهين يعبِّران عن ثلاثة مضامين أساسيَّة، هي (دينيَّة، وأخلاقيَّة، وعلميَّة)، وأن الجانب الدينيّ والعباديّ للزَّهراء عليها السلام كان السبب الرئيس وراء ظهور

المنهج التربويِّ الفذِّ لها، والذي يمكن أن يكون منهجًا تربويًّا فاعلًا لتنشئة جيلٍ إيمانيٍّ صالحٍ، عِبر مراحل تعليميَّة تمثِّل بوتقة تربويَّة متكاملة».

وقد خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج، كان أبرزها: أنَّ الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام يعبِّر عن المنطلقات العباديَّة والإنسانيَّة التي جاءت بها الرسالة المحمَّديَّة للدين الإسلاميّ، في خلق مجتمعٍ فاضلٍ يحمل الهويَّة الإسلاميَّة ذات الأبعاد الإنسانيَّة في الإيمان بالله ورسوله، ومواجهة الفكر الغربيّ المتطرِّف الذي يحاول، من خلال منجزات الثورة المعلوماتيَّة، بثَّ أفكاره على أجيالنا، وطمس هويَّتنا الإسلاميَّة.

الكلمات المفتاحيَّة: أمُّ أبيها، مهبط الرسالة، فدك، الصدِّيقة، مصحف فاطمة.

المقدِّمة

إنَّ عظمة سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مستوحاة من كونها ربيبة الوحي والنبوَّة، وهي سليلة الدوحة المحمَّدية، إذ ورد عن النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، وروي عنه صلى الله عليه وآله أنَّه قال: إنَّ فاطمة عليها السلام هي سيِّدة نساء أهل الجنَّة. والنبيّ صلى الله عليه وآله ما ينطق عن الهوى، إن هو إلَّا وحي يوحى، إذ يدعو النبيّ صلى الله عليه وآله لها بقوله: «**اللَّهُمَّ أَعطِ لفاطمة ما لا عينَ رأته ولا أُذن سمعته**»، فأقبل النبيّ صلى الله عليه وآله على أصحابه، فقال لهم: «**إنَّ الله عز وجل قد أعطى فاطمة عليها السلام في الدُّنيا ذلك: أنا أبوها، وما أحدٌ من العالمين مثلي، وعليٌّ بعلها، ولولا عليّ عليه السلام ما كان لفاطمة كفؤٌ أبدًا، وأعطاها الحسنَ والحُسين عليهما السلام، وما للعالمين مثلهما سيَّدا شباب أسباط الأنبياء، وسيِّدا شباب أهل الجنَّة**».

وبهذه المكانة، فإنَّ شأن الزَّهراء عليها السلام هو شأنٌ ربَّاني، أعطاها منزلة رفيعة تجسَّدت بنزول الوحي جبرائيل عليه السلام إليها، وتكريمها بكلام من الله دوِّن في مصحف فاطمة من قِبَل زوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه المنزلة أتحفها وعصمها الله بها دينيًّا وفكريًّا وتربويًّا، لم تبلغه أيَّة امرأة من نساء العالمين ممَّن سبقنها، وممَّن لحقنَ بعدها، فهي أمُّ أبيها قبل أن تكون أُمًّا، وأي شرف تبلغه الزَّهراء عليها السلام في هذه الرزيَّة التي سمَّاها بها والدها النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لحبِّها وحنانها وعطفها ورعايتها لأبيها بعد وفاة أمِّها السيِّدة خديجة عليها السلام، وهي زوجة الوصيّ عليه السلام، ووالدة الإمامَين الحسن والحسين سيِّدَي شباب أهل الجنَّة.

وتقدِّم لنا الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام طيفًا إنسانيًّا من القيم الاجتماعيَّة العليا التي تتجسَّد بالفكر التربويّ والرعاية الأسريَّة والأخلاق الحميدة والمعاملة الحسنة في تنشئة الجيل على القيم الفاضلة والمبادئ السامية في بناء الشخصيَّة المحترمة التي تربَّت عليها في بيت النبوَّة، إذ كانت عليها السلام تتعبَّد أناء الليل وأطراف النهار، وتتهجَّد وتبتهل إلى الله في دعائها للمؤمنين والمؤمنات، وهي بذلك تغرس في ذريَّتها عليهم السلام الإيمان والحبَّ والخير والدعاء للمؤمنين، وكانت تعلِّم أبنائها حفظ القرآن، وخُطب جدِّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فالزَّهراء عليها السلام مدرسة إيمانيَّة تربويَّة تخرج منها الإمامان الحسن والحسين وزينب الكبرى وأمُّ كلثوم عليهم السلام. ومن الناحية الأسريَّة، فالزَّهراء عليها السلام ترعى عيالها ومنزلها، وتوفِّر متطلَّباتهم الحياتيَّة، وتقوم بواجباتها تجاه زوجها الإمام عليّ عليه السلام قبل أن يُطلَب منها.

إنَّ التربية الدينيَّة والتربية العلميَّة في فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كانتا تسيران باتِّجاهَين متناظِرَين جنبًا إلى جنب، فكانت عليها السلام الأم المربِّية الفاضلة والزوجة المطيعة، وفي ذات الوقت المعلِّمة التي تغرس بذور الفكر والعلم والثقافة واللغة والخطابة والتفكُّر بآيات القرآن الكريم في نفوس ولدَيها الحسن والحسين عليهما السلام، وبنتيها زينب وأمّ كلثوم عليهنَّ السلام، وأنَّ منبع هذه التربية الأخلاقيَّة والدينيَّة والعلميَّة لها كانت من فيض والدها رسول الله صلى الله عليه وآله.

أهميَّة الدراسة: تعدُّ الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا تربويًّا فذًّا أنار للبشريَّة دروب الخير والعطاء والفضائل الإنسانيَّة التي جاء بها الوحي على قلب نبيِّنا الكريم محمَّد صلى الله عليه وآله؛ لينقذ الأمَّة من الجهل والظلام، فتجسَّد ذلك بنتاجها الرساليّ المتمثِّل بالأئمَّة الأطهار مِن ولدِها عليهم السلام، فجاءت هذه الدراسة لتتناول أهمَّ المحطات العباديَّة المضيئة في حياة سيِّدة نساء العالمين عليها السلام منذ ولادتها وحياتها في بيت أبيها عليه السلام، ثمَّ انتقالها إلى بيت زوجها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكيف تعاملت تربويًّا مع ذريَّتها عليهم السلام عباديًّا وعلميًّا.

مشكلة الدراسة: يعبِّر الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام عن غزارة المعارف العباديَّة التي سلكت منهجًا تربويًّا شاملًا لجميع القيم الإنسانيَّة التي حباها الله بها منذ تكوينها في صُلب النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمَّ ولادتها في بيت النبوَّة وزواجها بأمير المؤمنين عليه السلام، ثمَّ نزول المصحف (مصحف فاطمة) عليها من الله عزَّ وجلَّ، وبهذه المنزلة التي كرَّم الله بها الزَّهراء عليها السلام، تقف جميع الدراسات الإنسانيَّة عاجزة عن بلوغ التشخيص الوافي بحقِّ الطاهرة عليها السلام كمدرسة تربويَّة قدَّمت للإنسانيَّة سيل عارم من المفاهيم والقيم والمبادئ والمناهج التي أضاءت للبشريَّة طريق العلم والدين والمعرفة.

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. تقديم إحاطة تاريخيَّة بالمراحل الحياتيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، مع استعراض أهمِّ الإضاءات العباديَّة التي قدَّمتها للإسلام والمسلمين ربيبة الوحي والنبوَّة عليها السلام.

٢. أبراز أهميَّة دراسة الإسهامات العباديَّة التي أُتحفت بها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الإنسانيَّة جمعاء ومدى تأثيرها في تعاملاتها التربويَّة، سواء ما كان في بيت أبيها صلى الله عليه وآله أم في بيت زوجها عليه السلام.

٣. إرساء الدعائم الأساسيَّة للفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام كمنهجٍ إنسانيٍّ لتنشئة الأجيال، مع التمييز بين المنهج العباديّ والمنهج العلميّ في الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

فرضية الدراسة: تفترض الدراسة أنَّ الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام يتكوَّن من مجموعة من المعاملات الإنسانيَّة التي تتجسَّد باتِّجاهين: الأوَّل عباديّ، والثاني علميّ، وأنَّ هذين الاتِّجاهين يعبِّران عن ثلاثة مضامين أساسيَّة، هي: (دينيَّة وأخلاقيَّة وعلميَّة)، وأنَّ الجانب الدينيّ والعباديّ للزَّهراء عليها السلام كان السبب الرئيس وراء ظهور المنهج التربويّ الفذِّ لها، والذي يمكن أن يكون منهجًا تربويًّا فاعلًا لتنشئة جيلٍ إيمانيٍّ صالحٍ، عبر مراحل تعليميَّة تمثِّل بوتقة تربويَّة متكاملة.

هيكليَّة الدراسة: قُسِّمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث رئيسة، هي:

المبحث الأوَّل: مراحل حياة سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

المبحث الثاني: الإضاءات الإنسانية والعباديَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

المبحث الثالث: المنهج التربويّ في فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

الخاتمة والمقترحات.

المبحث الأوَّل

مراحل حياة سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام

أوَّلًا: ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام

لقد تـزوَّج النبيّ محمَّد عليه الصلاة والسلام، وهو في ريعان الشباب، بسنٍّ الخامسة والعشرين سنة، من السيِّدة خديجة بنت خويلد عليها السلام وهي أرملة في سن الثامنة والعشرين من العمر، ولم يكن هذا الزواج الميمون زواجًا متوافقًا من حيث التباين في المستوى المادِّيّ بينهما، إذ كان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله تحت رعاية وكفالة عمِّه الفقير أبو طالب، بينما كانت السيِّدة خديجة عليها السلام من أغنى وأثرى نساء مكَّة، فأراد الله عز وجل أن يمنَّ على السيِّدة خديجة عليها السلام بمسك الختام في حياتها الزوجيَّة مع الصادق الأمين صلى الله عليه وآله، نبيِّنا الكريم صلى الله عليه وآله، قبل البعثة، إذ ذاع صيته صلى الله عليه وآله في ربوع مكَّة وما حولها، بالخصال الحميدة التي لم يبلغها سوى الأنبياء والصالحين من البشر، وهذا ما كانت تراه سيِّدتنا خديجة عليها السلام في خُلق وأمانة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، حينما كان يعمل معها في التجارة، فرفضت خطبة الأمراء والأعيان والأشراف من العرب وقريش، ووهبت نفسها ومالها للرسول صلى الله عليه وآله، فتزوَّجت منه صلى الله عليه وآله[1]، ثمَّ منَّ الله على نبيِّنا الأعظم صلى الله عليه وآله، في السنة الخامسة من البعثة، بتحيَّته وتحفته فاطمة عليها السلام، إذ هبط جبرائيل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأمره أن يعتزل زوجته خديجة عليها السلام أربعين صباحًا، ثمَّ أمره أن يفطر في اليوم الأربعين على طعام أُنزِل له من فاكهة الجنَّة،

(١) القزويني، السيِّد محمَّد كاظم،١٣٩٢هـ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، الطبعة الأولى، منشورات حسين التميميّ للطباعة والنشر والإعـلان، بـيروت، لبنان، ص٢٣-٢٤.

إذ هَبطَ مِيكَائِيل عليه السلام ومعَهُ طَبَقٌ مُغَطًّى بمنديلِ سندُسٍ، فوضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وَأقبَلَ جبرَائِيلُ عليه السلام وَقَال: «**يَا مُحَمَّدُ يأمرُكَ رَبُّكَ أَن تَجعَلَ الليلَةَ إِفطَارَكَ عَلَى هَذَا الطعَامِ، وهو من فاكهة الجنَّة** (تفاح ورطب وعنب). ولـمَّا أفطرَ الرسول صلى الله عليه وآله من رطبها تحوَّل في صلبه نطفة، فقام لِيصَلِّيَ، فأقبَلَ عَلَيهِ جَبرَائِيل عليه السلام، وَقَالَ: **يا محمَّد الصلَاةُ محرَّمَةٌ عَلَيكَ فِي وَقْتِكَ هذا حَتَّى تَأتِيَ إِلَى مَنْزِلِ خديجة عليها السلام فتواقِعهَا، فَإِنَّ اللهَ عز وجل آلَى عَلَى نَفسِهِ أَنْ يَخلُقَ مِنْ صُلبكَ فِي هَذهِ اللَّيلَةِ المباركة ذُرِّيَّةً طَيِّبَة تملأ الأرض نورًا**. فكان انعقاد نطفة السيِّدة فاطمة عليها السلام في تلك الليلة، وعلى المشهور كانت ولادتها عليها السلام في يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة في السنة الخامسة من البعثة[1].

لقد أراد الله عز وجل بولادة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أن يُتحِف نبيَّه صلى الله عليه وآله بنورٍ من أنوار الجنَّة في جنبات بيته، فبعد أن حملت السيِّدة خديجة عليها السلام بفاطمة عليها السلام، صارت فاطمة عليها السلام تؤنِس وحدة أمِّها في غياب الرسول صلى الله عليه وآله، وتحدِّثها، وهي جنين في بطنها، إذ اعتزلنَ نساء مكَّة السيِّدة خديجة عليها السلام، وأمتنعنَ عن المجيء إليها، فلا يدخلنَ عليها البيت؛ بسبب زواجها من النبيّ صلى الله عليه وآله، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يومًا فَسَمِعَ خديجة عليها السلام تُحدثُ فاطمة عليها السلام، فقالَ لَـهَا: **يَا خَدِيجَة مَن تُـحَدِّثِينَ؟**، قَالَت: **الجَنِينُ الَّذِي فِي بَطنِي يُحدثُنِي ويؤنِسنِي يا رسول الله** صلى الله عليه وآله[2].

فلـمَّا حان موعد ولادة الزَّهراء عليها السلام، وجَّهت السيِّدة خديجة عليها السلام إلى نساء قريش أن يأتينَ إليها للاهتمام بوضع الولادة، فأبينَ القدوم لها، وأرسلنَ إليها بردهنَّ: «عَصَيتِينا ولم تقبلي قولنا، وتزوَّجتِ محمَّدًا يتيم أبي طالب فقيرًا لا مال له، فلا نلبِّي من أمرك

(١) المجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقيّ، ١٩٨٣، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، الجزء (١٦)، الطبعة الثانية، مؤسَّسة الوفاء، لبنان، بيروت، ص٧٩.

(٢) الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ، ١٤١٧هـ، الأمالي، الطبعة الأولى، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، مركز الطباعة والنشر، بيروت، ص٥٩٣.

شيئًا أبـدًا»، فحزنت السيِّدة خديجة عليها السلام لذلك. وبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربعة نسوة طوال كأنَّهنَّ لؤلؤٌ مكنون، ففزعت منهنَّ لـمَّا رأتهنَّ، فقالت إحداهنَّ: لا تخافي ولا تحزني يا خديجة فإنَّا رُسل ربِّكِ إليكِ، ونحنُ أخواتك، أنا أمُّكِ حوَّاء، وقالت الأخرى: أنا آسية بنت مزاحم زوجة فرعون رفيقتك في الجنَّةِ، وقالت الثالثة: أنا كلثم أختُ النبيّ موسى عليه السلام، وقالت الرابعة: أنا مريم بنت عمران أمُّ النبيّ عيسى عليه السلام، وقد بَعَثَنا اللهُ إِلَيكِ لِنِلِيَ مِنْكِ مَا تَلِي النِّسَاءُ مِنَ النِّسَاءِ. فَجَلَسَتْ وَاحِدَةٌ عَنْ يَمِينِهَا، وَالْأُخرَى عَنْ يَسَارِهَا، وَالثالِثةُ بَيْنَ يَدَيهَا، وَالرَّابِعَةُ مِنْ خَلْفِهَا، فَوَضَعَتْ فَاطِمَةَ طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً، ساجدة إلى الأرض، رافعة أصبعها، فَلَـمَّا وُلِدت فاطمة الزَّهراء عليها السلام أَشرَقَ مِنْهَا النُّورُ حَتَّى دَخَلَ بُيُوتَاتِ مَكَّةَ، وَلَمْ يَبْقَ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَلَا غَرْبِهَا مَوْضِعٌ إِلَّا وأَشْرَقَ مِنه ذَلِكَ النُّور[1].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **إنَّ الله عزَّ وجلَّ سمَّاها فاطمة وفطمها وولدها ومَن أحبَّها عن النار**، وقد اختلف المؤرِّخون في تحديد تاريخ ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام، إلَّا أنَّ المشهور لدى مؤرِّخي الإماميَّة أنَّه كان في يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخِرة في السنة الخامسة من البعثة[2]. وقد قال أبي عبد الله الصادق عليه السلام: **إنَّ أمنا فاطمة عليها السلام سمِّيت بالزَّهراء؛ لأن الله خلقها من نور عظمته، فلمَّا أشرقت (ولِدت) أضاءت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة وخروا لله ساجدين، وقالوا: ألهنا وسيِّدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نورٌ من نوري، أسكنته في سمائي، وخلقته في**

(١) الراونديّ، قطب الدين، هبة الله، أبو الحسين سعيد، ١٤٠٩هـ، الخرائج والجرائح، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، إشراف: السيِّد محمَّد باقر الموحِّد الأبطحيّ، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، مؤسَّسة الإمام المهدي، قم المقدَّسة، إيران، ص٥٢٥.

(٢) الشيخ الكلينيّ، ثقة الإسلام أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق، ١٣٦٣هـ، الكافي، الجزء الأوَّل، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، مطبعة الحيدريّ، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، إيران، ص٤٥٨.

أرضي من عظمتي، وأخرجته من صُلب أفضل أنبيائي، وسأخْرِج من ذلك النور أئمَّة يقومون بأمري، ويهدون إلى حقِّي، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي[1].

ويقول الرسول الكريم محمَّد صلى الله عليه وآله: **لـمَّا أراد الله أن يخلقنا تكلَّم بكلمة خلق منها نورًا، ثمَّ تكلَّم بكلمة أخرى فخلق منها روحًا، ثمَّ مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليًّا وفاطمة والحسن والحسين، فكنَّا نسبِّحه حين لا تسبيح، ونقدِّسه حين لا تقديس، فلمَّا أراد الله أن ينشأ الصنعة فتق نوري، فخلق منه العرش، فالعرش من نوري.. ثمَّ** ذكر صلى الله عليه وآله: **إنَّ الملائكة خُلقت من نور أمير المؤمنين، وإنَّ السماوات والأرض خُلقت من نور فاطمة، والشمس والقمر خُلقتا من نور الحسن، والجنَّة والحور العين خُلقتا من نور الحسين**[2].

وهكذا أشرق نور الأرض والسماوات بنور فاطمة بنت محمَّدٍ بن عبد الله بن عبد المُطَّلب بن هاشم بن عبد مناف، الهاشميَّة، القُرشيَّة، سيِّدة نساء أهل الجنَّة، إذ يقول الأمام جعفر الصادق عليه السلام: **إنَّ لأمّنا فاطمة عليها السلام تسعة أسماء من نور الله عزّ وجلّ، هي: فاطمة، الصدِّيقة، المباركة، الطاهرة، الزكيَّة، الراضية، المرضيَّة، المحدَّثة، والزَّهراء**[3].

ثانيًا: نفحات من حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قبل الهجرة

عاشت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في كنف والديها رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله وأمّها خديجة الكبرى عليها السلام، فكان أبوها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يلثمها بتقبيل يديها ورأسها صباحًا ومساءً، ويقول صلى الله عليه وآله: **إنِّي أشمُّ منك يا فاطمة رائحة الجنَّة**. وقال صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: **لقد شقَّ الله لك أسمًا من أسمائه، فهو الفاطر وأنتِ الفاطمة**. وبعد السنة الخامسة من العمر، انفردت فاطمة عليها السلام برعاية أبيها صلى الله عليه وآله عندما توفِّيت السيِّدة خديجة عليها السلام في السنة

(١) الإربلِّيّ، أبي الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح، ٢٠١٢، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة عليهم السلام، الجزء الثاني، المجمع العلميّ لأهل البيت، دار التعارف، بيروت، لبنان، ص١٧٣-١٧٤.

(٢) العلَّامة المجلسيّ، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، المصدر السابق، ص٨٣.

(٣) الإربلِّيّ، أبي الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح، المصدر السابق، ص١٧١.

العاشرة للهجرة، ثمَّ في نفس العام توفِّي أبو طالب عليه السلام عمُّ الرسول صلى الله عليه وآله، ناصر الدعوة وسند الرسول صلى الله عليه وآله أمام أعداء الإسلام، فكان هذا العام عام الأحزان والمحن، إذ كانت الزَّهراء عليها السلام ترعى أباها صلى الله عليه وآله بحنان الأمومة، وهو يرعاها بحنان الأبوَّة، بعدما فقدت أمَّها عليها السلام التي كانت نِعمَ الزوجة الصالحة المحِبَّة والوفية لرسول الله صلى الله عليه وآله، والأمُّ الحنونة التي لم ترتوِ فاطمة عليها السلام كثيرًا من حنانها وسماحة أخلاقها، فقد فارقت أمَّها وهي طفلة، فتحمَّلت الزَّهراء عليها السلام مسؤوليَّة رعاية أبيها صلى الله عليه وآله، والاهتمام بمتطلَّباته الحياتية، وكانت في ذات الوقت حريصة على اكتساب العلم والمعرفة بأصول الدين من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فتنهل منه العلم والدين والتربية الأخلاقيَّة، بينما كان قلب النبيّ يتفطَّر حزنًا عليها عليها السلام؛ لفراق أمِّها، وغمائم الحزن والتيتُّم قد خيَّمت عليها منذ الصِّبا[1]. كما تحمَّلت الزَّهراء عليها السلام عناء حصار كفَّار قريش للمسلمين، وأذاهم لأبيها صلى الله عليه وآله وهي طفلة. وعايشت الزَّهراء عليها السلام كلَّ تلك المصاعب وضنك العيش مع أبيها صابرة محتسبة إلى الله، فلم تتوانَ قريش عن صبِّ أذاها على النبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين، وبخاصَّة بعد وفاة أبي طالب، فقرَّر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يهاجر من مكَّة إلى المدينة في السنة الثالثة عشرة من البعثة؛ حفاظًا على أرواح المسلمين من بطش كفَّار قريش الذين يتحيَّنون الفرص للنيل من حياة نبيِّنا الكريم صلى الله عليه وآله، فأوصى الإمام عليًّا عليه السلام أن يبيت في فراشه تلك الليلة؛ ليوهم المشركين الذين عزموا على قتله صلى الله عليه وآله، وقد أوصاه بأن يردَّ جميع الأمانات التي كانت مودعةً عنده إلى أهلها، ويسدِّد الديون التي كانت عليه، وأنَّه صلى الله عليه وآله عندما يصل إلى مأمنه، سوف يُرسل إلى الإمام عليّ عليه السلام من يدعوه بالتوجُّه إليه مع عائلته من الفواطم، وهنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وفاطمة بنت أسد أمُّ الإمام عليّ عليهما السلام، وفاطمة بنت الزبير ابن عبد المطَّلب، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطَّلب[2].

(١) العتبة العلويَّة المقدَّسة، شعبة التبليغ، قسم الشؤون الدينيَّة، ٢٠١٦، شذرات من حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الطبعة الأولى، العتبة العلويَّة المقدَّسة، ص٢٣-٢٤.

(٢) مكتبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، حياتها ونشأتها، على الموقع:=

وعندما هاجر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة، أمر أصحابه بالهجرة، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وكانت هجرته يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأوَّل، وهي السنة الأولى من الهجرة، فرُدَّ التاريخ إلى الأوَّل من المحرم. وكان قد نزل بقباء في دار كلثوم بن الهدم، ثمَّ بدار خيثمة الأوسيّ ثلاثة أيَّام، ولـمَّا قدِم النبيّ صلى الله عليه وآله يثرب، تعلَّق الناس بزمام الناقة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **يا قوم دعوا الناقة فهي مأمورة، فعلى باب مَن بركت، فأنا عنده أسكن.** فأطلقوا زمامها، وهي تهفُّ في السير حتَّى دخلت المدينة، فبركت على باب أبي أيُّوب الأنصاريّ، ولم يكن في المدينة أفقر منه، فنادى أبو أيوب: يا أمَّاه افتحي الباب، فقد قَدِم سيِّد البشر، وأكرم ما في ربيعة ومضر، إنَّه محمَّد المصطفى والرسول المجتبى صلى الله عليه وآله، فخرجت وفتحت الباب وكانت عمياء، فقالت: وا حسرتاه ليت لي عين أبصر بها وجه سيِّدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان أوَّل معجزة للنبيّ صلى الله عليه وآله في المدينة، أنَّه وضع كفَّه على وجه أمِّ أبي أيُّوب، فانفتحت عيناها مبصرة[1].

ولـمَّا وصل صلى الله عليه وآله إلى قباء، أرسل إلى الإمام عليّ عليه السلام كتابًا يدعوه فيه للقدوم عليه مع الفواطم، فجاءَ بهنَّ الإمام عليّ عليه السلام إلى حيث ينتظرهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ودخلوا مدينة يثرب معًا، واستقبلتهم الجماهير بالأشعار والأهازيج والترحاب، ونزلت فاطمة عليها السلام عند أبيها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في دار أبي أيُّوب الأنصاريّ، وبقيا هناك زهاء سبعة أشهر حتَّى تمَّ بناء المسجد ودار رسول الله صلى الله عليه وآله المتواضع، المؤلَّف من عدَّة حُجرات. ثمَّ تزوَّج الرسول صلى الله عليه وآله بسودة، ثمَّ بأمِّ سلمة، وفوَّض أمر تربية الزَّهراء عليها السلام والإعتناء بها إليها، فقالت أمُّ سلمة: كانت فاطمة تزخر بالأدب والخلق الرفيع والتربية الحسنة والمعرفة بأصول الدين وأحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، ولم أجتهد معها بذلك[2].

---

www.https://www.aqaed.com/ahlulbait/books/mm-el/7.htm.

(١) العلَّامة المجلسيّ، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي،المصدر السابق، ص١٢١.

(٢) العلامة المجلسي، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، المصدر السابق، ص١٠.

ثالثًا: حياة السيِّدة فاطمة عليها السلام ما بعد الهجرة

عندما استقرَّ أمر المسلمين بعض الشيء في المدينة، ودخلت السنة الثانية من هجرة الرسول صلى الله عليه وآله، تقدَّم لخطبتها أكابر قريش من أصحاب الشرف والمال والفضل، فكان النبيّ صلى الله عليه وآله يردُّهم بوجهه الكريم ويقول: «**أنتظر أمر الله بها**». ثمَّ قال صلى الله عليه وآله لهم: **إنَّما أنا بشر مثلكم، أتزوَّج فيكم وأزوِّجكم، إلَّا فاطمة عليها السلام، فإنَّ تزويجها ينزل من السماء**[1]. وبعد أن تقدَّم الإمام عليّ عليه السلام لخطبتها، نال بركة الرسول صلى الله عليه وآله وموافقته، ووافقت السيِّدة فاطمة عليها السلام على زواجها منه عليه السلام، وقد كان أمر زواجهما من السماء، حيث قال النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام: «**أبشِرْ يَا عَلِيُّ فَإِنَّ اللهَ قَدْ زَوَّجَكَ بِفاطمة فِي السَّمَاءِ قَبْلَ أَنْ أُزَوِّجَكَهَا فِي الْأَرْض**»، فتمَّ الزواج المبارك. وقد ولدت له عليهما السلام خمسة أولاد هم: الإمام الحسن عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام، ثمَّ السيِّدة زينب، وأمُّ كلثوم، ثمَّ المحسن الذي أُسقِطَ جنينًا[2].

لقد رافقت السيِّدة فاطمة عليها السلام أباها صلى الله عليه وآله في حجَّة الوداع، فبعد إتمام شعائر الحجِّ، وحين الوصول إلى غدير خمّ، نزل عليه الأمر الإلهي: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾[3]. وكان الأمر هو إبلاغ المسلمين بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وشهدت الزَّهراء عليها السلام مبايعة المسلمين للإمام عليّ عليه السلام، وبعد هذا الأمر الإلهيّ أُمِرَ رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة، فصلَّاها بحرارة شمس الظهيرة، وظُلِّل عليه من الشمس، فخطب فيهم صلى الله عليه وآله وقال: «**إنِّي أوشك أن أُدعى فأُجيب.. ألستم تعلمون أنِّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**

(١) الشيخ الكلينيّ، ثقة الإسلام أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق، ١٣٦٣هـ، الكافي، الجزء الخامس، المصدر السابق، ص٥٦٨.

(٢) ابن شهرآشوب المازندراني، محمَّد بن عليّ، ١٤٢١هـ، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، قم المقدَّسة، إيران، ص٣٤٥. وكذلك: العلَّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، مصدر سابق، ص٢٣٣.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٧.

قالوا: بلى.. فأخذ بيد عليّ عليه السلام وقال: اللهمَّ من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله»[1]. وبعد أن تمَّ البلاغ بولاية عليّ عليه السلام، نزلت الآية الكريمة: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾[2]. وكانت السيِّدة فاطمة عليها السلام على طول الواقعة تتابع الأحداث والمواقف، لتكون شاهدةً على الولاية للإمام عليّ عليه السلام، ومساندةً لمن بايعه من المسلمين.

رابعًا: السيِّدة فاطمة عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله

عندما ظهرت علامات الرحيل على رسول الله صلى الله عليه وآله، انتاب الزَّهراء عليها السلام حزنٌ كبير برحيل أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، ففقدت فاطمة عليها السلام أعزَّ ما تملك، وسندها الروحيّ في الحياة، والدها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فرافقتها الأحزان، وما برحت ضاحكةً بعد وفاته صلى الله عليه وآله، ولولا مؤازرة زوجها الإمام عليّ عليه السلام لها ومواساته؛ لقضت نحبها. وعلى أثر رحيل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى في الثامن والعشرين من صفر في السنة الحادية عشر للهجرة، انشغل عليّ وفاطمة عليهما السلام وبنو هاشم ومعهم الصحابة الأجلَّاء بفاجعة وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وتجهيزه ودفن جسده الطاهر،فبينما كان الرسول صلى الله عليه وآله مسجَّى لم يُغسَّل بعد، ولم يكفَّن، هرع المتآمرون إلى سقيفة بني ساعدة؛ ليعقدوا الأمر لأبي بكر، فاستغل المناوئون هذه الفرصة ليأخذوا الخلافة من الإمام عليّ عليه السلام، ويعطوها إلى أبي بكر، الذي أنكر حقَّ الزَّهراء في إرث أبيها من فدك، عندما جاء بحديثٍ منسوبٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مفاده أنَّ الأنبياء لا يورِّثون وما تركوه صدقة للنَّاس، من أجل حرمان الزَّهراء من حقِّها في أملاك أبيها صلى الله عليه وآله، إذ قال أبو بكر: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقوله «**نحن معاشر الأنبيَّاء لا نورِّث**»، فإجابة الإمام عليّ عليه السلام: **كيف تدَّعي ذلك على رسول**

(١) الهيثميّ، نور الدين علي بن أبي بكر، ١٩٨٨، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الجزء التاسع، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ص١٠٤.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

الله صلى الله عليه وآله، **وفيه مخالفة لكتاب الله، إذ يقول الله** عز وجل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، وفي سورة مريم الآيتَين (٥-٦) قال زكريَّا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾، إلَّا أنَّ أبو بكر أصرَّ على غصب حقوق آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وعدم إعطاء فاطمة الزَّهراء عليها السلام حقَّها في ميراث أبيها صلى الله عليه وآله من فدك، فحزنت وقالت: **والله يا أبا بكر لن أكلِّمك كلمة ما حييت، وسأشكوك إلى أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة**[1]. وجاء في تفسير سورة الأحزاب (الآية ٥٧) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ أنَّها نزلت في غصب حقِّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأخذِ حقِّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام من ميراث أبيها صلى الله عليه وآله وأذاها، إذ قال النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو يعلم ما سيحلُّ من أذًى بابنته فاطمة عليها السلام: **من آذى فاطمة في حياتي كمن آذاها بعد موتي، ومن آذاها بعد موتي كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**[2]. وبعد ذلك أصاب المرض الشديد السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وقد عُلِّلَ سبب ذلك بالأحداث المرتبطة التي حصلت بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، واغتصاب حقوقها[3]، إلاَّ أنَّ حسرتها العظمى عليها السلام كانت على فراق والدها صلى الله عليه وآله، فهو فراقٌ لروحها وعنفوان وجودها، فمرضت عليها السلام مرضًا شديدًا كان فيه شهادتها عليها السلام، إذ تذكر الروايات المشهورة عن أهل البيت عليهم السلام أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قد أوصت أن تُدفَن سرًّا، فكانت هناك ثلاث روايات عن تاريخ استشهادها عليها السلام، فقيل إنَّها توفِّيت في ٨ ربيع الثاني، وقيل أنَّها توفِّيت في ١٣ جمادي الأولى، وقيل، وهو المشهور إنَّ وفاتها عليها السلام في

(١) الطحاويّ الحنفيّ، أبي جعفر أحمد بن محمَّد بن سلامة بن عبد الملك، ١٩٩٤، شرح معاني الآثار، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، حُقِّق في الأزهر الشريف من قِبل محمَّد زهري النجَّار، محمَّد سيِّد جاد الحقِّ، عالم الكتب، القاهرة، ص٣٠٨.

(٢) المسعوديّ، الشيخ محمَّد فاضل، ٢٠٠٠، الأسرار الفاطميَّة، مؤسَّسة الزائر للطباعة والنشر، مطبعة أمير، قم المقدَّسة، إيران، ص١٤٣.

(٣) العلَّامة المجلسيّ، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، بحار الأنوار، الجزء (١٩)، المصدر السابق، ص٧٣-٧٤.

٣ جمادي الآخرة. وقد ذكرت أسماء بنت عميس التي كُفل لها الاعتناء بالزَّهراء عليها السلام طيلة فترة مرضها، أنَّه لـمَّا حضرت ساعة الوفاة، طلبت منِّي فاطمة عليها السلام أن أحضر لها من كافور الجنَّة الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة وفاته، فوضعته عند رأسها، فلمَّا فارقت الحياة جاء الحسن والحسين عليهما السلام يبكيانها ويقبِّلان رجليها، ثمَّ جاء الإمام عليّ عليه السلام، وقام بتغسيلها في قميصها، ولم يكشف عنها، فوالله كانت ميمونة طاهرة مطهَّرة، ثمَّ قام بتحنيطها من فضلة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ قال عليه السلام: «**اللهمَّ إنَّها أمتك وابنة رسولك وصفيِّك وخيرتك من خلقك، اللهمَّ لقِّنها حجَّتها وأعظِم برهانها وعلِّ درجتها، وأجمع بينها وبين أبيها محمَّد** صلى الله عليه وآله».

وقد اختلف المؤرِّخون في مدَّة بقائها بعد وفاة والدها صلى الله عليه وآله، فقيل: أربعون يومًا، وقيل: خمسة وسبعون يومًا، وقيل: ثلاثة أشهر، وقيل: خمسة أشهر أو ستة أشهر، ولكنَّ المشهور أنَّها ارتحلت إلى الرفيق الأعلى بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله بثلاثة أشهر، في الثالث من جمادى الآخرة، سنة إحدى وعشرين للهجرة، وكانت في سنِّ الثامنة عشر من العمر. ويُذكَر أنها أوصت الإمام عليّ عليه السلام أن تُدفَن سرًّا، فلمَّا هدأت العيون ومضى من الليل ما مضى، أخرجها الإمام مع ولديها الحسن والحسين عليهما السلام، ومعهم عقيل بن أبي طالب، وعمَّار بن ياسر، والمقداد الكنديّ، وأبو ذرٍّ الغفاريّ، وسلمان، ونفر من بني هاشم، قاموا بتشييعها، وصلُّوا عليها ودفنوها عليها السلام[1].

لقد كانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام كالشمعة المنيرة في بيتها، يتوهَّج نورها بالخير والحبِّ والحنان لأسرتها، بيد أنَّها عليها السلام بدأت تحترق وتذبل شيئًا فشيئا، ثمَّ هَفتَ نورها جرَّاء فقدانها لوالدها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فلم تستطع البقاء بعد رحيله صلى الله عليه وآله، وقد تنكَّر الزمان لها باغتصاب حقوقها، فكانت أحزانها تتجدَّد كلَّما ارتفع صوت الأذان

(١) القمي، الشيخ عبَّاس بن محمَّد رضا، ١٤١٢، بيت الأحزان في ذكر أحوال سيِّدة النساء، الطبعة الأولى، مؤسَّسة آل البيت للطباعة والنشر، قم المقدَّسة، إيران، ص١٨١.

بالهتاف «أشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله»، فكانت تريد اللقاء بأبيها، وكان شوقها يستعر يومًا بعد آخر، حتَّى هزل جسمها ولم يعد يتحمَّل شوقها إلى الرحيل وملاقاة والديها في الجنَّة، وهكذا ودَّعت الزَّهراء عليها السلام الدنيا، وودَّعت الحسن بسنواته السبع، والحسين بأعوامه الستَّة، وزينب بسنواتها الخمس، وأمّ كلثوم وردة في ربيعها الثالث، وكان أصعب ما في الوداع أن تودِّع زوجها، وشريك أبيها في الجهاد، وشريك حياتها، الإمام عليّ عليه السلام.

المبحث الثاني

الإضاءات الإنسانيَّة والعباديَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام

عندما نطالع السيرة العطرة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، نجدها حافلة بالمآثر العباديَّة، ومفعمة بالإيثار والصبر والتضحية، وتقديم الخير والعمل الصالح، والإيمان بالله وملائكته ورسله، فضلًا عن الفضائل العليا التي غرسها فيها والدها نبيّ الرحمة محمَّد صلى الله عليه وآله، فروي أنَّه لـمَّا عرج بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إلى السماء، وجد أمامه رطبًا ألين من الزبد، وأطيب من رائحة المسك، وأحلى من العسل، فناداه جبرائيل لأكل الرطب، فتحوَّل الرطب ماءً في صلب النبيّ صلى الله عليه وآله؛ ليكون النطفة التي منها جاءت فاطمة عليها السلام، ففاطمة عليها السلام هي الإنسيَّة التي خُلقت من ثِمار الجنَّةِ، ويقول الرسول صلى الله عليه وآله: **فاطمة حوراء إنسيَّة، كلَّما اشتقت إلى الجنة شممت رائحة فاطمة** عليها السلام، كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **وأمَّا ابنتي فاطمة، فإنَّها سيِّدة نساء العالمين، من الأوَّلين والآخِرين، وهي بضعة منِّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيَّ، وهي الحوراء الإنسيَّة، متى قامت في محرابها بين يدَي ربّها جلَّ جلاله، أزهر نورها لملائكة السماء، كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، فيقول الله عزَّ وجلَّ: يا ملائكتي أنظروا إلى أَمَتي فاطمة سيِّدة إمائي، قائمة بين يديَّ، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها لعبادتي، أُشهدكم أنِّي قد أَمنتُ شيعتها من النار**[1].

إنَّ فاطمة عليها السلام أيضًا كانت ممتَحنة، امتحنها الله قبل أن يخلُقها، فوجدها صابرة محتسبة إليه ممَّا سيفعله الظالمون بها بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ اغتصبوا حقَّها عليها السلام

(١) الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين، الأمالي، المصدر السابق، ص١٧٥.

في فدك وحقّ زوجها الإمام عليّ عليه السلام في الخلافة، وأنَّ الله علم منها ذلك قبل أن يخلقها، علم منها أنَّها سوف تصبر أمام كلِّ المحن، وستصبر على كلِّ البلاءات والمصائب، وهذا هو معنى العصمة فيها وفي وِلدها من الأئمَّة المعصومين عليهم السلام، وأفضل شاهد على عصمة الزَّهراء عليها السلام هو آية التطهير (الآية ٣٣ من سورة الأحزاب) في قول الله تعالى: ﴿.. إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، إذ نزلت الآية الكريمة بأهل البيت، وهم أصحاب الكساء الخمسة: النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، والإمام عليّ عليه السلام، والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، والإمامان الحسن والحسين عليهما السلام[1]. وكان الرسول صلى الله عليه وآله كلَّما خرج إلى صلاة الغداة يمرُّ بباب فاطمة عليها السلام فيقول: «**السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته**، ثمَّ يصلها بقوله تعالى: ﴿.. إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾»[2]. كما لم تمتلك الزَّهراء عليها السلام العصمة فحسب، بل اجتهدت لنيل أسمى المراتب في التقرُّب إلى الله عزَّ وجلَّ، حتَّى بلغت مرتبة يصفها بها الأئمَّة المعصومين أنَّها المرتبة الثالثة في مقام العصمة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، والإمام عليّ عليه السلام، ولهذا كان الأئمَّة عليهم السلام يتأسَّون بها ويرونها حجَّة عليهم، ومن هذا المنطلق جعل الله عزَّ وجلَّ كمال نبوَّة الأنبياء بعد إقرارهم وإذعانهم بفضلها ومنزلتها، وإبدائهم الولاء والمحبَّة لها[3].

ومنذ أن أشرقت الأرض والسماء بنور فاطمة الزَّهراء عليها السلام على والديها في السنة الخامسة من البعثة، كانت المحن والابتلاءات متواصلة عليها من كلِّ حدبٍ وصوب، هذه السيرة المتتابعة من الظلامات والابتلاءات والمِحَن جعلت منها أنموذجًا رساليًّا في

(١) الترمذيّ، أبو عيسى محمَّد بن عيسى بن سورة، ١٤٣٥هـ، سنن الترمذيّ وهو الجامع الكبير، الطبعة الأولى، مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، بيروت، لبنان، حديث (٣٢٠٥)، ص٣٥١.

(٢) الإربلِّيّ، أبي الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح، المصدر السابق، ص١٦٠.

(٣) الخوئيني، إسماعيل الأنصاري الزنجاني، ١٣٢٩، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء، الجزء الثاني من ولادتها إلى زواجها، الطبعة الثانية، مطبعة نكارش، جمهورية إيران الإسلاميَّة، ص١٩١.

الصبر، حتَّى قالت عليها السلام:

صُبَّت عليَّ مصائبٌ لو أنَّها
صُبَّت على الأيّام صرنَ لياليا[1]

ويقول الله تعالى في محكم كتابه الحكيم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[2]. ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: **لا تكون مؤمنًا حتَّى تعدَّ البلاء نعمة، والرخاء محنة، لأنَّ بلاء الدنيا نعمة في الآخرة، ورخاء الدنيا محنة في الآخرة**[3].

إنَّ شمس فاطمة الزَّهراء عليها السلام باقية إلى أبد الدهر، ولن تنطفئ ما دامت العترة الطاهرة باقية بظهور الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، فعن عليّ بن هلال عن أبيه، قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في الحالة التي قُبض فيها، فإذا فاطمة عند رأسه، فبكت حتَّى ارتفع صوتُها، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله إليها رأسه وقال: **حبيبتي فاطمة ما الذي يُبكيك؟** فقالت: **أخشى الضيعة من بعدك يا أبتي**. فقال: **يا حبيبتي! أما علمتِ أن الله عزّ وجلّ اطَّلع على أهل الأرض اطلاعة فاختار منها أباكِ فبعثه برسالته، ثم اطّلع اطّلاعة فاختار منها بعلكِ، وأوحى إليّ أن أُنكحك إيّاه، ونحن أهل بيتٍ قد أعطانا الله عزّ وجلّ سبع خصال لم يُعطِ أحدًا قبلنا ولا يعطي أحدًا بعدنا: أنا خاتم النبيّين وأكرم النبيّين على الله عزّ وجلّ وأحبّ**

(١) العلَّامة المجلسيّ، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي،١٩٨٣، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأخيار، الجزء (٧٩)، الطبعة الثالثة، مؤسسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص١٠٦.

(٢) سورة البقرة، الآيات (١٥٥، ١٥٧)

(٣) العلامة المجلسي، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي،١٩٨٣، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأخيار، الجزء (٦٤)، الطبعة الثالثة، مؤسسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص٢٣٧.

المخلوقين إلى الله ﷻ وأنا أبوكِ، ووصيّي خير الأوصياء وأحبّهم إلى الله ﷻ، وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وأحبُّهم إلى الله ﷻ، وهو حمزة بن عبد المطلب عمُّ أبيك وعمُّ بعلك، ومنَّا مَن له جناحان يطير في الجنَّة مع الملائكة حيثما يشاء، وهو ابن عمِّ أبيك وأخو بعلك، وسبطا هذه الأمَّة هما إبناك الحسن والحسين، وهما سيِّدا شباب أهل الجنَّة، وأبوهما (والذي بعثني بالحقِّ) خيرٌ منهما. يا فاطمة! والذي بعثني بالحقِّ إنَّ منهما مهدي هذه الأمَّة، إذا صارت الدنيا هرجًا ومرجًا، وتظاهرت الفتن، وانقطعت السبل، وأغار بعضُهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيرًا، ولا صغير يوقِّر كبيرًا، فيبعث الله عند ذلك منهما مَن يفتح حصون الضَّلالة وقلوبًا غلف[1]. وقال النبيّ محمَّد ﷺ: **أبشري يا فاطمة فإنَّ مهدي هذه الأمَّة هو من ولدك، اسمه اسمي، وهو الذي سَيملأ الأرضَ قسطًا وعدلًا بعدما مُلأت ظُلمًا وجورًا، وسيأخذ بثأر وَلَدك الحُسين**[2].

ورُوِي في بعض الأحاديث أنَّه: «مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا أَعْبَدَ مِنْ فَاطِمَةَ عليها السلام، فَكَانَتْ تَقُومُ حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهَا»[3]. لعلَّ هذه المواقف تُعبِّر إجمالًا عن البعد العباديّ في حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وما تميَّزت به ربيبة الوحي والنبوَّة عليهما السلام عن سائر البشر، فعندما نطالع سيرتها العطرة، كثيرًا ما تستوقفنا القيم الرساليَّة والمنطق الدينيّ المتمسِّك بالقيم الإسلاميَّة والفضائل الأخلاقيَّة التي ربَّاها عليها النبيّ الأكرم ﷺ، والتي جسَّدت فيها معاني الشخصيَّة الإسلاميَّة الفذَّة والقدوة الحسنة لنساء العالمين، والتي شكَّلت المقوِّمات الحياتيَّة لبُعدها العبادي عليها السلام، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: «قال رسول الله ﷺ: **إنَّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيمانًا ويقينًا**

(١) الإربلِّيّ، أبي الحسن علّي بن عيسى بن أبي الفتح، المصدر السابق، ص٢٦٧.

(٢) أبن ماجة، أبي عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ، سنن أبن ماجة، الجزء الرابع، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربيَّة، بيروت، لبنان، ص١٥١.

(٣) العلَّامة المجلسّي، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، بحار الأنوار، ج٤٣، المصدر السابق، ص٨٦.

إلى مُشاشها، ففرغت لطاعة الله»[1]. فكانت عليها السلام ملتزمة بواجباتها العباديَّة رغم كثرة أنشغالاتها المنزليَّة والحياتيَّة، فالعبادة عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ركنٌ أساسي ونمطٌ حياتي أندمج مع جميع تفاصيل حياتها وجوانبها التربويَّة لأبنائها، إذ إنَّها عليها السلام كانت توازن بين العبادة وبين جميع واجباتها الحياتيَّة، وفي ذلك إشارة إلى الكيفيَّة التي ترتَّب فيها الزَّهراء عليها السلام الأولويَّات في حياتها، فالزَّهراء عليها السلام تتحيَّن الفرص للعبادة والاتِّصال بخالقها عبر الصلاة وقراءة القرآن والدعاء والتهجُّد، دون الإهمال لمتطلَّباتها المنزليَّة، وأنَّها عليها السلام كانت تفضِّل الاختلاء بالعبادة في أوقات خاصَّة، غالبًا ما تكون في قيام الليل حتَّى صلاة الفجر، لهذا نراها لا تترك واردة ولا شاردة للاتِّصال بالله عزَّ وجلَّ إلَّا وفعلتها، فعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، قال: «**رأيت أمِّي فاطمة عليها السلام قامت إلى محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتَّى اتَّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسمِّيهم بأسمائهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمَّاه لمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار قبل الدار**»[2].

وتروي لنا الأخبار أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قد خصَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام والإمام عليًّا عليه السلام بالعديد من الصلوات والأذكار، فكان يُعلِّمهم صلوات مستحبَّة وأدعية كثيرة في حالات مختلفة، كالتعقيبات عقيب الصلوات، والدعاء عند رؤية الهلال، وأعمال ما قبل النوم[3]. وفي رواية عن الزَّهراء عليها السلام قالت: «**سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: إنَّ في يوم الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم، يسأل الله عزَّ وجلَّ فيها خيرًا إلَّا وأعطاه إيَّاه.. إذا تدلَّى نصف عين الشمس للغروب**. وكانت فاطمة عليها السلام تقول لأحدهم: **اصعد إلى الظراب، فإذا**

(١) الخوئيني، إسماعيل الأنصاريّ الزنجانيّ، المصدر السابق، ص١١٠.
(٢) الجزائريّ، السيِّد نعمة الله، ٢٠٠٦، رياض الأبرار في مناقب الأئمَّة الأطهار، الطبعة الأولى، مؤسَّسة التاريخ العربيّ للطباعة والنشر والإعلان، بيروت، لبنان، ص٣٨.
(٣) الخوئينيّ، إسماعيل الأنصاريّ الزنجانيّ، المصدر السابق، ص١٢١-١٢٢.

رأيت عين الشمس قد تدلَّت للغروب فأعلمني حتَّى أدعو. فلا تزال تدعو حتَّى تغرب الشمس، ثمَّ تصلِّي»[1]. وفي ذلك دلالات واضحة على مدى حرص واهتمام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بالأمور العباديَّة، والحرص الدائم على التزوُّد بالمعرفة الدينيَّة، والاهتمام بأدقِّ التفاصيل التي فيها تقرُّب إلى الله عزَّ وجلَّ ورضاه، هذا فضلًا عن العديد من الصلوات والأذكار والأدعية المرويَّة عنها عليها السلام، والتي جُمِعت في كتبٍ خاصَّة.

لقد أتحفت إسهامات الزَّهراء عليها السلام الفكر الإسلاميّ بمجموعة من القيم والمبادئ التي شكَّلت بوتقة دينيَّة عقائدية متكاملة، تعبِّر عن صميم الحضارة الإسلاميَّة الحقيقيَّة التي تنبع من علم آل بيت النبوَّة؛ لتغطِّي به أرجاء المعمورة بالمثل الإنسانيَّة العليا، والقيم السمحة، كون الأدوار العباديَّة التي أدَّتها الزَّهراء عليها السلام لم تكن محض صدفة كونها بنت الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، بل أنَّها زقَّت العلم زقًّا منذ صغرها عبر نفحات الوحي والرسالة المحمَّديَّة التي أولاها لها رسول الله صلى الله عليه وآله الأهميَّة الكبرى، في ظلِّ سعيه لنشر دعوته الإسلاميَّة، فكان صلى الله عليه وآله يلقِّنها الآيات والأحاديث منذ نعومة أظفارها، ويتحدَّث معها ويشاركها الرأي في القضايا المصيرية، ويطرح عليها جميع تساؤلاته المهمَّة، ويطلب وجهة نظرها في الإجابات، فكانت فاطمة عليها السلام أوَّل من يستقبله الرسول صلى الله عليه وآله بعد الرجوع من سفره وغزواته، وآخر من يودعه. ففاطمة عليها السلام تعرف ما بنفس أبيها صلى الله عليه وآله قبل البوح به، وهي التي تخفِّف آلامه وتمسح جراحه؛ لأنَّها لُقِّنت وربِّيت منذُ صغرها على أنَّها صاحبة دور وقرار حكيم ومعتبر، وهذا الذي جعلها تلقَّب بأمِّ أبيها، فالزَّهراء عليها السلام شاركت والديها هموم الحياة الخاصَّة والعامَّة؛ لتكتسب منهما الخبرة والدراية في معالجة مستعصيات الأمور، واتِّخاذ القرارات المصيريَّة التي جعلت منها شخصيَّة قياديَّة قادرة على التعامل بحكمة، وبناء أسرة طيِّبة الخصال مع زوجها الإمام عليّ عليه السلام سيِّد الأوصياء بعد النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله.

(١) الخوئينيّ، إسماعيل الأنصاريّ الزنجانيّ، المصدر السابق، ص١١٧-١١٨.

ويمكن إبراز أهمّ الإسهامات العباديَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام بما يأتي:

أوَّلًا: مصحف فاطمة عليها السلام: يروى أنَّ جبرائيل عليه السلام نزل في بيت النبيّ صلى الله عليه وآله بعد وفاته ليعزِّي فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ويطيِّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانته في الجنَّة، وما سيحلُّ بأبنائها وذريَّتها من بعدها، فأخبرها كذلك بجميع الحوادث الخطيرة، خصوصًا ما سيواجه أئمَّة أهل البيت عليهم السلام من المصائب والبلايا والانتصارات. إنَّ المصحف هو كلام من الله يختلف عن القرآن الكريم، ويشتمل على أسماء جميع الملوك والحكَّام إلى يوم القيامة. ويُقال إنَّ حجم المصحف بقدر حجم القرآن ثلاث مرَّات، إلَّا أنَّه ليس فيه من القرآن شيء، أو ليس فيه من القرآن حرف واحد، وفقًا لما قاله الكلينيّ في كتابه الكافي[1]. وقد جاء في بحار الأنوار أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام خلَّفت مصحفًا، ما هو بقرآن، ولكنه كلام من الله، أنزله عليها جبرائيل عليه السلام، إملاء رسول الله (جبرائيل)، وخطَّه لها الإمام علي عليه السلام، إذ إنَّ الإمام علي عليه السلام هو من قام بتدوين أحاديث جبرائيل، بل وهو صاحب فكرة تدوين الكتاب أصلًا، ويؤكِّد علماء الشيعة أنَّ المقصود بالرسول هنا هو جبرائيل، ويستشهدون بآيات من القرآن الكريم في سورة مريم (الآيات ١٨-١٩) في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾، فالمقصود بالرسول في الآية هو الوحي المرسل جبرائيل عليه السلام[2].

وعن أبي بصير قال: سألت الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام عن مصحف فاطمة عليها السلام فقال: **أُنزِل عليها في ليلة الجمعة في الثلث الثاني من الليل، وهي قائمة تصلِّي في محرابها، بعد وفاة جدِّنا رسول الله صلى الله عليه وآله**، فقلت له: أفيه شيء من القرآن؟ فقال الإمام: **ما فيه شيء من القرآن**، فقلت له: صفه لي يا إمام، قال: **له دفتان من زبر جديتي فاطمة عليها السلام على طول**

(١) الشيخ الكلينيّ، ثقة الإسلام أبي جعفر محمَّد بن يعقوب، الكافي، الجزء الخامس، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٢) العلَّامة المجلسيّ، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، ١٩٨٣، بحار الأنوار، الجزء (٢٦)، المصدر السابق، ص٣٩.

الورق، وورقه من درٍ أبيض، فقلت له: وما فيه هذا المصحف، فقال: **فيه خبر ما كان وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه أخبار السماء، وعدد ما فيها من ملائكة، وعدد كلِّ من خلق الله مرسلًا وغير مرسل، وأسمائهم وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء من كذَّب ومن أجاب من المؤمنين والكافرين من الأوَّلين والآخِرين، وأسماء البلدان، وصفاتها في شرق الأرض وغربها، وصفة القرون الأولى وقصصهم، وأسماء الأئمَّة وصفاتهم وما يلاقونه من محن، وصفات أهل الجنَّة وأعدادهم وأسمائهم، وأعداد من يدخل النار وأسمائهم، والكثير الكثير، وسيؤول المصحف إلى بقية الله الأعظم مهدي آل محمَّد** عليه السلام[1].

ثانيًا: وصايا فاطمة عليها السلام: لم تزل نكبة الزَّهراء عليها السلام شاخصة بوفاة أبيها صلى الله عليه وآله، وتصارعها الأحزان والهموم والأنين حتَّى مرضت مرضًا شديدًا، ومكثت أربعين ليلة في مرضها، فلمَّا قربت منها المنيَّة ونُعِيت لها نفسها وجَّهت إلى زوجها الإمام عليّ عليه السلام فأحضرته لتقدِّم له وصاياها، وأرادت أن ترى نفسها في عين الإمام عليّ عليه السلام عندما سألته عن حياتها معه، فأثنى عليها الإمام عليه السلام، وقال لها: **أنتِ أعلم وأبرأ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفًا من الله من أن أرى منك معاذ الله أي مخالفة**. فكانت من جملة وصاياها للإمام عليّ ما يلي[2]:

١. يا بن عم، أوصيك أن تتزوج بعدي بنت أختي أُمامة بنت أبي العاص، فأنها ستكون لـوِلـدي مثلي. وأوصـيـك بإعطاء بعض أشيائي لأُمامة، وبعضها الآخـر إلى بنت أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، فكتب الإمـام عليّ عليه السلام ذلك. ثمَّ طلبت منه القيام بتوزيع ما تبقى من ميراثها على نساء بني هاشم، فأوصت لكلِّ واحدة أثني عشر أوقيَّة، وكذلك مثلهنَّ لزوجات النبيّ صلى الله عليه وآله.

(١) الطبريّ، محمَّد بن جرير، ١٤١٣هـ، دلائل الإمامة، الطبعة الأولى، مؤسَّسة البعثة، قسم الدراسات الإسلاميَّة، قم المقدَّسة، إيران، ص٢٧-٢٨.

(٢) المسعوديّ، الشيخ محمَّد فاضل، الأسرار الفاطميَّة، المصدر السابق، ص٣٣١-٣٣٣.

٢. أوصت عليها السلام الإمام أن يسمح لأسماء بنت عميس أن تشاركهُ في تغسيلها، وأن يتَّخذ لها نعشًا وتُدفن في الليل سرًّا إذا هدأت العيون ونامت الأبصار، وأن لا يشهد جنازتي أحد من الذين ظلموا حقِّي، فلا تسمح لأبو بكر وعمر أن يحضرا جنازتها أو يصلان عليها. وأن تحنطني ببقيَّة حنوط والدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو كافور جاء به جبرائيل من الجنَّة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، حين حضرته الوفاة.

٣. أوصت عليها السلام بموقوفاتها وحوائطها السبعة بالعواف والـدلال والبرقة والميثب والحسنى والصافية وأموال أمّ إبراهيم إلى زوجها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده إلى الحسن عليه السلام، فإن مضى فإلى الحسين عليه السلام بعده، فإن مضى الحسين عليه السلام، فإلى الأكبر فالأكبر من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤. كما أنَّها أوصت إن حدث بأحد ممَّن أوصت له قبل أن يُدفع إليه، فإنَّ ذلك يُنفَق في الفقراء والمساكين.

٥. وأخيرًا أوصت عليًّا عليه السلام، فقالت: يا عليّ أنا فاطمة بنت محمَّد، زوَّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنِّطني وغسِّلني وكفِّني بالليل، وصلِّ عليَّ وادفني بالليل، ولا تُعلِم أحدًا ممَّن ظلمني، وأستودعك الله، واقرأ على وِلديَّ السلام إلى يوم القيامة[1].

ثالثًا: خطبة فدك: إنَّ فدك اسم لأرض زراعيَّة واسعة الأطـراف، وهي واحة خصبة كانت مسكنًا لليهود، أصبحت للمسلمين بعد غزوة خيبر، وتقع تحديدًا في الجزء الجنوبيّ الغربيّ من منطقة حائل في الحجاز في شبه الجزيرة العربيَّة، وتبعد عن المدينة المنوَّرة بحدود ١٤٥ كيلومترًا. وهي قرية حجازيَّة فيها مزارع وبساتين من نخيل وتعد

(١) العلَّامة المجلسيّ، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، بحار الأنوار، الجزء (٤٣)، المصدر السابق، ص٢١٤.

منطقة إستراتيجيَّة، عبارة عن مزرعة كبيرة ذات عوائد كثيرة، وقد صالح أهلُها اليهود رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الأرض ليكفَّ عن قتالهم، وأمر الله تعالى نبيَّه الكريم أن يهب هذه الأرض لبضعته الزَّهراء عليها السلام، بقوله تعالى في سورة الإسراء (الآية ٢٦): ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فوهبها الرسول صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة عليها السلام. إلَّا أنَّ ما قام به أبو بكر بعدما تصدَّى لأمر الخلافة، بمصادرة حقِّ الزَّهراء عليها السلام في فدك، لكنَّها رفضت البيعة لـمَّا رأت فيها نقضًا لبيعة الغدير التي أكَّد فيها النبيّ باستخلاف عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعده لتولِّي أمور المسلمين. ومُنعت فاطمة من الإرث، وكذلك التصرُّف في الأموال التي قد خصَّصها لها النبيّ صلى الله عليه وآله في قضيَّة فدك، وعليه ألقت خطبةً عُرفت بـالخطبة الفدكيَّة[1].

إنَّ التاريخ شهد أحداثًا عدَّة في الفترة الأخيرة المنتهية إلى وفاتها عليها السلام، أهمُّها حادثة السقيفة والاستيلاء على الخلافة، وتبعه غصب فدك، والذي آل إلى إلقاء خطبتها الفدكيَّة على الصحابة، وملخَّص هذه الخطبة التي ألقتها عليها السلام على مسامع الناس بُعيد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، إذ اصطحبت معها ابنتها زينب عليها السلام لتنمِّي فيها قابليَّات الخطابية، ولتريها كيف تقارع الظلم والطغيان. وتعدُّ الخطبة الفدكيَّة من أهمِّ ما صدر عن لسان أهل البيت عليهم السلام، فابتدأت الخطبة عليها السلام بحمد الله والثناء عليه، وعرضت منشورًا متكاملًا وميثاقًا مهمًّا للحقِّ والعدل والحريَّة عبر التأريخ، وقد ضمَّنت الخطبة الحكم المثلى ابتداءً من حكمة الخلق، ومرورًا بحكمة القيم الشرعيَّة، وانتهاءً بحكمة الوفود على الله تبارك وتعالى في يوم المحشر، فضلًا عن تبيينها لفلسفة الرسالة، ومقام الرسول صلى الله عليه وآله، والولاية لأهل البيت عليهم السلام، وإتِّباع نهجهم المنبثق أساسًا عن القرآن الكريم لا غير[2].

(١) الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين، الأمالي، المصدر السابق، ص٢٤٣.

(٢) المدرِّسي، السيِّد محمَّد تقي، تأمُّلات في خطبة الزَّهراء عليها السلام، مركز الإشعاع الإسلاميّ للبحوث والدراسات الإسلاميَّة، على الموقع الإلكترونيّ:
https://www.islam4u.com/.

رابعًا: دعاء الزَّهراء عليها السلام[1]: ذكر الشيخ فوزي آل سيف في محاضرة بعنوان عبادات فاطمة عليها السلام، أنَّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام دعاء خاص ما نصُّه: «**اللهمَّ صلِّ على محمَّد كما هديتنا به، وصلِّ على محمَّد كما رحمتنا به، وصلِّ على محمَّد كما عززتنا به، وصلِّ على محمَّد كما فضَّلتنا به، وصلِّ على محمَّد كما شرَّفتنا به، وصلِّ على محمَّد كما بصَّرتنا به، وصلِّ على محمَّد كما أنقذتنا به من شفا حفرة من النار، اللهمَّ بيِّض وجهه، وأعلِ كعبه، وأفلج حجَّته، وأتمم نوره وثقل ميزانه وعظم برهانه، وأفسح له حتَّى يرضى، وبلِّغه الدرجة والوسيلة من الجنَّة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، واجعله أفضل النبيِّين والمرسَلين عندك منزلةٍ ووسيلة، وأقصص بنا أثره، واسقنا بكأسه، وأوردنا حوضه، واحشرنا في زمرته، وتوفَّنا على ملَّته، واسلك بنا سبله، واستعملنا بسنَّته غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدِّلين، إنَّك أرحم الراحمين**».

خامسًا: تسبيحات الزَّهراء عليها السلام: لـمَّا كانت الزَّهراء عليها السلام قد لاقت ما لاقته من مشقَّة العمل في المنزل، فاقترح عليها الإمام عليّ عليه السلام أن تطلب خادمة من أبيها صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة الزَّهراء عليها السلام: أفلا أدلُّك يا فاطمة على ما هو خير لك من الخادمة في الدنيا؟ قالت: بلى يا رسول الله. فعلَّمها الرسول صلى الله عليه وآله هذا التسبيح المعروف بتسبيح فاطمة عليها السلام، وهو ذكر «اللهّ أكبر» أربع وثلاثين مرَّة، ثمَّ «الحمد لله» ثلاث وثلاثين مرَّة، ثمَّ «سبحان الله» ثلاث و ثلاثين مرة[2]. وذكر الإمامَين الباقر والصادق عليهما السلام: **ما عُبِد الله بشيء أفضل من تسبيح أمِّنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة، إذ يقول نبيّ الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «يَا فاطمةَ، إذا أخذتِ مَضجعَكِ من اللَّيل فَكَبِّري الله أربعًا وثلاثين، واحمديهِ ثلاثًا وثلاثينَ، وسَبِّحي الله ثلاثًا وثلاثين. فَذلِكَ مِائَة هي أثقل في الميزانِ مِن جَبَلِ أُحُد ذَهَبًا»**. ويؤكِّد الإمامان عليهما السلام أنَّ تسبيح فاطمة

(١) السيف، شيخ فوزي، محاضرة بعنوان: عبادة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، على الموقع الإلكترونيّ: www./http://www.al-saif.net/?act=av&action=view&id=2083.

(٢) الخوئينيّ، إسماعيل الأنصاريّ الزنجانيّ، المصدر السابق، ص١٤٧.

الزَّهراء عليها السلام في كلِّ يوم دبر كلِّ صلاة قبل أن يبسط المصلِّي رجليه، أحبُّ من صلاة ألف ركعة في كلِّ يوم، والدوام عليها يوجب السعادة ورضا الله، ويبعد الإنسان عن الشقاء وسوء العاقبة، ويوجب له الله الجنَّة وتُطرَد من بيته الشياطين[1]. كما ذكرت بعض الروايات[2] عن أهل البيت عليهم السلام أنَّه إذا كانت لك حاجة إلى الله وضقت بها ذرعًا، فصلِّ ركعَتَين، فإذا سلمت كبِّر ثلاثًا وسبح تسبيح فاطمة عليها السلام ثمَّ اسجد وقل مائة مرَّة: «يا مولاتي فاطمة أغيثيني»، ثمَّ ضع خدَّك الأيمن على الأرض وقل كذلك، ثمَّ ضع خدَّك الأيسر على الأرض وقل كذلك، ثمَّ عُد إلى السجود وقل كذلك مائة مرَّة وعشر مرَّات، واذكر حاجتك، ستقضى بإذن الله.

فصنعت الزَّهراء عليها السلام سبحة ليتسنَّى لها التسبيح بها متى شاءت، إذ يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ فاطمة عليها السلام كانت سبحتها من خيط صوف مفتَّل معقود عليه عدد التكبيرات، وكانت عليها السلام تديرها بيدها تكبِّر وتحمد وتسبِّح حتَّى استشهد الحمزة بن عبد المطلَّب رضي الله عنهما، فاستعملت تربته وعملت التسابيح، فاستعملها الناس، فلمَّا استشهد الحسين عليه السلام، عدل بالأمر بتربته من كربلاء[3].

سادسًا: بيان فاطمة عليها السلام: يقول محمود بن الوليد: لـمَّا توفِّي رسول الله صلى الله عليه وآله كانت فاطمة عليها السلام تأتي قبور الشهداء، وتأتي قبر حمزة وتبكي.. قلتُ: يا سيِّدة النسوان! واللهِ قد قطَّعتِ نياط قلبي من بكائك. فقالت: **يا أبا عمرو! لحقٌّ لي البكاء، فلقد أُصبت بخير الآباء رسول الله، وا شوقاه إلى رسول الله** صلى الله عليه وآله. قلتُ: هل نصَّ رسول الله على عليٍّ بالإمامة؟ قالت: **وا عجبًا! أنسيتم يوم غدير خم**؟ قلت: قد كان ذلك، لكن أخبريني

(١) الحرُّ العامليّ، ١٩٨٣، وسائل الشيعة، الجزء الرابع، تحقيق الشيخ عبد الرحيم الربَّانيّ الشيرازيّ، مطبعة دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ص١٠٢٤.

(٢) العلَّامة المجلسيّ، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، ١٩٨٣، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمَّة الأخيار، الجزء (٩٩)، المصدر السابق، ص٢٥٤.

(٣) القزوينيّ، السيِّد محمَّد كاظم، فاطمة الزَّهراء من المهدِ إلى اللحدِ، المصدر السابق، ص١٧٠.

بما أشير إليك. قالت: **أُشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: عليّ خير من أخلِّفه فيكم، وهو الإمام والخليفة بعدي، وسبطاي وتسعة من صلب الحسين أئمَّة أبرار، لئن اتَّبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة.** قلت: يا سيِّدتي! فما باله قعد عن حقِّه؟ قالت: **يا أبا عمرو لقد قال الرسول صلى الله عليه وآله: مثل الإمام مثل الكعبة؛ إذ تُؤتى ولا تأتي.** وقالت: **أما والله لو تركوا الحقَّ على أهله واتَّبعوا عترة نبيِّه، لما اختلف في الله اثنان، ولورثها سلف عن سلف، وخلف بعد خلف، حتَّى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين**[1].

سابعًا: لوح فاطمة عليها السلام: هذا اللوح جاء به جبرائيل وقدَّمه لفاطمة عليها السلام من قبل الباري عزّ وجلّ. وهو لوح فيه أسماء الأئمَّة الإثنى عشر عليهم السلام، مع ذكر أسماء آبائهم و أمَّهاتهم. وهو لوح أخضر من زمرد، وكتابته بيضاء أشدُّ نورًا من الشمس، ورائحته أطيب من المسك. وقد رأى جابر هذا اللوح بيد فاطمة عليها السلام، فقرأه واستنسخه، ثمَّ عرض ذلك على الإمام الباقر عليه السلام[2].

ويروي الشيخ الصدوق في كتابه (كمال الدين) عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، جاء فيه: «.. فقال جابر: أشهد بالله أنِّي دخلت على فاطمة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله لأهنِّئها بولادة الحسين عليه السلام، فرأيت في يدها لوحًا أخضر ظننت أنَّه زمرد، ورأيت فيه كتابًا أبيض أشبه بنور الشمس، فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذا اللوح؟ فقالت عليها السلام: **هذا اللوح أهداه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني وأسماء الأوصياء من وُلدي، فأعطانيه أبي ليبشِّرني بذلك،** قال جابر: فأعطتنيه فاطمة عليها السلام، فقرأتُه وانتسختُه.. وهذا نصُّه[3]:

(١) العلَّامة المجلسي، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، بحار الأنوار، الجزء (٣٦)، المصدر السابق، ص٣٥٢.

(٢) الخوئينيّ، إسماعيل الأنصاريّ الزنجانيّ، المصدر السابق، ص١٥٠.

(٣) الشيخ الكلينيّ، أبي جعفر محمَّد بن يعقوب، الكافي، الجزء الخامس، المصدر السابق، ص٨.

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم إلى محمَّد نوره وسفيره وحجابه.. إنِّي لم أبعث نبيًّا فأكملتُ أيَّامه وانقضت مدَّته إلَّا جعلتُ له وصيًّا؛ وإنِّي فضَّلتك على الأنبياء، وفضَّلت وصيَّك على الأوصياء، وأكرمتك بشِبلَيك بعده وسبطيك حسن وحسين، فجعلت حسنًا معدن علمي بعد انقضاء مدَّة أبيه، وجعلت حسينًا خازن وحيي وأكرمته بالشهادة.. بعترته أُثيب وأعاقب، أوَّلهم (عليّ) سيِّد العابدين، وابنه شبيه جدِّه المحمود محمَّد الباقر لعلمي.. سيهلك المرتابون في جعفر.. وانتجبت بعده موسى.. إنَّ المكذِّب بالثامن مكذِّب بجميع أوليائي.. حقَّ القول منِّي لأقرنَّ عينه بمحمَّد ابنه وخليفته من بعده.. وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليِّه وناصري.. وأُخرج منه الداعي إلى سبيلي، والخازن لعلمي الحسن، ثمَّ أُكمِل ذلك بابنه رحمةً للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيُّوب هو الإمام المهدي المنتظر».

ثامنًا: صلاة فاطمة عليها السلام: هي تلك الصلاة التي علَّمها إيَّاها جبرائيل عليه السلام، وهي أربع ركعات مثل صلاة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، تقرأ في كلِّ ركعة بَعد الفاتِحة سورة الإخلاص خمسون مرَّة، وإذا سلَّمت تقرأ تسبيحات الزَّهراء المائة، ثمَّ تقول هذا الدعاء «**سُبحانَ ذِي الْعِزِّ الشّامِخِ الْمُنيفِ، سُبحانَ ذِي الجَلالِ الْباذِخِ الْعَظيمِ، سُبحانَ ذِي الْمُلْكِ الْفاخِرِ الْقَديمِ، سُبحانَ مَنْ لَبِسَ الْبَهْجَةَ وَالجَمالَ، سُبحانَ مَنْ تَرَدّى بِالنُّورِ وَالْوَقارِ، سُبحانَ مَنْ يَرى اَثَرَ النَّمْلِ فى الصَّفا، سُبحانَ مَنْ يَرى وَقْعَ الطَّيْرِ فِي الْهَواءِ سُبحانَ مَنْ هُوَ هكَذا لا هكَذا غَيْرُهُ**»[1]. بيد أنَّ الشيخ عبَّاس القمِّيّ يذكر في كتابه (مفاتيح الحنان)[2] أنَّه كان لفاطمة عليها السلام صلاة تصلِّيها من ركعَتَين علَّمها إيَّاها جبرائيل عليه السلام، تقرأ في الركعة الأولى بعد فاتحة الكتاب سورة القدر مائة مرَّة، وفي الركعة الثانية تقرأ بعد فاتحة الكتاب سورة

(١) الشيخ الطوسيّ، أبي جعفر محمَّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن، ١٩٩١، مصباح المتهجِّد، مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان، ص٦٧١.

(٢) القمِّيّ، الشيخ عبَّاس بن محمَّد رضا، ٢٠٠٧، مفاتيح الجنان، الطبعة الثانية، مؤسَّسة التاريخ العربيّ للطباعة، بيروت، لبنان.

التوحيد مائة مرَّة، وبعد أن تسلِّم تقرأ الدعاء «**سبحان ذي العزِّ الشامخ.. سبحان من هو هكذا لا هكذا غيره**».

تاسعًا: الصحيفة الفاطميَّة: لقد جمعت أدعية الصديقة الزَّهراء عليها السلام في كتابة بعنوان (الصحيفة الفاطميَّة الجامعة لأدعية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام وشبليها الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام)، من قِبَل السيِّد محمَّد باقر الموحِّد الأبطحيّ، محاولًا أن يتتبَّع كلَّ ما هو معروف ومشهور من أدعية للزَّهراء عليها السلام وولديها الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام. ومن مطالعة هذه الصحيفة الغرَّاء فإنَّها جامعة شاملة، تحوي أدعية الأيَّام الخاصة بالصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام، وأدعية في طلب الحوائج، وأدعية الاستغاثة بالزَّهراء عليها السلام، وهناك أدعية في المناجاة والتضرُّع والتوسُّل إلى الله عزَّ وجلَّ، وتحتوي أيضًا على دعاء طويل ومفصَّل للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في كيفيَّة الصلاة على النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، فضلًا عن الزيارات المخصوصة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وولديها الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

عاشرًا: مسند فاطمة عليها السلام: المسند هو كتاب مختص بجمع الروايات والكلمات والخطب والأحاديث التي قالتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام خلال حياتها، وقد ظهرت عدَّة مساند للسيِّد الزَّهراء عليها السلام كمسند الشيخ عزيز الله العطارديّ، ومسند السيِّد حسين شيخ الإسلاميّ التويسركانيّ[2]، والأخير يعدُّ الأشمل والأكثر تمثيلًا لعلوم السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ضمَّ المسند عدَّة أبواب، كُرِّست عن حياة السيِّدة الزَّهراء وفضائلها ومناقبها، وما عانته مع والدها رسول الله من كفَّار قريش، وما جرى عليها بعد

(١) الموحد الأبطحيّ، السيِّد محمَّد باقر ابن السيِّد مرتضى، ١٤٢١هـ، الصحيفة الفاطميَّة الجامعة لأدعية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام وشبليها الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، الطبعة الأولى، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي، قم المقدَّسة، إيران.

(٢) التويسركانّي، السيِّد حسين شيخ الإسلامي، ١٩٩٢، مسند فاطمة الزَّهراء، الطبعة الأولى، دار الصفوة، لبنان.

وفاة والدها رسول الله صلى الله عليه وآله، كما خُصِّص جانب من المسند للروايات الـواردة عن الزَّهراء عليها السلام الخاصَّة بالأحكام والتفسير، كذلك ركَّز المسند على الروايات التي تناولت خطب الزَّهراء عليها السلام، وما تداولته من أحاديث للرسول صلى الله عليه وآله، وتفسير لآيات القرآن الكريم.

المبحث الثالث

المنهج التربويّ في فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

يعدُّ الجانب العباديّ العنصر الرئيس في بناء الشخصيَّة الإنسانيَّة التربويَة، فالعبادة وفق منظور الفقه الإسلاميّ تعني مجموعة الشعائر الدينيَّة التي يؤدِّيها العبد تجاه الله عزّ وجلّ حبًّا في رضاه، وخوفًا من غضبه، وطمعًا في جنَّته، وبُعدًا عن عذاب ناره، وهذه الشعائر هي الصلاة والصوم والحج والزَّكاة والخمس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وغيرها من الأحكام والتكاليف الشرعيَّة التي يجب المواظبة على إتيانها بالصورة التي يكون فيها العبد قاصدًا لها بكلِّ جوارحه، وخاشعًا متذلِّلًا لخالقه. إذ يقول الزمخشريّ[1]: «إنَّ العبادة لا تكون لغير الله تعالى، فهي أقصى غاية الخضوع والتذلُّل، ولذلك لا تستعمل كلمة العبادة إلَّا في الخضوع لله تعالى، لأنَّه مولى أعظم النِّعم، فكان حقيقًا أن يكون العبد بأقصى غاية الخضوع لله. وجاء في الحديث القدسيّ: **إنَّ العبد ليتقرَّب إلى الله بالنوافل اليوميَّة، حتَّى إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته**»[2]

إنَّ للعبادة دورٌ مهمٌّ في الجوانب التربويَّة من حياة السيِّدة فاطمة عليها السلام، واحتلَّ مكانةً في غاية الأهميَّة لبناء الشخصيَّة الإسلاميَّة المحترمة، وهو ما تبيَّنت ملامحهُ من

(١) الزمخشريّ، محمود بن عمر، ١٩٦٦، الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الجزء الأوَّل، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ص١٠.

(٢) الشيخ الكلينيّ، ثقة الإسلام أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق، ١٣٦٣هـ، الكافي، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص٣٥٢.

الأركان العباديَّة لحياتها مع أهل بيتها عليهم السلام. إذ إنَّ السلوك العباديّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام يعبِّر عن مدى اهتمامها بالارتباط المباشر بالله عزَّ وجلَّ ومناجاته والاختلاء به. فمن الجليِّ أنَّ أهل البيت عليهم السلام قد أدَّبهم الله تعالى وأحسن تربيتهم واختارهم عن دون خلقه؛ ليكون بيتهم مهبط وحيه وحفظ سرِّه ونشر رسالته، فضلًا عن أنَّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يربُّون ويؤدِّبون أولادهم وذويهم من منظور ربَّانيّ بما علَّمهم به الله جلَّ في علاه وأدَّبهم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت فاطمة عليها السلام أمَّا لأبيها في الرعاية والاهتمام وبرِّ الوالدين، وكانت تتأدَّب بآداب رسول الله عليه السلام، وتنهل منه صلى الله عليه وآله مكارم الأخلاق وأصول الدين وحفظ القرآن والحديث والتربية والعلم، وكذلك الحال لأمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: **أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**، كما أنَّ الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام قد تأدَّبا بآداب جدِّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وآداب أبيهم الوصيّ الإمام عليّ عليه السلام، وآداب أمِّهم الزَّهراء فاطمة عليها السلام، فكانا عليهما السلام نعمَ الأسباط. وقد قال فيهم جدُّهم رسول الله صلى الله عليه وآله: **الحسن والحسين إمامان أن قاما أو قعدا، وأبوهم خير الرجال، وأمُّهم خير النساء**[1].

وبهذا يعدُّ المنهج التربويّ للزَّهراء عليها السلام إطارًا لمفهوم التربية الإسلاميَّة التي عُرفت بأنَّها أوَّل وأهمّ أركان تربية الإنسان؛ لأنَّها تنمِّي جميع جوانب الشخصيَّة الإسلاميَّة الفكريَّة والعاطفيَّة والجسديَّة والاجتماعية، وتنظِّم سلوكها الأخلاقيّ ومدركاتها الحـ

أساس من مبادئ وتعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف، بغرض تحقيق أهداف الإسلام في شتَّى مجالات الحياة[2].

لقد اتَّجه منهج الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام باتِّجاهين متناظرين، يكمل أحداهما الآخر، الأوَّل كان بتركيز اهتمام الزَّهراء عليها السلام في تنمية الجوانب الدينيَّة والعباديَّة في تربية أولادها عليهم السلام منذ الصِّغر، وخاصة الالتزام بأداء الفروض الدينية وحفظ القرآن

(١) ابن شهرآشوب المازندرانيّ، المناقب، ج٣، المصدر السابق، ص١٦٣.

(٢) إبراهيم، صبحي طه رشيد، ١٩٨٣، التربية الإسلاميَّة وأساليب تدريسها، الطبعة الأولى، دار الأرقم للطباعة والنشر، عمَّان، الأردن، ص٩.

وحفظ أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، لكي يهيَّئوا إدراكيًّا، ويعدُّوا نفسيًّا لاكتساب المعارف الأخرى في الجانب الآخر المتمثِّل بالتربية العلميَّة، إذ أنصبَّ اهتمام الزَّهراء عليها السلام بتوفير القاعدة الدينيَّة التي من خلالها يكون الأساس في بناء الشخصيَّة المتَّزنة والناضجة، عبر التفكُّر بآيات القرآن الكريم، وتفسير معانيه، واكتساب المعارف الأخرى في الفنون الأدبيَّة، ولغة الخطابة والشعر، ناهيك عن العلوم الطبيعيَّة وأهميَّتها في بناء التفكُّر الذهنيّ.

إنَّ التربية الدينيَّة والتربيَّة العلمية في فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تمثِّلان ركيزتَين تعبِّران عن توليفة تربويَّة معدَّة لبناء الشخصيَّة الإسلاميَّة الفاضلة والقادرة على التفاعل بإيجابيَّة مع جميع متغيِّرات الحياة، وهذا ما تمَّ لمسه من مكانة الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام في المجتمع الإسلاميّ، ودورهما في الحفاظ على المنطلقات الرئيسة للدين الإسلاميّ والرسالة المحمَّديَّة. ويمكن عرض هذين الجانبين من الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام كما يلي:

أوَّلًا: التربية الدينيَّة عند الزَّهراء عليها السلام: لقد أدركت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام منذ نعومة أظفارها مدى أهميَّة القرآن الكريم في بناء الشخصيَّة الإنسانيَّة، ومدى أهميَّة النصوص القرآنيَّة في ذلك، كون الآيات حافلة بالنهج البنائيّ للإنسان، ودورها المميَّز في تكوين الشخصيَّة المتَّزنة، ودور الأسرة الإيمانيّ في الحثِّ على استخلاص المعاني العباديَّة، وغرس القيم والعقائد الربَّانيَّة في بنية الإنسان كي يكون متحصِّنًا دينيًّا، فالعناية القرآنيَّة في بناء فكر الإنسان تبدأ منذ مرحلة الطفولة داخل الأُسرة، وهذه المرحلة التي فيها تُشكَّل اللَبنات الأولى للذات والشخصيَّة، فالتربية الدينيَّة تعرَّف بأنَّها: «النشاط الفرديّ والاجتماعيّ الهادف إلى تنشئة الإنسان منذ الصغر فكريًّا وعقليًّا ووجدانيًّا وحسِّيًّا وجماليًّا وخُلقيًّا، وتزويده بالمعارف والاتِّجاهات والقيم والخبرات اللَّازمة لنموِّه نموًّا سليمًا طبقًا لأهداف الدين الإسلاميّ»[1]. وتُترجم لنا السنَّة النبويَّة هذا المحتوى

(١) أبو العينين، عليّ خليل مصطفى، ١٩٩٦، منهجيَّة البحث في التربية الإسلاميَّة، دار=

القرآنيّ التربويَّ، وتؤكِّد على أنَّ التربية الصالحة حقٌّ للولد على الوالد أو الوالدة، وقد رُوي عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام أنَّه قال: **جاء رجل إلى النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، ما حقُّ ابني هذا عليَّ ووالدته؟ قال صلى الله عليه وآله: أن تحسنا اسمه وأدبه، وأن تضعاه موضعًا حسنًا**[1]. ومن هنا كرَّست السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حياتها في التعبُّد والتهجُّد والدعاء وقراءة القرآن وتعليمها لأولادها عليهم السلام في الليالي، حتَّى وُصِفت بأعبد الناس، إذ نهلت من والديها التربية الدينيَّة والخلق الحسن، فعلَّمها رسول الله صلى الله عليه وآله جميع العبادات الواجبة والمستحبَّة، وقامت عليها السلام بنقل ذلك إلى ذريَّتها، فكانت تضع العبادات وأحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله بين ثنايا أسلوبها التربويّ لهم[2]، فمثلا قبل النوم تعلِّمهم ما قاله لها والدها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من أعمال أربعة يقومون بها، وهي «قراءة سورة التوحيد ثلاث مرَّات فكأنَّما خُتموا القرآن، وأن يصلُّون على النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى الأنبياء قبله، فيكونوا شفعاءهم يوم القيامة، وأن يستغفروا لجميع المؤمنين والمؤمنات فيرضوا عنهم جميعًا، وأن يقولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر فكأنَّما حجَّجتم واعتمرتم»[3]. كما حرصت الزَّهراء عليها السلام في تربيتها لأبنائها على تعليم تفسير القرآن والتفكُّر بآياته وتعلُّم معانيه؛ ليسهل عليهم حفظ قراءة القرآن منذ الصغر، مع الاستمرار في التحاور والمناقشة فيما بينهم، وإبداء الآراء، فالحفظ من وجهة نظرها عليها السلام يكون أمرًا ميسَّرًا إذا تمَّ أوَّلًا عبر فهم آيات القرآن واستساغة معانيه، فالقرآن الكريم عند الزَّهراء عليها السلام عماد العلم والنور والإيمان بالله واليوم الآخر؛ لأنَّه يحوي مختلف تفاصيل الحياة التي

=الفكر العربيّ، القاهرة، ص١١٠.

(١) الشيخ الكلينيّ، ثقة الإسلام أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق، ١٣٦٣هـ، الكافي، ج٦، المصدر السابق، ص٤٨.

(٢) ابن شهرآشوب المازندرانيّ، المناقب، ج٣، مصدر سابق، ص٣٤١.

(٣) البحرانيّ الأصفهانيّ، الشيخ عبد الله بن نور الله، ١٤٠٧هـ، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، ج١١، الطبعة الأولى، مؤسَّسة الإمام المهدي للطباعة، قم المقدَّسة، إيران، ص٨٥٧.

يجب الاهتداء إليها واستحضارها، وفي ذلك يقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**أنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسّكتم بهما لن تضلُّوا من بعدي، وقد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يَردا عليَّ الحوض**»(١)، وهذا ما يبرر العلاقة الوثيقة بين كتاب الله المجيد والزّهراء عليها السلام، فالسيِّدة الزّهراء هي المحور الذي يدور بفلكه عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ يقول الإمام أبو محمّد الحسن العسكريّ عليه السلام: «**نحن حجج الله على الخلق، وجدّتنا فاطمة هي حجّة الله علينا**»(٢).

وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير الآيتين (١٩، ٢٢) من سورة الرحمن قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، قال: **إنّهما عليّ وفاطمة، فهما البحران العميقان في العلم**، ثمَّ قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ **هما الحسن والحسين** عليهما السلام(٣). كما بيَّنت عليها السلام أهميَّة احترام الوقت وأداء الفروض العباديَّة بأوقاتها دون أيِّ تأخير، وضرورة معرفة أوقات استجابة الدعاء، والالتزام بالأمانة، وحفظ العهد، وعدم مخالفة الوعد بما يرضي الله عزّ وجلّ. كما جعلتهم يتأسَّون بجدِّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبيهم أمير المؤمنين عليه السلام في اعتبار العمل عبادة، والعمل شرف يصون فيه الإنسان كرامته عن التذلُّل للبشر وطلب الحاجة.

كما أنَّ التربية الإسلاميَّة في منهج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام يعدُّ أنموذجًا مفعمًا بالحبِّ والودِّ والحنان ودماثة الخلق وطيب النَّفس، ويحمل أسلوب الأُلفة والرقَّة في التعامل الذي اكتسبته الزهراء عليها السلام من طيبة ومحبَّة والدها رسول الله صلى الله عليه وآله، وعدم استخدام أسلوب الشدَّة والخشونة في التربية، وبخاصة التعامل مع الأولاد في بداية المراحل الأولى للتربية والتعليم. وهكذا فإنَّ المنهج العباديّ في التربية الإسلاميَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام يمكن

(١) المسعوديّ، الشيخ محمَّد فاضل، الأسرار الفاطميَّة، المصدر السابق، ص٣٠٧.
(٢) المسعودي، المصدر نفسه، ص٤١٠.
(٣) العلَّامة المجلسيّ، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، بحار الأنوار، ج٤٣، المصدر السابق، ص٣٢.

تلخيصه بالنقاط الآتية[1]:

- أن تكون التربية محاطة بالحبِّ والودِّ والمعاملة الميسَّرة ومكلَّلة بالفرح والسرور.
- أن أشبع أطفالي ومنزلي بالحنان والألفة، وأبيِّن لهم محبَّتي من خلال سلوكيَّاتي معهم.
- أن أحافظ على مشاعر أطفالي وأحرص على أن لا يتأذّوا عاطفيًّا وأن أقدِّر عملهم وإنجازاتهم.
- أن أبتعد عن التوجيه المباشر للأبناء في المسائل العباديَّة، واعتمد التمهيد في كلِّ شيء.
- أن تكون سلوكيَّاتي قابلة لأن تشكِّل أنموذجًا وقدوة صالحة للأولاد في النظام والنظافة.
- أن يكون مضمون تربيتي قائمًا على القيم الحقَّة التي نادى بها الدين، كالعبادة والارتباط بالله.
- أن تكون قيمة الارتباط بالله هي سيِّدة القيم التي أربِّي أولادي، وأحثهم على التمسُّك بها عمليًّا.
- أن يكون لقيمة العبادة مكانةٌ مهمَّة في حياتي، حتَّى تشكِّل قيمة بارزة يمكن للأولاد أن يتبنّوها.
- أن يكون للوقت قيمة هامَّة ومحترمة وبارزة في حياة الأسرة لتشكِّل أرضيَّة للالتزام بحياتهم.

ثانيًا: التربية العلميَّة عند الزَّهراء عليها السلام: لقد أوْلت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام للجوانب العلميَّة في أنموذجها التربويّ اهتمامًا بالغًا أتحفت به أولادها في تربيتهم، كون العلم

(١) مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ٢٠١٨م/ ١٤٣٨هـ، السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة وأسوة، دار المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، طهران، ص١٠٢.

أضحى فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة، كما قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فكانت عليها السلام المربِّية والمعلِّمة الفاضلة لهم في شتَّى صنوف المعارف الإنسانيَّة، فمع القيم الاعتباريَّة في السلوك التربويّ والعباديّ اهتمَّت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بالجوانب العلميَّة لتكون مكمِّلًا لمنهجها التربويّ الإسلاميّ في خلق الشخصيَّة القياديَّة للمجتمع، باعتبارهم أهل بيت النبوَّة، وهم القدوة الحسنة لجميع البشر، فكانت عليها السلام تعطي اهتمامًا كبيرًا لتعلُّم قواعد وفنون اللغة والأدب والخطابة والشعر وفصاحة اللسان، فضلًا عن العلوم الطبيعيَّة الأخرى، وقد تجلَّى المنهج العلميّ لسيِّدتنا الزَّهراء عليها السلام في علاقتها الطيِّبة والودودة مع الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام، حينما كانت تناغيهما في طفولتهما لتقوية مدركاتهم الحسيَّة، فكانت تؤثِّر في نموِّهما اللغويّ والعاطفيّ، فتناغي الإمام الحسن عليه السلام وتقول له:

«إشبه أباك يا حسن
واخلع عن الحقِّ الرسن
واعبد إلهًا ذا منن
ولا توال ذا الأحن»[1]

وجاء في الرواية أنَّ الله عزَّ وجلَّ أعطى عشرة أمور لعشْر من النساء، أعطى التوبة لحوَّاء زوجة آدم، والجمال لسارة زوجة إبراهيم، والحفاظ الرحيمة زوجة أيُّوب، والرِّضا لخديجة عليها السلام زوجة المصطفى صلى الله عليه وآله، والعلم لفاطمة عليها السلام زوجة المرتضى عليه السلام[2]. فعلم السيِّدة فاطمة عليها السلام هو هبة إلهيَّة وهديَّة ربَّانيَّة كرَّم بها الله سيِّدة نساء العالمين، ولو كان هناك ما هو أشرف وأرفع وأجلُّ من العلم لكان من نصيب السيِّدة فاطمة عليها السلام، فهي المفضَّلة على الخلائق أجمعين، والمتقدِّمة عليهم بقربها من الله عزَّ وجلَّ، فلو كان شيء في الوجود أعظم عند الله من العلم لرزقها إيَّاه عزَّ وجلَّ. كذلك فقد جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام

(١) الحسينيّ، محسن الأمين، ١٤٠٣هـ، أعيان الشيعة، الجزء الأوَّل، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ص٥٦٣.

(٢) ابن شهرآشوب المازندرانيّ، المناقب، ج٣، المصدر السابق، ص٣٢١.

«أَنَّه لَـمَّا وُلِدَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام أَوْحَى اللهُ إِلَى مَلَكٍ فَأَنْطَقَ بِهِ لِسَانَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَسَمَّاهَا فَاطِمَةَ ثُمَّ قَالَ: **إِنِّي فَطَمْتُكِ بِالْعِلْمِ وَفَطَمْتُكِ مِنَ الطَّمْثِ**»[1]. فهذا الحديث دليلًا مؤكَّدًا على تكامل العلوم لدى الزَّهراء عليها السلام، وأنَّها قد استوفت على كامل مراتب العلم وأسراره، وهذا الكمال الذي حصل لها في العلم قد تمَّ في أوَّل لحظةٍ من ولادتها، كما هو واضح من الرواية، وهذا يعني أنَّ الزَّهراء عليها السلام عالمة عليمة متعلِّمة ومعلِّمة بما أتحفها الله به ونبيُّه صلى الله عليه وآله منذ أوَّل يومٍ من حياتها، وهو من خفايا الأسرار التي خصَّها الله لمحمَّد صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام.

إنَّ المنهج العلميّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام نابعٌ من علم اليقين هو أعلى مراتب العلم الربَّانيّ الذي بلغته عليها السلام، إذ ينشطر هذا العلم باتِّجاهين هما (عَين اليقين)، و(حقُّ اليقين)، كما في قوله تعالى من سورة التكاثر (الآيات ٥-٧): ﴿**كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ**﴾، فعند تتبُّع سيرة الزَّهراء عليها السلام نجدها قد وصلت إلى المرتبة العليا من مراتب هذا العلم، وهي مرتبة (حقِّ اليقين)، وإنَّ الشواهد في هذا الصدد كثيرة ومعتبرة، وصلت حدَّ الاستفاضة، إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ ابنتي فاطمة ملأ اللهُ قلبها وجوارحها إيمانًا ويقينًا**..»[2]. كما شكَّلت الخطب التي ألْقتها الزَّهراء عليها السلام في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله، وعلى نساء المهاجرين والأنصار أنموذجًا فذًّا لغزارة علمها عليها السلام، وخير شاهد على سموِّ معارفها الربَّانيَّة ورفعة مدركاتها الحسيَّة وغزارة إيمانها، فقد كانت خطبًا حافلة بفصاحة اللسان وبلاغة اللغة ودقَّة المعنى والعمق وقوَّة الشخصيَّة والورع في الإحاطة بأسلوب المحاورة والتفصيل والبيان لمعالم الدين والقرآن بما لا نظير له، وقد عكف الكثير من العلماء على شرح تلك الخطب[3].

(١) الشيخ الكلينيّ، أبي جعفر محمَّد بن يعقوب، الكافي، ج١، المصدر السابق، ص٤٦٠.

(٢) العلَّامة المجلسيّ، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، بحار الأنوار، ج٤٣، المصدر السابق، ص٢٩.

(٣) مركز المعارف للتأليف والتحقيق، المصدر السابق، ص١٤٢.

كما أنَّ مصحف السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام يعدُّ من أهمِّ النفائس العلميَّة التي تركتها لأهل بيتها، وأبلغ دليل على إمكانيَّة اتِّصالها بالعوالم الغيبيَّة واستنزال العلوم والمعارف، كما كان يفعل الأنبياء عليهم السلام، وهو مجموع ما أخبرها به جبرائيل عليه السلام لـمَّا كان يتنزَّل عليها بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، وكان الإمام عليّ عليه السلام يدوِّن ذلك، إذ كان مصحفًا يحمل أهمَّ الكنوز العلميَّة التي تركتها عليها السلام، فمصحفها هذا الذي هو مجموع ما أخبرها به جبرائيل عليه السلام لـمَّا كان يتنزَّل عليها بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، يخبرها بأحوال أبيها وأحوال شيعتها، وما يجري من بعدها، ويروى أنَّ ذلك المصحف تناقل عبر الأئمَّة المعصومين حتَّى وصل إلى الإمام المنتظر محمَّد بن الحسن العسكريّ قائم آل محمَّد عجل الله فرجه الشريف، وسيظهر بظهوره المبارك بإذن الله[1]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: « **لقد أعطيتُ زوجتي فاطمة الزَّهراء مصحفًا فيه من العلم ما لم يسبقها إليه أحد، خاصَّةً من الله ورسوله**»[2].

أمَّا في سياق أسلوبها التربويّ، ونقلها لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، يروى أنَّها قالت عليها السلام: «**سَمِعْتُ أَبِي صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «إِنَّ عُلَمَاءَ شِيعَتِنَا يُحْشَرُونَ فَيُخْلَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ خِلَعِ الْكَرَامَاتِ عَلَى قَدْرِ كَثْرَةِ عُلُومِهِمْ وَجِدِّهِمْ فِي إِرْشَادِ عِبَادِ اللهِ حَتَّى يُخْلَعُ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَلْفُ أَلْفِ حُلَّةٍ مِنْ نُورٍ**»[3]. وبهذا الصدد يقول الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام «**إنَّ تذاكر العلم دراسة، وإنَّ الدراسة صلاة حسنة.** ثمَّ قال عليه السلام: نحن آل بيت محمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله الراسخون في العلم الذين ذكرهم الله في كتابه الحكيم، وزكاة العلم عندنا أن نعلم عباد الله تأويله[4]. وهكذا فأن المنهج العلمي في الفكر التربوي للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

(١) الشيخ الكلينيّ، أبي جعفر محمَّد بن يعقوب، الكافي، ج١، المصدر السابق، ص٢٤١.
(٢) الصفَّار القمي، الشيخ جعفر بن محمَّد بن الحسن، ١٤٠٤هـ، بصائر الدرجات في فضائل آل محمَّد، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، إيران، ص٢٢٠.
(٣) العلَّامة المجلسيّ، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، بحار الأنوار، ج٢٦، المصدر السابق، ص٣.
(٤) الشيخ الكلينيّ، أبي جعفر محمَّد بن يعقوب، الكافي، ج١، المصدر السابق، ص٤١.

يمكن استدلاله ممَّا يأتي[1]:

- إنَّ للعلم قيمة عليا، وللتعلُّم أهميَّة كبيرة ومكانة مهمَّة في السلوك التربويّ للإنسان.
- السعي وبذل الجهود الحثيثة في اكتساب المعرفة العلميَّة دومًا، والمحافظة على ما تعلَّمته.
- الاهتمام بتزكية العلم من خلال إنفاقه، وتبيين معالم الدين الحنيف بحسب فقه آل البيت عليهم السلام.
- الرأفة والحلم في تقديم المعارف العلميَّة للآخرين، فهو باب مفتوح إلى رضا الله عزَّ وجلَّ.

(١) مركز المعارف للتأليف والتحقيق، مصدر سابق، ص١٤١.

الخاتمة والمقترحات

أوَّلًا: الخاتمة

قدَّمت لنا سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا إنسانيًّا فذًّا في التربية الإسلاميَّة قائم على جانبَين، الأوَّل عباديّ يتجسَّد في ضخِّ القيم والمبادئ والأفكار الدينيَّة وأصول الدين وحفظ آيات القرآن والأحاديث الشريفة التي استقتها من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أولادها عليهم السلام منذ نعومة أظفارهم، وهي بذلك تحاكي تجربتها الإيمانية في بيت النبوَّة. أمَّا الثاني فكان الجانب العلميّ المتمثِّل بالتنظيرات والتحليلات العباديَّة وتفسير الآيات واكتساب المعارف العلميَّة التي حباها الله بها، والتي دوَّنها أمير المؤمنين عليه السلام في مصحفها الذي أنزله جبرائيل عليه السلام عليها بعد وفاة والدها النبيّ صلى الله عليه وآله في السنة الحادية عشر للهجرة، إذ حوى مصحف فاطمة علوم ما كان وعلوم ما يكون وما ستجري من أحداث دنيويَّة ومسبِّباتها، وما سيحل بوِلدِها عليهم السلام من عداء وويلات وظلامات، وأنَّ هذا المصحف تمَّ تداوله بين الأئمَّة الأطهار حتَّى وصل إلى الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام، وسيظهر المصحف بظهور الحجَّة قائم آل محمَّد صلَّى الله عليهم أجمعين. ومن هذَين الجانبَين يتبيَّن أنَّ المنهج التربويّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قد اشتمل على ثلاثة مضامين، دينيَّة وأخلاقيَّة وعلميَّة، وبذلك يتأكَّد لنا تحقُّق الفرضيَّة التي انطلقت من الدراسة. وقد خرج البحث بمجموعة من النتائج كان أبرزها ما يأتي:

١. إنَّ الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام يعبِّر عن المنطلقات العباديَّة والإنسانيَّة التي جاءت بها الرسالة المحمَّديَّة للدين الإسلاميّ في خلق مجتمع فاضل يحمل

الهويَّة الإسلاميَّة ذات الأبعاد الإنسانيَّة في الإيمان بالله ورسوله ومواجهة الأفكار المتطرِّفة التي تحاول طمس حضارتنا الدينيَّة.

٢. إنَّ الفكر التربويّ الفذ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام يتمثَّل بمخرجاتها التربويَّة التي غرستها في أولادها الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام، وابنتَيها زينب وأمّ كلثوم عليهما السلام، فكانوا عليهم السلام نعمَ الخلف لخير سلف، تحلت أخلاقهم بأخلاق وصفات الأنبياء بالعلم والحلم والصبر والإيمان والتقوى، فهم الهداة المهديون للبشريَّة جمعاء.

٣. أعطى الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام دلالات فكريَّة يمكن أن تشكِّل منهجًا علميًّا تربويًّا لتنشئة الأجيال عبر منظومة قيميَّة تحمل في طيَّاتها أسلوبًا تنمويًّا محصَّنًا بالإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه، لتكون القاعدة النفسيَّة لدى الفرد في تعزيز الممارسات العباديَّة.

٤. اتَّصف الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام بالحداثة والمرونة في التكييف مع الأساليب التربويَّة المعاصرة، كونه أسلوبًا قائمًا على اللين في التعامل التربويّ وبثّ الحبّ والألفة واحترام الآراء وعدم التشدُّد في تثقيف الجيل، مع بلورة الأفكار والمعلومات بالصورة التي تجعل منها واقعًا معرفيًّا.

ثانيًا المقترحات

من أجل تحقيق الغرض الذي من أجله جاءت الدراسة، يقترح الباحثان ما يأتي:

١. إعادة النظر بالمناهج التربويَّة، وبخاصَّة في المراحل التعليميَّة الأولى، كونها الأساس في تنشئة الأجيال وبنائها الفكريّ، عن طريق تعزيزها بموضوعات التربية الدينيَّة مثل حبِّ الخير والإيثار وحسن الجوار ومساعدة الفقراء واحترام الكبير والعطف على الصغير، فضلًا عن الجوانب العباديَّة الأخرى المتعلِّقة بتعليم الوضوء والصلاة والصيام وغيرها.

٢. تبنِّي أفكار المنهج الفاطميّ في التربية الدينيَّة الذي يستعين بعدَّة ركائز، أوَّلها وأهمُّها القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف والتعاملات الإسلاميَّة الأساسيَّة في الحياة، إذ يعتمد هذا الأسلوب على الشرح والتفسير من أجل الفهم والحفظ ثمَّ التطبيق للقيم والمبادئ الأخلاقيَّة في الواقع الحياتيّ.

٣. إعداد دورات تربويَّة تدريبيَّة وتثقيفيَّة مستمرَّة لتأهيل الكوادر التعليميَّة، وخصوصًا في المراحل الابتدائيَّة، على أساليب التربية الدينيَّة، والتعامل مع طرائق المنهج الفاطميّ، واعتبار ذلك أساسًا في اكتساب المعارف الأخرى، مع التأكيد على إجراء اختبارات من شأنها أن تقيِّم مدى فاعليَّة اجتياز الدورة بنجاح من قبل تلك الكوادر.

٤. ضرورة الاهتمام الإعلاميّ بتسويق السيرة التربويَّة الفذَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام إلى جميع مفاصل المجتمع عبر وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئيَّة، إذ إنَّ المنهج التربويّ الذي قدَّمته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام يعتمد اعتمادًا كبيرًا على الأسرة ودورها الفاعل والمؤثِّر في تأصيل القيم والمبادئ والأخلاق التي جاء بها الدين الإسلاميّ الحنيف.

٥. تدريس أهمِّ الإسهامات العباديَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في مختلف المراحل الدراسيَّة الابتدائية والثانويَّة، والمتمثِّلة بالخطب والأدعية والعبادات في موادِّ الأدب والنصوص والتربية الإسلاميَّة والتربية الأخلاقيَّة، مع ضرورة إتحاف موضوعات سيرة الزَّهراء العباديَّة والتربوية في مجال الرسائل الجامعيَّة للدراسات العليا الماجستير والدكتوراه.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. إبراهيم، صبحي طه رشيد، ١٩٨٣، التربية الإسلاميَّة وأساليب تدريسها، الطبعة الأولى، دار الأرقم للطباعة والنشر، عمَّان، الأردن.

٢. ابن شهرآشوب المازندرانيّ، محمَّد بن عليّ، ١٤٢١هـ، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، قم المقدَّسة، إيران.

٣. ابن ماجة، أبي عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ، سنن أبن ماجة، الجزء الرابع، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربيَّة، بيروت، لبنان.

٤. أبو العينَين، عليّ خليل مصطفى، ١٩٩٦، منهجيَّة البحث في التربية الإسلاميَّة، دار الفكر العربيّ، القاهرة.

٥. الإربـلِّيّ، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، ٢٠١٢، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة عليهم السلام، الجزء الثاني، المجمع العلميّ لأهل البيت، دار التعارف، بيروت، لبنان.

٦. البحرانيّ الأصفهانيّ، الشيخ عبد الله بن نور الله، ١٤٠٧هـ، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، ج١١، الطبعة الأولى، مؤسَّسة الإمام المهدي للطباعة، قم المقدَّسة، إيران.

٧. الترمذيّ، أبو عيسى محمَّد بن عيسى بن سورة، ١٤٣٥هـ، سنن الترمذيّ وهو

الجامع الكبير، الطبعة الأولى، مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، بيروت، لبنان.

٨. التويسركانيّ، السيِّد حسين شيخ الإسلاميّ، ١٩٩٢، مسند فاطمة الزَّهراء، الطبعة الأولى، دار الصفوة، لبنان.

٩. الجزائريّ، السيِّد نعمة الله، ٢٠٠٦، رياض الأبرار في مناقب الأئمَّة الأطهار، الطبعة الأولى، مؤسَّسة التاريخ العربيّ للطباعة والنشر والإعلان، بيروت، لبنان.

١٠. الحسينيّ، محسن الأمين، ١٤٠٣هـ، أعيان الشيعة، الجزء الأوَّل، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١١. الحرُّ العامليّ، ١٩٨٣، وسائل الشيعة، الجزء الرابع، تحقيق الشيخ عبد الرحيم الربَّانيّ الشيرازيّ، مطبعة دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

١٢. الخوئينيّ، إسماعيل الأنصاريّ الزنجانيّ، ١٣٢٩، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء، الجزء الثاني من ولادتها إلى زواجها، الطبعة الثانية، مطبعة نكارش، جمهورية إيران الإسلاميَّة.

١٣. الراونديّ، قطب الدين، هبة الله، أبو الحسين سعيد، ١٤٠٩هـ، الخرائج والجرائح، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، إشراف السيِّد محمَّد باقر الموحِّد الأبطحيّ، تحقيق مؤسَّسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، مؤسَّسة الإمام المهدي، قم المقدَّسة، إيران.

١٤. الزمخشريّ، محمود بن عمر، ١٩٦٦، الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الجزء الأوَّل، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر.

١٥. السيف، شيخ فوزي، محاضرة بعنوان: عبادة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، على الموقع الإلكترونيّ:
www./http://www.al, saif.net/?act=av&action=view&id=2083.
١٦. الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ، ١٤١٧هـ، الأمالي، الطبعة الأولى، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، مركز الطباعة والنشر، بيروت.
١٧. الشيخ الطوسيّ، أبي جعفر محمَّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن، ١٩٩١، مصباح المتهجِّد، مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان.
١٨. الشيخ الكلينيّ، ثقة الإسلام أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق، ١٣٦٣هـ، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاريّ، مطبعة الحيدريّ، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، إيران.
١٩. الطبريّ، محمَّد بن جرير، ١٤١٣هـ، دلائل الإمامة، الطبعة الأولى، مؤسَّسة البعثة، قسم الدراسات الإسلاميَّة، قم المقدَّسة، إيران.
٢٠. الصفَّار القمِّيّ، الشيخ جعفر بن محمَّد بن الحسن، ١٤٠٤هـ، بصائر الدرجات في فضائل آل محمَّد، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، إيران.
٢١. الطحاويّ الحنفيّ، أبي جعفر أحمد بن محمَّد بن سلامة بن عبد الملك، ١٩٩٤، شرح معاني الآثار، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، حُقِّق في الأزهر الشريف: محمَّد زهري النجَّار، محمَّد سيِّد جاد الحقِّ، مؤسِّسة عالم الكتب، القاهرة.
٢٢. القزويني، السيِّد محمَّد كاظم، ١٣٩٢هـ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، الطبعة الأولى، منشورات حسين التميمي للطباعة والنشر والإعلان، بيروت، لبنان.

٢٣. القمِّيّ، الشيخ عبَّاس بن محمَّد رضا، ١٤١٢، بيت الأحزان في ذكر أحوال سيِّدة النساء، الطبعة الأولى، مؤسَّسة آل البيت للطباعة والنشر، قم المقدَّسة، إيران.

٢٤. القمِّي، الشيخ عبَّاس بن محمَّد رضا، ٢٠٠٧، مفاتيح الجنان، الطبعة الثانية، مؤسَّسة التاريخ العربيّ للطباعة، بيروت، لبنان.

٢٥. العتبة العلويَّة المقدَّسة، شعبة التبليغ، قسم الشؤون الدينيَّة، ٢٠١٦، شذرات من حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الطبعة الأولى، العتبة العلويَّة المقدَّسة.

٢٦. العلَّامة المجلسيّ، الشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي، ١٩٨٣، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، مؤسَّسة الوفاء، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

٢٧. المدرِّسيّ، السيِّد محمَّد تقي، تأمُّلات في خطبة الزَّهراء عليها السلام، مركز الإشعاع الإسلامي للبحوث والدراسات الإسلاميَّة، على الموقع الإلكترونيّ:

www.https://www.islam4u.com.

٢٨. مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ٢٠١٨م/١٤٣٨هـ، السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة وأسوة، دار المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، طهران.

٢٩. المسعوديّ، الشيخ محمَّد فاضل، ٢٠٠٠، الأسرار الفاطميَّة، مؤسَّسة الزائر للطباعة والنشر، مطبعة أمير، قم المقدَّسة، إيران.

٣٠. مكتبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، حياتها ونشأتها، على الموقع:

www.https://www.aqaed.com/ahlulbait/books/mm، el/7.htm.

٣١. الموحِّد الأبطحيّ، السيِّد محمَّد باقر أبن السيِّد مرتضى، ١٤٢١هـ، الصحيفة الفاطميَّة الجامعة لأدعية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

وشبليها الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، الطبعة الأولى، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي، قم المقدَّسة، إيران.

٣٢. الهيثمي، نور الدين عليّ بن أبي بكر، ١٩٨٨، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الجزء التاسع، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

التفكير الإبداعيّ وأثره في حلِّ المشكلات عند الزَّهراء عليها السلام

أ.د. سيف طارق حسين العيساويّ
جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة
أ.د. قصي سمير عبيِّس الحِلِّيّ
كليَّة الإمام الكاظم/ أقسام بابل

ملخَّص البحث

يحاولُ هذا البحث أن يقدِّم رؤية متكاملة لطريقة التفكير الإبداعيّ عند الزَّهراء عليها السلام، إذ يرتبط التفكير الإبداعيّ بكلِّ جوانب الحياة، فكلَّما كان التفكير منظَّمًا وخلَّاقًا، كانت النتائج إبداعيَّة، وقد سعى الباحثان إلى الكشف عن عطائها المعرفيّ، بوصفها عاملة غير معلَّمة، والوقوف على عمليَّة تحسُّسها للمشكلات والوعي بها، ومعرفة الآليَّة التي اعتمدتها في صياغة الفرضيَّات الجديدة، وبيان مدى اكتشاف ما هو جديد.

ومن هنا اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثَين يسبقهما تمهيد، تناولنا في **التمهيد** تعريف التفكير الإبداعيّ لغةً واصطلاحًا، وبيان الإبداع في المنظور الإسلاميّ.

وخُصِّص **المبحث الأوَّل** في بيان أُسس التفكير الإبداعيّ عند الزَّهراء عليها السلام، وهي: طول التأمُّل والتفكُّر، لشجاعة في المواقف المصيريَّة، تحمُّل الانتقاد السلبيّ والتجريح، ترك الجمود والأفكار الجاهزة، الربط والمقارنة، والإصرار والتحدِّي.

أمَّا **المبحث الثاني**، فتناول الصفات الإبداعيَّة عند الزَّهراء عليها السلام، ومن تلك الصفات:

المعرفة، والاستطلاع اللدنِّيّ والذاتيّ، والتمسُّك بهدفٍ سامٍ، والتفاني في الوصول إليه، والقدرة على تقديم الأفكار المقنعة، وقراءة الماورائيَّات، والتعمُّق في تحليل الفكرة، والقدرة العالية على تفهُّم المشكلات وحلِّها.

وختمنا البحث بأهمِّ النتائج التي توصَّل إليها الباحثان.

والله وليّ التوفيق.

التمهيد

التفكير لغةً: عرَّف ابن فارس (ت٣٢٩هـ) التفكير بأنَّه من: «فكَرَ؛ الفاء والكاف والراء: تردَّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه معتبرًا، ورجل فِكِّيرٌ: كثير الفكر»[١]، والتَّفَكُّر اسم التَّفْكِير ومن العرب من يقول: الفِكْرُ الفِكْرَة، والفِكْرى على فِعْلى اسم، وهي قليلة، والاسم الفِكْرُ والفِكْرَة، والمصدر الفَكْر، بالفتح [٢]، بمعنى التأمل وإشغال العقل والخطر في شيء ما في الحياة، وعرفه الراغب الأصفهانيّ (ت١١٨٠هـ) بقوله: الفكرة قوَّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكُّر جولان تلك القوَّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلَّا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب[٣]. وقال الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ): «الفِكْر، بالكَسْر، ويُفْتَح: إِعمالُ النَّظَر[٤]، وقد وردت مادَّة (فكر) في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعًا[٥]، ولكنَّها بصيغة الفعل، ولم ترِد بصيغة الاسم أو المصدر[٦]. ودقيق اللحظ يجد أنَّ معنى التفكير في المعاجم اللغويَّة ينحصر في إشغال العقل، وإعمال النظر.

---

(١) مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمَّد هارون، عن دار الجيل، الطبعة الأوَّلى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مادَّة (فكر): ٤/ ٢٤٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: مادَّة (فكر): ٥/ ٦٥.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادَّة (فكر): ٣٨٤.

(٤) تاج العروس في جواهر القاموس: ١/ ٣٣٥٨.

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، انظر: محمَّد فؤاد عبدالباقي، عن المكتبة الإسلاميَّة، إستانبول، تركيا، (بدون تاريخ)، مادَّة (فكر): ٥٢٥.

(٦) سورة المدَّثِّر: ١٨، وسورة الأنعام: ٥٠، وسورة الأعراف: ١٧٦.

التفكير اصطلاحًا: عمل عقليّ عام، يشمل التصوُّر والتذكُّر والتخيُّل والحكم والتأمُّل، ويطلق على كلِّ نشاطٍ عقليّ[١]، وهو «اسم لعمليَّة تردُّد القُوى العاقلة المفكِّرة في الإنسان، سواء أكان قلبًا أو روحًا أو ذهنًا، بالنَّظر والتدبُّر لطلب المعاني المجْهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحْكام، أو النسب بين الأشياء»[٢]. والتفكُّر أو التفكير، هو نشاط إنسانيّ خالص، له شكلان، فإمَّا أنَّنا نفكِّر لنصل إلى ما يمكن أن يكون الحقيقة، أو أنَّنا نفكِّر لنبتَّ برأيٍ فى مسألةٍ ما. ويصف أرسطو (٣٢٢ ق.م) هذين الشكلَين بأنَّهما التأمُّل والتروِّي، وينتهى التأمُّل الناجح إلى نتيجة، والتروِّي الناجح إلى قرار، ويصف التفكير المتأمِّل بأنَّه نظريّ، والمتروِّي بأنَّه عمليّ. والتفكير الإنسانيّ خليط من الشكلَين، ويتمُّ باطنيًّا وقصديًّا[٣]، هو كلُّ نشاطٍ ذهنيٍّ أو عقليّ[٤]، أو هو كلُّ سيلٍ أو مجرى من الأفكار تثيره مشكلة، وتفحصها بقصد التحقُّق من صحَّتها أو ضبطها، فالتفكير سيل أو توارد من الأفكار والذكريات العالقة في الذِّهن[٥].

ويعرِّف الفيلسوف الألمانيّ (كانت) التفكير بأنَّه: الكلام النفسيّ، وأشار (والجستون) إلى أنَّ التفكير استخدام غير صوتيّ للغة[٦]. وفي حقيقة القول، يرى الباحثان أنَّ اللغة والتفكير وجهان لعملة واحدة، فلا يوجد لغة من دون تفكير، ولا يوجد تفكير من دون لغة، بصرف النظر بأن يتمَّ التفكير باطنيًّا أو ظاهريًّا، مع مراعاة القدرة على توليد أفكار، وربطها معًا بطريقة متماسكة منطقيًّا، تتضمَّن وبوضوح درجة ما من مهارة التفكير، ولكن هذه القدرة في حدِّ ذاتها لا تعدو أن تكون مهارة ربط عدد من

(١) ينظر: دائرة معارف القرن العشرين، محمَّد فريد وجدى، بيروت، ١٩٧١م: ٧/ ٣٥٨.
(٢) الأزمة الفكريَّة، طه جابر العلوانيّ: ٢٧.
(٣) المعجم الفلسفيّ، د. عبدالمنعم الحفنيّ: ٦٥/ ٢٣٩، ١٩٩٢، وموسوعة المفاهيم الإسلاميَّة العامَّة- التفكُّر: ١٤٩.
(٤) موسوعة علم النفس، رزُّوق، ١٩٧٧: ٥.
(٥) موسوعة علم النفس، رزُّوق، ١٩٧٧: ٥.
(٦) التفكير الإبداعيّ ودوره في حلِّ المشكلات: ٥.

الأفكار بعضها ببعض طبقًا لقواعد اللغة. غالبًا ما يكون التفكير هزيلًا، ويعود ذلك إلى أنَّه لم تجرِ تنمية مهارة التفكير بدرجات عالية[1]. يقول ديبونو (١٩٨٢): إنَّ بإمكان الجميع تحسين إبداعهم إذا ما استطاعوا تعلُّم القفز بخيالهم بأسلوبٍ مبتكَرٍ وفعَّالٍ، وتحسين الإبداع ليس حكرًا على المتفوِّقين، فمصحِّحو ومعدُّو برامج تعليم التفكير ليسو بالضرورة أفضل المفكِّرين، فالإبداع هو مسألة دافعيَّة، والتزام بالتفكير كمهارة آليَّة، ويتمُّ التوصُّل من خلالها إلى أشياء جديدة وقيِّمة، إذًا فجزءٌ مهمٌّ من الإبداعيَّة يرجع فضله لطريقة التفكير.

وإذا تأمَّلنا في الدلالة الاصطلاحيَّة للتفكير، نجد أنَّها لا تبتعد عن معناها اللغويّ بمعنى إمعان النظر وبمعنى التدبر، وبمعنى التعقل، وبمعنى التأمل، وبمعنى التمييز وما إلى ذلك حسب المقام[2]، وهذا المعاني أشار إليها القرآن الكريم، وهو يتحدَّث عن مخاطر وأخطار الاقتراب من المحرَّمات ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة ٢١٩]، ومن ذلك قوله عن الصَّادِقين من المؤمنين بأنَّهم ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران ١٩١]، ومن ذلك ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ٥٠]، ومن ذلك: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف ١٧٦].

الإبداع لغةً: بدَع الشَّيءَ يَبْدَعُه بَدْعًا وابْتَدَعَه: أَنشأَه وبدأَه. وبدَع الرَّكِيَّة: اسْتَنْبَطَها وأَحدَثها. ورَكِيٌّ بَدِيعٌ: حَدِيثةُ الحَفْر. والبَدِيعُ والبِدْعُ: الشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ أَوّلًا. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾؛ أَي مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أُرْسِلَ[3].

الإبداع اصطلاحًا: استعداد ذهنيّ لدى الفرد هيَّأته بيئته لأن يُنتِج شيئًا جديدًا

(١) تعليم التفكير، إدوارد دي بونو، ترجمة: عادل عبد الحكيم، وتوفيق أحمد العمريّ، مؤسَّسة الكويت للتقدُّم العلميّ، الكويت، ط١، ١٩٨٩م: ٤٥.

(٢) ينظر: موسوعة المفاهيم الإسلاميَّة العامَّة- التفكُّر: ١٤٩.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٨/ ٦.

غير معروف سلفًا، كتلبية متطلَّبات الواقع الاجتماعيّ[١]. وعرَّفه أوزبل: هو ما يتطلَّب ظهور نتيجة فريدة في ضوء خبرة الشخص السابقة[٢]. الإبداع: هو المبادرة التي يبديها الشخص بقدرته على الانشقاق من التسلسل العادي في التفكير إلى تفكير مخالف كليَّة، أو النظر الى المألوف بطريقة غير مألوفة، ثمَّ تطويل هذا النظر ليتحوَّل إلى فكرة، ثمَّ إلى تصميم، ثمَّ إلى إبداع قابل للتطبيق. أو هو مزيج من الخيال والتفكير العلميّ المرن؛ لتطوير فكرة قديمة، أو لإيجاد فكرة جديدة، مهما كانت الفكرة صغيرة؛ لينتج عنها انتاج مميَّز غير مألوف[٣].

أمَّا **التَّفكير الإبداعيّ**: فهو عملية تحسُّس المشكلات والوعي بها، وكشف مواطن الضعف والفجوات والتنافر والنقص فيها، وصياغة فرضيَّات جديدة، والتوصُّل إلى ارتباطات جديدة باستخدام المعلومات المتوافرة، والبحث عن الحلول، وتعديل للفرضيَّات وإعادة فحصها، والتوصُّل إلى نتائج جديدة[٤]. ولذلك وصفه كورت بأنَّه: القدرة على إنتاج الأفكار الأصيلة باستخدام التصوُّرات، مثلما يشير إلى القدرة على اكتشاف ما هو جديد إعطاء معاني للافكار[٥]. فهو النَّظر إلى شيءٍ ما بطريقة مختلفة وجديدة، وهو ما يُعرف بالتَّفكير خارج الصندوق، حيث يشتمل على التفكير الجانبيّ، أو القدرة على إدراك الأنماط غير الواضحة في أمرٍ ما، كما يمتلك الأشخاص المبدعون القدرة على ابتكار وسائل جديدة لحلِّ المشكلات، ومواجهة التَّحدِّيات[٦].

---

(١) علم النفس التكوينيّ الطفولة والمراهقة، هرمز وابراهيم، دار النشر للطباعة، العراق، ١٩٨٨.

(٢) نقلًا عن: بحث عن التفكير الإبداعيّ، أماني محمَّد علّي، إشراف: أ.د. سعاد شاهين: ١١.

(٣) التفكير الإبداعيّ ودوره في حلِّ المشكلات، عبد الرحيم محمَّد عبد الرحيم: ٧.

(٤) نقلًا عن: بحث عن التفكير الإبداعيّ: ١٢.

(٥) نقلًا عن: بحث عن التفكير الإبداعيّ: ١١.

(6) ALISON DOYLE (13-2-2018), «Creative Thinkin عليه السلام Definition, Skills, and Examples», www.thebalance.com. Retrieved 25-3-2018. Edited.

وخلاصة القول: هو «نشاط عقليّ مركَّب وهادف، توجِّهه رغبة قويَّة في البحث عن حلول، أو التوصُّل إلى نتائج أصيلة لم تكن معروفة سابقًا، ويتميَّز التفكير الإبداعيّ بالشموليَّة والتعقيد؛ لأنَّه ينطوي على عناصر معرفيَّة انفعاليَّة وأخلاقيَّة متداخلة، تشكِّل حالة ذهنيَّة فريدة». ويستخدم الباحثون تعبيرات متنوِّعة تقابل مفهوم (التفكير الإبداعيّ)، وتلخيصه من الناحية الإجرائيَّة مثل التفكير المنتج، والتفكير التباعديّ، والتفكير الجانبيّ[1].

دلائل التفكير وتنمية التفكير الإبداعيّ في القرآن الكريم

دلائل التفكير:

دعا القرآن الكريم إلى التفكُّر للوصول إلى الكمالات، والقرآن الكريم مليء بالدعوة إلى إعمال العقل بالتدبُّر والتفكُّر، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سورة سبأ ٤٦]، وهذا المعنى ليس ببعيد عن قول النبيّ ﷺ: «**تفكَّروا في آلاء الله ولا تفكِّروا في ذاته فتهلكوا**»[2]، فالحديث الشريف يوجِب التفكير بصورة صحيحة، ويحذِّر من الانفلات من التفكير، فرسول الله قد وصِف بأنَّه: دائم الفكر ليس له راحة، لا يتكلَّم غير حاجة، طويل السكوت»[3].

ومن متطلبات التفكُّر التي ذكرها القرآن الكريم:

١. **الدليل والبرهان**: أكَّد القرآن الكريم على وجود البرهان والدليل، منه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة ١١١]، وقد أكَّد القرآن الكريم في أكثر من موضع على القياس والمقارنة،

(١) تعليم التفكير، مفاهيم وتطبيقات، دار الفكر، عمَّان، ط١، ٢٠٠٢م: ٨٤.
(٢) أخرجه البيهقيّ في: الأسماء والصفات: ٦١٨.
(٣) الرحيق المختوم: ٤١٧.

وهما من مهارات الإبداع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [سورة فاطر ١٩-٢٢].

٢. **التعقُّل**: إنَّ المتأمِّل لآيات الذِّكر الحكيم يجد أن لفظة التعقُّل وردت بصيغ مختلفة في الماضي والمضارع، والمفرد والجمع[١]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت ٤٣].

٣. **التفقُّه**: وهو العلم بالشيء والفهم له، وغلب استعماله على العلم بالأحكام الشرعيَّة[٢]، فالتفقُّه خطوة علية تمثِّل أبعد مدى في التفكير؛ كونها تجعل الإنسان أكثر وعيًا وأبعد عمقًا في تفكيره، فهو متوقِّد البصيرة، دقيق اللحظ دائمًا، وقد وردت مادَّة الفقه في عشرين موضعًا، من ذلك قوله تعالى ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنعام ٦٥].

٤. **التدبُّر**: وهو النظر إلى عواقب الأمور وخواتيمها[٣]، وقد وردت التدبُّر في أربعة مواضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[سورة محمَّد ٢٤].

٥. **التبصُّر**: هو التأمُّل والتعرُّف بمعنى البيان والإيضاح[٤]، وهي وظيفة عقليَّة لا بصريَّة، بدليل تكرر جملة (أفلا يبصرون) بمعنى الرؤية العقلية وليس البصرية، ومن ذلك قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ

(١) الإسلام والعقل، صلاح الدين المنجد: ١٥، توظيف نمط التفكير الإبداعيّ في ضوء القرآن الكريم في تدريس التربية الإسلاميَّة: ٦٢٧.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهانيّ: ٦٤٢-٦٤٣.
(٣) مدخل إلى موقف القرآن من العلم، عماد خليل الدين: ٩٤، توظيف نمط التفكير الإبداعيّ في ضوء القرآن الكريم في تدريس التربية الإسلامية: ٦٢٨.
(٤) مدخل إلى موقف القرآن من العلم، عماد خليل الدين:٩٤.

فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة السجدة ٢٧].

٦. **التذكُّر**: هي عمليَّة عقليَّة تنحصر في أصحاب العقول الراجحة، ووردت في مئتين واثنتين وتسعين موضعًا في أغلب الصيغ الزمنيَّة، والمشتقَّات، وصيغ الإفراد والجمع[١]، ومن ذلك قوله تعالى ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة الرعد ١٩].

تنمية التفكير الإبداعيّ في القرآن الكريم:

هناك مجموع من القواعد التي ذكرها القرآن الكريم تساعد على تنمية التفكير الإبداعي، وهي[٢]:

١. **تنمية القدرة على التخيُّل**: يضرب القرآن الكريم المثل المعنويّ بالشيء المادِّيّ المحسوس، وللعقل بعد ذلك أن يرسم في تخيُّلاته لهذه الأشياءالحسيَّة الصورة التي يستطيع فكره أن يصل إليها، يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ [سورة النور ٣٥]. وهنا شبَّه الله تعالى نوره بالمشكاة؛ لأنَّ التشبيه الحسِّيّ والمادِّيّ أقرب للتصوُّر من الشيء المعنويّ الذي لا يقدر الإنسان أن يصل إليه؛ كونه لم يتعرَّف عليه ولم يَرَه.

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمَّد فؤاد عبد الباقي:٢٧٠، توظيف نمط التفكير الإبداعيّ في ضوء القرآن الكريم في تدريس التربية الإسلاميَّة: ٦٢٨، مجلَّة كليَّة التربية، جامعة الأزهر، العدد: ٧١٦، الجزء الأوَّل، ديسمبر لسنة ٢٠١٧م.

(٢) التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، حنايشة، عبد الوهاب محمود إبراهيم، رسالة ماجستير في أصول الدين بكليَّة الدراسات العليا، نابلس، جامعة النجاح الوطنيَّة، ٢٠٠٩، ٢٣.

٢. **توجيه التفكير نحو الهدف المقصود**: وهذا التفكير لا يحدث إلّا إذا قام الفرد بتوجيه انتباهه توجيهًا مقصودًا، نحو الموضوع الذي يريد أن يفكِّر فيه، وإلّا سيقع في الغفلة التي نهى الله عنها، ووصف بها المشركين المعرضين عن آياته، قال الله تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف ١٤٦].

٣. **إثارة الدافع للتفكير**: يهدف هذا النمط إلى مراجعة الأمر الذي أُجمِع عليه، وإحاطته بالإشكالات والردود، لكي يعيد النظر المتلقِّي نحوه، وقد ورد هذا الأسلوب من التفكير الإبداعيّ في مواضع عدَّة من القرآن الكريم، وما جاء في كتاب الله عزّ وجلّ عن محاورة إبراهيم عليه السلام لقومه. يقول الله تعالى، بعد أن ذكر تحطيم إبراهيم عليه السلام أصنام المشركين: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [سورة الانبياء ٦٢-٦٥].

وليس من المغالاة إن قيل: إنَّ الإسلام دين الإبداع[١]، فإذا تتبَّعنا الأفكار الإبداعيَّة عند المسلمين، فلا نقف إلى نهاية، ومن تلك المواقف التفكير الإبداعيّ للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في وضع الحجر الأسود، وكذلك الفكرة الإبداعيَّة للصحابيّ الجليل سلمان الفارسيّ في حفر الخندق، وغير ذلك كثير من المواقف الإبداعية في التاريخ الإسلاميّ[٢]. وممَّا هو حريٌّ التنبيه إليه، لو تتبَّعنا العظماء من المبدعين على مرِّ تاريخ البشريَّة، لوجدنا

(١) التفكير الإبداعيّ في منظور إسلاميّ، عبد الواحد دفع الله، مجلَّة الشريعة والدراسات الإسلاميَّة، السودان، عدد ٢١، ٢٠١٣: ٢٨٨.

(٢) فقه السير، البوطيّ: ٦٠، والرحيق المختوم: ٢٦٩.

أغلبهم مسلمين، منهم: جابر بن حيَّان في الكيمياء والصيدلة والنبات (ت١٦٠هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ) الذي أبدع في علوم اللغة العربيَّة والصوت، والخوارزميّ (ت ٢٣٢هـ) الذي أبدع في الرياضيات، وابن سينا في الطبِّ والفلسفة (ت ٤٢٨هـ)، والإدريسيّ (ت٥٥٩هـ) الذي أبدع في رسم الخرائط، وغيرهم الكثير.

المبحث الأوّل

أسس التفكير الإبداعيّ عند الزّهراء عليها السلام

اتّسم التفكير الإبداعي عند الزّهراء عليها السلام بوجود أكثر من أساس نذكر منها:

١. **طول التأمل والتفكر**[١]: هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبُّره وتعقُّله[٢]، وقد وردت إشارات كثيرة في القرآن الكريم تشير إلى هذا المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ [سورة يونس ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران ١٩١]، قد يظنُّ القارئ للوهلة الأوَّلى أنَّ التأمُّل، والتفكُّر، والتدبُّر، مترادفة، أي إنَّها ذات معنى واحد، ولكن لا يلبث هذا الظنُّ أن يتلاشى عند التحقيق والتدقيق؛ لأنَّ بينها فروقًا دقيقة تحتِّم أن نجعلها صفات مستقلَّة، فالتأمُّل في أصل اللغة مأخوذ من مادَّة (أ م ل) التي تدلُّ على التثبُّت والانتظار[٣]، والتفكُّر مأخوذ من مادَّة (ف ك ر) التي تدلُّ على تردُّد القلب في الشيء[٤]، أمَّا التدبُّر فمأخوذ من مادَّة

(١) التفكير الإبداعيّ ودوره في تحليل المشكلات وصناعة واتِّخاذ القرارات، د. عبد الرحيم محمَّد عبد الرحيم، استشاري التخطيط الإستراتيجيّ وقياس الأداء المؤسَّسيّ:
http://dr-ama.com/?p8-158.

(٢) مقال منشور في جريدة الوطن، د. فاطمة سعد النعيمي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، كليَّة الشريعة، جامعة قطر، ١٦/ ٦/ ٢٠٢٠.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٥/ ٦٥.

(٤) مقاييس اللغة: ٤/ ٢٤٦.

(د ب ر) التي يقصد بها النظر في عواقب الأمور[1].

وإذا تتبَّعنا مسيرة الزَّهراء عليها السلام لوجدناها مسيرة حافلة بالتأمُّل والتفكُّر التدبُّر، تمثَّل باطلاق العنان للخيال، وتحريك العقل لتوليد أفكار غير مألوفة، فلا يمكن أن يتحقَّق الإبداع من غير تحريك العقل، وقد أكَّدت الزَّهراء عليها السلام في أكثر من موقف على دلالة التفكُّر، ومن ذلك قولها: «**أشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، كلمةً جعل الإخلاصَ تأويلَها، وضمَّن القلوب موصولها، وأنار في التفكير معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيتُه، ومِن الألسن صفتُه، ومن الأوهام كيفيَّته**»[2]. فكلامها عليها السلام يحمل أبعادًا فلسفيَّة عميقة، ربطت التوحيد بالله تعالى، وهو الأصل الأوَّل من أصول الدين، بالتفكُّر وتحريك العقل بأن يكون قطب الرحى في ترقِّي كمالات الإنسان ورفعته، ولا نغالي إن قلنا إنَّ جلَّ كلامها يصلح لأن يكون نظريَّات علميَّة أقرَّ بها العلم الحديث، ومن ذلك قولها: «**من أصعد إلى الله خالص عبادته، أهبط الله إليه أفضل مصلحته**»[3]. وما ذكرته عليها السلام نظريَّة علميَّة قائمة بحدِّ ذاتها، فعلماء النفس يقولون: أن تفعل ما عليك في وقتك الحاضر باخلاص وتوجُّه، تكون النتائج سليمة، وهذا ما يصطلح عندهم مفهوم الصحَّة النفسيَّة، فالتوافق التامِّ بين الوظائف النفسيَّة المختلفة، مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسيَّة العاديَّة التي تطرأ عادةً على الإنسان، مع الإحساس الإيجابيّ بالسعادة والكفاية، الذي ينشأ من خلال التسليم بأمر الله والإيمان به، وأنَّ وظيفة الحياة النفسيَّة بمختلف عناصرها هي توافق المرء لظروف عقيدته واخلاصه وبيئته الاجتماعيَّة والماديَّة، وغايتها تحقيق حاجات الفرد، والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أشارت إلى هذا المعنى بكلِّ وضوح، وفي ما تقدَّم يتبيَّن أنَّ الزَّهراء عليها السلام أعطتنا صورة إبداعيَّة تتمثَّل في طريقة التفكُّر والتأمُّل، للوصول إلى الكمالات.

(١) ينظر: لسان العرب: ٤/ ٢٧٣.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦٨/ ٢١١.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦٨/ ٢١١.

٢. الشجاعة في المواقف المصيريَّة التي تخصُّ مصلحةالأمَّة[١]: تعدُّ الشجاعة سمة من سمات الإبداع عند الفرد، فهي: «الجرأة والإقدام وشدَّة القلب عند الشدائد، وبالتالي التغلُّب على رهبة الموقف، بعيدًا عن الانجرار وراء العاطفة، وتكامل صورة الشجاعة لا يتحقَّق إلَّا من خلال دور القوَّة العقليَّة التي توجِّه القوَّة النفسيَّة نحو الهدف، وتضبط حركتها؛ لئلَّا يتحوَّل الإنسان من موقع الشجاعة إلى موقع التهوُّر أو العدوان والبغي أو غير ذلك»[٢]. وهو نصرة الحقِّ المتمثِّل في موقف زوجها الإمام عليّ عليه السلام.. وأمَّا الصبر والثبات، فقد كانا عنوان موقفها الذي ما تغيَّر حتَّى ودَّعت هذه الدنيا الفانية.. وأمَّا القوَّة النفسيَّة التي تفعِّل القوَّة الجسديَّة، فقد تجلَّت في شخصيَّتها، وانعكست في كلماتها، ولو أخذنا المقطع التالي من خطبتها، لبان لنا ذلك، ومن جملة خطبها الواضحة الصريحة بالمطالبة بحقِّ زوجها أمير المؤمنين (سلام الله عليه) بالخلافة والإمامة ورعاية المجتمع حقَّ رعايته، قولها: «**أصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنئتهم بعد أن سبرتهم، فقبحًا لفلول الحدِّ، وخور القناة، وخطل الرأي، وبئس ما قدَّمت لهم أنفسهم أنْ سخَطَ الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون، لا جرم لقد قلَّدتهم ربقتها، وشننت عليهم غارها، فجدعًا، وعقرًا، وسحقًا للقوم الظالمين. ويحهم أنَّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوَّة، ومهبط الوحي الأمين، والطِّبين بأمر الدنيا والدين، ألَا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبي الحسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدَّة وطئه، ونكال وقعته، وتنمُّره في ذات الله عزَّ وجلَّ**»[٣]. وهنا بيَّنت عليها السلام سخطها على القوم، وعدم رضاها بأفعالهم، فقرَّرت أن تتصدَّى لهم بقلبٍ شجاع، موضِّحة ضعفهم وحقدهم وجزاء الذي يؤولون إليه في عدم نصرتهم للحق، وإذا تتبَّعنا هذا الكلام البليغ، والبيان الفصيح، نجده لم يخرج إلَّا من «قلبٍ شجاعٍ، وإرادةٍ قويَّة، وكلام

(١) التفكير الإبداعيّ ودوره في تحليل المشكلات وصناعة واتِّخاذ القرارات: ٨-١٨٥.
(٢) ينظر: لسان العرب: ٨/ ١٧٣.
(٣) نهج البلاغة: ١/ ١٢٠.

لا يفهمه إلَّا أهلوه، وهي من العمر حوالي تسعة عشر سنة، أو قل إنَّها شابَّة صغيرة، ولكنَّها المعجزة الكبيرة. فهل في العالم اليوم أو في أي يوم واحدة تستطيع التكلُّم مثلها؟ أو رجل عمره تسعة عشر سنة يستطيع ان يتكلَّم»[1]. فعدم المبالاة بالمثبطين وبالسلبيِّين، وثقتها بالنَّفس، وقوَّة صناعة القرار الذي يخدم الرسالة المحمَّديَّة السامية، ونصرة الحقِّ، هو ما أوصلها إلى قمَّة الإبداع، في ضوء شجاعتها، وتصدِّيها بوجه القوم.

٣. تحمُّل الانتقاد السلبيّ والتجريح[2]: إنَّ من أهمِّ سمات الشخصيَّة الإبداعيَّة التي اتَّسمت بها مولاتنا الزَّهراء عليها السلام أنَّها تحمَّلت الأذى، والنقد السلبيّ، فكانت صابرة محتسبة، فقيل في زيارتها: «**يا ممتَحَنة امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك، فوجدك لما امتحنك صابرة**»[3]، ممَّا أدَّى إلى سعة أفقها، وبُعد نظرها، وقدرتها على تحويل الخسارة إلى نصر، ومن تلك المواقف: «لـمَّا استُخرج أمير المؤمنين عليه السلام من منزله، خرجت فاطمة صلوات الله عليها خلفه، فما بقيت امرأة هاشميَّة إلَّا خرجت معها، حتَّى انتهت قريبًا من القبر، فقالت لهم: **خلُّوا عن ابن عمِّي، فوالذي بعث محمَّدًا أبي بالحقِّ إن لم تخلُّوا عنه.. ولأصرخنَّ إلى الله تبارك وتعالى، فما صالحٌ بأكرمَ على الله من أبي، ولا الناقةُ بأكرم منِّي، ولا الفصيلُ بأكرم على الله من ولديَّ!** قال سلمان رضي الله عنه: كنت قريبًا منها، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله تقلَّعت من أسفلها، حتَّى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ، فدنوت منها فقلت: يا سيِّدتي ومولاتي إنَّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمةً، فلا تكوني نقمة، فرجعت ورجعت الحيطان حتَّى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا»[4]. ودقيق اللَّحظ يجد ردَّ الفعل الذي قامت به مولاتنا الزَّهراء عليها السلام

(١) الجمعة الثالثة والعشرين.. ٢٦ جمادى الأولى ١٤١٩، السيِّد محمَّد صادق الصدر، الخطبة الأولى.

(٢) التفكير الإبداعيّ ودوره في تحليل المشكلات وصناعة واتِّخاذ القرارات.

(٣) روضة المتَّقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ٥/ ٢٤٣.

(٤) الاحتجاج: ١/ ١١٣.

يتناسب مع عِظم الحدث، ففكَّرت بطريقة مخالفة عن المألوف لرفع التجريح والظلم والحيف الذي وقع على أمير المؤمنين عليه السلام، والاهانة التي استشعرتها من القوم، فقامت بجملة من الأمور قلبت الموقف لصالحها، وهي:

- ألَّبت النساء في الخروج معها، وهذه حركة إعلاميَّة لكشف القوم، وبيان حقيقتهم على الملأ، وهذا يفضح مخطَّطاتهم ومآربهم الدنيويَّة.
- التوجُّه الى قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا التوجُّه يحمل رسائل مهمَّة، منها أنَّ قبر الرسول يحمل جَنبة معنويَّة كبيرة للمسلمين، وكذلك لجوء الزَّهراء عليها السلام الى رسول الله في قبره، يستدعي قوَّة المشهد، وعِظَم المصاب، ومحاكاة الضمير، وهذا يؤدِّي الى مراجعة النفس، وتصحيح الذات.
- **الدعاء لله تعالى بلسان المظلوم، ومخاطبة الله تعالى لحفظ كرامتها وكرامة أمير المؤمنين**: وهذا الدعاء جرى بلسان بنت حبيب الله تعالى، وجامعة النبوَّة مع الإمامة، فحقُّها على الله تعالى أن تتفطَّر أبواب السماء حزنًا وألمًا على حالها. قالت: «**فما صالحٌ بأكرمَ على الله من أبي، ولا الناقةُ بأكرم منِّي**»، وهذه الطريقة الإبداعيَّة في الدعاء تحمل مقاصد عديدة، منها: إلقاء الحجَّة على القوم، وكذلك تذكير المسلمين بمكانة الرسول وأهل بيته عند الله تعالى، فضلًا عن تخويف القوم بخطورة دعاء الزَّهراء عليهم؛ لأنَّهم يعلمون علم اليقين مدى قُرب النبيّ وأهل بيته من الله تعالى، لكنَّ الدنيا الغرور، والعزَّة بالإثم، وحبائل الشيطان، حرفتهم عن طريق الحقَّ، وأخيرًا قارنت الزَّهراء عليها السلام الفصيل بولديها، فقالت: «**ولا الفصيلُ بأكرم على الله من ولديَّ**»، وهذا المعنى أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام في خطبته يوم عاشوراء بقوله: «**هوِّن ما نزل بي أنَّه بعين الله تعالى، اللهمَّ لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، إلهي إن كنتَ**

حبستَ عنَّا النصر، فاجعله لما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حلَّ بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل»[1]، كأنَّه أراد أن يقول إنَّ القوم أبناء القوم، وما حصل من ظلمٍ وقتلٍ وسبيٍ أمام عينه، هو بسبب موقف القوم من أمِّه الزَّهراء في غصب حقِّها. وبهذه الأمور التي مرَّ ذكرها خرجت قضيَّة الزَّهراء إلى العالم، حتَّى غدت مصدر إشعاعٍ للعالمين.

٤. **ترك الجمود والأفكار الجاهزة**[2]: إنَّ من أهمِّ الأمور التي تتعارض مع الإبداع، هي الجمود والأفكار التقليديَّة الجاهزة؛ لأنَّ نتائجها معلومة ومحدودة، ولو تأمَّلنا مسيرة الزَّهراء، نجدها شخصيَّة ملهمة، عالمة غير معلَّمة، تتعامل مع المواقف تعاملًا شاملًا يحلّ المشكلات والأزمات من جذورها، تبتعد في ذلك عن التقليد والجمود، والتجديد هنا ليس أمرًا عشوائيًّا، ولا ينطلق من فراغ، وإنَّما هو تجديد يتوقَّف على فهم الواقع، من أجل الكشف عمَّا فيه من سلبيَّات للانطلاق من ذلك الفهم إلى تصحيح الأوضاع، وتمهيد الطريق لإثراء الحياة بالمزيد من الإبداع الذي يضيف جديدًا إلى دنيا الناس في جميع المجالات، الأمر الذي من شأنه أن يصلح لهم دينهم ودنياهم على السواء. ومن محاولاتها عليها السلام تثقيف الأمَّة ونشر الوعي بين أفرادها، حين كانت تدور على بيوت المهاجرين والأنصار في محاولة هزِّ ضمائرهم؛ ليتحرَّكوا في الوقوف بجانب الحقِّ ونصرة الدين، وهكذا تجسِّد الزَّهراء (سلام الله عليها) دور المرأة التي لا تستسلم ولا تيأس، فهي المسؤولة عن تبليغ الرسالة الإلهيَّة للناس أجمع، والمستعدَّة دائمًا لمواجهة كلِّ الظروف، وتحمُّل كلِّ المسؤوليات التي يتطلَّبها المجتمع الإسلاميّ، ممَّا يدلُّ على قابليَّة المرأة وأهليَّتها لأعلى درجات الكمال، وأن تكون في موقع الريادة والاقتداء، وفي مستوى التفوق والامتياز على سائر بني البشر نساءً

(١) لقد شيَّعني الحسين، إدريس الحسينيّ المغربيّ: ٣٠٩.

(٢) التفكير الإبداعيّ ودوره في تحليل المشكلات وصناعة واتِّخاذ القرارات.

ورجالا[1]، وبناءً على ذلك فإنَّ ما يصدر عن السيِّدة الزَّهراء من قولٍ أو فعلٍ أو موقفٍ فإنَّه يكون كاشفًا عن التشريع الإلهيّ، وإنَّ أيّ تجديد أو عمل يبتعد عن الجمود هو يصبُّ في مصلحة الأمَّة، فهي حجَّة شرعيَّة على جميع الناس، وهي (عليها الصلاة والسلام) حجَّة على كلِّ أولادها الأئمَّة الطاهرين، وهذا التسليم واضحٌ وجليٌّ عند الأئمَّة عليهم السلام، فقد سلموا بكلِّ ما قامت به، وجعلوا ذلك العمل حجَّة عليهم، قال الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: «**هي حجَّة علينا**»[2]، وقال الإمام الحجَّة: «**وفي ابنة رسول الله لي أسوة حسنة**»[3].

٥. **الاصرار والتحدي**[4]: إنَّ الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام عُرِفت بزهدها وابتعادها عن ملاذ الدنيا وزخارفها، ولكن في الوقت ذاته أصرَّت وتحدَّت بصلابة ورباطة جأش لجملة من الأمور بطريقة إبداعيَّة ثبتت حقوقها أمام الملأ، ومن ذلك أنَّها تحدَّت وانتفضت على من غصبها حقَّها، وجاهدت في طلب حقوقها، ولعلَّ سبب هذا الإصرار والمتابعة بطلب فدك والاهتمام بتلك الأرض، مع ما كانت تتمتَّع به السيِّدة فاطمة من علوِّ النفس وسموِّ المقام، هو لغرض إظهار ظلم القوم وجورهم وكفرهم ونفاقهم، وهذا كان من أهمِّ أمور الدين وأعظم الحقوق على المسلمين، ويؤيِّده أنَّها صلوات الله عليها صرَّحت في خطبها بحقيقة القوم، وبيَّنت تكالبهم على حُطام الدنيا. ولعلَّ تحدِّيها لمغتصِبي حقَّها في أرض فدك، وإصرارها على أخذها، وهي تعلم علم اليقين أنَّ القوم على قلوبهم غشاوة، بل أضلُّ سبيلًا، يكمن في الإضمار الإبداعيّ المتوقَّع في ما وراء الأرض، نوجزه بالآتي:

---

(١) ينظر: فاطمة الزَّهراء عليها السلام: نموذج المرأة القياديَّة في المجتمع، زهراء وحيدي، شبكة النبأ، ٢٠١٨.

(٢) الأمالي للطوسيّ: ٦٦٨ رقم (١٣٩٩).

(٣) الأسرار الفاطميَّة: ١٧٥.

(٤) التفكير الإبداعيّ ودوره في تحليل المشكلات وصناعة واتِّخاذ القرارات.

- إنَّ الهدف من اغتصاب الارض هو تضعيف رسالة أهل البيت عليهم السلام، إذ أرادوا أن يكون عليّ فقيرًا حتَّى لا يلتفَّ الناس حوله، ولا يكون له شأن على الصعيد الاقتصاديّ، وهذه سياسة أراد المنافقون تنفيذها في حقِّ رسول الله صلى الله عليه وآله، كما بيَّن الله (تبارك وتعالى) ذلك في قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون ٧].
- المطالبة بالولاية الكبرى لزوجها، التي هي امتداد طبيعيّ من ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله.

المبحث الثاني

الصفات الإبداعيَّة عند الزَّهراء عليها السلام

تحلَّت الزَّهراء عليها السلام بجملة من الصفات الإبداعيَّة التي اتَّسمت بها، ممَّا أهَّلها لأن تأخذ مساحة واسعة في حضورها الشريف، ومن تلك الصفات الإبداعيَّة التي ألهمت البشريَّة جمعاء، هي[1]:

١. **المعرفة والاستطلاع اللدنِّيّ والذاتيّ**[2]: تقسم معرفة الزَّهراء عليها السلام على قسمَين:

- **المعرفة اللدنيَّة**: إنَّ من أعلى درجات الإبداع هو ما كان الهيًّا؛ لأنَّه وصل إلى مرتبة الكمال، فقد كانت الملائكةُ تُحَدِّثُها عليها السلام، ورد عن ابن عبَّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خبر طويل أنَّه قال: «.. **وإنَّها سيِّدة نساء العالمين**. فقيل: يا رسول الله هي سيِّدة نساء عالمها؟ فقال: **ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتي فاطمة فهي سيِّدة نساء العالمين مِن الأوَّلين والآخرين، وإنَّها لتقوم في محرابها فيسلِّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقرَّبين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة إنَّ الله اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين..**»[3]، عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، أنَّه قال: «**سُمِّيَتْ فاطمة مُحَدَّثة؛ لأنَّ الملائكةَ كانت تهبط من السماء فتناديها، كما كانت تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة، إنَّ اللهَ اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة،**

(١) دور التفكير الإبداعيّ في إدارة الأزمات، د. سميَّة عبَّاس الربيعيّ: ١٢.
(٢) دور التفكير الإبداعيّ في إدارة الأزمات، د. سميَّة عبَّاس الربيعيّ: ١٢.
(٣) الأمالي، للصدوق: ٥٧٥.

اقنتي لربِّك، وتحدِّثهم ويحدِّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليستْ المُفضَّلة على نساء العالمين مريمَ بنت عمران؟ فقالوا: إنَّ مريم كانت سيِّدة نساء عالـمِها، وإنَّ اللهَ جعلكِ سيِّدةَ عالـمَكِ، وسيّدةَ نساءِ الأوَّلين والآخِرين»[1]. فالحديثُ الملائكيّ قد تحقَّق مع مَن لم تكن معصومةً مِن النساء، منهنَّ: سارة زوجة النبيّ إبراهيم الخليل، حينما بشَّرتها الملائكة بالولادة الموعودة، وقد كانت قائمة من وراء الستر تسمع الكلام الملائكيّ؛ فضحكتْ تعجُّبًا ممَّا سمعتْ، فبُشِّرَت على ألسنة الملائكة بأنَّها ستلد مِن زوجها إبراهيم ولدًا يُسمَّى إسحاق، وسيعيش ولدها، وسيكون لها من بعد إسحاق حفيدٌ منه، وهو يعقوب، فقال تعالى حكاية عن هذه الحقيقيَّة الوجوديَّة والتاريخيَّة: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [سورة هود: ٧١-٧٣]، وغيرها من النساء، وكأمِّ موسى، إذ قال الله تعالى في حقِّها: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص ٧].

- **المعرفة الذاتيَّة**: وهي المعرفة التي أخذتها من أبيهاصلى الله عليه وآله، فقد تعلَّمت منه المعرفة بالقرآن الكريم، واستنباط الأحكام الشرعيَّة منه، والمعرفة بالسنَّة النبويَّة الشريفة بـأدقِّ تفاصيلها، وأحكامها، وكذلك العلوم التي أنزلها اللهعزوجل على أنبيائه من آدمعليه السلام إلى النبيّ الخاتم محمَّدصلى الله عليه وآله، فهذه العلوم كُلُّها أخذتها (صلوات الله عليها) من أبيهاصلى الله عليه وآله، وقد يكون هذا أحد معاني كونهاعليها السلام بضعة منهصلى الله عليه وآله، حيث يمكن تعميم هذا المعنى إلى علومهصلى الله عليه وآله، فعلومها بضعة

(١) علل الشرائع: ١/ ١٨٢.

من علوم أبيها صلى الله عليه وآله، فقد روى عنها أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، وكذلك روت عنها عائشة، وأمّ سلمة، وسلمى أمّ رافع، وأنس، وعبد الله بن عبَّاس، وأسماء بنت عُميس، وزينب بنت أبي رافع، وهذا يدلُّ على معرفة الزَّهراء عليها السلام، وتفقُّهها في القرآن والسنَّة النبويَّة، فضلًا عن قوَّة حجَّتها الإقناعيَّة على المعصومين، ولهذا ورد عن الإمام العسكريّ عليه السلام: «**نحن حجج الله على الخلائق، وأمُّنا فاطمة حجَّة الله علينا**»(١).

٢. **التمسُّك بهدفٍ سامٍ، والتفاني في العمل من أجل الوصول إليه**(٢): قدَّمت الزَّهراء عليها السلام نفسها ومهجتها بطريقة ملهمة وإبداعيَّة من أجل الوصول إلى أهدافها الرساليَّة، ومن أهمِّها:

- **الإبداع الخطابيّ في نشر دين أبيها**: إنَّ التمسُّك بدين أبيها محمَّد صلى الله عليه وآله، والتأكيد على أنَّه سبب الرحمة والخير والهداية، فقالت: «**أَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلَّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقَامَ في النَّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدِّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّرِيقِ المُستَقيمِ**»(٣). وهنا إشارة خفيَّة في قمَّة الإبداع ألا وهي أن سبب هداية الأمَّة هي رحمة الله تعالى كرامة لرسوله الأكرم، هل يجازى ذراري الرسول بما فعله القوم! وهذا المعنى أكَّد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «**اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ**»(٤).
- **إعلاء كلمة الحقِّ عن طريق مجادلتها ضدَّ القوم في الدفاع عن إرثها**: فقدَّمت الغالي والنفيس لهذا الهدف المنشود، مستعينةً بقول أبيها صلى الله عليه وآله: «**مَن رأى منكم**

(١) أطيب البيان، للسيِّد عبدالحسين الطيب: ١٣/ ٢٢٥.
(٢) دور التفكير الإبداعيّ في إدارة الأزمات، د. سميَّة عبَّاس الربيعيّ: ١٢.
(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١٦٨/ ٢١٢.
(٤) ينظر: الشافي: ٤٠٨، تلخيص الشافي: ٣/ ١٢٥، بحار الأنوار: ٢٨/ ٣٠٢.

منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]، فواجهت القوم، وجعلت القرآن الكريم حاكمًا شرعيًا لمظلوميَّتها، فقالت: **«أَيُهَا الْـمُسْلِمونَ أُغْلَبُ عَلى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ! أفي كِتابِ اللهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، ولَا أَرِثَ أَبِي؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا، أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ اذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُۥدَ﴾، وَقالَ فيمَا اخْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليهما السلام، إذْ قالَ رَبِّ ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾.. أَمَا كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَبِي يَقُولُ: «اَلْـمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ»؟ سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما اُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى مَا أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ»**[2]!

فهذان الموقفان يقرَّان بكلِّ وضوحٍ أنَّ هدف هذه الرسالة استنقاذ الناس أجمعين من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيِّئة وأنواع المعاصي، إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة، وهذا لا يتحقَّق إلَّا بالتمُّسك بحقيقة القرآن وبيان أحقيَّة العترة الطاهرة، وهنا نكتة دقيقة، وهي أنَّ أهل البيت عليهم السلام أكَّدوا على هذا الهدف، ولعلَّ الحكمة من ذلك لفت انتباه القوم إلى مظلوميَّتهم، وعدم إعطاء حقِّهم في الولاية، فهم عدل القرآن وترجمانه، وهم المنهل الصافي لدين رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣. القدرة على تقديم الأفكار المقنعة[3]: إنَّ القدرة على التأثير في الآخرين أمر بالغ الأهميَّة، وتوجد كثير من الطرق لإقناع الناس، ولعلَّ من أهم مصادر قدرات الزَّهراء عليها السلام أنَّها كانت واضحة في عرض أفكارها، فكانت حججها دامغة في ضوء محاولتها في التأثير على الناس بأساليب صحيحة ومنطقيَّة، فضلًا عن أسلوبها المثير في

(١) كنز العمال: ٥٥٥٦ و٥٥٣٢، ميزان الحكمة: ٣/ ١٩٥٠.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦٨/ ٢١٢.
(٣) دور التفكير الإبداعيّ في إدارة الأزمات، د. سميَّة عبَّاس الربيعيّ: ١٢.

استثارة ضمائر القوم، والرجوع إلى رشدهم، أو الاعتراف بخطئهم وجرمهم، وهذا لا يتحصَّل إلَّا بقدرات إبداعيَّة عالية، تكاد أن تصل إلى الإلهام، وهذا يتطلَّب التمتُّع بشخصيَّة وحضور قويَّين، ونتلمس هذا المعنى من قولها عليها السلام: «**أيْهًا بَنِي قَيْلَةَ! أأُهْضَمُ تُراثَ أبِيَهْ وَأنْتُمْ بِمَرْأى مِنِّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْـخَبْرَةُ، وَأنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْـجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ.. فَأنَّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقْدامِ، وَأشْرَكْتُم بَعْدَ الإيمانِ؟ أَلَا تُقاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإخْراجِ الرَّسُولِ، وَهُمْ بَداؤُكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ، أتَخْشَوْهُمْ فَاللهُ أحَقُّ أنْ تَخْشَوْهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ..فَبعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَديدٍ**»[1]. والمتأمِّل في النصِّ، يجد شجاعتها عليها السلام في تقديم الأفكار وطريقة الإقناع، في الآتي:

- جعلتهم يشهدون على أنفسهم عندما قالت «**أأُهْضَمُ تُراثَ أبِيَهْ وَأنْتُمْ بِمَرْأى مِنِّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ**»، وهنا إلقاء الحجَّة عليهم.
- بيان أهليَّة القوم الكاملة، وبيان قدرتهم على الإرادة في اتِّخاذ القرار بقولها: «**وَأنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْـجُنَّةُ**»، إذ جعلتهم يسلِّمون بأنَّ لهم الإرادة والقرار في تعاملهم مع أهل البيت عليهم السلام.

وهذا أدَّى إلى تحطيم القوم نفسيًّا، وإذعانهم التامّ بما قالته سيِّدة النساء، بدليل قول أبي بكر: «يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ، لَقَدْ كانَ أَبُوكِ بالْمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا كَرِيمًا، رَؤُوفًا رَحِيمًا، وَعَلَى الْكافِرِينَ عَذابًا أَلِيمًا وَعِقابًا عَظِيمًا»، وهنا تلميح منه لطلب رضاها والاعتذار عمَّا بدر منهم. ونستنتج ممَّا تقدَّم أنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت تحمل قدرة إبداعيَّة تجعلها صاحبة القرار في التأثير على القوم وإقناعهم، لكنَّ القوم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦٨/ ٢١٣.

قلوبهم غلف، بل أضلُّ سبيلًا.

٤. **قراءة الماورائيَّات والتعمُّق في تحليل الفكرة**[١]: علم الماورائيَّات، هو من العلوم الحديثة التي تبحث في الظواهر النفسيَّة والذهنيَّة الخارقة التي تحدث لبعض الأشخاص، والتي عجز العلم عن إيجاد تفسير لها، وأطلق (ماكس سوار) تسمية (الباراسيكولوجي) لأوَّل مرَّة في العام ١٨٨٥م، ثمَّ جاء العالم جوزيف راين وزوجته ليؤسِّسا أوَّل مختبر من هذا النوع في جامعة ديوك عام ١٩٣٤م، يقول عضو جمعية الباراسيكولوجيَّة الأستاذ حسن حافظ: «داخل كلِّ إنسان قدرات خاصَّة (تقلُّ أو تكثر) تبعًا لتركيبته العضويَّة والنفسيَّة»[٢]. ولعلَّ وجود هذه الظاهرة موغل في القِدَم، ومن ذلك أنَّ زرقاء اليمامة اشتهرت في الجاهليَّة بحدَّة بصرها، وقيل إنَّها كانت تستطيع الرؤية بوضوح على بُعد مسيرة ثلاثة أيَّام، وهذا الأمر خارق للطبيعة، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة عليها السلام: «**وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**»[٣]. وفي هذا إخبار من النبيّ صلى الله عليه وآله بما سيحدث بعد موته، وقد حدث ذلك بالفعل، فقد كانت فاطمة عليها السلام أوَّل من مات مِن أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله بعده؛ لذا نستطيع القول إنَّ الزَّهراء لم تنفرد بهذه الخصيصة، فهناك من سبقها، وهناك من لحقها، ولا نبالغ إن قلنا: قدرة استشراف المستقبل والتنبُّؤ به سمة من سمات الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام، فإبداعها الفكريّ في قراءة الأحداث بدَّقة وحشد كمٍّ كبير من المعلومات لرصد تحرُّك الأحداث بخطِّها البياني، لغرض توقُّع الحدث القادم أو الحالة المتوقَّعة مستقبلًا، فضلًا عن علومها من أبيها رسول الله جعلها تقرأ خبايا القوم وتستشرف المستقبل، ولا نظنُّ أن هذا الاستشراف يدخل ضمن مصاديق الغيب، بل هو راجعًا لإبداعها في قراءة الواقع بصورة تامَّة، ومعرفتها على تفاصيل المقدِّمات،

(١) دور التفكير الإبداعيّ في إدارة الأزمات، د. سميَّة عبَّاس الربيعيّ: ١٢.

(٢) ينظر: الباراسيكولوجي: علم.. خرافة.. أم أدوات تجسُّس، جريدة الرياض، الاثنين ٢٠ ذي القعدة ١٤٢٧هـ/ ١١ ديسمبر ٢٠٠٦م، العدد ١٤٠٤٩

(٣) رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن عائشة، الصفحة أو الرقم: ٢٤٥٠، صحيح.

فعلمت النتائج التي صرَّحت بها، ومن تلك الشواهد قولها عليها السلام في خطابها في المسجد النبويّ، عندما توجَّهت بخطابها مع الانحصار قائلة لهم: «**ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة منِّي بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنَّه فيضة النفس ونفثة الغيظ وخور القناة وبثة الصدر، وتقدمة الحجَّة، فدونكموها فأحتقبوها دبرة الظهر، نقيَّة الخفِّ، باقية العار، موسوعة بغضب الجبَّار وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة**»[1]. أمَّا الشاهد الآخر فكان في خطبتها مع نساء المهاجرين والأنصار في قولها عليها السلام: «**أمَا لعمري لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج ثمَّ احتلبوا ملءَ القعب دمًا عبيطًا وزعافًا مبيدًا، هنالك يخسر المبطلون ويعرف البطالون، غبَّ ما أسَّس الأوَّلون ثمَّ طيبوا دنياكم أنفسًا واطمئنوا للفتنة جأشًا، وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتَدٍ غاشم، وبهرج شامل، واستبدادٍ من الظالمين يدع فيئكم زهيدًا، وجمعكم حصيدًا فيا حسرتا لكم**»[2].

وعندما نقرأ هذه الشواهد، نجد انعكاساتها قد طبقت على الأرض، والتي ابتدأت مقدِّماتها منذ السقيفة، واستمرَّت في العهد الذي يُعرف بالراشديّ، ثمَّ العهد الأمويّ والعبَّاسيّ، نرى تلك النبوءة قد تحقَّقت، فأخذهم السيف الصارم، وسطوة المعتدين، واستبداد الظالمين، فهلكوا بأعمالهم، فأضحوا متفرِّقين خاسئين.

٥. **القدرة العالية على تفهُّم المشكلات وحلِّها**[3]: إنَّ السعي في حلِّ المشكلات حلًّا جذريًّا يعدُّ قمَّة الهرم في امتلاك الأفكار الإبداعيَّة، بينما التطلُّع إلى الإصلاح وتغيير الأوضاع تفجِّر طاقات المبدعين، فتجعلهم أكثر تفكيرًا وتخطيطًا للمعالجة، وقد أرادت الزَّهراء عليها السلام قيادة الأمَّة إلى التحرُّر من الطمع والعبوديَّة؛ لما لها من وعي وإدراك وإحساس مرهف وحماس متدفِّق يؤرِّقها من وطأة المشاكل وانعكاساتها، لذا فإنَّها تشعر أنَّها جاءت رحمة إلى القوم، لا تريد أن يدخل القوم إلى النار بسببها، فسعت كلَّ جهدها

(١) الاحتجاج، الطبرسيّ: ١/ ٣٠٦.
(٢) الاحتجاج، الطبرسيّ: ١/ ٣١١.
(٣) دور التفكير الإبداعيّ في إدارة الأزمات، د. سميَّة عبَّاس الربيعيّ: ١٢.

لتغيير واقعهم المرير، ونظرًا لما تملكه من كرامة وكمال وثقة والتزام في حلِّ المشكلات، نجدها ضحَّت بنفسها وبصحَّتها، وبتصديها للظلم، لتكون حجَّة على القوم، وتُعطي حلولًا جذريَّة لانتشالهم من الظلمات إلى النور. «ولا شكَّ في أنَّ اكتشاف المشكلة يمثِّل خطوة أولى في عمليَّة البحث عن حلٍّ لها، ومن ثَمَّ إضافة معرفة جديدة أو إدخال تحسينات وتعديلات على معارف أو منتجات موجودة، ويرتبط بهذه القدرة ملاحظة الأشياء غير العادية أو الشاذَّة أو المحيِّرة في محيط الفرد، أو إعادة توظيفها أو استخدامها وإثارة تساؤلات حولها»[1]. ومن التساؤلات قامت الزَّهراء بتسليط الضوء عليها لكي تكشف نوايا القوم، ولكي تحلَّ المشكلة بصورة علميَّة واعية، يستطيع المتلقِّي المنصف في ضوء ذلك إدراك الأخطاء، ومعالجة النقص والقصور، فقالت عليها السلام مستشكلة: «**أفي كِتابِ اللهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، وِلَا أَرِثَ أبي**»[2]؟ وهذا اشكال واضح يردُّ دعوى من حرَّم الورث عنها، فأجابته بقولها: «**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا**»، مستلهمة ذلك من قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾[3]، ثمَّ عضدت قولها بجواز أن يتورَّث الأنبياء في ضوء النصِّ القرآني، فقالت: «**أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ اذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[4]، وَقالَ فيما اخْتَصَّ مِنْ خَبرَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليهما السلام، إذْ قالَ رَبِّ ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[5] وَقَالَ: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ وَقالَ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[6] وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى**

(١) التفكير الإبداعيّ، موسى نجيب موسى: ٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزليّ: ١٦/ ٢٣٤، معاني الأخبار: ٣٥٤-٣٥٥، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٥٨-١٥٩.

(٣) سورة مريم: ٢٧.

(٤) سورة النمل: ١٦.

(٥) سورة مريم: ٦.

(٦) سورة النساء: ١٧٦.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾[1]. **وزَعَمْتُمْ أَلَّا حِظوَةَ لِي، وَلَا إِرْثَ مِنْ أبي ولَارَحِمَ بَيْنَنَا!**»[2]. والمتأمِّل في ما سبق يجد القدرة الواضحة على تشخيص المشكلات والاجابة عليها بصورة دقيقة وصريحة، تجعل الآخر بين مفترق طرق، وهذا الأسلوب في عرض المشكلات وحلِّها يحتاج إلى ذهنيَّة وقَّادة قادرة على إعادة توظيف الأحكام السابقة التي تخالف الحقَّ، عن طريق إثارة تساؤلات حولها[3].

٦. **وضوح الرؤية وصلابة الموقف وثبات القدم**: إنَّ رؤية المبدع للثغرات قد لا يشاركه فيها أحد ممَّن يحيطون به، والشخصيَّات المبدعة كالزَّهراء عليها السلام، وظيفتها في الحياة مصدر هداية وعطاء لتحقيق كمال المجتمعات، والنهوض لبناء الأمَّة، فمجمل هذه الصفات وغيرها تصوغ الشخصيَّة الخلَّاقة والمبدعة، القادرة على المساهمة في التطوير والرُّقيّ[4]. ولعلَّ شخصًا واحدًا مبدعًا ينفع المؤسَّسة، ويساهم مساهمة فعَّالة في إيصالها إلى النجاح، كما أنَّ انعدامه قد يصيبها في الفشل، خصوصًا في أوقات الأزمة، فالزَّهراء عليها السلام قد شخَّصت الخلل والخطل والثغرات التي ألـمَّت بالأمَّة الإسلاميَّة بعد استشهاد أبيها صلى الله عليه وآله، فبدأت بالتفكير المنتج وتهيئة الحلول الناجعة لمعالجتها، فالصدِّيقة الكبرى عليها السلام استطاعت أن تحافظ على حياة الإمام عليّ عليه السلام وتنقذه، وبعد كلِّ هذا خطبت الصدِّيقة الكبرى خطبتها المشهورة التي أظهرت بها أهميَّة الإسلام وتعاليمه كدِين، فضلًا عن بيان مكانة أبيها صلى الله عليه وآله، ومنزلة زوجها عليه السلام، وأظهرت حقيقة مظلوميَّتها في ضوء مبدأ الوراثة الذي قد تعوَّد عليه المجتمع العربيّ، وتناقل أفراد المجتمع الأملاك عن طريق مبدأ الوراثة، وطرحت الآيات القرآنيَّة التي تثبت مبدأ

(١) سورة البقرة: ١٨٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزليّ: ١٦/ ٢٣٤، معاني الأخبار: ٣٥٤-٣٥٥، والاحتجاج: ١/ ١٤٧-١٤٩، وبحار الأنوار: ٤٣/ ١٥٨-١٥٩.

(٣) ينظر: الإبداع اللغويّ عند الزَّهراء عليها السلام: ٢٠.

(٤) الإبداع اللغويّ عند الزَّهراء عليها السلام: ٢٢.

الوراثة[1]، ولم تكتف الصديقة الكبرى عليها السلام بما قدَّمت من مقاومة ومواجهة لمن أراد تغيير طريق الله ورسالته السمحاء، بل استعملت دموعها وبكاءها؛ لإظهار رفضها لأعمالهم التي تخالف شرع الله سبحانه وتعالى، حيث قالت: «**ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فو الله لا أسكت ليلًا ولا نهارًا أو ألحق بأبي رسول الله** صلى الله عليه وآله. فقال لها عليّ عليه السلام: **أفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك**. ثمَّ أنَّه بنى لها بيتًا في البقيع نازحًا عن المدينة، يسمَّى بيت الأحزان، وكانت إذا أصبحت قدَّمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية، فإذا جاء الليل، أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها، وساقها بين يديه»[2].

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزليّ: ١٦/ ٢١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزليّ: ١٦/ ٢٣٤، معاني الأخبار: ٣٥٤ ٣٥٥، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٧٧.

نتائج البحث

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج المهمَّة، نوجزها بما يأتي:

١. توصلَّت الدراسة إلى أنَّ من أهمِّ الخصائص الأساسيَّة الإبداعيَّة التي تمتَّعت بها الزَّهراء عليها السلام الحساسيَّة المرهفة لإدراك ما تنطوي عليه مواقف الحياة المختلفة، وقوَّة الحدس، والضمير اليقض، والرؤية العميقة، الدراية، والحنكة، وسعة الاطِّلاع.

٢. بيَّنت الدراسة وجود ظاهرة ارتباط الألفاظ وتداعيها مع بعضها؛ لإنتاج معنًى واحد، ليشكِّل أعلى مستويات الطلاقة عند المبدع.

٣. كشف البحث عن الخصائص الإبداعيَّة التي تمتَّعت بها الزَّهراء عليها السلام من المعرفة والاستطلاع اللدنِّيّ والذاتيّ، والتمسُّك بهدفٍ سامٍ، والتفاني في الوصول إليه، والقدرة على تقديم الأفكار المقنعة، وقراءة الماورائيَّات.

٤. حصرت الدراسة مهارة المرونة عند الزَّهراء عليها السلام في ثلاثة مواضع: توسيع دائرة التفكير، والخروج من الأفكار الاعتياديَّة والمألوفة إلى الأفكار الإبداعيَّة والمؤثِّرة، والنَّظر إلى المشكلة من جميع الجوانب، ممَّا أدَّى إلى الوصول لأفضل النتائج، والحلول الممكنة، وبيَّنت آراء القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة الشريفة عند ردِّها على الإشكال.

المصادر والمراجع

١. الإبداع اللغويّ عند الزَّهراء عليها السلام، د. قصي سمير الحِلِّيّ، د. سيف طارق العيساويّ، العدد الخاص في كتاب ردِّ الشمس، التابع لديوان الوقف الشيعيّ.
٢. الاحتجاج، العلَّامة أبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، تعليق وملاحظات: السيِّد محمَّد باقر الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦ م.
٣. الأزمة الفكريَّة المعاصرة، تشخيص ومقترحات علاج، طه جابر العلوانيّ، المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، ١٩٨٩م.
٤. استخدام أسلوب العصف الذهنيّ في تنمية مهارات التفكير الإبداعيّ وأثره على التعبير الكتابيّ لدى طالبات الصف الثالث المتوسط، مريم بنت محمَّد عايد الأحمديّ، كليَّة التربية للبنات، جامعة تبوك، مجلَّة رسالة الخليج العربيّ، العدد ٧.
٥. الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ، تقديم: عادل العلويّ، مؤسَّسة الزائر في الروضة المقدَّسة لحضرة فاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٩م.
٦. الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكريم والحديث النبويّ، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦.

٧. أسماء الله وصفاته المعروف بالأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن عليّ، أبو بكر البيهقيّ (ت٤٥٨هـ)، المحقِّق: محمَّد محب الدين أبو زيد، دار الشهداء، مكتبة التوعية الإسلاميَّة، مصر، ٢٠٠٨م.

٨. أطيب البيان في تفسير القرآن، السيِّد عبد الحسين الطيِّب، طهران، مؤسَّسة الثقافة الإسلاميَّة (بنياد فرهنك إسلامي)، كوشان بور (مكتبة الإسلام)، (وكتابفروشى اسلام)، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

٩. الأمالي، محمَّد بن الحسن الطوسيّ(٤٦٠ ق)، محقِّق ومصحِّح: مؤسَّسة البعثة، الناشر: دار الثقافة، مكان چاپ: قم: ١٤١٤ق.

١٠. الأمالي، الشيخ الصدوق، قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، الطبعة الأوَّلى، ١٤١٧هـ.

١١. الباراسيكولوجي: علم.. خرافة.. أم أدوات تجسُّس، جريدة الرياض، الاثنين ٢٠ ذي القعدة ٤٢٧هـ/ ديسمبر ٢٠٠٦م، العدد ٤٠٤٩.

١٢. بحار الأنوار، محمَّد باقر بن محمَّد تقي المجلسيّ، وزارة الإرشاد الإسلاميّ، الطبعة الأوَّلى، ١٣٦٥هـ.

١٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيديّ، طبعة الكويت، ١٩٦٥م.

١٤. تعليم التفكير، ادوارد دي بونو، ترجمة: عادل عبد الحكيم، وتوفيق أحمد العمريّ، مؤسَّسة الكويت للتقدُّم العلميّ، الكويت، ط، ١٩٨٩.

١٥. تعليم التفكير، مفاهيم وتطبيقات، دار الفكر، عمان، ط، ٢٠٠٢م.

١٦. التفكير الإبداعيّ في منظور إسلاميّ، عبد الواحد دفع الله، مجلَّة الشريعة والدراسات الإسلاميَّة، السودان، عدد ٢، ٢٠٠٣.

١٧. التفكير الإبداعيّ ودوره في حلِّ المشكلات، عبد الرحيم محمَّد عبد الرحيم، استشاري التخطيط الإستراتيجيّ، كليَّة المجتمع، دولة قطر.

١٨. التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، حنايشة، عبد الوهاب محمود إبراهيم، رسالة ماجستير في أصول الدين بكليَّة الدراسات العليا، نابلس، جامعة النجاح الوطنيَّة، ٢٠٠٩م.

١٩. تنمية التفكير ورعاية الموهوبين والمتفوِّقين، كوثر عبد الرحيم الشريف، الجمعيَّة المصريَّة للمناهج وطرق التدريس، المؤتمر العلميّ الثاني عشر، مناهج التعليم وتنمية التفكير، ٢٠٠٠م.

٢٠. توظيف نمط التفكير الإبداعيّ في ضوء القرآن الكريم في تدريس التربية الإسلاميَّة، ناصر محمود اسليم، مجلَّة كليَّة التربية، جامعة الأزهر، العدد: ١٧٦، الجزء الأوَّل، ديسمبر لسنة ٢٠١٧م.

٢١. الرحيق المختوم، صفيّ الرحمن المباركفوريّ (ت ١٤٢٧هـ) الناشر: دار الهلال، بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع).

٢٢. روضة المتَّقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمَّدتقي بن مقصودعلي المجلسيّ (١٠٧٠ق)، محقِّق ومصحِّح: موسوى كرمانى، حسين واشتهاردى على پناه، مؤسَّسه فرهنگى اسلامى كوشانبور، مكان چاپ: قم، ١٤٠٦.

٢٣. شرح نهج البلاغة، أبو حامد، عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد ابن الحسين بن أبي الحديد المعتزليّ (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الكريم النمريّ، الطبعة الأوَّلى، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٤. صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيريّ النيسابوري، تحقيق: نظر بن محمَّد الفاريابيّ، دار طيبة، الطبعة الاولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٥. علل الشرائع، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمَّد بن عليّ ابن بابويه القمِّيّ (ت٣٨هـ)، قدَّم له السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدريَّة ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٩٦٣م.

٢٦. علم النفس التكوينيّ الطفولة والمراهقة، هرمز وإبراهيم، دار النشر للطباعة، العراق، ١٩٨٨م.

٢٧. فاطمة الزَّهراء عليها السلام: نموذج المرأة القياديَّة في المجتمع، زهراء وحيدي، شبكة النبأ.

٢٨. فقه السيرة النبويَّة، محمَّد سعيد رمضان البوطيّ، دار الفكر المعاصر، ط١٠، لبنان، ١٩٩١م.

٢٩. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسَّسة الرسالة، إشراف: محمَّد نعيم العرقسوسيّ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٠. كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلِّف: علاء الدين عليّ بن حسام الدين ابن قاضي خان القادريّ الشاذليّ الهنديّ البرهانفوريّ ثمَّ المدنيّ فالمكِّيّ الشهير بالمتَّقي الهنديّ (ت ٩٧٥هـ) المحقِّق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسَّسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣١. لسان العرب، ابن منظور، محمَّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الرويفعيّ الإفريقيّ(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣٢. لقد شيَّعني الحسين، إدريس الحسينيّ المغربي، ط١، مطبعة مهر، منشورات أنوار الهدى، ١٤١٥هـ.

٣٣. مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، عماد الدين خليل من العلم، دار ابن كثير، ٢٠٠٨م.

٣٤. معاني الأخبار، ابن بابويه القمِّيّ، محمَّد بن عليّ، تحقيق: غفاري، عليّ أكبر، طهران، مكتبة الصدوق، ١٩٥٩م.

٣٥. المعجم الفلسفيّ، عبد المنعم الحفنيّ، الدار الشرقيَّة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.

٣٦. معجم المصطلحات التربويَّة المعرفيَّة أحمد اللقانيّ، عليّ الجمل، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمَّد فؤاد عبد الباقي، عن المكتبة الإسلاميَّة، إستانبول، تركيا، د.ت.

٣٨. معجم مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميَّة،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣٩. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّاء القزوينيّ الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقِّق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٠. موسوعة المفاهيم الإسلاميَّة العامَّة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، مصر، د.ت.

٤١. موسوعة علم النفس، مجموعة من المصنِّفين، المحقِّق: محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، مصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٢. ميزان الحكمة، محمَّد الريشهريّ، تحقيق: دار الحديث، ط١، ١٤٢٢هـ.

صفات المرأة العصريَّة
قراءة وتأصيل في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

أ.د. محمَّد فهد القيسيّ
جامعة واسط/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

ملخَّص البحث

في هذا العصر الذي طغت عليه لغة السُّرعة والاستهلاك والوارد من الثقافات والأفكار، وتحوَّل فيه قسم كبير من فئات المجتمع إلى الانبهار والتأثُّر بها، ووقع العبء الأكبر على المرأة في ذلك، وذلك للخصوصيَّة التي تمتلكها المرأة، ولتعدُّد الأدوار والمهام التي أُنيطت بها؛ فهي الزوجة والأخت والبنت والأم، وحتَّى مشروع الزوجة المستقبليَّة، ولذلك أصبحنا نشاهد معاناة المرأة في ظلِّ هذه المتغيِّرات، فضلًا عن تسويق نماذج للمرأة في مجتمعاتنا والمجتمعات الأخرى، وهي بعيدة كلَّ البُعد عن مأثورنا وأخلاقنا وتراثنا، وتحوَّلت قسمٌ من النساء إلى السعي للتمييز وإلفات النَّظر بأيِّ ثمن، وبأيِّ كيفيَّة، فلا أخلاق ولا حَياء ولا حتَّى مسؤوليَّة، حتَّى يخال أنَّ الكلَّ قد خضع للمبدأ سيِّء الصيت (عيش اللحظة)، كما وأصبحت هناك قناعات راسخة بأنَّ هنالك تعارضًا وتقاطعًا بين صفات المرأة العصريَّة، وما هو موجود في الدين والتراث.

لذا جاء هذا البحث ليأخذ بعضًا من صفات المرأة العصريَّة، ومحاولة تطبيقها على سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ولقد افترض البحث أنَّ روح هذه الصِّفات موجودة في رمزٍ نسائيٍّ مهمٍّ من رموزنا الدينيَّة والتراثيَّة، وهو فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وهي إحدى

الشخصيَّات المهمَّة عند المسلمين، إذ إنَّها ابنة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وزوجة الإمام عليّ عليه السلام، وللزَّهراء قدسيَّة خاصَّة عند المسلمين، فهي رمزٌ من رموز النهضة التي تركت أثرًا لا يُمحى، وذكرى لا تخفى.

وعند مناقشة صفات المرأة العصريَّة، ومحاولة إيجاد مصاديق لها عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، نجد أنَّه في البداية لا بدَّ من تحديد الصفات التي يُفتَرض أنَّها موجودة عند المرأة العصريَّة، وهي:

١. البقاء بمزاج إيجابيّ مهما كانت الظروف صعبة، والتفاؤل، ورؤية الجانب المشرق من الحدث مهما كان مؤلمًا.
٢. الإكثار من استخدام الكلمات ذات الدلالات القويَّة.
٣. امتلاك صفة المبادرة الدالَّة على الجرأة والثقة.
٤. تناول الذات بصورة مباشرة، والسعي إلى تقوية العلاقات مع الآخرين.
٥. استثمار أقلِّ الموارد لتحقيق أكبر الإنجازات.
٦. نبرة الحماس والقوَّة الدائمة في الكلام.
٧. امتلاك طاقة جسمانيَّة قويَّة ناتجة عن امتلاك الثقة بالذات والقدرات.
٨. توجيه الطاقات وعدم إهدارها بشكلٍ عشوائيّ؛ لغرض تحقيق الأهداف.

وقد تمَّ تطبيق هذه الصفات للمرأة العصريَّة على سيرة الزَّهراء عليها السلام في ثنايا البحث، الذي سيُثبت يقينًا أنَّه لا تعارُض بين الدين والتراث، وبين الأفكار العصريَّة والتقدُّميَّة الحقيقيَّة، فالدين جوهره الرُّقي بالإنسان والسموِّ به، إلَّا إذا أُسيءَ استغلاله، أو تمَّ التلاعب بمقاصد الأفكار العصريَّة والتقدُّميَّة.

وعلى هذا الأساس، وبناءً على ما تقدَّم، نبدأ بمناقشة الصفات التي يجب أن تتحلَّى بها المرأة العصريَّة، وما يقابلها في سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وذلك بعد تمهيد تضمَّن وجيزًا عن حياتها عليها السلام، وكالاتي:

تمهيد

نبذة موجزة عن حياة فاطمة عليها السلام

هي فاطمة بنت محمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله بن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف، أمُّها خديجة بنت خويلد عليها السلام[1]. وقد اختلفت الروايات في ولادتها، بعض المؤرِّخين ذهبوا إلى أنَّها ولدت قبل البعثة النبويَّة بخمس سنين، وهو الرأي الثابت عند أهل السنَّة، إذ إنَّهم يقولون إنَّها ولدت، وقريش تبني البيت، يوم حكم رسول الإسلام محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله في نزاع حول من يضع الحجر الأسود في مكانه[2]؛ فيما رأى فريق من المؤرِّخين أنَّ مولدها كان بعد البعثة النبويَّة بخمسة أعوام، في أوَّل شهر جمادى، وهو رأي تبنَّاه عدد من علماء الشيعة[3].

تزوَّجت عليها السلام من الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام سنة اثنتين من الهجرة، بعد غزوة بدر[4]؛ وأنجبت خمسة أبناء، هم: الحسن، والحسين، ومحسن، وأمُّ كلثوم، وزينب[5].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٦.

(٢) الدولابيّ، الذريَّة الطاهرة، ص١١١.

(٣) ينظر: المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢ حديث١، تاج المواليد، ص٢١، الكلينيّ، الكافي، ١/ ٤٥٧ حديث ١٠، النيسابوريّ، روضة الواعظين، ص١٤٣، الصدوق، الأماليّ، ص٤٧٥، حديث ١.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٨.

(٥) الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١١٩، ١٢٥.

واختلفت الروايات كذلك في وفاتها، منها من حدَّدت أنَّها عاشت بعد أبيها ٧٥ يومًا[١]، ومنها مَن صرَّحت بأنَّـها بقيت بعد أبيها أربعين يومًا[٢]، وثالثة ذهب إلى أنَّها بقيت بعد أبيها ثلاثة أشهر[٣].

وفيما يخصُّ موضوع البحث، فإنَّنا سنعمد إلى أخذ كلِّ صفة من صفات المرأة العصريَّة، وما يؤصِّلها في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وكالآتي:

(١) الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٢٤١، ج٤، ص٤٥٨.
(٢) الأربلِّيّ، كشف الغمَّة، ج٢، ص٧٧.
(٣) المفيد، مسار الشيعة، ص٥٤.

أوَّلًا: البقاء بمزاج إيجابيّ مهما كانت الظروف صعبة، والتفاؤل، ورؤية الجانب المشرق من الحدث مهما كان مؤلمًا

لعلَّ من الصعوبة لأوَّل وهلة أن نوفِّق هذه النقطة مع حياة السيِّدة فاطمة عليها السلام، ولكن عندما نلحظ أنَّه عندما توالت المصائب على فاطمة عليها السلام بعد وفاة أبيها، أنَّها خاطبت المسلمين بمنتهى الإيجابيَّة عندما قالت: «**الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإِحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإِدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلايِقِ بِإِجْزالِها، وَثَنَّى بِالنَّدْبِ إِلى أَمْثالِها**»[1].

ومن هذا الجزء من خطبتها عليها السلام نلحظ أنَّها أكثرت في شكر الخالق جلَّ وعلا، كي تذكِّر الناس أنَّ كلَّ ما عندهم هو منه، حتَّى لا يغترَّ شخص بما حصل عليه. وركَّزت على الجانب الإيجابيّ من الموقف دون أن يؤثِّر عليها ما تمرُّ به من ظروف صعبة وعصيبة، تمثَّلت بفقد والدها، واختلاف القوم من بعده، وتنكُّر البعض لمكانتها ومنزلتها.

ولم تكتفِ بذلك، بل انتقلت إلى دور الموجِّه والمسؤول والمرشِد، وهذا الدور يلزم أن يؤمن الإنسان أنَّه ليس في موقف صعب مغلوب على أمره، بل في موقف

(١) رويت خطبة الزَّهراء في المسجد النبويّ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بأكثر من طريق، فمَّمن روى هذه الخطبة من العامَّة: عبد الحميد ابن أبي الحديد المتوفَّى ٦٥٦هـ في كتابه (شرح نهج البلاغة)، ج١٦ ص٢١١-٢١٣، ٢٤٩، ٢٥٢. ورواها أبو بكر الجوهريّ المتوفَّى ٣٢٣هـ في كتابة (السقيفة وفدك) بعدَّة طرق. ورواها ابن طيفور المتوفَّى ٢٨٠هـ في كتابه (بلاغات النساء) بعدَّة طرق. ورواها ابن الأثير المتوفَّى ٦٠٦هـ في كتابه (منال الطالب في شرح طوائل الراغب)، ص٥٠١-٥٠٧. ورواها الخوارزميّ المتوفَّى ٥٦٨هـ عن الحافظ ابن مردويه في (مقتل الحسين)، ج١، ص٧٧. ورواها الأستاذ عمر رضا كحالة في كتابه (أعلام النساء)، ج٣، ص١٢٠٨ عن طريق صاحب بلاغات النساء.

قياديّ وريادي، أي إنَّها نظرت إلى الموضوع بمنظورٍ إيجابيّ، تطلَّب منها إرشاد الناس وهدايتهم، ليس كما يتصوَّر البعض، أنَّها في موقف ضعيف، وأقلّ شانًا من غيرها، وما يؤكِّد كلَّ ما ذكرناه أنها التفتت عليها السلام إلى القوم وقالت: «**انْتُمْ عِبادَ الله نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وأُمَناءُ اللهِ عَلى أنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النَّاطِقُ، والقُرْآنُ الصَّادِقُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللَّامِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ المَكْتُوبَةُ**»[1].

وهنا ذكَّرتهم عليها السلام بالمهمَّة الكبرى التي تنتظرهم، وهي حمل الرسالة الإسلاميَّة إلى بقاع الأرض كافَّة، وفي هذه الجزئيَّة نجد أعلى حالات الإيجابيَّة، ذلك أنَّها في خضمِّ ظروف صعبة نالت منها بشكل مباشر، لكنَّها ارتفعت بأفقها إلى استشراف المستقبل فيما يتعلَّق بتكوين دولة تمتدُّ إلى أطراف شاسعة من الأرض، وهي بذلك تنبِّههم إلى أنَّ هدفهم الرئيس في الحياة هو ما ينبغي الاهتمام به، فهي بذلك حاولت تنبيههم إلى أنَّهم تركوه وانشغلوا بأمورٍ أدنى منه.

(١) ينظر: مصادر هذه الخطبة في الصحيفة ٤ من البحث.

ثانيًا: الإكثار من استخدام الكلمات ذات الدلالات القويَّة

في هذا المجال يُذكَر أنَّ الزَّهراء عليها السلام تناولت موضوعًا آخر في خطبتيها المعروفة، تضمَّن استخدام كلمات ذات دلالات قويَّة، فقد تناولت موضوعًا مهمًّا وحسَّاسًا جدًّا، وهو موضوع الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوضحت كيف أنَّ المسلمين حادوا عمَّا أقرَّه نبيُّهم من أمر البيعة للإمام عليّ عليه السلام بقولها: «**ويحهم أنَّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوَّة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطِّبين بأمور الدنيا والدين؟ أَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا منه والله نكير سيفه، وقلَّة مبالاته بحتفه، وشدَّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمُّره في ذات الله عزَّ وجلَّ، وتالله لو تكافُّوا عن زمامٍ نبذه إليه رسول الله لاعتقله ثمَّ لسار بهم سيرًا سُجحًا، لا يُكلم خشاشه، ولا يكلُّ سائره، ولا يملُّ راكبه، ولأَوردهم منهلًا نميرًا صافيًا، ورويًّا فضفاضًا، تطفح ضفتاه، ولا يترنَّق جانباه**»[1].

وتستمرُّ في استعمال الكلمات ذات الدلالات القويَّة التي تؤثِّر في ذهن وتفكير المقابل، بشكلٍ يعزِّز مكانة المتحدِّث في نفس المتلقِّي، بقولها: «أَلَا هلمَّ فاستمع، وما عشت أراك الدهر عجبًا، وإن تعجب فعجب قولهم ليت شعري إلى أيِّ لَجأ لجؤوا، وإلى أيِّ سناد استندوا، وعلى أيِّ عماد اعتمدوا، وبأيِّ عروة تمسَّكوا، وعلى أيِّ ذريَّة قدَّموا واحتنكوا ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾»[2]

ونلحظ هنا بلاغة عالية في حديثها عليها السلام، مع تضمين الحديث آيات من القرآن الكريم، وقد استخدمت في كلامها المتقدِم، الذي كان مع نساء المسلمين، وهن يَعِدَنها في مرضها، الأسلوب غير المباشر، فيقينًا كان المستهدف بالحديث ليس النساء؛ لأن

(١) مصادر الخطبة، ص٤.

(٢) المصدر نفسه.

لا مسؤولية لهنَّ فيما حدث، بل هو لإيصال رسالة إضافيَّة إلى القوم بأنَّهم قد أخطأوا فيما فعلوه في منع الزَّهراء عليها السلام من ميراثها، ومنع الإمام عليه السلام من تسنُّم موقع الخلافة الإسلاميَّة، وأنَّ كلَّ هذا جرى بحجج لا مبرِّر لها.

ثمَّ ختمت عليها السلام حديثها معهنَّ باستعمال أقوى كلمات ممكن استعمالها، ونقصد بها آيات القرآن الكريم: «**ويحهم** ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]»، وتستمرُّ أيضًا: «**أمَا لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثمَّ احتلبوا ملء القَعب دمًا عبيطًا، وذعافًا مبيدًا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبَّ ما أسَّس الأوَّلون، ثمَّ طيبوا عن دنياكم نفسًا، واطمئنُّوا للفتنة جأشًا، وأبشروا بسيفٍ صارمٍ، وسطوةِ معتدٍ غاشم، وبهرج دائمٍ شاملٍ، واستبدادٍ من الظالمين، يدع فيأكم زهيدًا، وجمعكم حصيدًا، فيا حسرتى لكم، وأنَّى بكم وقد عميت عليكم؟** ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾[2]»[3].

(١) يونس: ٣٥.

(٢) هود: ٢٨.

(٣) ينظر: مصادر هذه الخطبة في الصحيفة ٤ من البحث.

ثالثا: امتلاك صفة المبادرة الدالَّة على الجرأة والثقة

هذه الصفة مهمَّة جدًّا للمرأة، ومن خلالها تكون المرأة مالكة لزمام أمرها، قادرة على مواجهة من يريد التحكُّم بها، ولها قدرة اتِّخاذ القرارات بحزم، وأبرز مظهر لهذه الصفة ما ورد عن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام عندما لزمت جانب أبيها الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله في الدعوة المكِّيَّة، حيث وردَ نقلًا عن ابن مسعود أنَّه قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله يصلِّي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحِرت جزورٌ بالأمس، فقال أبو جهل: أيُّكم يقوم إلى سَلَى جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه في كتفَي محمَّد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلمَّا سجد النبيّ صلى الله عليه وآله وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي مَنَعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله، والنبيّ صلى الله عليه وآله ساجد ما يرفع رأسه، حتَّى انطلق إنسانٌ فأخبر فاطمة عليها السلام، فجاءت هي وجُوَيريَّة فطرحته عنه»[1]. وهنا نجد أنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت تمتلك صفة المبادرة الدالَّة على الجرأة والثقة بالنفس، رغم قساوة الظروف وشراسة العدو، فقد قامت بطرح ما وضعوه على الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله من أذًى مع تردُّد آخرين عن ذلك؛ لأنَّه يستبطن مواجهة قريش وتحدِّيهم، وهو الذي قامت به فاطمة عليها السلام.

وفي رواية أخرى صوَّرت لنا مشهدًا آخر من مواقف الزَّهراء عليها السلام مع المشركين، والتي تدلُّ على الإمساك بزمام المبادرة والجرأة في القرار، ما ورد عن عبد الله أنَّه قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ساجد، وحوله ناس من قريش، إذ جاء عُقبة بن أبي مُعيط بسَلَى جزور، فقذفه على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يرفع رأسه حتَّى جاءت فاطمة عليها السلام فأخذته عن ظهره، ودَعَت على من صنع ذلك»[2].

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، دار الفكر بيروت، ج٣، ص١٠٧، رقم ١٤١٨.

(٢) البخاريّ، صحيح البخاريّ، كتاب الجزية والموادعة، باب طرح جيف المشركين في البئر، عالم=

وهنا نجد في فاطمة عليها السلام موقفها الصلب والجريء مع المشركين، وذلك بالدعاء عليهم، رغم ما يستتبع ذلك من ردَّة فعل متوقَّعة منهم، تتضمَّن فعلًا شرسًا وعملًا قاسيًا لمن يقف بوجههم، ولو بالدعاء، ولم يأتِ هذا الدعاء من فراغ، إنَّما كان لسببٍ رئيس هو أنَّ المشركين صمُّوا آذانهم عن سماع دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله لهم، إذ وصف القرآن الكريم تعنُّت المشركين بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[1].

ومن المواقف الأخرى التي تثبت قوَّة الزَّهراء وجرأتها، ما روي عن (البيهقيّ) بالإسناد عن ابن عبَّاس، أنَّ فاطمة عليها السلام قالت: «اجتمع مشركو قريش في الحجر، فقالوا: إذا مرَّ محمَّد عليهم ضربه كلُّ واحدٍ منَّا ضربة، فسَمِعته فاطمة، فدخلت على أبيها، فذكرت ذلك له، فقال: يا بنيَّة اسكني، ثمَّ خرج، فدخل عليهم المسجد، فرفعوا رؤوسهم ثمَّ نكسوا، فأخذ قبضةً من تراب، فرمى بها نحوهم، ثمَّ قال: **شاهت الوجوه**، فما أصاب رجلًا منهم، إلَّا قُتِل يوم بدرٍ كافرًا»[2].

ونلحظ هنا أنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت تدافع عن النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله، وتمنع أذى المشركين عنه من خلال استماعها لهم، ثمَّ تحذير الرسول من أذاهم، وقد تعرَّضت عليها السلام إلى ذِكر المشركين والكفَّار في خطبتها المشهورة في المسجد النبويّ، بقولها: «**فَرَأى الأُمَمَ فِرَقًا في أدْيانِها، عُكَّفًا على نيرانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلَّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقَامَ في النَّاسِ بِالهِدايَةِ،**

=الكتب، بيروت، ج٤، ص٢٢٠.

(١) الإسراء: ٩٠-٩٣.

(٢) البيهقيّ، دلائل النبوَّة، ج٢، ص٢٧٦.

وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ»[1].

ومن مواقف تملك زمام المبادرة للزَّهراء عليها السلام مع المشركين أنَّه وبعد استنفاد كافَّة وسائل الدعوة، وبعد أن ثبت تعنُّت المشركين، وعدم انصياعهم للحقِّ والبرهان، فقد قرَّرت عليها السلام مباينتهم والإعراض عنهم، والهجرة منهم، اتِّباعا لما فعله الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، فجاء قرار الهجرة إلى المدينة المنوَّرة من أشجع القرارات وأكثرها جرأة، ذلك أنَّه يستبطن التعرُّض للخطر بشكلٍ أكيدٍ وواضحٍ؛ بسبب عمليَّة المتابعة والتضييق التي فرضتها قريش على مَن يهاجر، والذي وصل حدِّ أنَّهم اتَّفقوا على قتل الرسول صلى الله عليه وآله ليلة هجرته، إذ ذكر (ابن عبَّاس) بخصوص ذلك: «هاجرت فاطمة عليها السلام مع أمير المؤمنين عليه السلام، فقدمت المدينة، فأنزلها النبيّ صلى الله عليه وآله على أمِّ أيُّوب الأنصاريّ»[2].

(١) ينظر: مصادر الخطبة، ص٤.

(٢) الطبريّ، دلائل الإمامة، ص٨١.

رابعًا: تناول الذات بصورة مباشرة، والسعي إلى تقوية العلاقات مع الآخرين

عادةً هناك حالة شكٍّ وريبة تجاه الشخص الذي يتحدَّث عن نفسه كثيرًا، ولكن عندما يكون إظهار الحقِّ منحصرًا بهذا الجانب، فإنَّه سيكون حتمًا للشخص التحدُّث عن نفسه بشكلٍ صريح، وهذا ما نلحظه بوضوح عندما خطبت عليها السلام: «**أيُّها النَّاسُ! اعْلَمُوا أنِّي فاطمة، وَأبي مُحمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْءًا، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطًا، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطًا، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فَإنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ،وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إلَيْهِ صلى الله عليه وآله، فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعًا بِالنِّذارَةِ، مائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِبًا ثَبَجَهُمْ، آخِذًا بِأكْظامِهِمْ، دَاعِيًا إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ**»[1].

وهنا استخدمت عليها السلام الأسلوب الذي يتضمَّن الحديث عن النفس بشكلٍ مباشر، وهذا الحديث لا يأتي إلَّا بعد أن يتأكَّد المتحدِّث أنَّ هناك رغبة وتخطيط في سبيل طمس آثاره وشخصيَّته ومكانته بشكلٍ متعمَّد وغير عادل، وهي بذلك تستخدم الأسلوب العقليّ والمنطقيّ: «**ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم**»، فبما أنَّهم عرب، والعرب حريصون على الأنساب، متفاخرون بها، فقد ذكرت نسبها إلى الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، علمًا أنَّها لم تكن تقصده بشكله المعروف، بل استهدفت نسَبَها العمليّ والعقديّ في أنَّها أقرب الناس إلى صاحب الرسالة هي وزوجها.

(١) الطبريّ، دلائل الإمامة، ص٨١.

وفي ذلك حوار، بالتلميح دون التصريح، لمن يدَّعي أنَّه أحقُّ بخلافة الرسول صلى الله عليه وآله منه، وقد أشارت في هذه الفقرة إلى الأدب القرآنيّ في الحوار، وهي بذلك ألزمت نفسها الشريفة به، من خلال قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1].

(١) النحل: ١٢٥.

خامسًا: استثمار أقلِّ الموارد لتحقيق أكبر الإنجازات

لعلَّ من أهمَّ البديهيَّات المعروفة، هو أنَّ الشخص الناجح يستخدم أقلَّ جهد في سبيل تحقيق أكبر غاية، وهذا الأمر نعرفه بعد أن انتهت عليها السلام من سياق الأدلَّة العقليَّة في حديثها مع القوم، فإنَّها لجأت إلى الضَّرب على الوتر العاطفيّ لهم، وهذا يحقِّق أقلَّ الموارد كلفة، وأقصر الطرق في استخدامها للوصول إلى أكبر وأهمِّ إنجاز ممكن الحصول عليه، حيث اشارت إلى قَبْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَقالَتْ:

«قَدْ كان بَعْدَكَ أَنْباءٌ وَ هَنْبَثَةٌ
لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكْبُرِ الخَطْبُ
إِنَّا فَقَدْناكَ فَقْدُ الأَرْضِ وابِلُها
وَاخْتَلَّ قَومُكَ فَاشْهَدْهُمْ وَقَدْ نَكِبوا
وَكُلُّ أَهْلٍ لَهُ قُرْبى وَمَنْزِلَةٌ
عِنْدَ الإِلهِ عَلَى الأَدْنَيْنِ مُقْتَرِبُ
أَبْدَتْ رِجالٌ لَنا نَجْوى صُدورِهِم
لَمَّا مَضَيْتَ وَحالَتْ دونَكَ التُّرَبُ
تَجَهَّمَتْنا رِجالٌ واسْتُخِفَّ بِنا
لَمّا فُقِدْتَ وَكُلُّ الأَرْضِ مُغْتَصَبُ
وَكُنْتَ بَدْرًا وَنُورًا يُسْتَضاءُ بِهِ
عَلَيْكَ تُنْزَلُ مِنْ ذي العِزَّةِ الكُتُبِ
وَكانَ جِبْريلُ بِالآياتِ يونِسُنا
فَقَدْ فُقِدْتَ فَكُلُّ الخَيْرِ مُحْتَجِبٌ

فَلَيْتَ قَبْلَكَ كانَ المَوْتُ صادَفَنا
لِما مَضَيْتَ وَحالَتْ دونَكَ الكُتُبُ
إِنَّا رُزِئْنا بِما لَمْ يُرْزَ ذُو شَجَنٍ
مِنَ البَرِيَّةِ لا عُجْمٌ وَلا عَرَبُ»[1]

وفي ذلك تحريكٌ لمشاعر المسلمين وعواطفهم، باستخدامها عليها السلام أسلوب الشعر الذي تضمَّن الجوانب الآتية:

١. شكت عليها السلام حالها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من ظلم القوم لها.
٢. أوضحت عليها السلام منزلة أهل البيت عليهم السلام السامية، وكيف تمَّ التجاوز على حقوقهم.
٣. ذكَّرت عليها السلام المسلمين أنَّهم لم يحفظوا الرسول في ذريَّته من خلال ما فعلوا.
٤. تمنَّت عليها السلام الموت على الحياة في ظلِّ هذه الظروف القاسية، وهذا لا يتقاطع مع ما أوردناه سابقا من قوَّة الشخصيَّة، والتفاؤل بتحقيق الأهداف؛ لأنَّ ما أوردناه هنا جاء في سياق إثارة العاطفة، والضرب على مشاعر إنسانيَّة تخدم القضيَّة بشكلٍ عام.

وفي ذلك أبلغ الأثر وأوضحه في استخدام أقلِّ الموارد، لتحقيق أكبر وأهمِّ الإنجازات التي يمكن الحصول عليها، وفقا للظروف المحيطة بالحدث.

(١) ينظر مصادر هذه الخطبة في ص ٤ من البحث.

سادسًا: نبرة الحماس والقوَّة الدائمة في الكلام

لعلَّ من أبرز وسائل التواصل مع الجمهور، وأكثرها تأثيرًا فيهم، هو امتلاك نبرة الكلام القويَّة، وإشاعة الحماس في الجمهور، وأبرز مصداق على ذلك، هو خُطبها عليها السلام المتعدِّدة، سواء بعد وفاة أبيها، أم عندما عَادَتها نساء المهاجرين والأنصار، فقد امتازت كلماتها بجزالة اللفظ، وعمق الحجَّة، وقوَّة البيان: «**وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾**[1]، **فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللُّتَيَّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾**[2]، **أَوْنَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ**»[3].

وفي هذا النصَّ من الخطبة، ركَّزت عليها السلام على جوانب معيَّنة في خطابها، هي:

١. ذكَّرت المسلمين بواقعهم المزري قبل البعثة النبويَّة، وكيف كانوا يعيشون ظروفًا أقلّ ما يقال إنَّها صعبة على مختلف الأصعدة، معنويَّة كانت أم ماديَّة.

٢. نبَّهتم أنَّ سبب ما هُم فيه هو لطف الله تعالى بإرساله الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله الذي إنقذهم ممَّا هُم فيه.

٣. تذكيرهم بالمواجهة الشرسة التي دخل بها المشركون معهم، وأنَّ زوجها الإمام

(١) الأنفال: ٢٦.

(٢) المائدة: ٦٤.

(٣) ينظر: مصادر هذه الخطبة في الصحيفة ٤ من البحث.

عليّ عليه السلام كان سببًا رئيسًا في إزاحة الظروف القاسية التي رافقت مواجهة المسلمين للمشركين.

واستمرَّت عليها السلام بالخطبة فقالت: «**فَلَمَّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ، وَسَمَلَ جِلْبابُ الدِّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلِّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين، فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفًا بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلَاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافًا، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضابًا، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَرْ، ابْتِدارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾**[1]».

وهنا نلحظ أنَّها عليها السلام تنقَّلت في كلامها من اللين إلى الشدَّة، إذ ذكَّرت المسلمين أنَّه بعد وفاة الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، ظهرت الأطماع وبوادر الشقاق بين المسلمين، وأنَّهم وقعوا ضحيَّة رغبات شخصيَّة، فضلًا عن غواية الشيطان لهم، بل إنَّها عليها السلام ألمحت إلى وجود قسم من المسلمين قد أصابهم داء النفاق المقيت، بقولها: «**ظهرت فيكم حسيكة النفاق**».

ثمَّ انتقلت عليها السلام إلى جانب التقرير وإصدار الأحكام في حديثها مع المسلمين، إذ قالت: «**فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾**[2]، **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾**[3]،

(١) التوبة: ٤٩.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) آل عمران: ٨٥.

ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَيَسْلَسَ قِيادُها، ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ، وَاطْفاءِ أَنْوارِالدِّينِ الْجَلِيِّ، وَإِهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْوًا فِي ارْتِغاءٍ»[1].

(١) ينظر: مصادر هذه الخطبة في الصحيفة ٤ من البحث.

سابعا: امتلاك طاقة جسمانيَّة قويَّة ناتجة عن امتلاك الثقة بالذات والقدرات

من مظاهر امتلاك طاقة جسمانيَّة قويَّة للزَّهراء عليها السلام، وهذه الطاقة تأتي من الثقة بالقدرات والإيمان برسالة دينيَّة قويَّة، ما ورد عنها أنها عليها السلام «ضمنت لعليّ عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها عليّ عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب، وأن يجيء بالطعام»[1]. وورد أيضا في النقطة نفسها: «كان أمير المؤمنين عليه السلام بحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز»[2].

ومن مظاهر القوَّة الجسمانيَّة للزَّهراء أنَّه تمَّ تقسيم العمل في بيتها، بحيث لا يقتصر على أفراد الأُسرة وحسب، بل كانت تتناوب بالعمل مع الخادمة يومًا بيوم، حيث أخدمها النبيّ صلى الله عليه وآله جارية أسمها فضَّة، بعد أن كثرت الفتوح والمغانم، وارتفع الفقر عن أهل الصفة، وسائر ضعفاء المدينة.

وفي خبر تزويج فاطمة عليها السلام ما يؤيِّد ذلك، حيث يرد أنَّ فاطمة عليها السلام سألت من رسول الله خادمًا.. إلى أن قال: «ثمَّ غزا رسول الله صلى الله عليه وآله ساحل البحر، فأصاب سبيًا، فقسَّمه، فأمسك امرأتَين، إحداهما شابَّة، والأُخرى قد دخلت في السنِّ ليست بشابَّة، فبعث إلى فاطمة عليها السلام، وأخذ بيد المرأة فوضعها في يد فاطمة عليها السلام، وقال: **يا فاطمة، هذه لك، ولا تضربيها، فإنِّي رأيتها تصلِّي، وإنَّ جبرئيل نهاني أن أضرب المصلِّين**. وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يوصيها بها، فلمَّا رأت فاطمة عليها السلام ما يوصيها بها، التفتت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله،

(١) العيَّاشيّ، تفسير العيَّاشيّ، المكتبة العلميَّة، طهران، ج١، ص١٧١، ما رواه العيَّاشيّ عن أبي جعفر عليه السلام.

(٢) الكلينيّ، الكافي، ج٥، ص٨٦، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٥١، عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام.

وقالت: **يا رسول الله، عليّ يوم وعليها يوم**. ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله بالبكاء، وقال: **الله أعلم حيث يجعل رسالته**»[1].

ومن الشواهد على امتلاك طاقة جسمانيَّة قويَّة ناتجة عن امتلاك الثقة بالذات والقدرات، ما ورد «أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخدم فاطمة ابنته جارية اسمها فضَّة النوبيَّة، وكانت تشاطرها الخدمة.. فقالت لها فاطمة عليها السلام: **أتعجنين أو تخبزين؟** فقالت: بل أعجن يا سيِّدتي وأحتطب»[2].

وما يؤيِّد هذا الجانب في المجال أعلاه، ورد في الأثر: «كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدَّامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين في ناحية الدار يبكي من الجوع. فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفَّاك وهذه فضَّة؟ فقالت: **أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يومًا، فكان أمس يوم خدمتها**[3].

وما يبرز امتلاكها عليها السلام للطاقة الجسمانيَّة اللافتة للنظر، أنَّها لم تكتفِ بواجبات البيت وأعماله، بل كان يأتي لها نساء المدينة وجيران بيتها[4]، ويبدو أنَّ بيتها كان يمثِّل مدرسة توجيهيَّة في الإسلام، حيث تجيء لها النساء، فيجدنَ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وهي تجيب عن أسئلتهنَّ الابتلائيَّة بعلميَّة ومسؤولية. وكانت الزَّهراء عليها السلام مثال لقوَّة التحمُّل، والطاقة والصبر والجلد، فقد كانت تنفق في سبيل الله، وتعتق الرقاب، وتعين الضعفاء، حيث إنَّ أغلب المفسِّرين اتَّفقوا على نزول قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[5]،

(١) الخوارزميّ، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٦٩، رواه بالإسناد عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه عليّ ابن الحسين عليه السلام.
(٢) ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٣٨٧، بالإسناد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.
(٣) قطب الدين الراونديّ، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٥٣٠، رواه بالإسناد عن سلمان رضي الله عنه.
(٤) العيَّاشيّ، تفسير العيَّاشيّ، ج١، ص١٧١.
(٥) الإنسان: ٨-٩.

في أهل البيت عليهم السلام، وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين، حينما تصدَّقوا، رغم خصاصتهم، على المسكين واليتيم والأسير[1]. إي إنهَّا كانت تمتلك طاقة جسمانيَّة تؤهلِّها تحمُّل الجوع، وحاجة البيت للطعام في سبيل مبدأ وقضيَّة هي تؤمن بها، وتعتقد بصحَّتها، وهو التصدُّق في سبيل الله لفئات هي أكثر عوزًا وأشدُّ حاجة، ولعلَّ أبرز دليل على هذا الأمر ما صدَّقه القرآن عندما أنزل آيات في هذا الموقف[2].

(١) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٤٤، ٦١، ابن شهر آشوب، المناقب، ج٣، ص٣٤٣.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ١٤١٦/ ١٠١، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أُحد، وصحيح البخاريّ، ج٥، ٢٢٦/ ١١٣، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبيّ صلى الله عليه وآله من الجراح يوم أُحد.

ثامنًا: توجيه الطاقات وعدم إهدارها بشكلٍ عشوائيّ لغرض تحقيق الأهداف

إنَّ أبرز هدف كان أمام الزَّهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، هو تثبيت ما أراده الله لهذه الأمَّة، وإلزام الناس بذلك بشكلٍ عقليٍّ ومنطقيّ، وهو يستبطن يقينًا تحقيق الهدف- ولو بشكلٍ جزئيّ- إذ أجابها الخليفة الأوَّل بقوله: «يَا ابْنَةَ رَسُولِ الله، لَقَدْ كانَ أَبُوكِ بالْمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا كَرِيمًا، رَؤُوفًا رَحِيمًا، وَعَلَىَ الْكافِرِينَ عَذابًا أَلِيمًا وَعِقابًا عَظِيمًا؛ فَإِنْ عَزَوْناهُ وَجَدْناهُ أباكِ دُونَ النِّساءِ، وَأَخًا لِبَعْلِكِ دُونَ الْأَخِلَّاءِ، آثَرَهُ عَلى كُلِّ حَمِيمٍ، وَساعَدَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ، لا يُحِبُّكُمْ إِلَّا كُلُّ سَعِيدٍ، وَلا يُبْغِضُكُمْ إِلَّا كُلُّ شَقِيٍّ؛ فَأَنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وآله الطَّيِّبُونَ، وَالْخِيَرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ، عَلَى الْخَيْرِ أَدِلَّتُنا، وَإِلَى الْجَنَّةِ مَسالِكُنا، وَأَنْتِ يا خَيْرَةَ النِّساءِ، وَابْنَةَ خَيْرِ الْأَنْبِياءِ، صادِقَةٌ فِي قَوْلِكَ، سابِقَةٌ فِي وُفُورِ عَقْلِكِ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكِ، وَلا مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ»[1].

ونلحظ هنا أنَّ الهدف قد تحقَّق، نتيجة توجيه الطاقات، عندما أثبت الخليفة الأوَّل المقام السامي للصدِّيقة الطاهرة، هي وزوجها الإمام عليّ عليهما السلام من خلال ما تقدَّم في النصِّ أعلاه.

(١) ينظر: مصادر هذه الخطبة في الصحيفة ٤ من البحث.

الخاتمة

بعد أكمال البحث، يمكن إيراد أبرز النتائج والخلاصات منه، وهي:

١. تعدُّ النماذج التاريخيَّة النسويَّة من أكثر الأدوات تأثيرًا في تربية النشأ الجديد، ومن عوامل الضبط الاجتماعيّ المهمَّة في ذلك.

٢. كانت الزَّهراء عليها السلام ذات شخصيَّة قويَّة ومؤثِّرة في محيطها، وهذا ما تسعى له كلَّ امرأة عصريَّة في الوقت الحاضر.

٣. من أهمِّ وسائل التأثير في الآخرين، هي استخدام كلمات وعبارات ذات مداليل قويَّة، تترك أثرًا في المقابل، وهذه الصفة مطلوبة جدًّا للمرأة في الوقت الحاضر والمعاصر.

٤. رغم كلِّ الظروف الصعبة التي مرَّت بها الزَّهراء، إلَّا أنَّها كانت ذات قابليَّات قويَّة على تحمُّل الأعباء الجسمانيَّة من عبادة وعمل، وهذا الأمر مطلوب جدًّا في صفات المرأة العصريَّة حاليًّا.

٥. من أهمِّ وسائل النجاح لأيِّ شخص، هو وضوح الهدف والرؤية، وعدم تبديد الطاقات إلَّا في سبيل هدفٍ سامٍ ومتعالٍ، وهذا ما يمكن أن تستفيد منه المرأة العصريَّة عند تصفُّحها لسيرة السيِّدة الزَّهراء.

قائمة المصادر

* القران الكريم.

١. ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، ج٤.

٢. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨.

٣. الأربلّيّ، كشف الغمَّة، ج٢.

٤. البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٤.

٥. البيهقيّ، دلائل النبوَّة، ج٢.

٦. الخوارزميّ، مقتل الحسين عليه السلام، ج١.

٧. الدولابيّ، الذريَّة الطاهرة.

٨. الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٢.

٩. الصدوق، الأمالي.

١٠. الصدوق، عيون أخبار الرِّضا، ج٢.

١١. الطبريّ، دلائل الإمامة.

١٢. العيَّاشيّ، تفسير العيَّاشيّ، المكتبة العلمية، طهران، ج١.

١٣. قطب الدين الراونديّ، الخرائج والجرائح، ج٢.

١٤. الكلينيّ،الكافي.

١٥. المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣.

١٦. مسلم، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، ج٣.

١٧. المفيد، مسار الشيعة.

١٨. النيسابوريّ، روضة الواعظين.

سيرةُ الزَّهراءِ عليها السلام وَمَبادئ التَّعايش السِّلْميّ في المجتمع أَقوَلُها عليها السلام أنْموذَجٌ

د. عبد الهادي كاظم كريم
جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة/ قسم اللغة العربيَّة

ملخَّص البحث

بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم، الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خَيرِ رُسُلِهِ وخَلْقِهِ أجمعين أَبي القاسِمِ محمَّدٍ المَبْعُوثِ رَحْمَةً للعالمين وَعَلى آلِهِ الأئمةِ الطيِّبينَ الطَّاهرينَ المَعْصُومينَ، وأَصْحَابه المُنْتَجَبين الغُرِّ المَيامِينَ الذِينَ لَمْ يَنْقَلبوا عَلى أَعْقابِهِم بَعْدَ حِين. أَمَّا بَعْدُ :

فإنَّ أَهْلَ بيتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله هُمْ مَعْدَنُ العِلمِ والفَهْمِ والمَعْرِفَةِ المتنوعةِ والعُلُومِ المُشْرَعَةِ عَلى مَشَارِبَ شتَّى وميادينَ واسِعَةٍ لا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ مَخصُوصٍ، بَلْ تَكَادُ أَنْ تَشْمَلَ كلَّ عِلمٍ وفن؛ لِذا يَنْهَلُ مِنْها كلُّ طَالبٍ لِلعِلمِ والفَهْمِ والحَقِيقَةِ، وَلَا غَرابَةَ في ذلك؛ فَهُمْ أَهْلٌ لِذلك، وَرِثوا العِلْمَ عَن آبائِهِم عَن أَجدَادِهم عَن رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله عَن اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَفَاطِمةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام بِنْتُ رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِن أُصولِ هذِهِ الأَرومَةِ العَظِيمَةِ، وَحَلْقَةٌ مِن سِلْسِلَتِها الذَّهَبيّةِ المَعْهودةِ عِندَ المُسْلمينَ جَميعًا، وَعِندَ غَيرِهِم أيضًا.

وَجاءَ هذا الجَهدُ لِيَبْحَثَ فِي ما أُثِرَ عَنِ الزَّهراءِ عليها السلام مِن أَقْوالٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِن قِصَرِ حَياتِهَا وعُمْرِهَا المباركَيْنِ، وَعَلى الرَّغْمِ مِن قِلَّةِ أقوالِها، وَمَا أُثِرَ عَنها عليها السلام مِن كَلامٍ

وَصَلَ إلينا عَبْرَ الرُّواةِ والمَصادِرِ التَّاريخيَّةِ والأدبيَّةِ؛ لِنَسْتجليَ مَا انْطَوى عَليهِ خِطَابُها وكَلامُها عليها السلام مِنْ مَضَامينَ وأُسُسَ مَتِينةٍ رَاسِخَةٍ، تُؤَسِّسُ لِفكرٍ سَليمٍ، وَسلُوكٍ صَحيحٍ قَويمٍ فِي التَّعايشِ السِّلميّ دَاخِلَ المُجْتَمَعِ الإنسانيِّ بِشَكلٍ عَامٍّ، والمُجْتمعِ الإسْلاميِّ بِشَكْلٍ خَاصٍّ، وَكَذلكَ مَا أَفادَهُ مِن مَعَانٍ جَميلةٍ سَامِيةٍ متَّشِحَةً بأثوابِها اللفظيَّةِ الزَّاهيةِ البهيَّةِ التي تَشِعُّ نُورًا وإيْمانًا وَعَقِيدَةً رَاسِخَة وَخُلُقًا رَفِيعًا وأدَبًا عَظِيمًا، وَهي تَرسِمُ أُفُقًا ثقافيًّا رَاقيًا، وتَدعُو إليه في التَّعامُلِ الاجتِماعيِّ بينَ النَّاسِ، مُؤَطَّرًا بِقِيمِ النُّبلِ وَالوِئامِ والمَحَبَّةِ والسَّلامِ؛ كي يَحيا الفَردُ والمُجْتَمعُ حَياةً هَانِئَةً بَعِيدةً عِن الغِلْظَةِ والشَّنْآنِ؛ فَوَسَمنَا البحَثَ بـ(سِيْرَة الزَّهَراءِ عليها السلام ومَبَادِئ التَّعَايشِ السِّلْمِيّ في المُجْتَمَعِ؛ أَقْوالُهَا عليها السلام أُنْمُوذَجٌ).

كَشَفَ البَحْثُ عَن مَظاهِرَ كثيرةٍ جَديرةٍ بالاهتِمامِ والتَّتَبُّعِ والبَحثِ عَلَى المُسْتَوى اللفظِيّ وَالمُسْتَوى الدَّلاليّ، تُؤسِسُ لِتلكَ المَبادئ وَتَدعُو إليها؛ للارْتِقَاءِ بِسلُوكِ الفَرْدِ قَولًا وَعَمَلًا؛ ممَّا يَقُودُ فِي النَّتِيجَةِ إلى إصْلاحِ المُجْتَمَعِ وَرُقِيِّهِ عَلَى وَفقِ الفِكْرِ الإسْلاميّ الصَّحِيحِ المُسْتنبَطِ مِن كِتَابِ اللهِ تَعَالى القُرْآنِ الكريمِ، وسُنَّةِ رَسُولِهِ العَظِيمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الصَّحِيحَةِ الحَقَّةِ، وَسِيرةِ آلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهرينَ المَعْصُومينَ عليهم السلام. وَقَصَرنَاهُ عَلَى نَمَاذِجَ مَخْصُوصَةٍ مِن تِلكَ الأقوالِ؛ لأنَّ المَجَالَ لَا يتَّسِعُ لِبحْثِها جَميعًا؛ وَلِكَي يَكُونَ البَحْثُ مُنْسَجمًا مَعَ الشُّروطِ التي وُضِعَت لَهُ سابقًا .

وَخُطَّةُ البَحْثِ وَمَنْهُجُهُ قَامَا عَلَى ذِكْرِ النَّمَاذِجِ المُخْتَارةِ مِنْها، فَتَتَناولُها بِالدِّراسَةِ وَالبَيانِ وَالشَّرْحِ وَالدَّلالَةِ، ثُمَّ الانْتِقَالُ إلى مِثالٍ آخرَ مِنْها، وَهَكَذا فِي كُلِّ واحدٍ مِنها إلى إتْمامِ البَحثِ وَنهايتِهِ بِعونِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى .

وَفِي الخِتامِ لا يَسَعُنَا إلَّا أنْ نَقُولَ مِنَ اللهِ تَعَالى التوفِيقُ، وَآخرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهِرينَ المَعْصُومِينَ، وَأَصْحَابِهِ المُنْتَجَبِينَ، والسَّلامُ عَليكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه.

المقدِّمة

التعايشُ السلميُّ في المجتمعاتِ الإنسانيَّةِ كلِّها قيمةٌ عظيمةٌ عليا، بل هو أساسُ وجودِ المجتمعاتِ وأُسُّها؛ فمن دون هذا التعايشِ لا يمكنُ أنْ نَجِدَ مجتمعًا إنسانيًّا قائمًا يَتَّصِفُ بصفةِ الحياةِ والوجود. ولُبُّ هذا كلِّه ومنبعُهُ الأصيل الأوحد الإنسانُ بكلِّ ما أَوْدَعَ اللهُ سبحانَهُ فيه من مكامنِ الخيرِ والبرِّ والإحسانِ وصُنعِ الجميلِ؛ مِمَّا يكونُ مردُّهُ الفطرةَ الإنسانيَّةَ السليمةَ التي قال عنها: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[1]؛ فهي من صُنعِ الله تعالى الذي أَتْقنَ كلَّ شيءٍ صنعَه، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾[2]، ولاسيَّما الإنسان الذي خلَقَهُ على أتمِّ صورةٍ وأجمل كلَّ شيءٍ خَلْقًا، فقال سبحانه عنه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[3]، وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[4].

إنَّ الإنسانَ هو المحورُ لكلِّ شيءٍ في هذهِ الحياةِ، وهو نبضُ المجتمعِ بكلِّ جوانبِهِ وفي كلِّ أحوالِهِ وظروفِهِ. إنَّ اسمَ (الإنسان) يفيدُ الجنسَ كلَّهُ ويدلُّ عليه؛ فيصحُّ اطلاقُهُ على الذَّكرِ والأنثى، وعلى الواحدِ والمثنى والجمع، وقيلَ إنَّ لفظَهُ مشتقٌّ من جذرَينِ

(١) سورة البقرة: ١٣٨.
(٢) سورة السَّجدة: ٧.
(٣) سورة التين: ٤.
(٤) سورة المؤمنون: ١٢-١٤.

لُغويَّينِ، هما: الأوَّل الأُنْسُ؛ فيكون حرفُ الهمزة أصلًا فيه؛ فهو على صيغةِ (فِعلان)[1]، والجذر الآخر: النسيان، فيكون حرفُ الهمزة زائدًا فيه؛ فهو على صيغةِ (إفعان)[2]. وكِلَا هذَينِ الجذرَين ومعناهما فيهما دلالة اجتماعيَّةٌ واضحةٌ، هي الأنسُ، أو يشيران إليها بوضوح، فالأنسُ لا يكون بالانفراد والعزلةِ والابتعاد عن الآخرين والتوحُّش، بل يكون بالتقاربِ والانجذاب نحو الآخرين، والتوادُدِ معهم؛ فينتج عن ذلك كلِّه معنى الأنس والاستئناس؛ فتنشأ العلاقات الاجتماعيَّة بين الفرد وغيرِهِ، وبين الجماعةِ والجماعة الأخرى.. وهكذا يتشكَّل المجتمع بأفرادِهِ وروابطهم وعلاقاتهم، وكذلك فإنَّ المعنى الأوَّل للفظ (الانسان)، وهو النسيان، يمكنُ أن نرى فيه بُعدًا اجتماعيًّا يُنتج لنا دلالة اجتماعيَّةً راقية، يتمثَّل بتناسي الإساءة وتجاهلها، كي نحافظَ على رباط المجتمع وتماسكه، وتمتين أواصرِهِ ووشائج أفرادِهِ؛ وهذا المعنى لا يبعدُ كثيرًا عن الفطرة الإنسانيَّة السليمة التي أودعها سبحانه في الإنسان، وكذلك لا يبعد عن دلالة الأُنْس التي تقتضي التغاضي عن كثيرٍ من الأمور ونسيانها؛ كي يتحقَّق الأُنسُ والوئام والمحبَّة في المجتمع.

ولكنَّ العيشَ والحياةَ داخل المجتمع، أيّ مجتمع، بسلامةٍ وأمانٍ ووئام، لا يتحقَّق إلَّا بإرساءِ مجموعةٍ من المبادئ والأسس التي يقومُ عليها المجتمع، وتؤطِّر العلاقةِ بين

(١) يُنظر: كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصريّ (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرَّائيّ، دار الهلال ومكتبة الهلال: (نسي) ٧/ ٢٤٠، وتهذيب اللغة: محمَّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: (نسي) ١٣/ ٦١.

(٢) يُنظر: الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة: أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ الفارابّي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م: (أنس) ٣/ ٩٠٤، ولسان العرب: محمَّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الرويفعيّ الإفريقيّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: (أنس) ٦/ ١١.

أفرادِهِ ولبناتِهِ، ولاسيَّما في المجتمع الإسلاميّ الذي حباه الله ﷻ بكتابه العظيم (القرآن الكريم) الذي أكَّدَ فيه هذه المبادئ؛ فذكرها بشكلٍ مُكرَّرٍ في أكثرَ من موضعٍ، وفي أكثرَ من سياقٍ، وفي أكثرَ من قصَّة وخبر، وما من غايةٍ لهذا التكرار إلَّا تثبيتُهَا في نَفْسِ الإنسانِ، وتقريرُها في نفسِهِ وقلبِهِ، كي يصدرَ كلامُهُ وقولُهُ وفعلُهُ وعملُهُ عنها من أجلِ صلاح الفردِ، ثُمَّ المجتمع.

ومن هذهِ الأُسُسِ و المبادئ ما يأتي:

الأساسُ الأوَّلُ

تكريمُ الإنسانِ في المجتمعِ؛ لأنَّه أفضلُ الخلقِ في هذا الكون

لقد ذكرَ القرآن الكريم هذا المبدأ العظيم؛ فصرَّح به في أكثرَ من موضع من، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، فجعلُ الإنسان خليفةً نوعٌ من التكريم، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[3]، فتسخير الكون لخدمة الإنسان ورزقهِ تكريمٌ آخر. ومن أجلى صور التكريم للإنسان في المجتمعِ أعطاؤه حقوقَهِ كلَّها، فإذا أُخذت منه، عليه أن يسلك الطرقَ المشروعة والمقبولة في استرداد حقوقهِ، ومن أبرز تلك الطرق الجهر بالقول في المطالبة بها، وهذا ما نادت به فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إذ صدحت بقولها ورفعت صوتها؛ لأنَّ الحقَّ لا يُعلى عليه، وعدم المطالبة بالحقوقِ يجعل الفرد خاملًا ذليلًا، يرفل بالذلِّ والهوان في قابل الأيَّام والسنين، وكذلك المجتمع يتسلَّط عليه الظالمون والطغاة؛ فجاء قولها عليها السلام لردِّ ذلك ورفض التخاذل في

(١) سورة الإسراء: ٧٠.
(٢) سورة البقرة: ٣٠.
(٣) سورة إبراهيم: ٣٢-٣٣.

استرداد الحقِّ والتمسُّك به، فكانت الصورة المثلى والأُنموذج؛ ليتَّخذها أفراد المجتمع قدوةً لهم في مثل هذا الموقف الذي يتجلَّى في مخاطبتها لأبي بكر وعمر بن الخطَّاب حين أخذا منها نِحْلتها (فدك): «قالت فاطمة عليها السلام لأبي بكر: **إنَّ أمَّ أيمن تشهد لي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك**»(1)، ثُمَّ قالت: «**أليست في يدي وفيها وكيلي، وقد أكلتُ غلَّتها ورسول الله صلى الله عليه وآله حي؟!**. قالا: بلى. قالت: **فلِمَ تسألاني البيِّنة على ما في يدي؟**. قالا: لأنَّها فَيءٌ للمسلمين، فإن قامت بيِّنة وإلَّا لم نمضها. فقالت لهما، والناس حولهما يسمعون: **أ فتريدان أن تردَّا ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وتحكما فينا خاصَّة بما لم تحكما في سائر المسلمين؟! أيُّها الناس! اسمعوا ما ركباها**. قالت: **أرأيتما إن ادَّعيت ما في أيدي المسلمين من أموالهم تسألوني البيِّنة أم تسألونهم؟**. قالا: لا، بل نسألك. قالت: **فإن ادَّعى جميع المسلمين ما في يدي تسألونهم البيِّنة أم تسألوني؟**. فغضب عمر، وقال: إنَّ هذا فيء المسلمين وأرضهم، وهي في يدَي فاطمة عليها السلام تأكل غلَّتها، فإن أقامت بيِّنة على ما ادَّعت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وهبها لها من بين المسلمين، وهي فيئهم وحقّهم، نظرنا في ذلك. فقالت: **أنشدكم بالله أما سمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن ابنتي سيِّدة نساء أهل الجنَّة؟**. قالوا: اللهمَّ نعم، قد سمعناها رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: **أ فسيِّدة نساء أهل الجنَّة تدَّعي الباطل، وتأخذ ما ليس لها؟! أرأيتم لو أن أربعة شهدوا عليَّ بفاحشة، أو رجلان بسرقة، أكنتم مصدِّقين عليَّ؟!**. فأمَّا أبو بكر فسكت، وأمَّا عمر فقال: ونوقِع عليك الحدَّ. فقالت: **كذبت ولؤمت، إلَّا أن تقرَّ أنَّك لست على دين محمَّد صلى الله عليه وآله. إنَّ الذي يجيز على سيِّدة نساء أهل الجنَّة شهادةً أو يقيم عليها حدًّا لملعون كافر بما أنزل الله على محمَّد صلى الله عليه وآله. إنَّ من أذهب الله عنهم الرِّجس أهل البيت وطهَّرهم تطهيرًا، لا يجوز عليهم شهادة؛ لأنَّهم معصومون من كلِّ سوء، مطهَّرون من كلِّ فاحشة، حدِّثني عن أهل هذه الآية، لو أنَّ قومًا شهدوا عليهم أو على**

(1) بحار الأنوار: العلَّامة المجلسيّ (ت ١١١١هـ)، تحقيق: يحيى العابديّ الزنجانيّ، عبد الرحيم الربَّانيّ الشيرازيّ، ط٢ المصحَّحة، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م: ٢٩/ ٣٩١.

أحد منهم بشرك أو كفر أو فاحشة كان المسلمون يتبرَّؤن منهم ويحدُّونهم؟. قال: نعم، وما هم وسائر الناس في ذلك إلَّا سواء. قالت: **كذبت وكفرت؛ لأنَّ الله عصمهم وأنزل عصمتهم وتطهيرهم وأذهب عنهم الرِّجس، فمن صدَّق عليهم يكذِّب الله ورسوله.** فقال أبو بكر: أقسمت عليك، يا عمر، لما سكت..»[1].

فهذا الموقف، وهذا الخطاب المكتنز بمعانٍ كثيرةٍ عميقة من الزَّهراء عليها السلام، لهما ما يبررهما ويدعو لهما من المبادئ والأُسُس التي تستنهض المجتمع في نيل حقوقه، وفي نصرةِ الحقِّ ودحض الباطل، وتزرع الثقة في نفوس أفرادهِ في استرداد حقوقهم، والمطالبةِ بها وأخذها، وعدم السكوت، أو الخضوع للسلطةِ الظالمة، أو الرضا بالهوان منها. بل «إنَّ قضيَّة فدك في منظور الزَّهراء (سلام الله عليها) إذن ليست مسألة (نِحلَة) انتُزِعت من يدها، لأسباب اختلقتها السلطة أو برَّرتها، بل إنَّ القضية أخطر من ذلك بكثير، إنَّها تشكِّل بادرة خطيرة في حياة الدولة الإسلاميَّة، وفي حياة التجربة الإسلاميَّة الوليدة، تلك التجربة، وهذه الدولة التي ناضل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله نضالًا مريرًا في سبيل إقامتها على شرعة الحقِّ وميزان العدل، وأراد لها أن تمتدَّ في أقطار الأرض وآماد الزمان. إنَّ الخطورة تلك تكمن في استعجال (النخبة) التي يُفترَض أنَّها المسؤولة عن حماية التجربة، استعجالها للحصول على (المكاسب الآنيَّة)، ومحاولة الاستحواذ على المراكز القياديَّة، بغضِّ النظر عن الأصول المقرَّرة، والنصوص المعتبرة، وذلك يعني أوَّل ما يعني فتح الباب واسعًا أمام أصحاب المطامع والنهَّازين، أو على حدِّ تعبير أمِّ المؤمنين عائشة: إنَّ الخلافة، حينئذ، سينالها البَرُّ والفاجر، ولذلك فإنَّ تصدِّي الزَّهراء (سلام الله عليها) لمثل تلك الحالة، إنَّما كان للحيلولة دون تحقُّق النتائج الخطيرة والمتوقَّعة، ومن هنا كان الهدف في (إثارة فدك) بأبعادها الشموليَّة، وتبصير الأمَّة قيادات وأفرادًا وجماهير بتلك المخاطر الرهيبة التي تنتظرهم في حال الاندفاع بهذا الاتِّجاه، وقد صرَّحت الزَّهراء

(١) بحار الأنوار: ٣٠/ ٣٠٥-٣٠٦.

(سلام الله عليها) بذلك قائلة: «**أما لعمر الله لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثمَّ احتلبوها طلاع العقب دمًا عبيطًا.. هناك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبَّ ما أسَّسه الأوَّلون، ثمَّ طيبوا من أنفسكم نفسًا، واطمئنُّوا للفتنة جأشًا، وأبشروا بسيفٍ صارمٍ، وهرجٍ شاملٍ، واستبدادٍ من الظالمين يدَع فيئكم زهيدًا، وجمعكم حصيدا..**»[1]

(١) فدك في التاريخ: السيِّد محمَّد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ)، تحقيق: عبد الجبَّار شرارة، ط١، مركز الغدير للدراسات الإسلاميَّة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م: ١١-١٢.

الأساس الثاني

فُشُو مَبدأِ السَّلامِ والأَمنِ والطُّمأنينةِ بينَ النَّاسِ

إنَّ السَّلامَ اسمٌ للهِ سبحانهُ وتعالى، وهو من أسمائِهِ الحسنى؛ فجعله اسمًا لدينهِ الخاتمِ للأديان السَّماويَّة التي صدرت عنه صلى الله عليه وآله (الإسلام)، ثُمَّ جعل جلَّ جلالُهُ (السَّلام) تحيَّةً بين النَّاسِ بعضِهم لبعض؛ كما سمَّى جَلَّ شأنُه جَنَّته في الحياةِ الآخرة بـ(السلام)، بقولهِ عزَّ مَن قائل: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، والسِّلمُ: الصلحُ، والمسالمة: المصالحة، والسَّلامُ في الأصلِ: السَّلامةُ من العيوب والآفات الظاهرة والباطنة[3]، سواء كانت ماديَّة كالعاهات والأمراض، أم معنويَّة كالحسد والغشِّ والدَّغلِ والغلِّ والكذب؛ وهذا ما يشير إليه حديث الرسولِ صلى الله عليه وآله، إذ قال: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»[4]، وفي رواية

(١) سورة الأنعام: ١٢٦-١٢٧.

(٢) سورة يونس: ٢٥.

(٣) يُنظر: المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداوديّ، دار القلم، الدار الشاميَّة، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ: ٤٢١.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م: ١١/ ٦٥٨.

أخرى: «**الْـمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْـمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِـهِمْ**»[1].

فالسَّلامُ أمانُ اللهِ في الأرضِ، الذي يُفضي إلى شيوعِ السِّلمِ والأمنِ والأمانِ بينَ النَّاسِ في كلِّ مجتمعٍ أو مجموعةٍ على الأرض؛ و يَلزمُ على وَفقِ هذا أنْ يسلَمَ الناسُ من الأذى والشَّرِ والاعتداء، والاستسلامِ لأمرِ اللهِ عزّ وجلّ وإخلاصِ العبادةِ له، وهذا يوجِبُ دخولَ المسلمِ قبلَ غيرِهِ في بابِ السَّلامةِ والأمانِ حتَّى يسلمَ النَّاسُ من بوائقِهِ، وبعدَهُ يدخلُ في هذا البابِ النَّاس الآخرون بمختلفِ مشاربهم وتنوُّعهم في اللونِ والنَّسَبِ والدينِ والمعتقدِ والمذهب؛ وبذلك يتحَّقق الأمنُ وتَعُمُّ السَّلَامَةُ والطُّمأنينةُ بين سكَّان الأرضِ كلِّهم. وتتجلَّى هذِهِ المعاني كلِّها في خُطبةِ الزَّهراء عليها السلام التي قالت فيها: «**لله فيكم عهد قدَّمه إليكم، وبقيَّة استخلفها عليكم، كتاب الله بيِّنةٌ بصائره وآي منكشفةٌ سرائره، وبرهان متجلِّية ظواهره، مديم للبرية استماعه، وقائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدِّيًا إلى النجاة أشياعه فيه تبيان حجج الله المنوَّرة، ومحارمه المحدودة، وفضائله المندوبة، وجمله الكافية، ورخصه الموهوبة، وشرايعه المكتوبة، وبيِّناته الخالية، ففرض الله الإيمان تطهيرًا من الشِّرك، والصلاة تنزيها عن الكِبَر، والزَّكاة زيادةً في الرزق، والصِّيام تبينًا للإخلاص، والحجّ تسنية للدين، والعدل تسكينًا للقلوب، والطاعة نظامًا للملَّة، والإمامة لـمًّا من الفرقة، والجهاد عزًّا للإسلام، والصبر معونة على الاستيجاب، والأمر بالمعروف مصلحة للعامَّة، وبرّ الوالدَين وقاية عن السخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضًا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تعييرًا للبخسة، وقذف المحصنات حجبًا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابًا للعفَّة، وأكل أموال اليتامى إجارةً من الظلم، والعدل في الأحكام إيناسًا للرعيَّة، وحرم الله**

(١) المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائيّ): أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ الخراسانيّ، النسائيّ (المتوفَّى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م: ٨/ ١٠٤.

الشِّرك إخلاصًا له بالربوبيَّة، فاتَّقوا الله حقَّ تقاته فيما أمركم الله به، وانتهوا عمَّا نهاكم عنه..»[1].

وتتجلَّى مبادئ التعايش السِّلميّ عند الزَّهراء عليها السلام في دعوتها الناس إلى الرِّفق بالحيوان، وعدم استخدام القسوة والشدَّة معه؛ إذ توصي بالإحسان إليه، فقالت في واحدةٍ من خُطبها: «**دعوا التعداد وعليكم بالدعاء، وزوروا موتاكم فإنَّهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب الرجل حاجته عند قبر أبيه وأُمِّه بعدما يدعو لهما، المسلم مرآة أخيه، فإذا رأيتم من أخيكم هفوة، فلا تكونوا عليه، وكونوا له كنفسه، وأرشدوه وانصحوه وترفَّقوا به، إيَّاكم والخلاف فتمزَّقوا، وعليكم بالصدق تزلفوا وتؤجروا، مَن سافر منكم بدابَّة فليبدأ حين ينزل بعلَفِها وسقيها، لا تضربوا الدواب على وجوهها، فإنّها تسبِّح ربَّها، ومن ضلَّ منكم في سفر أو خاف على نفسه فلينادي: يا صالح أغثني، فإنّ في إخوانكم من الجنَّ جنِّيًا يسمَّى صالحًا، يسيح في البلاد لمكانكم، محتسبًا نفسه لكم، فإذا سمع الصوت أجاب وأرشد الضالَّ منكم، وحبس عليه دابَّته**»[2].

وكانت الزَّهراء عليها السلام تؤكِّد في كلامها العقيدةَ السليمةَ والدين الحقَّ والشريعةَ العظيمة السمحاء والتَّمسك بها، وتطبيقها في السلوك، وتكرَّر ذكر ذلكَ كلِّه في كلِّ خُطبةٍ تَخْطُبها، وفي كلِّ مكانٍ تتحدَّثُ فيه في محفلٍ للناسِ، سواء كانَ عامًّا أم خاصًّا، للنساءِ أم للرجال؛ لأنَّ فيه صلاح المجتمعِ وسلامته؛ فقالت: «**فرض الإيمان تطهيرًا من الشرك، والصلاة تنزيهًا من الكبر، والزكاة زيادةً في الرزق، والصيام تثبيتًا للإخلاص، والحجّ تسليةَ للدين، والعدل مسكًا للقلوب، والطاعة نظامًا للملَّة، والإمامة لما من الفرقة، والجهاد عزًا للإسلام، والصبر معونة على الاستيجاب، والأمر بالمعروف مصلحة**

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: الشيخ هادي النجفيّ، ط١، دار إحياء التراث العربّي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م: ٥/ ٨٦.

(٢) مسند الإمام عليّ عليه السلام: السيِّد حسن القبانجي، تحقيق: الشيخ طاهر السلاميّ، ط١، منشورات مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م: ٧/ ٤٢٩-٤٣٠.

للعامَّة، وبرّ الوالدين وقايةً عن السخط، وصلة الأرحام منماةً للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء للنذر تعرُّضًا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييرًا للبخسة، واجتناب قذف المحصنات حجبًا عن اللعنة، واجتناب السرقة إيجابًا للعفة، ومجانبة أكل أموال اليتامى إجارةً من الظلم، والعدل في الأحكام إيناسًا للرعية، وحرَّم الله ﷻ الشِّرك إخلاصًا للربوبيَّة..»[1].

فمبدأُ السَّلامِ يتحقَّقُ مِن خِلال التطبيقِ العمليِّ لكلِّ ما جاء به الدينُ الإسلاميُّ العظيمُ من أوامرَ ونواهٍ وأحكامٍ شرعيَّة، وحِكمٍ عظيمةٍ، وأمثالٍ نافعةٍ، وقَصَصٍ كثيرةٍ، وأقوالٍ مأثورةٍ؛ فكلُّ ذلكَ الهدفُ منه تنظِّمُ حياةَ الفردِ والمجتمع، والعمل على إصلاحهما في مختلف الظروف والأحوال والأماكن؛ وبذلك كلِّهِ يتجلَّى ذلكَ التعايش السلميِّ المنشود، فالسلامُ ليسَ مجرَّدَ شِعاراتٍ، أو كلامٍ منمَّقٍ معسولٍ، ولا مجرَّد مصطلحاتٍ رنَّانةٍ فارغةٍ لا محتوى لها، يتغنَّى بها من يشاء من الناسِ، كالثرثارين، والمتشدِّقين، والمتشدِّدين، والمتحذلقين، والجاهلين، الذين يملؤون الدنيا بكلامهم الكثير الفارغ المرصوف، وهو بعيدٌ كلَّ البعدِ عن الإسلامِ، يحاولون به تضليل الناسِ واستمالتهم نحو توجُّهاتهم المنحرفة، وأهوائهم الدنيئة؛ فهؤلاء أدعياء دجَّالونَ فيما يقولون؛ فهم يصطنعون الكلام المخادع عن الإسلام اصطناعًا؛ فتجترُّ حناجرهم مصطلح السِّلمِ والسلامِ والإسلام بلا صدقٍ وبلا ضمير يخشى الله تعالى، فالإسلامُ والسلامُ ليسا مجرَّدَ هتافاتٍ تردِّدها الأفواه والحناجر، بل إنَّما السلام الحقيقيّ الصادق هو الذي ينبثق من داخل النفوس السَّويَّة الكريمة السليمة المطمئنة، المُبَرَّأةِ من الأدران والشوائب والخلل، النفوس التي تعمرُها العقول الواعية السمحة، الدَّاعية للخير والبِرِّ والإحسان والصلاح، وتملؤها العقيدة السليمة والدين الحقِّ الصحيح اللَّذَينِ رضيهما الله سبحانه وتعالى للبشرية كلِّها، والإنسانيةِ جمعاء؛ فختم بهما الأديان السماويَّة جميعَها

(١) ميزان الحكمة: محمَّد الريشهريّ، تحقيق: دار الحديث، ط١، دار الحديث: ٢/ ١٤٢٩-١٤٣٠.

والعقائد كلَّها؛ كي يكونا مصدرَ الهداية والخير والنور للناسِ كافَّة في هذه المعمورة؛ فيعيشوا أخوةً متحابِّينَ متعاونين، تجمعهم المحبَّة ويعمَّهم الأمن والأمان، وينشدون السلام[1].

(١) يُنظر: حقوق الإنسان في الإسلام: الدكتور أمير عبد العزيز، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م: ٨٢، ٨٣.

الأساسُ الثالث

رَفْضُ الظُّلمِ بأنواعِهِ كُلِّها ومصادرِهِ جميعِها

إنَّ الوقوفَ بوجهِ الظالمِ وظلمِهِ، مهما كان مقدارُ هذا الظلمِ، ومهما كانَت قوَّة هذا الظالم قيمةٌ إنسانيَّةٌ عليا، تَرجِعُ إلى فِطرةِ الإنسانِ السليمةِ التي فَطَرَ اللهُ سبحانه تعالى النَّاسَ عليها، فالنفسُ الإنسانيَّةُ جُبِلَت على رفضِ الظلمِ ودفعِ الظالمِ وردِّهِ عن الظلمِ، وهذا يمثِّلُ سُنَّةً طبيعيَّةً في الحياةِ، ونِظامًا اجتماعيًّا؛ والتَّمسكُ بهذهِ السُّنةِ وهذا النظامِ يؤدِّي إلى حفظِ الفردِ داخلَ المجتمعِ؛ فيحفظ المجتمعَ من السقوطِ في مهاوي الظلم الوخيمة؛ وبذلكَ يحيا الفردُ والمجتمعِ معًا حياةً هادئةً رِباطُها التعايشُ السِّلمي بين الناسِ؛ لذا أَوْعَدَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى الظالمين ومن وقفَ معهم أو ساعدهم أو نصرهم أوصمتَ راضيًا بفعلهم؛ لمصلحةٍ أو لمنفعةٍ أو لحاجةٍ من حوائج الدنيا الزائلة الويلَ والثبورَ واللظى خالدًا فيها؛ لعظيمِ هذا الجُرمِ وآثارهِ الكبيرةِ التي تهددُ حياةَ الأنسان، وتنخرُ في أواصرِ المجتمع؛ فتقضي على سبل العيش السلميّ المشترك، وتُضعِفُ أركانَهُ؛ ثُمَّ تقضي على الحياةِ فيه؛ فقال سبحانه تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[1]، وقالَ تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ

(١) سورة آل عمران: ١٥١.
(٢) سورة الكهف: ٨٧.
(٣) سورة الأعراف: ٤١.

خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾[3]، وقالَ تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[4].

ولم يَقْتَصِرِ الأمرُ عنده سبحانه وتعالى على وعيد الظالمين هذا الذي ذكره في كتابه العظيم (القرآن الكريم) في آياته البيِّنات السابقات في الذِّكر، وما أعدَّه لهم من سوء الجزاء والعذاب الأليم المقيم (الدائم)، بل أمرَ الناسَ بالوقوف ضدَّهم، وإنهاء ظلمهم، وأخذِ الحقوق، كي تتحقَّقَ العدالةُ، ويهنأَ الناسُ في حياتهم، بل أجازَ سبحانه وتعالى ما هو أكبر من ذلك! فقد أجاز للمظلومين أيضًا الجهر بالكلام السَّيِّء، وهو مالم يُجزه لغيرهم من الناس؛ فقال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾[5]. أَمَّا الأمرُ بالوقوف بوجه الظالمين، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ

(١) سورة التوبة: ١٠٩.
(٢) سورة غافر: ٥٢.
(٣) سورة الشورى: ٤٥.
(٤) سورة الحشر: ١٦، ١٧.
(٥) سورة النساء: ١٤٨.
(٦) سورة آل عمران: ١٠٤.

لَا يُنصَرُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[3]؛ فالنهي عن المنكر يستلزمُ بالضرورةِ النهي عن الظلم؛ لأنَّ المنكرَ اسم جامع لكلِّ عملٍ سيِّءٍ وقبيح، لا يرضي الله سبحانه وخَلقهِ، فيدخل فيه المعصية وعبادة الأوثان والظلم والعدوان والباطل والكذب، وما شابه ذلك من أبواب الشر، فالمنكر يرجع في أصله اللغويّ إلى كلِّ ما لا يُقبلُ به، ولا يُعترفُ به؛ فلا يُرضى به، سواء من الله تبارك وتعالى، أم من الناسِ؛ لأنَّه مبنيٌّ على الظلم في تضييع الحقوق، وعدم الاعترافِ بها، وهو أمرٌ صعبٌ شديدُ الوقعِ على نفس الإنسان وقلبه؛ فلم يَقبَلْهُ، ولم يعترف به لسانُهُ؛ فكَرِهَهُ[4].

ومن هذا المعنى اصطبغ لفظُ (المنكر) بدلالتِهِ الشرعيَّة في الفقه الإسلاميّ؛ فهو: «ضِدُّ المَعْرُوفِ، وكلُّ مَا قَبَّحَهُ الشَّرْعُ وحَرَّمَهُ وَكَرِهَهُ، فَهُوَ مُنْكَرٌ، ونكِرَه يَنْكَرُه نَكَرًا، فَهُوَ مَنْكُورٌ، واسْتَنْكَرَه فَهُوَ مُسْتَنْكَرٌ، وَالجَمْعُ مَناكِيرُ؛ عَنْ سِيبَوَيْهِ»[5]، فأصبح لفظ (المنكر) جامعًا لكلِّ شيء خارج عن طاعة الله ﷻ، والتزام أوامره، وتجنُّب نواهيه[6]؛ فيدخل

(١) سورة آل عمران: ١١٠-١١١.

(٢) سورة التوبة: ٧١.

(٣) سورة لقمان: ١٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريَّاء القزوينيّ الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م: (نكر) ٥/ ٤٧٦.

(٥) لسان العرب: محمَّد بن مكرم بن علّي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الرويفعيّ الإفريقيّ (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: (نكر) ٥/ ٢٣٣.

(٦) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليّ، أبو جعفر الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ١٨/ ٦٥٢، وبحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقنديّ (ت ٣٧٣هـ): ٢/ ٧١.

فيه كلُّ ما سبقَ ذِكره قبل قليل، وأوَّلُهُ معصيةُ الله تعالى، والخروج عن طاعته سبحانه.

أمَّا من يقومُ بردِّ الظلمِ والمنكر، فهو الفرد والجماعة والأمَّة جميعها؛ فلا يقتصر على واحدٍ فقط؛ لأنَّ لفظَ (الأُمَّةَ) لفظٌ مشترِك يدلُّ على الرجل الواحدِ والجماعةِ، والقوم، والقَرن من الأُمم والجيل منها، والحين من الزمان، والدِّين، والإمام، والأُمَّةِ من الناس كلِّها، والنعمة[1]. وهذهِ الدَّلالةُ المشتركة ذكرها بعضُ المفسرِّين؛ إذ جاء في الأثرِ «أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن مقاتل بن حيان قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ يقول: ليكن منكم قوم، يعني: واحد أو اثنين أو ثلاثة نفر فما فوق ذلك»[2].

وكذلكَ فقد جاءت السُّنَّة النبويَّة المُطَهَّرة بمثلِ ما وردَ في القرآن الكريم؛ إذ حثَّتِ الناس على مواجهة الظلمِ والوقوف بوجه الظالمين؛ لردعِهم واستردادِ الحقوق منهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ النَّاسَ إذا رأوا الظَّالِـمَ فلم يَأْخذوا على يديهِ أَوشَكَ أنْ يَعمَّهُم اللهُ بعقابٍ منه**»[3]، وقالَ صلى الله عليه وآله: «**أَفْضَلُ الجِّهادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**»[4]، وفي روايةٍ أخرى: «**وَمَا شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْ كَلِمَةِ عَدْلٍ تُقَالُ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، فَلَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ اتِّقَاءُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْـحَقِّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ**»[5]. فكلُّ من تعرَّض لظلمٍ عليه أن يقوم

(١) يُنظر: تهذيب اللغة: محمَّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ١٥/ ٤٥٤-٤٥٦.

(٢) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبويَّة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ١/ ٤٤٧.

(٣) سنن الترمذيّ: محمَّد بن عيسى بن سَـوْرة بن موسى بن الضحَّاك، الترمذيّ، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمَّد شاكر (ج١-٢)، ومحمَّد فؤاد عبد الباقي (ج٣)، وإبراهيم عطوة عوض، المدرس في الأزهر الشريف (ج٤-٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م: ٤/ ٤٦٧.

(٤) سنن أبي داوود: أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد بن عمرو الأزديّ السِّجِسْتانيّ (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت: ٤/ ١٢٤.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ=

بردِّه والدفاع عن حقوقهِ واستردادها؛ لأنَّ في ذلك إصلاحًا للمجتمع، وتربيةً له على مناهضة الظلم والمنكر، وعدم الاستكانة للظالمين، وعدم الخنوع لهم؛ كي لا يَعْظُمَ الظلمُ ويستفحلَ أمرُهُ؛ فتصعبَ معالجتُهُ؛ وكي يَنْعُمَ المجتمعُ بحياةٍ صالحة.

وتطبيقًا لهذا كلِّه، جاء موقفُ الزَّهراء في دفاعِها عن الحقِّ وأهلِهِ، فصدحت بصوتها، وجهرت بقولها، رافضةً كلَّ أشكالِ الظلمِ وغمطِ الحقوق وسلبها تحتَ عِللٍ واهية، وأسباب لا تَمُتُّ إلى الحقيقةِ والصوابِ بصلةٍ، إلَّا ادِّعاءً باطلًا وزورًا؛ ابتغاءً لِمآربَ شتَّى شخصيَّة وقبليَّة ونفسيَّة، مردُّها الهوى والنفاق وضعف الإيمان والعقيدة والعصبيَّة الجاهليَّة؛ فقالت عليها السلام في خطبة لها حينما عِدنها نساء المهاجرين والأنصار: «**ويحهم أنَّى زحزحوها، أي الخلافة، عن رواسي الرسالة؟! وقواعد النبوَّة، ومهبط الروح الأمين، الطبن بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا والله نكير سيفه، وشدَّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمُّره في ذات الله، وتالله لو تكافأ وأعلى زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، لاعتقله وسار بهم سيرًا سجحًا لا يكلم خشاشه، ولا يتتعتع راكبه، ولأوردهم منهلًا رويًّا فضفاضًا تطفح ضفتاه، ولا يترنَّم جانباه، ولأصدرهم بطانة، ونصح لهم سرًّا وإعلانًا، غير متحلٍّ منهم بطائل إلَّا بغمر الناهل، وردعة سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، اللهمَّ واستمع وما عشت أراك الدهر عجبًا، وإن تعجب، فقد أعجبك الحادث، إلى أي لجأ لجأوا؟ وبأيِّ عروة تمسَّكوا، لبئس المولى ولبئس العشير، بئس للظالمين بدلًا، استبدلوا والله الذنابا بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغمًا لمعاطس قوم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعا، ألَّا أنَّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم** ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ

=(ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١ م: ١٨/ ١٣٣.

كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1]»[2]. وهكذا تستمرُ الزَّهراءَ عليها السلام في ثباتِ موقفِها، والجهرِ بصوتِ الحقِّ؛ فتوجَّهت إلى مجتمعِها تؤنِّبُ مَنْ يرى الظلمَ ولا يرفضُهُ، وتوبِّخُ مَنْ يرى الحقَّ و هو صامتٌ لا ينصرُهُ؛ فهتفت مزمجرةً قائلة: «**فلمَّا اختار الله لنبيِّه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفًا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزَّة فيه ملاحظين، ثمَّ استنهضكم فوجدكم خفافًا، وأحمشكم فألفاكم غضابًا، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمَّا يندمل، والرسول لمَّا يُقبَر، ابتدارًا زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3]، فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنَّى تؤفكون! وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4]»[5]**، هذا هو صوت الحقِّ المجلجل المزلزل لعروش الظالمين، الذي يخشاه كلُّ ظالمٍ مُنكرٍ لحقوق الناسِ، والذي يهزُّ نفوسَ الجبابرة، ويرعدُ في قلوبهم، ويصدِّعُ كيانهم القائم على الظلمِ والاستبداد، وهكذا يستمرُ هذا الصوتُ بالعلوِّ والارتفاعِ يُشَنِّفُ أسماعَ الناسِ بقول الحقِّ، والجهرِ

(١) سورة يونس: ٣٥ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾.

(٢) المناظرات في الإمامة: الشيخ عبد الله الحسن، ط١، مطبعة مهر، أنوار الهدى، ١٤١٥هـ: ٥١.

(٣) سورة التوبة: ٤٩ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّى ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

(٤) سورة آل عمران: ٨٥.

(٥) المناظرات في الإمامة: ٥٣.

بِهِ من دونِ تردُّدٍ او ضَعْف؛ فيدعوهم إلى تركِ الخَوَرِ والذِّلةِ والمحاباةِ والجُبْنِ والنِّفاقِ والابتعادِ عن ذلكَ كلِّه؛ كي يتَعَزَّزَ السِّلمُ في المجتمعِ والحياةِ السليمةِ الهادئة التي تضمنُ لكلِّ فردٍ حقُّوقَهُ فيها[1].

(١) يُنظر: حقوق الإنسان في الإسلام: ١٣٤.

الأَساسُ الرابعُ

مبدأُ الرحمةِ والتراحمِ بين الناسِ

يظهرُ هذا الأَساسُ في تطبيقهِ العَمَليّ عندَ التعاملِ مع الناسِ في الحياةِ اليوميَّة وشؤونها، وما تقتضيه مِن تواصلٍ واحتكاكٍ وتداولٍ في القولِ والسلوكِ والعمل، ويتجلَّى هذا المبدأُ عند الإنسانِ في خُلُقِهِ الحَسَن الرفيع، وكذلكَ يتجلَّى في لِينِ جانبِهِ وطَبْعِهِ ومرونةِ تعاملِهِ مع الآخرين، وتمتُّعِهِ باللطفِ والرِّفقِ في المنطقِ والسلوك، وبإظهارِهِ مشاعرَ التودُّدِ والمَحَبَّةِ لغيرِهِ وعدمِ إبداء أماراتِ الملل والضجرِ والتضايق مِمَّن هم بجوارهِ أو معه أو بجانبه مِن الناسِ الذين يتعامل معهم، وكلُّ هذا مِمَّا جاء به دينُنا الإسلاميّ العظيم، وسُطِّرَ في سِفرِهِ الخالدِ القرآن الكريم، بوحيٍ مِنَ الله سبحانه وتعالى على رسولِهِ الكريم إلى الإنسانيَّة جمعاء محمَّدصلى الله عليه وآله، حيثُ قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.
(٢) سورة الحجر: ٥٦.
(٣) سورة الإسراء: ٢٨.
(٤) سورة الأنبياء: ١٠٧.

عَظِيمٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[3].

وكذلك كان شأنُ سيرةِ المصطفى ﷺ، إذ استفاضت فيها الأحاديث التي تدعو الناسَ إلى كلِّ ذلكَ من صفاتِ التودُّد واللطفِ واللينِ والمروءةِ والرحمةِ فيما بينهم؛ كي يعيشوا بِسِلمٍ ووئام وانسجامٍ ومحبَّةٍ؛ فتهنأَ حياتُهم وتطيب؛ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلِّه**»[4]، وقالَ أيضًا: «**الرَّاحمونَ يرحَمُهُم الرحمنُ، ارحموا أَهلَ الأرضِ يَرْحَمْكُم مَن في السَّماءِ**»[5]، وقالَ كذلك: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخيرَ**»[6]، وقالَ كذلك: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّنَا، وَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يُحِبَّ لِلْمُؤْمِنِينَ**

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

(٣) سورة الحديد: ١١.

(٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيَّامه (صحيح البخاري): محمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاريّ الجعفيّ، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمَّد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ: ٩/ ١٦.

(٥) مُصَنَّف ابن أبي شَيْبة: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمَّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسيّ (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ: ٥/ ٢١٤، وشعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ، أبو بكر البيهقيّ (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، بومباي، الهند، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م: ١٣/ ٤٠١.

(٦) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم): مسلم بن الحجَّاج أبو الحسن القشيريّ النيسابوريّ (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت: ٤/ ٢٠٠٣.

مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

ويتجلَّى هذا المبدأُ في الإجابة لحاجاتِ الناسِ برفقٍ وعلوِّ خُلُقٍ وكرم؛ على وفقِ أمرِ سبحانه وتعالى في قولهِ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]، وهذا ما تجلَّى عندَ الزَّهراء عليها السلام حيَن سألَتها امرأة «فقالت: إنَّ لي والدةً ضعيفةً وقد لبس عليها في أمرِ صلاتِها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك. فأجابتها فاطمة عن ذلك. فثنَّت، فأجابت. ثمَّ ثلَّثت، فأجابت. إلى أن عشَّرت، فأجابت. ثمَّ خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشقُّ عليك يا بنت رسول الله. قالت فاطمة: **هاتي وسَلي عمَّا بدا لك. أرأيتِ من اكترى يومًا يصعد إلى سطحٍ بحملٍ ثقيل، وكراؤه مائة ألف دينار، أيثقل عليه؟** فقالت: لا. فقالت: **اكتريت أنا لكلِّ مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤًا، فأحرى أن لا يثقل عليَّ الخبر**»[3]. فكثرة الأسئلة وتكرارها قد يُحدثُ داخل الإنسان وفي نفسِهِ ضجرًا أو مَلَلًا أو غضبًا، وبخاصَّةٍ إذا كان السائلُ واحدًا، وهو نفسُهُ يكرِّر الأسئلةِ، والمُجيبُ عنها شخصٌ واحد، ولكنَّ هذا الأمرُ يسري على عامَّة الناسِ ومعظمهم، أمَّا الزَّهراءُ فلا يَمسُّ طَبعَها وخُلُقُها شيء من ذلك أبدًا؛ فلا ضيقَ ولا ضجرَ ولا مللَ ولا نَصَبَ وغضبَ مِن تلكَ الكثرةِ وذلك التكرار، بل هناك تَقبُّلٌ وسَعَةُ صدرٍ وكرمُ خُلُقٍ وسماحةُ نفسٍ وبُعْدُ نَظَرٍ وعظيمُ صبر؛ فهذه السماتِ

(١) المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيُّوب بن مطير اللخميّ الشاميّ، أبو القاسم الطبرانّي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيّ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢: ٨/ ٣٠٨، والمستدرك على الصحيحَين: أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم ابن الحكم الضبِّيّ الطهمانيّ النيسابوريّ المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١١/ ١٩٩٠: ١/ ١٣١.

(٢) سورة الضحى: ٩-١١.

(٣) مستدرك سفينة البحار: الشيخ عليّ النمازيّ الشاهروديّ، (ت ١٤٠٥هـ)، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن عليّ النمازيّ، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، ١٤١٩هـ: ٤/ ٤٠٥.

الرفيعة، وهذه السجايا الراقية تحوطُ الفردَ بالاهتمامِ والرعايةِ وتشعِرهُ بالاحترامِ والتقديرِ؛ فينعكسُ هذا كلُّهُ في قوله وفعله وعمله داخل أرْوِقةِ المجتمع، وبين ثناياه وطيَّاتهِ؛ فتنمو بذرةُ الانسجامِ وقبولِ الآخر والحبِّ والسِّلْمِ بين أفرادهِ ومكوِّناتهِ، ويَتَعمَّقُ الشعورُ بالاطمئنان والمحبَّةِ في نفوسِهم؛ فيتحقَّقُ العيشُ المشتركُ السِّلْميُّ الآمنُ.

الأساسُ الخامسُ

زَرْعُ مَبْدَأِ الثِّقةِ عِنْدَ النَّاسِ، وإقَامَةُ مبدَأِ التعاونِ بينهم

إنَّ زراعةَ روحِ التعاون داخلَ نفسِ الفردِ وإشاعتها بين صفوفِ المجتمعِ وصنوفهِ وأفرادِهِ تُعزِّزُ التعايشَ السِّلميَّ الآمنَ بينهم، وتدعو إلى التواصلَ والتقاربِ بما يحقِّقُ الانسجامَ والألفةَ والقبولَ والرضا بين الشخصِ وغيرِهِ الآخر الذي يعيش ويحيا معه على أرضٍ واحدةٍ؛ فتنشأُ العلاقاتُ الاجتماعيَّةُ المختلفةُ والمتنوعةُ فيما بينهم، التي عِمادُها تلكُ البذرةُ من الثِقةِ وتلكَ الروحُ من التعاون في كل ما يحتاجُهُ الفردُ في حياتِهِ وإدامتها داخل مجتمعهِ ومحيطِهِ الإنسانيّ ورُقْعَتِهِ الجغرافيَّة التي تُقِلُّهُ، ومِن أجلى صِورِ هذا الأساسِ التعاملُ اليوميّ في الحياة وما تتطلَّبُهُ من أمورٍ ولوازمَ وحوائجَ وأشياء ضروريَّـةَ لا بدَّ منها؛ كي تستمرَّ الحياة، ويمكنُ لنا أن نُلاحظَ هذا فيما رويَ عن الزَّهراء عليها السلام؛ حيثُ رويَ أنَّها قالت: «**يا سلمان**[1] **خُذ درعي هذا ثمَّ امضِ به إلى شمعون**

(١) سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ: انْتَسَبَ إِلَى الإِسْلاَمِ فَقَالَ: سَلْمَانُ بْنُ الإِسْلاَمِ، سَابِقُ أَهْلِ فَارِسَ وَأَصْبَهَانَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَقِيلَ: كَانَ اسْمُهُ قَبْلَ الإِسْلاَمِ مَابَهُ بْنُ بُودَخْشَانَ بْنِ مُورْسَلاَنَ بْنِ بَهْبُوذَانَ بْنِ فَيْرُوزَ بْنِ شَهْرَكَ، مِنْ وَلَدِ آبَ المَلِكِ، وَكَانَ مَجُوسِيًّا قَاطِنَ النَّارِ، أَسْلَمَ مَقْدَمَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله المَدِينَةَ، وَقِيلَ: أَسْلَمَ بِمَكَّةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَهُوَ وَهْمٌ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ، وَمَنَعَهُ الرِّقُّ عَنْ بَدْرٍ وَأُحُدٍ، ثُمَّ أُعْتِقَ عَنْ كِتَابَةٍ، وَشَهِدَ الْخَنْدَقَ فَمَا بَعْدَهُ مِنَ المَشَاهِدِ، كَانَ مِنْ أَصْبَهَانَ مِنْ قَرْيَةِ جَيٍّ، وَقِيلَ: مِنْ رَامْهُرْمَزَا، اخْتَلَفَ فِيهِ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي حَفْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي دَهَّمْ عَلَى هَذِهِ المَكِيدَةِ فَقَالَ المُهَاجِرُونَ: هُوَ مِنَّا، وَقَالَتِ الأَنْصَارُ هُوَ مِنَّا فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «**لَا، بَلْ سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ**»، وَكَانَ أَحَدَ النُّجَبَاءِ وَالرُّفَقَاءِ، وَهُوَ أَحَدُ مَنِ اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَيْهِ، وَأَدْرَكَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ، وَقَرَأَ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ، آخَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَدِمَ=

اليهوديّ[1]**، وقُل له تقول لك فاطمة بنت محمَّد**ﷺ**: أقرضني عليه صاعًا من تمرٍ وصاعًا من شعير، أردُّهُ عليك إن شاء الله تعالى.** قال فأخذ سلمان الدِّرع، ثمَّ أتى به إلى شمعون اليهوديّ، فقال له: يا شمعون هذا درع فاطمة بنت محمَّدﷺ، تقول لك أقرضني عليه صاعًا من تمرٍ و صاعًا من شعير، أرده عليك إن شاء الله. قال فأخذ شمعون الدِّرع.. الخبر»[2]. وتمام هذا الخبر أنَّ سلمانعليه السلام قال: « فأخذ شمعون الدِّرع، ثمَّ جعل يقلِّبه في كفِّه وعيناه تذرفان بالدموع، وهو يقول: يا سلمان هذا هو الزُّهد في الدنيا، هذا الذي أخبرنا به موسى بن عمران في التوراة، أنا أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه، ثمَّ دفع إلى سلمان صاعًا من تمرٍ وصاعًا من شعير، فأتى به سلمان إلى فاطمة، فطحنته بيدها واختبزته خبزًا، ثمَّ أتت به إلى سلمان فقالت له: خذه وامضِ به إلى النبيّﷺ، قال: فقال لها سلمان: يا فاطمة خُذي منه قرصًا تعلِّلين به الحسن والحسين، فقالت: يا سلمان هذا شيء أمضيناه لله عزوجل، لسنا نأخذ منه شيئًا. قال: فأخذه

=الشَّامَ زَائِرًا لَهُ، وَلَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْمَدَائِنَ، وَكَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ، أَدْرَكَ وَصِيَّ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَعَاشَ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَهُوَ الصَّحِيحُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ، وَيَتَصَدَّقُ بِعَطَائِهِ، تُوُفِّيَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ، وَقِيلَ: سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ قَبْلَ وَقْعَةِ الْجَمَلِ، حَدَّثَ عَنْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَامَّةُ حَدِيثِهِ عِنْدَ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، وَأَبِي وَائِلٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، وَشُرَحْبِيلَ بْنِ السِّمْطِ. معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانيّ (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازيّ، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ٣/ ١٣٢٧، وينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزريّ، عزّ الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عليّ محمَّد معوَّض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م: ٢/ ٥١٠، ومابعدها.

(١) لم أجد أيَّ ترجمة لـ(شمعون اليهوديّ) فيما بين يديَّ مِن المصادر، وكلُّ ما وجدتُه أنَّه كان بائعًا للحنطة والشعير، أو تاجرًا أو عطَّارًا.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: الشيخ إسماعيل المعزيّ الملايريّ، مطبعةالمهر، قم، ١٤١١/ ١٣٦٩ش: ١٨/ ٣٥٢.

سلمان فأتى به النبيّ صلى الله عليه وآله، فلما نظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى سلمان قال له: **يا سلمان من أين لك هذا؟** قال: من منزل بنتك فاطمة، قال: وكان النبيّ صلى الله عليه وآله لم يطعم طعامًا منذ ثلاث»[1]. وما نُريدُ التركيزَ عليهِ في هذا الخبر هو الثِّقة بالآخر المتبادَلة بين أفراد المجتمع الذين وردت أسماؤهم في الخبر، وهم (فاطمة، سلمان، شمعون اليهوديّ)، التي تبني في المجتمع كلَّ ما يُعزِّزُ العيشَ الهادئ الذي يقوم على دعائمِ الثقةِ والوئامِ والسِّلم؛ فالعيشُ على هذه الأرضِ عيشٌ مشتركٌ للناسِ كلِّهم جميعًا، وهذا وحدَهُ أصلٌ عامٌّ يشملُ كلَّ إنسانٍ وُجِدَ فوقَ هذهِ المعمورة؛ وهو ما أقرَّهُ سبحانَهُ وتعالى؛ فذكرهُ في محكمِ كتابهِ العظيم (القرآن الكريم) إذ جاء فيه: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2]، فالزَّهراء عليها السلام قد أشارت في قولها السابق لسلمان إلى هذا الأصل القرآنيّ العام للناس، حين ذكرت (شمعون اليهوديّ)، وهو البائع (العطَّار) المعروف عندهم في ذلك العصر؛ فهي لا ترى فرقًا في التعامل لشأنٍ من شؤون الحياة بين المسلم واليهوديّ والنصرانيّ وغيرهم، ما دامت تلك الثقةِ المتبادلة، وذلك التعاون المنشود حاضرَين عندهما في القول والسلوك والعمل، وهكذا يحيا الفرد ويحيا المجتمع في ظِلِّ أساسٍ صحيحٍ سليمٍ متينٍ يَكفلُ لهم العيشَ المشتركَ، ويحقِّقُ لهم السِّلمَ المجتمعيَّ المنشودَ في الحياةَ.

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٧٣.

(٢) سورة الرحمن: ١٠-١٣.

الأساسُ السادسُ

مبدأُ الرِّفقِ واللينِ والحياءِ والبشاشةِ في التعاملِ مع الناسِ والتودُّدِ إليهم، وتكريم الضعفاء والبائسين والمحاويج مِن خدمٍ وعبيدٍ وغيرهم وإتحافهم، ومراعاة اليتامى والمحافظة على حقوقهم

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

(١) سورة البقرة: ١٧٧.
(٢) سورة البقرة: ٢٤٥.
(٣) سورة الأعراف: ١٩٩.
(٤) سورة النحل: ٩٠.
(٥) سورة الإسراء: ٢٦.

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾[2].

وكذلكَ فقد حَثَّ قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله على الإحسان إلى تلك الشرائح من المجتمع، الضعفاء والمساكين والمعوزين من ذوي القربى ومن غيرِهِم، والخَدَم، ومواساتهم بالقول والعمل والمال وتقديم المعروف لهم؛ فقال صلى الله عليه وآله في حقِّهم: «**إخوانكم جعلهم اللهُ تحتَ أيديكم فأطعموهم مِمَّا تأكلون، وألبسوهم مِمَّا تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلَّفتموهم فأعينوهم**»[3]، وهو ما نجده حاضرًا عند الزَّهراء عليها السلام، ومنه قولها: «**المسلم مرآة أخيه، فإذا رأيتم من أخيكم هفوة فلا تكونوا عليه، وكونوا له كنفسه، وأرشدوه وانصحوه وترفَّقوا به، إيَّاكم والخلاف فتمزَّقوا، وعليكم بالصدق تزلفوا وتؤجروا**»[4]، وقولها عليها السلام: «**فرض الإيمان تطهيرًا من الشِّرك، والصلاة تنزيهًا من الكبر، والزكاة زيادةً في الرزق، والصيام تثبيتًا للإخلاص، والحجّ تسليةً للدين، والعدل مسكًا للقلوب، والطاعة نظامًا للملَّة، والإمامة لمًّا من الفُرقة، والجهاد عزًّا للإسلام، والصبر معونةً على الاستيجاب، والأمر بالمعروف مصلحةً للعامَّة، وبرّ الوالدين وقايةً عن السَّخَط، وصلة الأرحام منماةً للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء للنَّذر تعرُّضًا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييرًا للبخسة، واجتناب قذف المحصنات حجبًا عن اللعنة، واجتناب السرقة إيجابًا للعفَّة، ومجانبة أكل أموال اليتامى إجارةً من الظلم، والعدل في الأحكام إيناسًا للرعية، وحرم الله عزّ وجلّ الشرك إخلاصًا**

(١) سورة الروم: ٣٨.

(٢) سورة البلد: ١٢-١٨.

(٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله (صحيح مسلم): ٣/ ١٢٨٢، ويُنظر: سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيَّة، : ٢/ ١٢١٦.

(٤) مسند الإمام عليّ عليه السلام: ٧/ ٤٢٩.

للربوبيَّة»[1]، وهكذا نرى في أقوال الزَّهراء عليها السلام وخُطبها فِكرَ الإصلاح في المجتمع، ودعوةَ أفرادِهِ إلى نبذ الفرقة والتباغض، والتمسُّكِ بصراط الله عزوجل المستقيم، والالتزام بدينهِ القويم في الإحسانِ إلى الناس، ولاسيَّما اليتامى، ومواساتهم والرفق بهم، وإظهارِ جانب اللين والمودَّة وطلاقةِ الوجه واستبشاره لهم؛ فكلُّ ذلك له الأثر الكبير في تماسك المجتمع وأفراده وتراصهم، مِمَّا يقود في النتيجة إلى صلاحهما وصلاح عيشهما وحياتهما، القائِمَينِ على المحبَّةِ والتَّوادُدِ والوئام واحترام الذوات والتمسُّك بأوامرِ الله سبحانه وتعالى، وتجنب نواهيه، في تنظيم علاقة الفرد بغيره داخل المجتمع الواحد، كي يتحقَّق التعايش السِّلْميّ المنشود.

(١) ميزان الحكمة: ٢/ ١٤٢٩.

خاتمة البحث

تَضمَنتْ صفحاتُ البحثِ السَابقَة نماذجَ مِن أقوالِ سيِّدةِ نِسَاءِ العالمينَ فَاطِمَةَ عليها السلام ابنةَ سَيِّدِ الرُّسُلِ والخَلْقِ مِنَ الإنْسِ والجِنِّ أَجمعين مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ صلى الله عليه وآله، التي وَرَدَتْ في خُطَبِها وجَاءتْ مَبْثُوثَةً في مَصَادِرِ تُراثِنَا الإسْلاميِّ والتَّاريخيِّ، واشْتَمَلَتْ هذِهِ الأقوالُ المباركَةُ على كَثِيرٍ مِن مَظاهرِ العَيشِ المُشْتَرَكِ، وكَثيرٍ مِن تَجلياتِ التعايُشِ السِّلميّ في المُجْتَمَعَيْنِ الإنْسَانِيِّ والإسْلَاميِّ على حَدٍ سواء. ونَحْنُ في هذا البَحْثِ، عَلى الرَّغمِ مِنْ قِصَرِهِ وإيجازِهِ التزامًا بِمَا وُضِعَ لَهُ مِن شُروطٍ، حَاولنا رَصْدَ هذِهِ التجلِّياتِ وتلكَ المَظَاهِرِ في مجموعةٍ مِنْ أَقوالِهَا التي تَيَسَّرتْ لَنَا؛ كَي تَكُونَ مُنْطَلقًا لَنَا ولِلْنَاسِ أَجْمعينَ فِي السَّيرِ على خُطًا صَحِيحَةٍ ثَابِتَةٍ في إصلاحِ الفَردِ الذي يَقُودُ إلى إصلاحِ المُجتَمعِ وصُولًا إلى تَحقِيقِ التَّعَايُشِ السِّلميِّ المَنْشُودِ الذي يَجْعَلُ الحَياةَ هَادِئَةً سَلِيمَةً هَانِئَةً سَعيدةً أو عَلى قُرْبٍ منها أو بعضِها. ومِن هذهِ التجليَّات والمظاهرِ ما يأتي:

١. تكريمُ الإنسانِ في المجتمعِ؛ لأَنَّهُ أفضلُ الخَلقِ في هذا الكونِ، وأَجْلى مظاهرِ هذا التكريمِ أَنْ يَأْخُذَ الإنْسَانُ، إنْ لَمْ نَقُلْ تُعْطَى لَه.
٢. فُشُو مَبْدأِ السَّلامِ والأَمنِ والطُّمأنينةِ بينَ النَّاسِ وحبُّ الخيرِ للجميع.
٣. رَفْضُ الظُّلمِ بأنواعِهِ كُلِّها ومصادرِهِ جميعِها.
٤. الرَّحْمَةُ والتراحِمُ بين الناسِ داخلَ الأُسرةِ، وداخلَ المجموعةِ الواحِدةِ، وداخلَ الجماعةِ، وداخلَ الأمَّةِ الواحدةِ، وبين الأُمَمِ والشُّعوبِ وبينِ النَّاسِ جميعًا.

٥. زَرْعُ مَبْدَأِ الثِّقةِ عِنْدَ النَّاسِ، وإِقَامَةُ مبدَأِ التعاونِ بينهم.

٦. الرِّفقُ واللينُ والحياءُ والبشاشةُ في التعاملِ مع الناسِ، والتَّوَدُّدُ إليهم، وتكريمُ الضعفاءِ والبائسينَ والمحاويجَ مِن خَدَمٍ وعَبيدٍ وغيرهم وإتحافهم، ومراعاةُ اليتامى والمحافظةُ على حقوقهم.

وآخرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالمين، وَالصَّلَاةُ والسَّلامُ على رَسُولِهِ الكريمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وعلى آلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ المَعصومِينَ، وَعَلى أَصْحَابِهِ المُؤْمِنِينَ المُنْتَجَبِينَ. والسَّلامُ عَلَيْكم ورَحْمَةُ اللهِ تَعَالى وبَرَكَاتُهُ.

مصادرُ البحثِ ومراجِعه

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجـزريّ، عزّ الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عليّ محمَّد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٢. بحار الأنـوار: العلَّامة المجلسيّ (ت ١١١١هـ)، تحقيق: يحيى العابديّ الزنجانيّ، عبد الرحيم الربَّانيّ الشيرازيّ، ط٢ المصحَّحة، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقنديّ (ت٣٧٣هـ).

٤. تهذيب اللغة: محمَّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمَّد عـوض مرعب، دار إحياء الـتراث العـربيّ، بـيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٥. جامع أحاديث الشيعة، الشيخ إسماعيل المعزي الملايريّ، مطبعة المهر، قم، ١٤١١/ ١٣٦٩ش.

٦. جامع البيان في تأويل القرآن: محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليّ، أبو جعفر الطبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيَّامه (صحيح البخاري): محمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاريّ الجعفيّ، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصوَّرة عن السلطانيَّة بإضافة ترقيم محمَّد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

٨. حقوق الإنسان في الإسلام: الدكتور أمير عبد العزيز، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٩. سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيَّة، فيصل عيسى البابي الحلبيّ.

١٠. سنن أبي داوود: أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد ابن عمرو الأزديّ السِّجِسْتانيّ (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت.

١١. سنن الترمذيّ: محمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحَّاك، الترمذيّ، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمَّد شاكر (ج١-٢)، ومحمَّد فؤاد عبد الباقي (ج٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرِّس في الأزهر الشريف (ج٤-٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م.

١٢. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ، أبو بكر البيهقيّ (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، بومباي، الهند، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٣. الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة: أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ الفارابيّ (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٤. فدك في التاريخ: السيِّد محمَّد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ)، تحقيق: عبد الجبَّار شرارة، ط١، مركز الغدير للدراسات الإسلاميَّة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٥. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ البصريّ (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرَّائيّ، دار ومكتبة الهلال.

١٦. لسان العرب: محمَّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الرويفعىّ الإفريقىّ (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٧. المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائيّ): أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن عليّ الخراسانيّ، النسائيّ (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتَّاح أبو غدَّة، مكتب المطبوعات الإسلاميَّة، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٩. مسند الإمام عليّ عليه السلام: السيِّد حسن القبانجيّ، تحقيق: الشيخ طاهر السلاميّ، ط١، منشورات مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م.

٢٠. مستدرك سفينة البحار: الشيخ عليّ النمازيّ الشاهروديّ (ت ١٤٠٥هـ)، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن عليّ النمازيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، ١٤١٩هـ.

٢١. المستدرك على الصحيحَين: أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبِّيّ الطهمانيّ النيسابوريّ المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١١/ ١٩٩٠.

٢٢. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم): مسلم بن الحجَّاج أبو الحسن القشيريّ النيسابوريّ (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٢٣. مُصَنَّف ابن ابي شَيْبة: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمَّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسيّ (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٤. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخميّ الشاميّ، أبو القاسم الطبرانيّ (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيّ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.

٢٥. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريَّاء القزوينيّ الرازيّ، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٦. معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهانيّ (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازيّ، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٧. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداوديّ، دار القلم، الدار الشاميَّة، دمشق/ بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٨. المناظرات في الإمامة: الشيخ عبد الله الحسن، ط١، مطبعة مهر، أنوار الهدى، ١٤١٥هـ.

٢٩. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: الشيخ هادي النجفيّ، ط١، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م.

٣٠. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبويَّة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣١. ميزان الحكمة: محمَّد الريشهريّ، تحقيق: دار الحديث، ط١، مطبعة دار الحديث.

القدوة في مفهوم الحياة الاجتماعيَّة
(شخصيَّة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا)

م. حوراء خضير عبيِّس

ملخَّص البحث

الحمد لله على نعمائه، وله الشكر على آلائه، والصلاة على خاتم أنبيائه وأفضل سفرائه صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته الطاهرين المعصومين، لاسيما كوثر الرسالة، أمُّ أبيها فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وبعد:

إنَّ الزَّهراء عليها السلام من نوادر التاريخ التي جمعت في شخصيَّتها، رغم قصر عمرها، جهات من الكمال متنوِّعة، من الصعب أن يحوز أحد على جهة من تلك الجهات من دون مجاهدة وتسديد، ومن هنا اكتسبت المكانة المتميِّزة في قلب المصطفى صلى الله عليه وآله، حيث عبَّر عنها تعبيرًا لم يعبِّر به عن أحد من الخلق، حينما قال: «**فداها أبوها**»، ومن قبل ذلك حازت على رتبة ربَّانيَّة تميِّزها على جميع الخلق، عندما جعل الله تعالى رضاه مطابقًا لرضاها، وهل هناك دليل على العظمة أعظم من ذلك؟.

وإنَّ من الصفات المتميِّزة في حياة الزَّهراء عليها السلام حرصها الشديد أن تكون زوجة مثاليَّة لأمير المؤمنين عليه السلام بكلِّ ما في الحياة الزوجيَّة من مكابدة ومعاناة، فلم تجعل انتسابها للنبيّ وللوحي وللحسنَين عليهما السلام ذريعة إلى ترك حسن التبعُّل، وهو جهاد المرأة كما هو معلوم، فيجب على نساء هذا اليوم أن تتأمل في هذا، أو تأخذ الدروس والعِبَر من الزَّهراء، حيث تركن نساء اليوم أكثر الأمور أهميَّة، بل حتَّى الأمور التي تعكس

أمومتهنَّ وحنانهنَّ تجاه الطفل، فصار البعض منهن ينهي دورها بمجرَّد الولادة، لتسلِّم الطفل إلى أيادي غريبة، ولذا على نساء اليوم أن تتأسى بالزَّهراء عليها السلام في تحمُّل مسؤوليَّة البيت، بحيث تجعل المنزل هي الدائرة الأولى لنشاطها واهتمامها، ومن بعد ذلك الدوائر الأخرى كالمعاهد والجامعات والوظائف، فما أحسن تربيتها مولاتي لأولادها، تلك التربية التي تخرَّج منها سيِّدا شباب أهل الجنَّة عليهما السلام، كلُّ ذلك لم يمنعها من القيام بدورها الفاعل في حياة الأمَّة، فعندما اقتضى الأمر خروجها إلى المسجد، وإلقائها تلك الخطبة التي خلَّدها الدَّهر، دفاعًا عن عقيدتها، وحماية لإمام زمانها، فإنَّها لم تتوانَ عن ذلك، مستشهدةً بالقران الكريم، فكان الحسن والحسين وزينب عليهم السلام أمثلة سامية في دنيا الأخلاق والإنسانيَّة، وبحق كانت مولاتي فاطمة الزَّهراء عليها السلام الأسوة والقدوة على مدى الزمان.

اقتضت طبيعة البحث أن يقوم على مقدِّمة وتمهيد وثلاثة مباحث، بحثتُ في التمهيد على مفهوم القدوة في اللغة والاصطلاح، وتوقَّفت في المبحث الأوَّل على أضواء متلألئة من سيرة الزَّهراء عليها السلام، بينما خصَّصت المبحث الثاني للمحة عن أسرة البتول في التراث الإسلاميّ، وكان المبحث الثالث عن مفهوم الحياة الاجتماعيَّة عند الزَّهراء عليها السلام دراسة وتحليل، وهو المحور الذي يدور حوله البحث، وشفعت هذا كلُّه بخاتمة تضمَّنت أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها البحث، ومن ثَّم قائمة بثبت المظان.

المقدِّمة

الحمد لله على نعمائه، وله الشكر على آلائه، والصلاة على خاتم أنبيائه وأفضل سفرائه صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته الطاهرين المعصومين، لاسيما كوثر الرسالة، أمُّ أبيها فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وبعد:

إنَّ الزَّهراء عليها السلام من نوادر التاريخ التي جمعت في شخصيَّتها، رغم قصر عمرها، جهات من الكمال متنوِّعة، من الصعب أن يحوز أحد على جهة من تلك الجهات من دون مجاهدة وتسديد، ومن هنا اكتسبت المكانة المتميِّزة في قلب المصطفى صلى الله عليه وآله، حيث عبَّر عنها تعبيرًا لم يعبِّر به عن أحد من الخلق، حينما قال: «**فداها أبوها**»، ومن قبل ذلك حازت على رتبة ربَّانيَّة تميِّزها على جميع الخلق، عندما جعل الله تعالى رضاه مطابقًا لرضاها، وهل هناك دليل على العظمة أعظم من ذلك؟.

وإنَّ من الصفات المتميِّزة في حياة الزَّهراء عليها السلام حرصها الشديد أن تكون زوجة مثاليَّة لأمير المؤمنين عليه السلام بكلِّ ما في الحياة الزوجيَّة من مكابدة ومعاناة، فلم تجعل انتسابها للنبيّ وللوحي وللحسنَين عليهما السلام ذريعة إلى ترك حسن التبعُّل، وهو جهاد المرأة كما هو معلوم، فيجب على نساء هذا اليوم أن تتأمل في هذا، أو تأخذ الدروس والعِبَر من الزَّهراء، حيث تركن نساء اليوم أكثر الأمور أهميَّة، بل حتَّى الأمور التي تعكس أمومتهنَّ وحنانهنَّ تجاه الطفل، فصار البعض منهن ينهي دورها بمجرَّد الولادة، لتسلِّم الطفل إلى أيادي غريبة، ولذا على نساء اليوم أن تتأسى بالزَّهراء عليها السلام في تحمُّل مسؤوليَّة البيت، بحيث تجعل المنزل هي الدائرة الأولى لنشاطها واهتمامها، ومن بعد ذلك الدوائر

الأخرى كالمعاهد والجامعات والوظائف، فما أحسن تربيتها مولاتي لأولادها، تلك التربية التي تخرَّج منها سيِّدا شباب أهل الجنَّة عليهما السلام، كلُّ ذلك لم يمنعها من القيام بدورها الفاعل في حياة الأمَّة، فعندما اقتضى الأمر خروجها إلى المسجد، وإلقائها تلك الخطبة التي خلَّدها الدَّهر، دفاعًا عن عقيدتها، وحماية لإمام زمانها، فإنَّها لم تتوانَ عن ذلك، مستشهدةً بالقران الكريم، فكان الحسن والحسين وزينب عليهم السلام أمثلة سامية في دنيا الأخلاق والإنسانيَّة، وبحق كانت مولاتي فاطمة الزَّهراء عليها السلام الأسوة والقدوة على مدى الزمان.

اقتضت طبيعة البحث أن يقوم على مقدِّمة وتمهيد وثلاثة مباحث، بحثتُ في التمهيد على مفهوم القدوة في اللغة والاصطلاح، وتوقَّفت في المبحث الأوَّل على أضواء متلألئة من سيرة الزَّهراء عليها السلام، بينما خصَّصت المبحث الثاني للمحة عن أسرة البتول في التراث الإسلاميّ، وكان المبحث الثالث عن مفهوم الحياة الاجتماعيَّة عند الزَّهراء عليها السلام دراسة وتحليل، وهو المحور الذي يدور حوله البحث، وشفعت هذا كلُّه بخاتمة تضمَّنت أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها البحث، ومن ثَّم قائمة بثبت المظان.

التمهيد

مفهوم القدوة في اللغة والاصطلاح

يهيِّئُ الفضاء المعجميّ طيفًا دلاليًّا شاسعًا لمفردة (قدوة)، فإنَّ المادَّة اللُّغويَّة لـ(ق، د، ا)، تعني «الإسوة، يقال: فُلانٌ قِدوةٌ يُقتَدى به. وقد يضمُّ فيقال: لي بك قُدْوَةٌ، وقِدْوَةٌ، وقِدَةٌ»[1]، وجاء في مقاييس اللُّغة: «الْقَافُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى اقْتِبَاسٍ بِالشَّيْءِ وَاهْتِدَاءٍ، وَمُقَادَرَةٍ فِي الشَّيْءِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ مُسَاوِيًا لِغَيْرِهِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: هَذَا قِدَى رُمْحٍ، أَيْ قَيْسُهُ. وَفُلَانٌ قُدْوَةٌ: يُقْتَدَى بِهِ»[2].

وعرَّفها الرازي بقوله: «والْقُدوةُ اسم من اقْتدى به إذاَ فعلَ مثلَ فعله تأَسِّيًا، وفلان قُدوةٌ أي يُقْتدى به، والضمِّ أكْثر من الْكَسرِ، قَال ابن فَارِ س: ويقَالُ إنَّ الْقُدوةَ الأصل الَّذي يتشَعَّب منْه الْفروع»[3].

أمَّا في الاصطلاح فتعني: «هي أنموذج مثاليّ واقعيّ يجمع بين الإيمان والاعتقاد، وبين الوعي والرشد والنضج، ويقوم على الحبِّ والطاعة والوضوح، يقتدي به الفرد أو الجماعة قولًا وعملًا»[4].

وعُرِّفت على أنَّها: «هي الاقتداء بالغير، ومتابعته، والتأسِّي به»[5].

والقدوة هي التقليد والمحاكاة لشخصٍ تتأثَّر به، تتقمَّص شخصيَّته، وتتَّخذه

(١) الصِّحاح، إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، مادَّة (قدا): ٦/ ٢٤٥٩.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريَّا، مادَّة (قدو): ٥/ ٦٦.

(٣) مختار الصِّحاح، مادَّة (قدو): ٢/ ١٦٨.

(٤) بعض سمات الدعوة المطلوبة في هذا العصر، أبو الحسن عليّ الحسنيّ الندويّ: ١٥.

(٥) التوقيف على مهمَّات التعاريف، ابن تاج العارفين: ٦٩.

أنموذجًا لك في حياتك بكلِّ تفاصيلها. إنَّ التربية بالقدوة الصالحة ممثَّلة في شخصيَّة الرسول صلى الله عليه وآله، هي السبيل المشرق للأجيال المقبلة، وأنَّ ترك الاقتداء به، لهوَ الطريق المسدود الذي يصل إليه الشباب الضائع، وأنَّ شخصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله ليست آية عصر ولا جيل ولا أمَّة ولا مذهب ولا بيئة، بل إنَّها آية كونيَّة للناس كافَّة، وللأجيال كافَّة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، وأنَّ سيرته حين تُقرأ لَتلمِس النفس من قواعدها، كما يهزُّها شيء، وتتخلَّل فيها إلى الأعماق، وطبيعي أنَّ الذين شهدوه صلى الله عليه وآله وأخذوا الحياة مباشرةً عن شخصه الكريم، قد أخذوا الشحنة كاملة في أرواحهم، وقلوبهم، وأفكارهم ومشاعرهم وأجسادهم، فانطلقوا، وهم قلَّة، يصنعون أعجب أحداث التاريخ، كما تنطلق الطاقة الذريَّة المركَّزة تُحدث الأعاجيب، فأي قدوة يجدها المسلم أفضل من هذه القدوة، وأي تربية يمكن أن يربِّي عليها أفضل من التربية المحمَّديَّة[1].

من المعلوم أنَّ القدوة هي الركيزة الأساسيَّة والعنصر المهمُّ في المجتمع، وتشتدُّ الحاجة إلى القدوة الحسنة كلَّما بَعُد الناس عن الالتزام بقيم الإسلام وأخلاقه وأحكامه ودين الإسلام دين القدوة، وأصحاب الهِمم العالية هم الذين يسعون ليكونوا قدوة حَسنة، وأعظم قدوة في الإسلام هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعلى رأسهم نبيّنا محمَّد صلى الله عليه وآله؛ ولذلك جعله الله لنا أُسوة وقدوة، بل أمرنا بذلك، فقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ الأحزاب: ٢١، فالقدوة الحسنة هي المحرِّك والدافع للإنسان للارتقاء بالذات، فمَن جَعل له قدوة عظيمة في صفاته، فلا بدَّ أن يتأسَّى في كلِّ صفاته، فالقدوة المؤثِّرة مثالٌ حيٌّ في درجات الكمال، فهو دائمًا يطلب الكمال ويطلب المعالي، فهو بذلك مثارٌ للإعجاب والتقليد من الناس؛ لأنَّ التأثُّر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثُّر بالكلام والأقوال[2].

(١) ينظر: التربية الإسلامية، محمَّد عطيَّة الإبراشّي: ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) ينظر: القدوة في القرآن الكريم تعريفها، أهميَّتها، أنواعها، أ.د. محمَّد إبراهيم السامرَّائيّ، أ.م.د. محمَّد حسين عبد الله: ٥٣.

المبحث الأوَّل

أضواء متلألئة من سيرة الزَّهراء عليها السلام

١. ولادتها:

ولدت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في شهر جمادى الآخرة يوم العشرين منه سنة خمس وأربعين من مولد النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان ذلك بعد مبعثه بخمس سنين، وهو المرويُّ عن الإمام الصادق عليه السلام[١].

وبعد أن أكل الرسول صلى الله عليه وآله من ثمار الجنَّة، وحملت خديجة بفاطمة إثر هذا الثمر، فلمَّا حضرت ولادتها، وجهت إلى نساء قريش ونساء بني هاشم ليجئن ويلين منها ما تلى النساء من النساء، فأرسلن إليها عصيتينا ولم تقبلي قولنا، وتزوَّجت محمَّد صلى الله عليه وآله يتيم أبي طالب عليه السلام فقير لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلبِّي من أمرك شيئًا. فاغتمَّت خديجة لذلك، فبينما هي كذلك، إذ دخل عليها أربعة نسوة طوال كأنَّهنَّ من نساء بني هاشم، ففزعت منهنَّ، فقالت لها أحداهنَّ: لا تحزني يا خديجة، فإنَّا رُسل ربِّك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، والأخرى عن شمالها، والثالثة بين يديها، والرابعة خلفها، فوضعت خديجة فاطمة عليها السلام طاهرة مطهَّرة[٢].

---

(١) ينظر: بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ٦.

(٢) ينظر: الأمالي، الصدوق: ٥٤٦.

٢. نشأتها مع أبيها:

كان النبيّ صلى الله عليه وآله يعظِّم شأنها عليها السلام، ويرفع مكانتها، ويدلُّنا على ذلك الحديث المشهور عنه صلى الله عليه وآله عن أنَّه كان يكنِّيها بـ(أمِّ أبيها)[١]، إذ إنَّه يحملها من محبَّته محلًّا لا يقاربها فيه أحد، فبهذا الإكرام والتبجيل نشأت تحت رعايته وعناية أمين وحي السماء، وربيب الرفيق الأعلى الذي نعته بـ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]، فأنتج هذا تلك العبادة الروحانيَّة التي أفضلت إلى أنَّه لم يكن في هذه الأمَّة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتَّى تتورَّم قدمها، فأي نشأة تلك، وأي عبادة جعلت منها مثالًا يُحتذى به عند نساء الإسلام، والتي كانت بحقٍّ أُمٌّ للأئمَّة الأطهار.

٣. زواجها:

رويَ عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**لولا أنَّ الله تعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن لفاطمة عليها السلام كفؤٌ على وجه الأرض آدم فمَن دونه**»[٣]، هذه الرواية الشريفة تبيِّن معنًى جليلًا، وهو أنَّ الله تعالى لم يخلق للسيِّدة فاطمة عليها السلام كفؤًا إلَّا أمير المؤمنين عليه السلام[٤]، وكفى بها منقبة، وأكرِم بها فضيلة، أن تكون سيِّدة نساء العالمين زوجة لأشرف مخلوق بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي هو نفس رسول الله بنصِّ القرآن الكريم: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ**﴾[٥]، وأخوه في الدنيا وخليفته بعد وفاته، ولولا أمير المؤمنين وسيِّد الموحِّدين، لما كان لفاطمة عليها السلام كفؤٌ من بني آدم فما دونه[٦].

---

(١) كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، الإربلِّيّ: ٢/ ٩٠.
(٢) سورة القلم: ٤.
(٣) ينظر: بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ٧٦، الخصائص الفاطميَّة، الكجوريّ: ٥٤٠.
(٤) الكافي، الكلينيّ: ١/ ٤٦.
(٥) سورة آل عمران: ٦١.
(٦) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ٩٢.

وهذا هو السرُّ في ردِّ النبيّ صلى الله عليه وآله كلَّ من أتى لابنته فاطمة عليها السلام خاطبًا، فإنَّه ردَّ أبا بكر عندما تقدَّم خاطبًا لها، وردَّ عمر بن الخطَّاب عندما تقدَّم خاطبًا لها، وهو يقول: «**إنِّني أنتظر في أمر فاطمة الوصيّ الإلهيّ**»(١)، مع أنَّه صلى الله عليه وآله لم يردَّ أحد خطب أخواتها، وليس ذلك إلَّا لعلمه بأنَّ خلفاءه على الأمَّة لا بدَّ أن يكونوا منها، وأنَّ أبا الأوصياء لا يكون إلَّا بانعقاد الكفؤ بالكفؤ؛ لتولِّي أمر الأمَّة من بعده صلى الله عليه وآله(٢).

٤. مقامها:

لا يوجد مقام لنساء العالمين كمقام فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فهي ابنة محمَّد صلى الله عليه وآله، وهي قطعة كبد محمَّد صلى الله عليه وآله، وهي قلب محمَّد صلى الله عليه وآله، وهي روح محمَّد صلى الله عليه وآله، فهل بلغ حبُّ النبيِّ صلى الله عليه وآله لأحد من البشر ما بلغ حبُّه لابنته فاطمة عليها السلام(٣).

(١) صحيح البخاريّ، البخاريّ: ٢٣٤.
(٢) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٢٩/ ١٥٧.
(٣) علل الشرائع، الصدوق: ١/ ١٨٠.

المبحث الثاني

لمحة عن أسرة البتول في التراث الإسلاميّ

أَولى الدين الإسلاميّ الأسرة أهميَّة خاصَّة، لما لها من دورٍ فعَّالٍ يُسهِم في بناء إنسانٍ صالحٍ، يشارك في خدمة المجتمع ورقيِّه وتنمية قدراته، فقد قال الله تعالى عن أهميَّة الأسرة في أكثر من أية قرآنيَّة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1].

ولعلَّ أبرز أنموذج أُسريّ يُحتذى به في الإسلام، أسرة الإمام عليّ عليه السلام وزوجته السيِّدة فاطمة الزَّهراء وأولادها عليهم السلام، فهي مثالنا الذي سنتَّخذه في بحثنا، فالصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام كانت العنصر الفاعل في هذه الأسرة الزوجة والأمُّ المثاليَّة في إدارة الحياة الأسريَّة داخل البيت وخارجه، فالله تعالى كما أراد أن يجعل للأمَّة قادة في الذكور، جعل أيضًا قدوة في الإناث، فاختار فاطمة الزَّهراء (سلام الله عليها)، وجعلها للنساء أُسوة، تشاركهنَّ في المسؤوليَّات العامَّة والخاصَّة؛ لأنَّها رمزًا للفضائل والقيم، رغم الظروف الصعبة التي عاشتها منذ صغرها حتَّى مماتها، فقد لاحظت فداء أمِّها خديجة عليها السلام للدين وتفانيها في سبيله، ولاسيما أنَّ البنت تتأثَّر بأمِّها، فتركت في نفسها معانٍ حيَّة بقيت في ضميرها تبعث الحيويَّة والنشاط في سبيل نشر الدين الإسلاميّ، فجسَّدت كلَّ هذه السلوكيَّات في حياتها الأسريَّة والاجتماعية، فأصبحت رمزًا للانسجام والتواؤم

(١) سورة الأعراف: ١٨٩.

والتوافق الأسريّ والاجتماعيّ، فهي الزوجة المحبَّة الوفيَّة (لتسكنوا اليها)، أي المليئة بالغبطة والسرور، متحمِّلة الجانب الأكبر من مسؤوليَّة إدارة البيت، لتتيح لزوجها فرصة للاهتمام بمشاغله ومسؤوليَّاته الاجتماعيَّة، فقدَّمت للإمام عليّ عليه السلام المعاضدة والمساندة له، من خلال تحمُّل هموم وأعباء الرسالة المحمَّديَّة، والدفاع عن الإسلام أمام التيَّارات والفتن التي ثارت بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله للحفاظ على دين الله تعالى[1].

ولقد أوصى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ابنته البتول عليها السلام بوصايا عدَّة قبل أن تتزوَّج لتكون أمًّا وزوجة مثاليَّة يصلح بصلاحها المجتمع، قال لها أبوها: **عليك بما في الدار، وعلى عليّ عليه السلام ما هو خارج الدار**، أي أن يتولَّى عليًّا (سلام الله عليه) تدبير الأمور الاقتصاديَّة، وعلى فاطمة الزَّهراء عليها السلام إيجاد أجواء الهدوء والاستقرار النفسيّ والأسريّ، وننقل لكم طبيعة هذا التوافق الأسريّ في بيت الزَّهراء عليها السلام: روي عن الإمام عليّ عليه السلام أنَّه طلب طعامًا من الزَّهراء، فقالت: **منذ يومين لا يوجد عندنا طعام؟** فقال لها: **ولم لَم تخبريني؟** قالت: **إنِّي لأستحي أن أُكلفَّك ما لا تقدر**. وذكرت رواية أخرى عندما سألها أمير المؤمنين عليه السلام يومًا: **يا فاطمة هل عندك شيء؟** قالت: **والذي عظَّم حقَّك ما كان عندنا منذ ثلاث إلَّا شيء آثرتك به**. قال: **أفلا أخبرتِني؟** قالت: **كان رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قد نهاني أن اسألك شيئًا، فقال لي: لا تسألي ابن عمِّك شيئًا، إن جاءك بشيء عفوًا، وإلَّا فلا تسأليه**[2].

نستنتج من الرواية أنَّ السيِّدة الزَّهراء (سلام الله عليها) جعلت بيتها واحةً وسكنًا لا اضطراب فيه ولا توتُّر، في حين أصبح هذا التوتُّر معلمًا من معالم الأسر الحديثة في ظلِّ عولمة ثقافيَّة واجتماعيَّة معاصرة، ونحن على يقين أنَّ العلاقة الزوجيَّة لا تقتصر فقط على الجوانب الماديَّة والجسميَّة، إنَّما أساس تكوين الأسرة هو الجانب

(١) فاطمة الزَّهراء المرأة النموذجيَّة في الإسلام، الأميني: ٥٦.
(٢) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٣/ ١٩٧.

الروحيّ والمعنويّ، ومشاعر الحبِّ والعطف، فهو الرابط القويّ بين الطَّرَفين، ومن الطبيعيّ أنَّ التوافق الأسريّ مهمٌّ لبناء أسرة متوازنة بعيدة عن التوتُّرات والصراعات، فالحياة الأسريَّة التي كان يعيش فيها عليّ وفاطمة عليهما السلام، حتَّى الفقر لم يعكِّر صفو هذا البيت، بل كانت حياة ملؤها الحبُّ والتفاهم التامِّ بين الزَّوجَين المتفانِيَين لبناء أسرة سعيدة. إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام لم تبعثر شمل الأسرة بسبب رغبة في امتلاك الزينة والمجوهرات، تعلُّقًا ببهارج الدنيا وزخرفها، ولم تخالف زوجها منذ أن عاشرته.

كان للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام فكرًا تربويًّا خاصًّا بها في تربية أولادها، من خلال حرصها الشديد على اصطحاب أولادها إلى محراب عبادتها في آناء الليل وأطراف النهار؛ لتغرس في نفوسهم عبادة الله تعالى، والسَّير على منهاج النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فقد رويَ عن الإمام الحسن عليه السلام قائلًا: «**رأيت أمي فاطمة ليلة الجمعة، وقد وقفت للعبادة، ومازالت بين راكعة وساجدة وقائمة وقاعدة حتَّى أسفر الصبح، وهي تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمِّيهم بأسمائهم، فردَّ عليها الإمام عليه السلام: يا أمَّاه لماذا لم تَدعِي لنفسك وإنَّما دعوت لسائر المؤمنين؟ قالت: يا بني الجار ثمَّ الجار**»[1].

وعلى هذ الأساس، فإنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام تمثِّل خير أُسوة للمرأة الصالحة في أعمالها وعبادتها وفضائلها وتقواها وتربيتها وشؤونها، ومن المعروف أنَّ التوافق الاجتماعيّ قدرة الإنسان على تكوين علاقات مثمرة مع المحيط الذي يعش فيه، وقدرته أيضًا على الحبِّ والعطاء والعمل الفعَّال الذي يجعله شخصًا نافعًا في محيطه الاجتماعيّ، وهذا ما أكَّده علماء النفس. هناك ارتباط بين التوافق وسمات الشخصيَّة، فكلَّما زاد التوافق، زادت سمات الشخصيَّة الإيجابيَّة، فلنأخذ مثالًا على ذلك، السيِّدة الصديقة الزَّهراء عليها السلام مجتمعة فيها كلُّ هذه الصفات النادرة، فكانت تهتم بالفقراء والمساكين، وتقوم

(١) وسائل الشيعة، الحرُّ العامليّ: ٧/ ١١٣.

بمساعدتهم، والإمام عليّ عليه السلام يأتي بالماء من البئر ليملأ القربة، ثمَّ يخرج بصحبة فاطمة الزَّهراء في الليل، ويأخذان الطعام، ويزوران الفقراء والمساكين في بيوتهم، ويوزِّعان عليهم الطعام والماء وما يحتاجونه، فحياتها عبارة عن مواساة للفقراء والمساكين، وترفُّعًا عن الترف والرفاهيَّة، ممَّا يدلُّ أنَّها عليها السلام امرأة مسؤولة وملتزمة، وتشعر بالمسؤوليَّة الاجتماعيَّة والواجبات الملقاة على عاتقها، وتعمل في سبيل الناس وقلبها مثقلًا بهمومهم. لقد أثبتت عليها السلام أنَّ المرأة ليست مجرَّد سلعة اجتماعيَّة تُعرَض في الأسواق، ذلك ما جسَّدته عندما تزوَّجت من الإمام عليّ عليه السلام، ومهرها وجهازها قليل جدًّا (ما يقارب ٥٠٠ درهم)؛ لتبرهن للنساء أنَّ الزواج ليس مجرَّد إشباع للغرائز وقضاء للشهوات[1]، ومن مواقف السيِّدة الزَّهراء التي تعلِّمنا وتربِّينا على المسؤوليَّة وإنكار الذات، إنَّها في ليلة زفافها، أعطت ثوبها الجديد إلى امرأة فقيرة، ودخلت دار زوجها عليّ عليه السلام بثوبٍ قديم، فهي استطاعت أن تكسر عادة زواج أبناء الأثرياء والتجَّار، عندما تزوَّجت من الإمام عليّ ابن عمِّها، وهو فقير، حتَّى أنَّه باع درعه ليتزوَّج بثمنه، فكانت مثالًا وقدوةً في تحطيم السنن البالية التي تفشَّت في أوصال المجتمع الخاطئة، ولم تكتفِ بذلك، بل نجدها تصدَّقت بطعامها هي وزوجها وأطفالها عليهم السلام، وهم صائمون لثلاث ليالٍ متوالية؛ لتطعم المسكين واليتيم والأسير، وفي إحدى الروايات التاريخيَّة، كان الرسول صلى الله عليه وآله قد زار ابنته في دارها، فوقعت عينه على القلادة التي كانت في عنق السيِّدة فاطمة، وقد أفهمها بنظرته بأنَّ هناك ضرورة أكثر إلحاحًا تستوجب الاهتمام بها، فما كان منها إلَّا أن نزعت القلادة من رقبتها وأرسلتها الى أبيها، وعندها قال (عليه الصلاة والسلام): «**إنَّ فاطمة بضعة منِّي**». ويتبيَّن من الحديث الشريف أنَّ فاطمة الزَّهراء كرَّست نفسها لخدمة الناس، فقد قامت بمهمَّة الوسيط بين النبيّ صلى الله عليه وآله وبين نساء المسلمين في المسائل الشرعيَّة؛ لأنَّ غالبيَّة النساء ارتادت بيتها ليسألنها ما أشكل عليهنَّ من المسائل العلميَّة والفكريَّة،

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣/ ٦١-٧٥، لسان الميزان، العسقلانيّ: ٣/ ٢٧.

فتحلُّ لهنَّ ذلك، وتعلِّمهنَّ من ثقافة الوحي ما يشفي صدورهنَّ ويروي غليلهنَّ، ومن هنا يجدر الإشارة إلى الدَّور الكبير الذي قامت به الزَّهراء عليها السلام، وما صاحبه من تغيُّر كبير على صعيد البناء الاجتماعيّ، من خلال الشعور بالمسؤوليَّة الاجتماعيَّة، انطلاقا من تأكيد القرآن الكريم على مسؤوليَّة الإنسان تجاه نفسه وغيره، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[1]، وأيضًا قول أبيها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته**»، فالأمير الذي على الناس راعٍ ومسؤول عن رعيَّته، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، وهي بهذا جسَّدت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بالمسؤوليَّة تجاه الآخرين، والابتعاد عن المصالح الذاتيَّة الضيِّقة، وهذا ما نلحظه اليوم في بعض أُسرنا الإسلاميَّة المبنيَّة على أساس المسؤوليَّة الفرديَّة في هذه الحياة، ممَّا دفع بها إلى الخلافات الأسريَّة والانحرافات الاجتماعيَّة، وأحيانًا إلى الطلاق، في حين عندما نقرأ ونتصفَّح السيرة التربويَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، نجد فيها منطلق إيمانيّ، فلا يقتصر على مسؤوليَّة الفرد أمام المجتمع الذي يعيش فيه، وإنَّما ينمِّي في الفرد المسؤوليَّة الاجتماعيَّة التي تُسهم في بناء الأمن النفسيّ والاجتماعيّ والأسريّ في المجتمع، فكانت تحرص أشدَّ الحرص على هداية الناس إلى سبيل الله تعالى، وهي عمليَّة تربويَّة وتوجيه وإرشاد الناس، لمعرفة الله تعالى ومبادئ الدين الإسلاميّ، وضمان السعادة للناس، فقد ابتعدت السيِّدة الزَّهراء عن التلذُّذ بالأطعمة الطيِّبة، والتمتُّع بزينة الحياة وزخرفها، فحياتها بصورة عامَّة متواضعة جدًّا، انطلاقا من القرآن الكريم في إحدى آياته: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾[3]، فالزَّهراء عليها السلام تعلِّمنا منهجًا أخلاقيًّا وإنسانيًّا، كيف

(١) سورة التحريم: ٦.
(٢) سورة الاعراف: ١٦٠.
(٣) سورة الاعراف: ٣٢.

تعيش في رفاهية من العيش، وبجانبها جياع ومساكين من المسلمين، ويجب عليها أن تُطعم المساكين من طعامها الذي يتكوَّن من خبز الشعير، وكيف لها وهي ابنة حامل لواء الإنسانيَّة، والداعي إلى السلام والمحبَّة في العالم أجمع أن تتناول ما لذَّ وطابَ من الطعام، وتتمتَّع بزينة الدنيا، وتلتذُّ بطيِّباتها، وهي تعلم جيِّدًا أنَّ أختها المسلمة تعيش في عَوز وفاقة، فالزَّهراء عليها السلام أرادت بهذا الفعل الإنسانيّ أن تكرِّس قيم التعاون والتكافل الاجتماعيّ؛ لكونه الضمان الوحيد والطريق الأمثل لإقامة بناء أسريّ واجتماعيّ متماسك، تغيب فيه عوامل الصراع والتناحر، وتسود فيه عوامل الودِّ والأُلفة والتوافق النفسيّ والروحيّ والأسريّ والاجتماعيّ، وستظلُّ هكذا إلى الأبد[1].

(١) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبريّ: ٣/ ١٣٣، تهذيب الكمال، المزيّ: ٣٥/ ١٩٧.

المبحث الثالث

مفهوم الحياة الاجتماعية عند الزَّهراء عليها السلام دراسة وتحليل

١. السيِّدة الزَّهراء قدوة وأسوة لطاعة والديها:

القدوة هو ذلك الإنسان الذي يقود ركب البشريَّة إلى سُبل السلام، والأسوة هو ذلك المثل الأعلى لكلِّ القيم، وتعني النموذج الكامل الأفضل ما يفكر فيه الإنسان من خُلق وعمل(١)، وقد ركَّز القران الكريم على أهميَّة الأسوة الحسنة في تربية البشر وهدايتهم وإصلاحهم. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٢)، فقد تؤثِّر الأسوة الحسنة في حياة الناس أكثر ممَّا تؤثر فيه كتب كثيرة(٣)، وخير أسوة وقدوة لنا بعد رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهم)، هي عِدلهم الثالث البضعة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

وبرُّ الوالدين هو من أفضل القُربات وأشرف السعادات(٤)، جاء بهِ رسول الإنسانيَّة مؤيَّدًا بالنصوص السماويَّة؛ ليمحو ما كان في أمر الجاهليَّة من عدم الاحترام، وتقدير فضل الوالدين، فعمل صلى الله عليه وآله على إرساء قواعد احترام وبرِّ الأبوَين حتَّى كان أفضل عمل بعد طاعة الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾(٥)، فعندما نأتي إلى النموذج المتكامل للبرِّ وبكلِّ معانيه نجدهُ

(١) فاطمة الزَّهراء قدوة وأسوة، المدرسيّ: ٧.
(٢) سورة الأحزاب: ٢١.
(٣) الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين، الشيخ محمَّد اليعقوبيّ: ١٣.
(٤) جامع السعادات، الشيخ محمَّد مهدي النراقيّ: ٢/ ٣١٠.
(٥) سورة الإسراء: ٢٣.

عند فاطمة بنت محمَّد (صلوات الله عليهم).

لقد أحبَّت أباها صفة في الوجود، لا طينة من تراب، أحبته غمامًا يتكاثف ليهمس غيثًا، وليس ضبابًا يتناشف ليرتجف سرابًا، تلك هي الرهافة في الصدِّيقة الطاهرة التي جعلتها ابنة النبيّ أكثر ممَّا ابنة عبقريّ تلك هي القبلة المفتوحة على بواكير الصفاء.. تلك هي البتول المحصَّنة بحبِّ أبيها، حبٌّ ذابت فيه كما تذوب الشموع على مدارج الهياكل، فتكون أطهر أمٍّ عرفتها الأجيال[1]. وصل حبُّ واحترام الزَّهراء عليها السلام لأبيها إلى درجة عندما نزلت الآية الكريمة ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[2]، قالت عليها السلام: «**هبتُ رسول الله أن أقول لهُ يا أبه، فكنت أقول يا رسول الله، فأعرض عنِّي مرَّة أو اثنتين أو ثلاثًا، ثمَّ أقبل عليَّ فقال: يا فاطمة أنَّها لم تنزل فيكِ ولا في أهلكِ ولا في نسلكِ، أنتِ منِّي وأنا منكِ، أنَّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكِبر، قولي يا أبه فإنَّها أحيا للقلب وأرضى للرَّبِّ**»[3]. أنَّ هذه الرواية تتضمَّن عدَّة معاني وأمور، منها إيمانيَّة وتربويَّة وأخلاقيَّة ونفسيَّة:

١. إنَّ الزَّهراء عليها السلام أوَّل المبادرين لتطبيق النصوص القرآنيَّة المباركة، ليُحتذى بِها المسلمين نساءً ورجالًا، ونستشفُّ منها أيضًا أن يكون أبناء الرساليِّين أوَّل المطبِّقين لتعاليم أبائهم حتَّى يكونوا قدوةً للمجتمع.

٢. لقد فاقت السيِّدة عليها السلام كلَّ معاني البرِّ في احترام أبيها، حتَّى أخذت تهابه لعِظَم منزلته عندها كأبٍ من جانب، ورسول الله من جانب آخر، وهيبة الأب من أفضل درجات البرِّ، كما في الدعاء الوارد في الصحيفة السجاديَّة لحفيد الزَّهراء عليّ ابن الحسين السجَّاد عليه السلام: «**وأجعلني أهابهم هيبة السلطان العسوف**»[4].

(١) الزَّهراء وتر في غمد، سليمان كتاني: ١٨٨-١٨٩.

(٢) سورة النور: ٦٣.

(٣) مناقب أل أبي طالب، أبن شهر أشوب: ٣/ ٣٦٧.

(٤) الصحيفة السجَّاديَّة، تقديم السيِّد الشهيد محمَّد باقر الصدر: ٨٧.

٣. إنَّ أحياء قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي يصيبه الكدر والحزن والآلام من تصرُّفات بعض المسلمين من قريش، والذي أجهد مليًّا في أصلاحهم، يكون بسماع صوت الزَّهراء (صلوات الله عليها) الذي يمثِّل عنده مصدر العطف والرأفة ومنبع الحنان، فقولها: يا أبه، أحياءٌ للقلب وأرضاءٌ للربِّ.

ومن جوانب البرِّ الأخرى للسيِّدة فاطمة عليها السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أذا قدِم من سفرة يدخل على فاطمة، فدخل عليها، فقامت إليه واعتنقته وقبَّلت بين عينيه[١]، وكان صلى الله عليه وآله أذا قرع الباب لا يفتح لهُ الباب ألَّا فاطمة[٢]، وأذا أراد سفرًا كان آخر الناس عهدًا بفاطمة، وإذا قَدِم كان أوَّل الناس عهدًا بفاطمة[٣]، وإذا دخل عليها قامت إليه ورحَّبت به، وأخذت بيده فقبَّلتها[٤]. إنَّ ما تقوم به الزَّهراء (سلام الله عليها) قبال رسول الله صلى الله عليه وآله له عدَّة دلائل، منها الطاعة لوالدها، وأخرى نفسيَّة، حيث تعلم الزَّهراء أنَّ الذي يأتي من سَفَر، والذي يكون خارج البيت في عملٍ ما، غالبًا ما يأتي وهو محمَّل بالهموم والتعب والإرهاق، لذلك تعمل هذه البنت المباركة مع أبيها للتخفيف عنه، باعتناقه وتقبيله، لذا كان لا يفتح لهُ الباب غيرها حتَّى لا تُحرَم من خدمة أبيها، وهذا بحدِّ ذاته أسوة ودرس للنساء، سواء كنَّ عند آبائهنَّ كبنات، أم عند أزواجهنَّ كزوجات، أن يستقبلنهم بهذه الطريقة، لما لها من أثار نفسيَّة لتخفيف أعباء العمل وعناء السفر، بدلًا من أن تلقاه بهموم ومشاكل المنزل لتضيفها على نفسيَّته، فتكون هي الأخرى تزيده جهد وفاقة وأرهاق. أمَّا يخص والدتها، فقد عاشت معها فترة قصيرة، وهي بعدها في فترة الصِّبا، ولو عاشت فترة طويلة مع الزَّهراء لرأينا العجب العجاب من تعاملها مع والدتها.

(١) مناقب آل أبي طالب، أبن شهر أشوب: ٣/ ٣٨٠.
(٢) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ٤٢.
(٣) المستدرك على الصحيحَين، الحاكم النيسابوريّ: ١٧٠.
(٤) عالم العوالم، الشيخ عبدالله: ١١/ ٦٤.

وتُعلِمُنا الزَّهراء عليها السلام أنَّ المَرأة قادِرة على بناء ذاتها في أقسى المُجتمعات، فقد فَرضت شَخصيتها على المُجتمع الجاهليّ الذي ما كان يرى للمرأة مَكانة، بل كان يحتقرُها.

٢. الاحترام المتبادل في البيت المتكامل:

إنَّ الشريعة الاسلامية عندما أكَّدت على بر الوالدين واحترامهم، وأن عقوقهم من الكبائر، كذلك ألزمت الأبوَين بحُسن معاشرتهم، وأن لا يعينوا أبناءهم على العقوق. لقد أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله أُسس التعامل بين الأب والأبناء مع ابنته الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، لاسيما وهو يعيش في مجتمع لم يكن أي وزن للبنت، بل كان عندهم قبل أن يصدع النبيّ برسالته وئد البنات من الظواهر المنتشرة في مجتمعهم. فكان صلى الله عليه وآله يحب ابنته حبًّا شديدًا لا يشبه محبَّة الآباء لبناتهم، إذ كان الحبُّ مزيجًا بالاحترام والتعظيم، فلم يعهد من أيِّ أب في العالم ما شوهد من الرسول تجاه السيِّدة الزَّهراء عليها السلام[١]، فيُنقَل عن عائشة قالت: «إن فاطمة إذا دخلت على رسول الله قام لها من مجلسه وقبَّل رأسها وأجلسها مجلسه، وإذا جاء إليها لقيته وقبَّل كلٌّ واحد منهما صاحبة، وجلسا معًا»[٢]، بل استمر الرسول صلى الله عليه وآله بهذه الطريقة في التعامل مع ابنته حتَّى عندما انتقلت إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام، فينقل الأربلِّيّ في كشف الغمَّة أنَّ عائشة دخلت على النبيّ وهو يقبِّل فاطمة (صلوات الله عليها)، فقالت: «يا رسول الله أتقبِّلها وهي ذات بعل؟ فقال لها: **أما والله لو علمتي ودِّي لها أذًا لازددتِ لها ودًّا**»[٣]. وروى الشيخ الطوسيّ في الأمالي عن عائشة قالت: «ما رأيت من الناس أحد أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه رحَّب بها وقبَّل يديها وأجلسها في مجلسه، وكان النبيّ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبَّلته وأجلسته في مجلسها»[٤]، وكذلك روى مسلم في صحيحة ابن سعد في

(١) مناقب آل أبي طالب، أبن شهر أشوب: ٣/ ٣٨٠.
(٢) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ٤٢.
(٣) المستدرك على الصحيحَين، الحاكم النيسابوريّ: ١٧٠.
(٤) عالم العوالم، الشيخ عبدالله: ١١/ ٦٤.

الطبقات الكبرى عن عائشة قالت: «جاءت فاطمة تمشي كأنَّ مشيتها مشية رسول الله، فلمَّا رآها رحَّب بها وقال: مرحبًا بابنتي، ثمَّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله»[1]. لقد كان همُّ الزَّهراء هو أدخال السرور على قلب أبيها، كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله عندما تأتيه محزونة أو مكروبة، وتذكر لنا الروايات أنَّها ترجع مسرورة، ففي رواية الشيخ الطوسيّ يقول: أتت ذات يوم الزَّهراء عليها السلام إلى أبيها، فذكرت عنده ضعف الحال، فقال لها: «**أما تدرين ما منزلة عليّ عندي؟ كفاني أمري وهو ابن عشر سنين، وضرب بين يدي وهو ابن اثنتي عشر سنة، وضرب بين يدي بالسيف وهو ابن ستَّة عشر سنة، وفرَّج همومي وهو ابن عشرين سنة، ورفع باب خيبر وهو ابن اثنتَين وعشرين سنة، وكان لا يرفعه خمسون رجلا**. قال فأشرق لون فاطمة ولم تقرّ قدمًا حتَّى أتت عليًّا فأخبرته[2]. لقد كانت الزَّهراء عليها السلام لشدَّة حبِّها لأبيها وتأثُّرها به حتَّى في صفاتها وأخلاقها ومشيتها تقلِّد أباها، كما يذكر النسائيّ عن عائشة أنَّها قالت: «ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا وهديًا ودلًّا برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله»[3]، من خلال هذه الروايات السابقة نستنتج ما يأتي:

١. تغيير نظرة المجتمع آنذاك الذي كان متفشِّي عندهم وئد البنات، خاصَّة عندما تدخل الزَّهراء عليها السلام على أبيها، وهي ابنة ثمان أو سبع سنوات، فيقوم لها ويقبِّلها ويجلسها مجلسه.
٢. حالة الاندماج في السلوك والتصرُّفات في المظهر الخارجيّ، وحتَّى في طريق المشي والقيام والجلوس بين خاتم الأنبياء والسيِّدة الزَّهراء.
٣. كان همُّ الرسول صلى الله عليه وآله هو إسعاد ابنته، فعندما تأتيه يذكِّرها بأمور دنيويَّة وأُخرويَّة، فتسعد بذلك الزَّهراء، كذلك هي الأخرى همُّها إسعاد أبيها.

(١) الزَّهراء من المهد الى اللحد، القزوينيّ: ١٨٥.
(٢) مناقب آل أبي طالب، أبن شهر أشوب: ٣/ ٣٨١؛ بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ٢٦.
(٣) كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، الأربلّيّ: ٢/ ١٦٤.

٤. إنَّ قول الرسول صلى الله عليه وآله وفعله حجَّة، وأنَّه لا ينطق عن الهوى، فعندما يقوم بهذا التكريم والتشريف لابنته، هو أن يلفت أنظار المجتمع بأن يسيروا على هذا المنوال في التكريم والاحترام للسيِّدة (سلام الله عليها)، والرسول إنَّما يعظِّم شأنها؛ لما لها من منزله عند ربِّها فهي أمُّ النبوَّة والإمامة ووالدة أوصياء الرسالة، فهي أمة الله وسيِّدة النساء وجمال الآباء وشرف الأبناء، يفخر أدم بمكانها، ويبوح نوح بعلوِّ شأنها، ويسمو إبراهيم بكونها من نسله، ويبجح إسماعيل على إخوته، إذ هي فرع من أصله، وكانت ريحانة محمَّد من بين أهله، فما يجاريها في مفخر إلَّا مغُلب، ولا يباريها في مجد لا مؤنب، ولا يجحد حقَّها إلَّا مأفون (خفيف العقل)، ولا يصرف عنها وجه أخلاصه إلَّا مغبون[١].

٥. تُعلِّمُنا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام إنَّ الخلود في ذاكِـرة الشَّريك نتاج المواقِف لا الكلام.

٣. السيِّدة الزَّهراء مثالًا للزوجة الصالحة:

الزواج هو لقاء روح بروح، وعقل بعقل، وقلب بقلب، ونفس كريمة بأخرى مثلها[٢]، وإنَّ مفهوم الزواج الإسلاميّ مفهوم نابع عن واقعه وطبيعته من أنَّه ظاهرة فطريَّة جُعلت في الأنسان لبقاء النوع واستمرار الحياة[٣]، ويعتبر الزواج أساس لنشوء المجتمع وبناء كيان الأمم، وقد أكَّد عليه رسولنا الكريم في مواطن عدَّة وأحاديث شتَّى لترغيب أبناء المجتمع الإسلاميّ في التزويج، حيث يقول صلى الله عليه وآله: «ما بُني بناء في الإسلام أحبُّ الى الله من التزويج»[٤]، فإذا كان للزواج هذه الأهميَّة البالغة، فلا بدَّ من وجود أُسس وقواعد حتَّى يصبح فعلًا الزواج أفضل بناء في الإسلام.

(١) المستدرك على الصحيحَين، الحاكم النيسابوريّ: ٣/ ٣٩٣.
(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجَّاج: ١٠٧٨، الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٨/ ٢٦.
(٣) الأمالي، الشيخ الطوسيّ: ١٥/ ٦٥٢-٦٥٣.
(٤) السنن الكبرى، النسائيّ: ٧/ ٣٩٣.

لقد جاء الإسلام ليفتح الأغلال والتقاليد التي حبست على الناس سُنَّة الزواج، وشدَّدت عليهم هذا لأمر الذي يعتبر من ضروريَّات الفطرة، ومن لوازم نظام البقاء والحياة الزوجيَّة والعائليَّة، فقد أصبح الزواج بفضل الإسلام أمرًا سهلًا مستسهلًا، فالتعصُّب القبليّ والعنصريّ قد أشرفت على الزوال، وكان الرسول صلى الله عليه وآله في دور التكوين وهو القدوة والأسوة للمسلمين، وحركاته وسكناته وأعماله وأفعاله تكون حجَّةً ودليلًا عند المسلمين، فكان يحارب تقاليد الجاهليَّة وعادات الكفر باللسان واليد قولًا وفعلا[1].

إنَّ علاقة الزَّهراء مع بعلها أمير المؤمنين عليهما السلام علاقة منقطعة النظير، فهي مضرب للأمثال، ودرسًا لكلِّ الأجيال، لما يسودها من انسجام وتفاهم ومودَّة، لنتَّخذ منها أسوة في تعاملنا الأسريّ. لقد كان لتعامل الزَّهراء كزوجة مع أمير المؤمنين عليه السلام تعامل يمثِّل روح الإسلام، وتطبيق مبادئه، التي نظَّمت حياة الفرد، ولم تترك أدنى الأمور ألَّا ونظَّمتها، وفي ما يلي أهمُّ الأمور التي كانت تمارسها السيِّدة الزَّهراء مع زوجها (صلوات الله عليهم):

أوَّلًا: لم تناديه باسمه

كانت سيِّدة النساء وابنة خاتم الأنبياء في تعاملها مع بعلها، هو أسوة لنساء المسلمين، ومنهاج ارتسم إلى يوم الدين، لذا لم تترك أي أمر تحتاج إليه الأسرة المسلمة إلَّا ووجدنا جذوره من هذا البيت الطاهر، فحتى في كلامها أو عندما تنادي زوجها تناديه بأحبِّ الأسماء إليه، فمرَّة تناديه (يا بن أبي طالب)[2]، حيث تذكِّره بمؤمن قريش أبي طالب (رضوان الله عليه)، وأخرى تناديه (يا أبا الحسن)[3]، وأخرى بـ(يا بن العمِّ)[4]،

(١) كشف الغمَّة، الأربلِّيّ: ٢/ ١٥٤.
(٢) الزواج والأسرة، الشيخ عيسى أحمد قاسم: ١٥.
(٣) الزَّهراء قدوة وأسوة، المدرسيّ: ٣١.
(٤) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ١٢٧.

فعندما تنادي الزوجة زوجها بأحبِّ الألقاب والكنى إليه حتمًا سيكون لها أثر على قلبه، وتسود المودَّة وتسري المحبَّة بينهما؛ لأنَّ من الكراهة أن تنادي أحد باسمه، فهذا درسًا نتعلمه من خيرة النسوان في تعاملنا مع أقربائنا وأرحامنا، وحتَّى مع عامَّة المجتمع.

ثانيًا: تشارك زوجها بهمومه وتضفي علية العطف والمحبَّة

إنَّ من سعادة الرجل أن تكون زوجة صالحة تشاركه همومه وتخفف من آلامه عند عودته الى منزلة، هذه الأمور نجدها في بيت الإمامة التي تجسَّدت في علاقة الزَّهراء مع زوجها (صلوات الله عليهم)، لقد عاش الأمام عليّ مع فاطمة عليهما السلام مدَّة قصيرة في حساب الزمن، ولكنَّها كبيرة في معنى القيم، فقد كانت تناغي بروحها روحه، وتضم عواطفها إلى عواطفه، وتعطيه المحبَّة، و تشاركه همومه، وتخفِّف عنه الأحزان، كانت سلوته الوحيدة في الزمن الذي عزَّ فيه الصديق، وغدر فيه الزمان، وقلَّ فيه الناصر والمعين. كانت تجسِّد رسول الله أمام ناظريه، وفي كلِّ أقوالها وأفعالها[1]. إنَّ قول أمير المؤمنين عليه السلام عندما سأله رسول الله صلى الله عليه وآله خير دليل وشاهد على ذلك، حيث قال له: «**كيف وجدت أهلك؟** قال: **نِعمَ العون على طاعة الله**. وسأل فاطمة فقالت: **خير بعل**»[2]، نعم فهي كانت مُعين له على طاعة ربِّه.

هكذا تنشأ الأسرة الفاضلة، وهكذا ينمو المجتمع الفاضل، نظرة صحيحة وتطبيقًا صحيحًا وأنتاجًا صحيحًا ونتيجةً صحيحة، وكان لفاطمة البيت الصحيح البيت الذي تركَّز على نظرة صحيحة، ولقد وجد عليّ في فاطمة تكميل حياته، فطمأن وراح يعمل من وحي هذه الطمأنينة باندفاع واستجابة قبل أن يتمَّ تأليف البيت، لولا ذلك الاقتناع الموحي من قبل لما تمت بينه وبين فاطمة، هذه الوحدة التي لم يفرطها ألَّا الموت[3].

(١) الزَّهراء من المهد الى اللحد، القزوينيّ: ١٢٤.
(٢) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ٨١.
(٣) عوالم العلوم، الشيخ عبدالله البحرانيّ: ١١/ ١٩.

ثالثًا: شاطرته الأعمال المنزليّة

لقد رسمت لنا العلاقة الزوجية بين الزَّهراء وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) في تقسيم الأعمال المنزليَّة وما يخصها، منهاجًا نسير عليه، وهو المرويّ عن الأمام الباقر عليه السلام قال: «**إنَّ فاطمة ضمنت لعليّ عمل البيت والعجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها عليّ ما كان خلف الباب من نقل الحطب، وأن يجيء بالطعام**»[1]، فهذا التقسيم للعمل بين الزوجَين يساعد على حفظ كيان المرأة وعدم زجِّها للقيام بأعمال من اختصاص الرجال، كما أن هذا درس للرجال أن يتعلَّموا من عليّ عليه السلام أن لا يتكبَّروا على خدمة المنزل، فعليّ كان يكنس ويسقي ويحتطب، والرجل منَّا لا يرضى لرجولته أن يكنس ويسقي، لكن عليًّا هو سيِّد الرجال، وكان لا يرى بأسًا في ذلك، لأنَّ البيت بيته والزوجة زوجته، وهي إنسانة كما هو إنسان، كذلك ينبغي للنساء أن لا يعتبرن العمل في البيت احتقارًا لهنَّ[2].

لَقد شَكَّلت الزَّهراء عليها السلام بيتًا يَمتلئ عاطِفة وحُبًا ورِعاية وحُضنًا دافئًا يُنسي كُلَّ التَعب والإيذاء والمُعاناة، وشاركتهُ في مسؤولياته، فَراحت تدعو إلى ما كان يَدعو اليه، مُستفيدة مِن موقِعُها في مَكَّة.

نعم فهذه الزَّهراء عليها السلام يشهد لها بعلها بأنَّها كانت في قمَّة الطاعة والصدق والابتعاد عن مواطن الغضب والخيانة، فكم من هذه لأمور تعاني منها مجتمعاتنا المُسلمة، ألا يكفيهم ببنت رسول الله أسوة وقدوة يتَّخذون من سيرتها العطرة ليحافظوا على تماسك عوائلهم، وسعادة أسرهم.

٤. الزَّهراء وتربية الأطفال:

إنَّ مفهوم الأمومة ورعاية الأسرة يتعدَّى الجانب التربويّ والنفسيّ؛ ليشمل صورًا

(١) الزَّهراء وتر في غمد، سليمان كتاني: ١٥٨.
(٢) تفسير العيَّاشيّ: ١/ ٣٠٣-٣٠٤.

عمليَّة تقوم بها المرأة في بيتها، وهي متطوِّعة لذلك، ولكنَّنا نجد أنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت توفِّق بين رعايتها النفسيَّة والتربويَّة والإعداديَّة لأبنائها، وبين توفير الجوِّ الملائم بشكلٍ عمليٍّ في الأسرة[1]، وإنَّ السيِّدة الزَّهراء على الرغم من عظمتها عند ربِّ العالمين، ومنزلتها عند خاتم المرسلين، ومكانتها عند سيِّد الوصيِّين، إلَّا أنَّها في بيتها تعمل بكلِّ بساطة وتواضع، فنراها مربيَّة من جهة، وربَّة بيت من جهة أخرى.

قدَّمت الزَّهراء عليها السلام أروع مثال للزوجة النموذج وللأمومة العالية في أحرج لحظات التأريخ الإسلاميّ الذي كان يختطُّ طريق الخلود والعلى في بيئة جاهليَّة وأعراف قبليَّة ترفض إنسانيَّة المرأة[2]، فقامت الزَّهراء بدورها التا،م ترعى أولادها وتربِّيهم التربية الإسلاميَّة الرائعة، وتعمِّق في شخصيَّتهم كلَّ معاني الحبّ لله والسَّير في خطِّ رسول الله، وكلّ معاني الجهاد في سبيل الله، وتعطيهم كلَّ الطهر من طهرها، وكل الأمومة من أمومتها[3]. لقد تمثَّلت تربية الزَّهراء (صلوات الله عليه) لأولادها بالأمور الآتية:

أوَّلًا. الملازمة التامَّة لهم: إنَّ دور الأم في بناء الطفل يفوق دور الأب بكثير[4]، لذا كانت الزَّهراء تراعي هذا الأمر، وكلُّ دور في الحياة تقوم به نرى أبنائها ملازمين لها، لكي تربِّيهم على المنهج الإسلاميّ الصائب، ومن جملة لأمور التي صحبتهم بها بعد رحيل أبيها، كانت ترثيه في البقيع لتوجيه أنظار المسلمين حول ظلامة رسول الله في أهل بيته، فكانت تصحبهم، كما يروي المجلسيّ: «وكانت إذا أصبحت قدَّمت الحسن والحسين أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية»[5].

---

(١) الزَّهراء القدوة، فضل الله: ٩٢-٩٣.

(٢) معطيات فكر الزَّهراء للأم وربَّة البيت في عصرنا الحاضر (دراسة في المعاجم اللغويَّة)، أ.م.د. حميد سراج الأسديّ: ٩٠.

(٣) مجلَّة أمِّ أبيها السنويَّة، صادق الوحيلي: ١١.

(٤) الزَّهراء القدوة، فضل الله: ٩٩-١٠٠.

(٥) الطفل بين الوراثة والتربية، الفلسفي: ٢/ ٧٨.

ثانيًا. معاملة الأبناء برفق وشفقة واحـترام: إنَّ الطفل هو إنسان له مشاعر وأحاسيس، فيجب التعامل معه بكلِّ شفقة واحترام، فكثير من المجتمعات عندهم الطفل مهمش في المجتمع، ولا يقيمون له أي وزن، لذا عند الكبر تظهر علية أعراض وآثار ذلك التعامل السيِّء. إنَّ الطفل الذي يتلقَّى احترامًا كافيًا في الأسرة، وتلبِّي غريزة حبِّة للذات بالمقدار المناسب، يملك روحًا سليمة وسلوكًا مفضَّلًا وأخلاقًا حميدة[1].

لقد تعاملت الزَّهراء عليها السلام مع أبنائها بمنتهى الرحمة والشفقة واللطف بهم، ولين الكلام، فعندما يسلِّم الحسنان على أمهما، كيف كان ردَّها عليهم؟ ففي ذكر خبر حديث الكساء عندما دخل الأمام الحسن عليه السلام قال لأمِّة: «**السلامُ عليكِ يا أماه، فقالت: وعليكَ السلام يا قرَّة عيني وثمرة فـؤادي**»[2]، وعند دخول الإمام الحسين عليه السلام أجابته نفس الجواب، وتعاملت معه نفس الأسلوب، ولم تفرِّق بينهما؛ لأنَّ الشرع المقدَّس يرفض التمييز بين الأطفال، لما يولِّد لديهم أثار سلبيَّة من الشعور بالنقص والكره بينهم، كما أن استعمال هذه الطريقة مع الأطفال التي سنَّتها لنا الزَّهراء لها نتائج حسنة وأثار نفسية وشعور إيجابي.

ثالثًا. تأكيدها على تربيتهم على الزهد والإنفاق والعبادة: إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هي مدرسة متكاملة من الفضائل والمكارم، فلم تدع فضيلة إلَّا وكان لأبنائها نصيب منها، ففي مجال الزهد والإنفاق كان للحسنان جلد كبش ينامون عليه، لكن عندما يأتي السائل يؤثرونه على أنفسهم، «عمدت فاطمة على جلد كبش مدبوغ كان ينام عليه الحسن والحسين، فأعطته وقالت: **خُذ هذا أيُّها الطارق فعسى الله أن يرتاح لك ما هو خير منه**»[3]، فهذه الأسرة المثاليَّة نرى سمات الفضائل كلّها مجتمعة، فيهم كيف

(١) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ٩٥.
(٢) عوالم العلوم، البحرانيّ: ١١/ ٩٣٢.
(٣) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ٣٤.

لا وهم ينهلون من معين بنت المصطفى، ليكونوا خير قدوة للبشريَّة جمعاء، أمَّا يخصُّ العبادة فكانت دائبة على إشراكهم وتعليمهم الجوانب العباديَّة، كان الإمام الحسن عليه السلام وهو صبي يرى أمَّه تُكثر من الصلاة والدعاء، وتُكثر في الدعاء للمؤمنين والمؤمنات، وتسمِّيهم، ولا تدعوا لنفسها، فتجيبه: «يا بُنيَّ الجار ثمَّ الـدار»[1]، وبذلك تؤكِّد (صلوات الله عليها) على مبدأ مهم، وهو نكران الذات، ونبذ الأنا، وحبُّ النَّفس، وذلك بالاهتمام بأمور المسلمين، والدعاء لهم.

(١) عوالم العلوم، البحرانيّ: ١١/ ٩٣٢.

الخاتمة

١. إنَّ تزويج فاطمة الزَّهراء عليها السلام أصبح أنموذجًا مثاليًّا للسير على نهج الشريعة المحمَّديَّة وسنةً للأمَّة الإسلاميَّة، بعدها فقد بنيت قضيَّة الخطبة والمهر والزواج على أسس وخطوات وضعها رسول الله صلى الله عليه وآله ليحتَّذا بها فيما بعد.

٢. لقد كانت وليدة بيت النبوَّة ومهبط الوحي وتربية القرآن الكريم نموذج في تطبيق القرآن والسنَّة في الحثِّ على برِّ الوالدين والاعتناء بهم، فقد كانت في منتهى الطاعة لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فكانت تجلُّه وتحترمه وتحنو عليه، وتشاركه همومه وتدافع عنة خاصَّة في بداية الدعوة الإسلاميَّة، فكان لها الدور الفاعل في ذلك، كدور والدتها في قيام الإسلام، وعندما يرى وجهها النيِّر يزول عنه الهموم والإرهاق والتعب والكدر.. فعلاقة الزَّهراء مع أبيها رسول الله (صلوات الله عليهم) تعجز الأقلام عن معرفتها والعقول عن إدراكها.

٣. لعظم منزلتها وقرب مقامها وعلوِّ شأنها، فقد كنَّاها الصادق الأمين بأمِّ أبيها حتَّى أصبحت أم للنبوَّة والإمامه، وبذلك فاقت أمومة أمَّهات المؤمنين.

٤. بساطة الأمور التي تيسِّر الزواج، فقد كان مهر الزَّهراء عليها السلام بسيط لدرجة يقدر عليها جميع أفراد المجتمع وطبقاته، كذلك جهاز البيت الزوجيّ والأثاث هو الآخر سهل هذا الآمر.

٥. الكثير من النساء يعتبرن أعمال المنزل تصغر من شأن المرأة وإذلال لكرامتها، لكن هل هنَّ أفضل أم سيِّدة النساء؟ حيث كانت الزَّهراء عليها السلام تعمل بكلِّ تواضع وشفقة لخدمة بعلها وأولادها، فكانت تكنس البيت حتَّى أغبرَّت ثيابها، وطحنت في الرحى حتَّى أثَّر ذلك على جسدها الطاهر، وأوقدت النار حتَّى أسودَّت ثيابها، كذلك على الرجال أن يتَّخذوا من تقاسم الأعمال بين علي والزَّهراء عليهما السلام أسوة في تقديم المعونة لهنَّ، خاصة الأعمال التي تكون خارج المنزل.

٦. الاهتمام بتربية الأطفال، ويكون الدور الأكبر في هذا الجانب للأم، باعتبار أنَّ الرجل يقضي أغلب وقته خارج المنزل، لذا يقع الدور على عاتق الأم، لتربِّي أبنائها تربية صالحة، ولنتَّخذ من تربية الزَّهراء عليها السلام خير مثال، نحتذي به في هذا الجانب.

المصادر والمراجع

*خير ما نبتدأ به القرآن الكريم.

١. الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين، الشيخ محمَّد موسى اليعقوبيّ، تحقيق لجنة المراجعة في مكتب الشيخ اليعقوبيّ.

٢. الأمـاليّ، الشيخ الطوسيّ، أبي جعفر محمَّد بن الحسن، تحقيق بهراد الجعفريّ والأستاذ عليّ أكبر الغفاريّ، ١٣٨١هـ، طهران، نشر دار الكتب الإسلاميَّة.

٣. الأمالي، محمَّد بن عليّ بن بابويه الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، طهران، ١٤١٧هـ.

٤. بحار الأنوار، محمَّد باقر محمَّد تقي المجلسيّ الأصفهانيّ، تحقيق: عبد الرحيم الربَّانيّ الشيرازيّ، الطبعة ٣ مصححة، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥. بعض سمات الدعوة المطلوبة في هذا العصر، أبو الحسن عليّ الحسنيّ الندويّ، بحث مقدَّم للقاء الخامس للندوة العالميَّة للشباب الإسلاميّ في كينيا، ١٤٠٥هـ.

٦. تاريخ الرسل والملوك، محمَّد بن جرير الطبريّ، تحقيق: إبراهيم أبو الفضل، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠.

٧. التربية الإسلاميَّة وفلاسفتها، محمَّد عطيَّة الأبـراشيّ، دار الفكر العربيّ، القاهرة، د.ت.

٨. تفسير العيَّاشيّ، محمَّد بن مسعود العيَّاشيّ، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، الطبعة الأولى، قم المقدَّسة، ١٤٣١هـ.

٩. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، للشيخ محمَّد بن الحسن ابن عليّ، المعروف بالحُر العامليّ، مؤسَّسة آل البيت، سنة: ١٤٠٩هـ، قم، إيران

١٠. تهذيب الكمال، يوسف ابن الزكي عبدالرحمن أبو الحجَّاج المزيّ، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، الطبعة الأولى، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠.

١١. التوقيف على مهمَّات التعاريف، زين الدين محمَّد المدعو بعبد الرؤوف ابن تاج العارفين بن عليّ بن زين العابدين الحدَّاديّ ثمَّ المناوي القاهريّ (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٢. جامع السعادات، الشيخ محمَّد مهدي النراقيّ، قدم له العلَّامة الشيخ محمَّد رضا المظفَّر، علَّق عليه السيِّد محمَّد كلانتر، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٦.

١٣. الخصائص الفاطميَّة، محمَّد باقر الكجوريّ، ترجمة وتحقيق: عليّ جمال، الطبعة الأولى،قم، إيران، دار نشر الشريف الرضيّ، ١٣٨٠هـ.

١٤. روضة الواعظين، محمَّد بن الفتَّال النيشابوريّ، تحقيق: غلا محسن المجيديّ، مجتبى الفريجيّ، قم المقدَّسة، ٢٠١٠م.

١٥. الزَّهراء القدوة، السيِّد محمَّد حسين فضل الله، إعداد حسين أحمد الخشن، دار الملاك، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠٠١.

١٦. الزَّهراء من المهد الى اللحد، محمَّد كاظم القزوينيّ، مطبعة سيِّد الشهداء، قم المقدَّسة، ١٤١٤.

١٧. الزواج والأسرة، الشيخ عيسى أحمد قاسم، قم المقدَّسة، جامعة المصطفى العالميَّة.

١٨. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائيّ، قدَّم له: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، أشراف شعيب الأرنؤط، تحقيق حسن شبلي، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠١، مؤسَّسة الرسالة.

١٩. الصِّحاح، إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، دار صادر، ط٣، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٠. صحيح البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢١. صحيح مسلم، مسلم بن الحجَّاج (كتاب الفضائل)، إصدار وزارة الشؤون الإسلاميَّة والأوقاف، المملكة العربيَّة السعوديَّة، دار السلام للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠.

٢٢. الصحيفة السجَّاديَّة ورسالة الحقوق، تقديم السيِّد الشهيد محمَّد باقر الصدر، دار القارئ، مؤسَّسة انتشاراتي في دار المجتبى، قم المقدَّسة، ٢٠١٣م.

٢٣. الطبقات الكبرى، ابن سعد أبو عبدالله محمَّد البصريّ، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٤. الطفل بين الوراثة والتربية، محمَّد تقي الفلسفيّ، تعريب فاضل الحسينيّ الميلانيّ.

٢٥. علل الشرائع، محمَّد بن عليّ بن بابويه الصدوق، تحقيق: محمَّد صادق بحر العلوم، النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدريَّة.

٢٦. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات و الاخبار و الاقوال، الشيخ عبدالله بن نور الله البحرانيّ، تحقيق ونشر: مؤسَّسة الامام المهدي، الطبعة الثانية، قم المقدَّسة، ١٤١٥هـ.

٢٧. فاطمة الزَّهراء وتر في غمد، سليمان كتَّاني، تحقيق الشيخ محمَّد الساعدي، تحقيق: المجمع العلميّ لأهل البيت، الطبعة الأولى، مطبعة مجاب، ١٤٣٢هـ.

٢٨. فاطمة الزَّهراء المرأة النموذجيَّة في الإسلام، إبراهيم الأمينيّ، الطبعة الأولى، مؤسَّسة أنصاريان، قم المقدَّسة، إيران، ٢٠٠٣.

٢٩. فاطمة الزَّهراء قدوة وأسوة، محمَّد تقي المدرِّسيّ، مركز العصر للثقافة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠١٠م.

٣٠. الكافي، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ، تحقيق: عليّ أكبر، الطبعة الخامسة، طهران، دار الكتب الإسلاميَّة، ١٣٦٣هـ.

٣١. الكامل في التاريخ، عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن محمَّد الجزريّ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

٣٢. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربلِّيّ، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٣. لسان الميزان، أحمد بن عليّ بن حجر أبو الفضل الشافعيّ العسقلانيّ، تحقيق: دائرة المعرفة النظاميَّة، الهند، الطبعة الثالثة، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦.

٣٤. مختار الصِّحاح، زين الدين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفيّ الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمَّد، المكتبة العصريَّة، الدار النموذجيَّة، بيروت، ط٥، صيدا، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٥. المستدرك على الصحيحَين، محمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠١٢م.

٣٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّا، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، اتِّحاد الكتَّاب العرب، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٧. مكارم الأخلاق، رضي الدين الحسن بن الفضل الطبرسيّ، بيروت، ٢٠١١م، دار المحجَّة البيضاء.

٣٨. مناقب آل أبي طالب، محمَّد بن عليّ المازندرانيّ المعروف بابن شهر آشوب، تحقيق: د. يوسف البقاعيّ، بيروت، ١٩٩١م، دار الأضواء.

المجلَّات والبحوث:

١. معطيات فكر الزَّهراء للأم وربَّة البيت في عصرنا الحاضر (دراسة في المعاجم اللغويَّة)، أ.م.د. حميد سراج الأسديّ، منشور على شبكة مركز الدراسات الفاطميّ، محافظة البصرة.

٢. الوحيلي، صادق سالم، مجلَّة أمّ أبيها السنويَّة الصادرة من مكتب الشيخ اليعقوبيّ، بغداد، مدينة الصدر، السنة الرابعة، ٢٠١٣م.

٣. القدوة في القرآن الكريم تعريفها، أهميَّتها، أنواعها، أ.د. محمَّد إبراهيم السامرَّائيّ، أ.م.د. محمَّد حسين عبد الله، مجلَّة كليَّة التربية للبنات، العدد١٠، ٢٠١٩م

القدوة الحسنة والنَّمذجة السلوكيَّة الإيجابيَّة في ضوء النظريَّات النفسيَّة الحديثة (السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا)

أ.د. محمَّد كاظم جاسم الجيزانيّ
الجامعة المستنصريَّة/ كليَّة التربية الأساسيَّة

ملخَّص البحث

حاجة البشريَّة الى القدوة الحسنة في الأخلاق حاجة شديدة ومهمَّة، بل وضروريَّة، وكان ذلك حاجة فطريَّة لا يمكن الاستغناء عنها، فمهما يكن من إيجاد منهج تربويّ وأخلاقيّ متكامل، ورسم خطَّة محكمة لتربية الأخلاق، فإنَّه لا يُغني ذلك عن وجود دافع تربويّ يمثِّل إنسانًا مربِّيًا يحقِّق سلوكه وأسلوبه التربويّ، وكلُّ الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربويّ الأخلاقيّ عليها.

وتشتدُّ الحاجة إلى القدوة الحسنة كلَّما ابتعد الناس عن الالتزام بقيم الإسلام وأحكامه، وتتأكَّد الحاجة، بل تصل إلى درجة الوجوب، إذا وجدت قدوات سيِّئة فاسدة تحسن عرض باطلها.

وهذا التأثير القويّ والمباشر للقدوة يرجع إلى أنَّ الإنسان مفطور على حبِّ التقليد، خاصَّة لمن هو محلّ ثقة عنده، وكثيرًا ما يكتسب معارفه وخبراته ومهاراته بالتقليد، والمتابع للطفل كيف يحاكي أباه ويتقمَّص شخصيَّته، وذلك بتقليده؛ لأنَّ التعلُّم بالملاحظة أسهل وأيسر، بل وأسرع.

إذًا فالقدوة الحسنة هي من أنفع الوسائل، وأقربها، وأكثرها نجاحًا في حياة المربِّين.

ويمثِّل النبيّ الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله المصداق الكامل للأسوة والقدوة الحسنة للأخلاق الإلهيَّة في الأرض، وعلى نهج النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله سار وحذى الأئمَّة المعصومون من أهل البيت عليهم السلام في مكارم أخلاقهم وسموِّ آدابهم، وقد حمل الرواة إلينا صورًا رائعة، ودروسًا خالدة من سيرتهم المثاليَّة وأخلاقهم الفذَّة، ما جعلهم القدوة والأسوة في الأخلاق، والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء العالمين تجسَّدت في شخصيَّتها مختلف أبعاد الأخلاق الإسلاميَّة التي دعت وأكَّدت عليها التعاليم القرآنيَّة، ولقد ضربت المثل الأعلى للمرأة المؤمنة الكاملة، وهذا ما نراه واضحًا وجليًّا من خلال استقراء سيرتها، وفي مختلف الأبعاد الإنسانيَّة.

إذ إنَّ التحدُّث عن حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام يشتمل على حوادث كلُّها عِبَر ودروس، يتعرَّف الإنسان بها على حياة أولياء الله وخاصَّته، وكيفيَّة نظرتهم للحياة، ويطَّلع على جانب من التاريخ الإسلاميّ المتعلِّق بحياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بالرغم من قصر عمرها الشريف، وأنَّها تعيش في خدرها، لا يطَّلع على معاشرتها وسلوكها في البيت إلَّا أسرتها وذويها.

فالتحدث عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام يعتبر تحدُّثًا عن المرأة القدوة في الإسلام، من حيث حفظ كرامتها، والاعتراف باحترامها وشخصيَّتها.

ويهدف البحث الحالي التعرُّف إلى مفهوم القدوة الحسنة والنمذجة السلوكيَّة الإيجابيَّة في ضوء النظريَّات النفسيَّة الحديثة، السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا.

ويتمُّ تحقيق الهدف أعلاه من خلال تناول المحاور الآتية:

١. مفهوم القدوة الحسنة.

٢. مفهوم النمذجة السلوكيَّة.

٣. شخصيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنموذجٌ للقدوة الصالحة في المجتمع.

٤. مفهوم القدوة والنمذجة السلوكيَّة الإيجابيَّة في ضوء النظريَّات النفسيَّة الحديثة.

واستخدم الباحث المنهج الوصفيّ التحليليّ منهجًا لبحثه، وفي نهاية البحث قدَّم الباحث عددًا من التوصيات والمقترحات المستقبليَّة.

المبحث الأوَّل

الإطار المنهجيّ للبحث

مشكلة البحث

إنَّما قصَّتنا نحن جيل الواحد والعشرين، الذي افتقد مَثَله الأعلى ليُشغل نفسه بأبطال الأفلام الإجراميَّة والعاطفية؛ ليقلِّدهم ما شاء من التقليد، وليجري وراءهم في كلِّ مجالٍ، تاركًا وراء كلِّ مثله وكلِّ قيمة في عادة هستيريَّة صاخبة.

إنَّها قصَّة هذا الجيل الذي ضاع منه الأعلى؛ لأنَّ طبيعة الحياة الماديَّة التي نعيشها بكلِّ ما فيها من قسوة وجحود وحرمان، لم تعد له البطولات الروحيَّة التي تستهوي الروح، وتمتلك القلب.

إنَّ قصتَّنا نحن الذين افتقدنا المثل الأعلى للإنسانيَّة الكاملة في واقعنا المعاصر.. فرجعنا إلى التاريخ لنلتمس فيه مثلنا الأعلى الذي تتجسَّد فيه أريحيَّة الإنسان، إلى جانب طهر الملائكة، وتتمثَّل بحياته الداخليَّة والخارجيَّة أصدق معاني العقيدة، وأسمى مواقف التضحية، وأروع القيم الإنسانيَّة التي تحتضن كلّ ما في الحياة من إشراق وصفاء. (الحسنيّ، ٢٠٠٢، ٢٠٢).

وهكذا نلتقي بالذكريات التاريخيَّة، وفي شعور عميق بالحاجة إلى أن نتمثَّل ذلك الواقع الذي عاشت شخصيَّاتنا الإسلاميَّة في إطاره، ومثَّلته أصدق تمثيل، وهكذا التقت حاجتنا إلى المثل الأعلى الذي نقتدي به، ونشترشد بخطواته، ونستنير بأنواره، بالصفوة الصافية من أهل البيت عليهم السلام؛ لتكون حياتهم مثلًا أعلى يرعى واقعنا بالحقِّ،

ويصونه بالروح، ويشدُّ خطاه بالإخلاص.

واهل البيت عليهم السلام، والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا لهم في تقديسنا لهم، وتعظيمنا لشخصيَّاتهم، لا ينطلقون من صلتهم بالرسول الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله، وإن كانت هذه الصلة تمثِّل الشرف الرفيع في مقياس النَّسب وطبيعة الوراثة، وإنَّما ينطلقون من واقعهم الأصيل الذي تتمثَّل فيه كلّ معاني الرسالة، وكلّ ملامح الرسول صلى الله عليه وآله، وهم لا يريدون لنا أن نقنع بحبِّهم وولايتهم، عن العمل بسيرتهم، والأخذ بتعاليمهم، بل يريدون لنا أن نعمل لنحقِّق بعملنا أهداف الإسلام الكبرى وغايته المثلى.

من هنا كانت الحاجة والإلحاح على استعادة ذكرياتهم، حيث يمثِّل الإلحاح الواعي على استعادة القيم التي يمثِّلونها، والمعاني الحيَّة التي يحملونها، والطهارة الخالية من كلِّ دنسٍ يشوِّه وجه الإنسانيَّة، ويلوِّث ضميرها، كما أراد لهم الله أن يكونوا، فكانوا كما اراد الله جلَّ وعلا، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

إنَّ من الأمور التي يقوم بها الغرب اليوم، صناعة الرموز في مختلف مجالات الحياة الاجتماعيَّة والفكريَّة والسياسيَّة، وهذه الرموز غير طبيعيَّة، وإنَّما يقومون بصناعتها بطريقة متكلِّفة، وهذا بحث طويل لا نريد أن نخوض فيه الآن.

إنَّ ما نتوخَّاه من هذا البحث ونريد قوله هنا، هو أنَّ الغرب قد صنع رموزًا للمرأة في عالمنا المعاصر من جملة ما صنع من رموز، وهذه قضيَّة خطيرة جدًّا، وقد باتت خطورتها اليوم أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، عندما نأخذ بنظر الاعتبار العولمة وأدواتها، فإنَّ الناس كانوا فيما مضى في مأمن من التخريب الثقافيّ، إلَّا إذا ذهبوا إلى الغرب، أمَّا اليوم فإنَّ الغرب دخل إلى بيوتنا، إنَّه اليوم موجود في كلِّ بيت، شئنا أم أبَينا، عبر شاشات التلفاز والقنوات الفضائيَّة وشبكات الانترنيت و.. لقد صنعوا رموزًا جذَّابة للمرأة، فجعلوا منها نائبة في البرلمان، ورئيسة للوزراء، بل رئيسة للجمهوريَّة في بعض البلدان، وهذه الأمور مغرية للمرأة بلا شك.

ونحن اليوم في أمسِّ الحاجة إلى القدوة الصالحة والمثل الأعلى؛ بسبب الضعف الذي أصاب حياة المسلمين من خلال غَلبة الأهواء، وإيثار المصالح الخاصَّة، وقلَّة القادة المخلصين والعلماء العاملين والدعاة الصادقين، لذلك فإنَّ حاجة المسلمين في مختلف بلدانهم تتطلَّب وجود القيادات والقدوات التي تكون نموذجًا حيًّا، بحيث يرى الناس فيهم كلَّ معاني الخير والصَّلاح، قولًا وفعلًا، فينجذبون إليهم، ويتأثرون بهم؛ لأنَّ التأثُّر بالأفعال أبلغ بكثير من التأثير بالكلام وحده، فقد جاء على لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ (هود: ٨٨).

حتَّى يكون القدوة الأخلاقيّ مؤثِّرًا في المجتمع، لا بدَّ أن يتحلَّى بأكمل وأجمل الصفات العقليَّة والعلميَّة والأخلاقيَّة الرفيعة، مثل الرحمة والرأفة والتسامح والعفو والغيرة والكرم والإحسان والصدق والأمانة والتواضع والإحسان والحكم والعفَّة والوفاء والشجاعة.

إنَّ للقدوة الحسنة آثارًا حميدة وطيِّبة على الفرد المسلم في حياته الدعويَّة، يدركها ويلمسها في ذاته عندما يقتدي بصاحبٍ صالحٍ؛ فيتأثَّر به، ويظهر ذلك في سلوكه الحياتيّ وفكره ومنهجه، وهي سبب فعَّال في مصير الإنسان وسعادته الدنيويَّة والأخرويَّة، فإنَّ الإنسان يتأثَّر بقدوته، ويصطبغ بصبغته فكرًا ومعتقدًا وسلوكًا، وقد برهن على ذلك الوحي والعقل والواقع والتجربة والمشاهدة، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ (الفتح: ٢٩).

وتجسَّدت في شخصيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مختلف أبعاد الأخلاق الإسلاميَّة التي دعت وأكَّدت عليها التعاليم القرانيَّة، ولقد ضربت المثل الأعلى للمرأة المؤمنة الكاملة، وهذا ما نراه واضحًا وجليًّا من خلال استقراء سيرتها في مختلف الأبعاد الإنسانيَّة (البهادليّ، ٢٠١٢: ٧٤).

وتتلخَّص مشكلة البحث الحاليّ بالإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما هي القدوة الصالحة في المجتمع؟ ما هو النموذج السلوكيّ الإيجابيّ الذي يجب أن نلاحظه ونقلِّده؟ النمذجة السلوكيَّة الايجابيَّة وفق النظريَّات النفسيَّة؟ تبنِّي واعتناق شخصيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا للقدوة الصالحة في المجتمع؟

أهميَّة البحث

إنَّ أهميَّة وجود القدوة في حياة الإنسان، رجلًا كان أو امرأة، تفترض حُسن اختيار الشخصيَّة التي سترتسم له مثالًا أعلى يقتدي به، وأُنموذجًا يستلهم من سيرته الدروس والعِبَر. وبخصوص القدوة في حياة المرأة المسلمة على وجه التحديد، يمكن الحديث عن النساء العظيمات اللواتي تركن نماذج خالدة في تاريخ الإسلام، وعلى رأسهن سيِّدة نساء المسلمين، بل (سيِّدة نساء العالمين)؛ بما يستبطنه هذا اللقب من معاني العظمة والسموّ الكافية لتجسيِّد الصورة الحقيقيَّة للقدوة في حياة المرأة اليوم، خصوصًا في ظلِّ ما يشهده واقعها من تشويه وابتذال للقيمة الأنثويَّة التي تمتلكها، واعتبارها كمقياس للتفاضل والتمايز على حساب المعايير المعنويَّة والروحيَّة التي تضمن للمرأة المحافظة على الصورة الإنسانيَّة في ظهورها العام، والتي تؤهلِّها للقيام بأسمى الأدوار في المجتمع.

إنَّ تقديم النموذج الصالح الخيِّر، وعرضه أمام الآخرين، وخصوصًا المربِّين لهو أمر بالغ الأهميَّة، وهو أسلوب قرآنيّ في الحقيقة، حيث يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ (الأحزاب: ٢١). كما يؤكِّد التربويُّون فاعليَّة هذا الأسلوب حديثًا، ذلك لأنَّ النفس البشريَّة ميَّالة إلى الاختيار، تنفر من الإجبار، فالتعليم بتقديم النموذج أوقع في النفس من الوعظ والتلقين الدائم، وخصوصًا لدى الأطفال. وفي هذا الإطار، نجد السيِّدة فاطمة عليها السلام تقدَّم لأولادها، بل لكلِّ البشريَّة، أنموذجًا كاملًا قابلًا للتأسِّي، فهي بتجسيِّدها القيِّم والمفاهيم الدينيَّة في حياتها، تُدلُّ المربِّين بشكلٍ عمليٍّ على ما ينبغي القيام به، وهو أمر

عام وشامل ينطبق على حياتها بأكملها، وهو أسلوب نراه يتكرَّر في مواقفها مع أولادها، فمثلًا نراها متهجِّدة متعبِّدة، تقوم ليلها حتَّى تتورَّم قدماها، وهو أمر لا تحكيه عن نفسها أبدًا، كما أنَّها لا توقظ أولادها ليقوموا بالتعبُّد مثلها على سبيل المثال، بل إنَّ هذا الخبر قد وصل إلينا على لسان الإمام الحسن عليه السلام لـمَّا استيقظ ورأى أمَّه واقفة في محرابها تصلِّي الليل بطوله، وفي الموقف نفسه، نراها تدعو لجيرانها ولا تدعو لنفسها، ولـمَّا سألها الإمام الحسن عليه السلام عن ذلك قالت: **الجار ثمَّ الدار**، فدلَّته بشكلٍ سلوكيّ على قيمة محبَّة الآخرين والدعاء لهم، وكذا علَّمت أطفالها كيف يزهدون في هذه الدنيا، ففي مرَّة أرسلت ابنيها بسوارَين أحضرهما لها الإمام عليّ عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ليبيعهما وينفق ثمنهما على الفقراء، زهدًا منها بهذه الفانيات.. وغيرها الكثير من المواقف، فكلُّ حياة الزَّهراء عليها السلام قدَّمت فيها نموذجًا وقدوة صالحة، وكانت تلك هي الطريقة التي غرست من خلالها القيم الحقَّة في نفوس أولادها، وربَّتهم على تعظيمها والدفاع عنها بكلِّ وجودهم، حتَّى لو استدعى ذلك فداء تلك القيم بالنفس والروح، وهو ما حصل.

وتشتدُّ الحاجة إلى الأسوة الحسنة في هذه الفترة العصيبة التي تمرُّ بها المجتمعات العربيَّة الإسلاميَّة بشكلٍ عامٍّ، والمجتمع العراقيّ بشكلٍ خاصٍّ؛ لنحقِّق من أنفسنا النموذج التطبيقيّ الصحيح لمنهج ربِّ العالمين، كي يحقِّق الله لنا النصر والتمكين من أعدائنا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ (محمَّد: ٧)، فإذا أردنا أن يحفظ الله لنا ديننا الذي ارتضاه لنا، ويستتبّ الأمن والسلام في مجتمعنا، ونكسر شوكة أعدائنا، فَلْنُقِم هذا الدين في حياتنا وسلوكنا علمًا وعملًا.

والقدوة الصالحة أعظم من المناهج الدراسيَّة والقوانين الجامعيَّة أو الأبنية الفخمة؛ لأنَّ للأستاذ الجامعي أثرًا كبيرًا على طلابه في علمه وأدبه وعمله ومهارته التدريسيَّة وسائر أخلاقه وتصرُّفاته (الأبراشيّ، ١٩٧٥: ٢٩٤).

ولم تصل التربية الحديثة إلى أبدع من اتِّخاذ القدوة الصالحة وسيلة إلى بناء الجيل

الطلَّابيّ، فالمعلم القدوة هو الذي يرتقي بالأمَّة إلى أسمى درجات الحضارة والمدنيَّة، وبالمدرِّسين المخلصين تنهض الأمَّة من كبوتها، وتنتصر على أعدائها.

وأقولها بصراحة: إذا أردت أن ترى أثر المدرِّس، فانظر إلى الأمم الراقية في مستواها الصحِّيّ والتعليميّ والسياسيّ والمعيشيّ، تجدها أثرًا من آثار المدرِّسين الصالحين القدوات المخلصين.

والإسلام لا يعرض هذه القدوة من أجل الإعجاب السالب والتأمُّل التجريديّ في سبحات الخيال، وإنَّما يطلب منها أن تظلَّ شاخصة ماثلة أمامنا، تتدفَّق في حيويَّة وعمل يحقِّق الخير الوفير للمجتمع (النحلاوي، ١٩٧٩: ٢٣١).

ونحن اليوم في حاجة إلى القدوات التي تبرز في ميادين الحياة، القدوة التي تدعو إلى صفاء المعتقدات الإيمانيَّة ووضوح المنهج، القدوة التي تدعو إلى أداء الشعائر التعبُّديَّة، وتكون هي أحرص الناس على أدائها، القدوة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق وإلى التضحية والفداء والبذل والعطاء، القدوة التي تترجم الكلمات إلى مواقف خالدة في تاريخ الأمَّة، ولتحقيق ذلك جعلنا الحديث في هذا المبحث عن مقوِّمات القدوة الصالحة، وأهمّ المواصفات التي تتَّصف بها ليكون ذلك عونًا في إيجاد القدوات الصالحة في الميادين العمليَّة المتعدِّدة من حياة الناس (زهد، ٢٠١٠: ٤٨).

وتكمن أهميَّة البحث من خلال الآتي:

١. إنَّ القدوة الصالحة تثير في نفوس الآخرين الإعجاب والمحبَّة التي تتهيَّج معها دوافع التنافس المحمود، فتتولَّد لديهم حوافز قويَّة لأن يتمثَّلوا أخلاق وأفعال قدوتهم.
٢. القدوة الصالحة المتحلِّية بالقيم والمثل العليا الحميدة تعطي للناس قناعة بأنَّ بلوغ هذا المستوى الرفيع من الأمور الممكنة، وأنَّها في متناول قدرات الإنسان وطاقاته.

٣. إنَّ واقع الناس اليوم يشكو القصور والانحراف، رغم انتشار العلم، ما لم يقم بذلك العلم علماء وقادة عالمون مخلصون يصنعون من أنفسهم قدوات في مجتمعاتهم، يترجمون ذلك العلم إلى واقع عمليّ يفهمه الجميع، وهذا يُسهِّل في إيصال المعاني الأخلاقيَّة، ويُحدِث التغيير المنشود إلى الأفضل.

٤. إنَّ غياب القدوة الصالحة من المجتمع عامل رئيس في انتشار المنكرات واستفحالها، وإفشاء الجهل بين الناس، ومن هنا تكمن أهميَّة القدوة الصالحة، فكلَّما ازدادت القدوات، انتشر العلم، واختفت المنكرات، لذلك فنحن نحتاج إلى قدوات يدعون الناس بأفعالهم لا بأقوالهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ (الصَّف: ٢-٣).

٥. لا ينكر أحد ما للمدرِّس القدوة من الأثر الكبير في الرقيِّ وإصلاح المجتمع الإنسانيّ علميًّا وخلقيًّا وأدبيًّا وصحيًّا واجتماعيًّا؛ لأنَّ أثر المدرِّس الصالح يظهر على نفوس تلاميذه، فيغرس فيهم الفضائل والأخلاق الحسنة، وما يراه خيرًا للأمَّة والوطن.

أهداف البحث

يهدف البحث الحالي التعرُّف إلى:

١. مفهوم القدوة الحسنة.

٢. مفهوم النمذجة السلوكيَّة.

٣. مفهوم القدوة والنمذجة السلوكيَّة في ضوء النظريات النفسيَّة الحديثة.

٤. شخصية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا للقدوة الصالحة في المجتمع.

تحديد المصطلحات

١. القدوة:

في اللغة:

القُدوة والقِدوة تُقرَأ بالضمِّ والكسر، وهي تعني مَن يقتدي به الإنسان ويستنُّ بسنَّته، فيُقال: فلان قدوة يُقتَدى به، والقدوة: المثال الذي يتشبَّه به غيره، فيعمل مثل ما يعمل، ويحذو حذوه في كلِّ صغيرة وكبيرة.

والقدوة مثل الأسوة، ويقال: تأسَّيت به إذا اقتديت به، واتَّبعته في جميع أفعالي وأقوالي، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ (الأنعام: ٩٠)، تعني أولئك الذين قبلوا هدى الله فاقتدِ بطريقهم في التوحيد، وتبليغ الرسالة، وتطبيق الأحكام الشرعيَّة، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ (الزُّخرف: ٢٣)، أي سائرون على منوالهم ومنهجهم وطريقتهم في هذه الحياة (القرطبيّ: ١٠٢).

ويعني الاقتداء في كلام العرب بالرجل، اتِّباع أثره والأخذ بهديه، فيُقال: «فلان يقدو فلانًا» إذا نحا نحوه، وسار على دربه، واتَّبع أثره (ابن منظور: ٦٤).

نخلص ممَّا تقدَّم أن القدوة والأسوة شيء واحد، يعني أنَّ كلَّ ما يتَّخذه الإنسان مثالًا حيًّا في سائر أفعاله وأقواله يعتبر قدوة وأسوة في حياته.

القدوة اصطلاحًا:

القدوة الصالحة هي مثال من الكمال النسبيّ المطلوب، يُثير في الوجدان الإعجاب، فتتأثَّر به تأثُّرًا عميقًا، فتنجذب إليه بصورة تولِّد في الإنسان القناعة التامَّة به، والإخلاص الكامل له (زهد، ٢٠١٠: ٢).

٢. النمذجة السلوكيَّة:

- هو تعلُّم الأنماط السلوكيَّة الجديدة، عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين، أو

من خلال ملاحظة النماذج، ويسمَّى في هذه الحالة التعلُّم القائم على الاقتداء بالنموذج.

- اكتساب الفرد أو تعلُّمه لاستجابات أو أنماط سلوكيَّة جديدة من خلال موقف أو إطار اجتماعيّ.
- إنَّها «عملية التعلُّم بالملاحظة، حيث يعمل سلوك الفرد أو المجموعة (النموذج) كحافز للأفكار أو المواقف أو السلوكيَّات لفرد أو مجموعة أخرى تلاحظ تنفيذ النموذج (Cormier, 1994).
- هي عملية الاعتماد على النماذج في نقل فكرة أو خبرة إلى فرد أو مجموعة أفراد، وهي إحدى فنيَّات وطرق إكساب الأفراد أنماط السلوك الصحيح، وهي أيضًا فنيَّة علاجيَّة لتعديل أنماط السلوك الخاطئ وغير المرغوب لدى الأفراد.
- هي عيِّنات رمزيَّة يقوم بصنعها الإنسان لمحاكاة الأشياء الحقيقيَّة التي تمثِّلها، فالنموذج عبارة عن محاكاة مجسَّمة لشيء ما من حيث المظهر أو الوظيفة أو الخصائص العامَّة، ويُطلَق عليها عدَّة مسمَّيات، منها النماذج المجسَّمة، المجسَّمات، الأشياء الحقيقيَّة المعدَّلة (اشتيوه وعليان، ٢٠١٠: ١٧١).

المبحث الثاني

مفهوم القدوة الحسنة

لماذا القدوة؟

لماذا القدوة لحركة الإنسان في الحياة؟ لماذا لا تكفي الفكرة التي تدخل في وعي الإنسان لتقوده نحو الحركة؟ لماذا يبحث الناس في كلِّ حركة الإنسان في الحياة عن النموذج الكامل أو الأكمل للفكرة؟ إنَّ المسالة- الفكرة- قد تنطلق خيالًا يشكُّ الناس في واقعيَّته، وقد تنطلق الفكرة لتوحي للناس في حلالات التساؤل والشكِّ، إنَّها لا تملك كلَّ عناصرها في حركة الواقع الإنسانيّ إذا كانت تملك بعض العناصر.

هل نستطيع أن نفصل في الحاجة إلى القدوة بين المراة والرجل؟ وهل تجاوز الرجل مسألة الحاجة إلى القدوة، حتَّى تقدَّم المراة كإنسان يركض وراء هذه الحاجة؟ وهل نحن في كلِّ ما يعيشه إنسان ما مِن غنى في الفكر، أو في الروح، أو في الحركة، أو في كلِّ عناصر الشخصيَّة؟

هل نستطيع أن نفصل الأنسان وبين الإنسان الآخر ليكون نموذجًا لفريق آخر أيضا؟.

إنَّ المراة عندما تختزن حيويَّة الفكرة الكبيرة في داخل شخصيَّتها، فإنَّها لا تنطلق من خلال شخصيَّتها كامرأة، ولكن من خلال شخصيَّتها كإنسانة تحمل بعض العناصر التي تميِّزها عن الإنسان الآخر الرجل، ولكنَّها تشترك معه في القاعدة العامَّة التي تُنتِج الفكر، وتُنتِج الحركة.

إنَّ المرأة النموذج هي الإنسان النموذج الذي يمثِّل قدوة الرجل والمرأة على السَّواء، والرجل النموذج هو الإنسان النموذج الذي يمثِّل القدوة للمرأة والرجل على السَّواء (الحسنيّ، ٢٠٠٢: ١٨٨).

القدوة في القران الكريم

قد لاحظنا في القرآن الكريم أنَّه جعل المرأة في واقعها السلبيّ والإيجابيّ، مثلًا للرجال والنساء معًا، لم يجعل المرأة مثلًا للمرأة والرجل مثلًا للرجل؛ لأنَّهما لا يفترقان في عناصر الإنسانيَّة العميقة التي تعيش في كلِّ حركتَيهما في الحياة.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠).

فالإنسان يتحرَّك في الموقع السلبيّ في الحياة، فلن يستطيع أن يستفيد من علاقته بالإنسان الذي يملك الموقع الإيجابيّ في الحياة؛ لأنَّ الإنسان يتحرَّك من خلال مسؤوليَّته الفرديَّة، ولا يمكن لإنسان أن يُعطي إنسانًا قيمة من خلال العلاقة، إذا كان الإنسان يفتقد القيمة الذاتيَّة في ذاته.

وفي الجانب الإيجابيّ، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (التحريم: ١١).

هذه الإنسانة القويَّة في إيمانها، القويَّة في موقفها، المتمرِّدة على كلِّ السلبيَّات التي تعيش ساحتها، الرافضة لكلِّ الظلم الذي يمارسه زوجها الظالم في موقعه، وفي موقفه ضدَّ الناس المستضعَفين (الحسني، ٢٠٠٢: ١٨٩).

في ضوء ما تقدَّم فإنَّ المرأة قدوة للرجل وللمرأة على السواء، كما هو الرجل قدوة للمرأة والرجل على السواء.

أنواع القدوة

إذا نظر الإنسان في كتاب الله وسنَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله، وفي أوضاع الناس وأحوالهم، يتَّضح له أنَّ القدوة تنقسم إلى نوعين:

١. **القدوة الحَسَنة**: وهي التي تتَّخذ الاقتداء برسول الله منهجًا وسلوكًا، وتتأسَّى به صلى الله عليه وآله في تطبيقها العلميّ في واقع الحياة، وهذا النوع إنَّما يسلكه ويوفَّق إليه مَن كان يرجو الله واليوم والآخر، ودخل الإيمان قلبه، فعمل بالتنزيل، وخشيَ من الجليل، واستعدَّ ليوم الرحيل، رجاء الثواب الجزيل، وخوف العقاب الشديد.

٢. **القدوة السيِّئة**: وهي على عكس ذلك تمامًا، فهي لا تتأسَّى برسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تتشرَّف بحمل الإسلام، بل إنَّها تعتزُّ بانتسابها لغيره، كقول المشركين حين دعتهم الرُّسل للتأسِّي بهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزُّخرف: ٢٣)، فقولهم هذا عين التقليد والمحاكاة يكون ضارًّا ومفسدًا، وطريقًا لوصول المقلِّدين إلى دركات النقص التي انحدرت إليها أسوتهم السيِّئة.

ولقد عرف دعاةُ الشرِّ والفساد ما للقدوة الصالحة من أثرٍ محمودٍ بين الناس، لذلك أخذوا يصنعون أمثلة ونماذج بشريَّة على طريقتهم، ذات مفاهيم وعقائد باطلة، وأعمال ضالَّة، فاسدة ومفسدة، وأحاطوها بالأصباغ والألوان الخدَّاعة، وسلَّطوا عليها الأضواء الإعلاميَّة لإثارة الإعجاب بها في نفوس الجماهير، حتَّى تكون أسوتهم التي تقتدون بها.

ومن هذه الأمثلة البشريَّة المصطنعة شخصيَّات ذات مذاهب هدَّامة وآراء

باطلة، أحاطها المفسدون بعبارات التمجيد والإكبار؛ ليتَّخذها الناس أسوة لهم يقتدون بها في أرائها وأفكارها، وخير دليل على ذلك ما يسمَّى بنجوم الفنِّ والأناقة والغناء الماجن، من رجالٍ ونساءٍ، ليكونوا أسوة للناس يقتدون بهم في تفاهاتهم وسلوكهم والمنحرف، حتَّى أمست هذه الأمثلة الساقطة هي القدوة التي تقلِّدها الأجيال.

أمَّا القدوة الصالحة، فهي أيضًا تنقسم إلى قسمَين:

١. القدوة المطلقة:

وهي تعني الاقتداء برسول الله ﷺ في سائر أعماله وتصرُّفاته، وذلك لأنَّه بُعِث ليُقتَدى به، وليُطاع بإذن الله، فهو لا ينطق عن الهوى، وإنَّما يوحى إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النَّجم: ٣-٤).

والاقتداء به والسير على نهجه هو النجاة الحقيقيَّة للإنسان في الدنيا والآخرة، فهو القدوة الحسنة في أقواله وأفعاله وسائر تصرُّفاته، لكي يستلهم الناس سلوكهم من هذه القدوة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١).

ولقد كان رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة للناس جميعًا في جميع جوانب الحياة، فإذا تفكَّر الإنسان في أحوال القادة والمصلحين والسياسيِّين، فإذا رسول الله ﷺ يضرب بقيادته وصلاحه أروع الأمثلة في هجرته إلى المدينة، وإقامته للدولة والمسجد، وتأليفه بين الأوس والخزرج، وفي سائر غزواته.

ولقد اعتلى ﷺ أعلى مراتب الأخلاق والعلم؛ لأنَّه تربية ربِّ العالمين؛ ليكون السراج المنير والمثل الأعلى والقدوة العظمى للإنسانيَّة جمعاء، أدَّبه ربَّه فأحسن تأديبه، فكان قرآنًا نابضًا حيًّا متحرِّكًا، وحينما سُئلت عائشة عن أخلاقه أجابت: كان خلقه القرآن. (الحدريّ، ١٩٩٨: ٢٠٧).

وكان صلى الله عليه وآله في كلِّ شيء وكأنَّه متخصِّص فيه، فإذا نظرت إلى عبادته وجدته رجل عبادة، وإذا جاهد وحمل السلاح قلت: إنَّه رجل حرب وجهاد، تكفي قيادته للجنود الغازية في سبيل الله، أنَّها تفوق عشرات القوَّاد، وفي حياته الزوجيَّة مسؤوليَّات أسرة كبيرة تشمل تسع نسوة يعدل بينهنَّ ويعاملهنَّ أكرم معاملة (زهد، ٢٠١٠: ٧٥).

٢. القدوة المقيَّدة:

نعني بالقدوة المقيَّدة، أي بما شرَّعه الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّها غير معصومة، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله، وتتمثَّل في الاقتداء بالعلماء وبالوالدَين وبالمعلِّم في المدرسة والجامعة، والسبب في ذلك أنَّهم ليسوا معصومين من الخطأ، فهم بشر يصيبون ويخطؤون، والمسلم يقتدي بهم عندما يصيبوا الحقَّ، ويجتنِب الاقتداء عند مجانبَتِهم للصواب، حيث رغب الحق تبارك وتعالى أن يكون الإنسان قدوة في الخير، وحذَّره أن يكون قدوة في الشرِّ، قال صلى الله عليه وآله: «**من سنَّ في الإسلام سنَّة حَسَنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيِّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**».

نأخذ من الحديث أنَّ الوسطية التي هي إحدى مرتكزات العمليَّة التربويَّة في الإسلام، أنَّ الدين لا يلغي حسنات الآخرين لخطأ وقعوا فيه، ولا يُقرِّر أخطاء القدوة المخطئ، وإن أصاب في بعض الجوانب، وإنَّما يربِّي الشخصيَّة الإسلاميَّة على قبول الحقِّ من أي وعاءٍ صَدَر، ورفض الخطأ من أيِّ مصدرٍ كان، حيث جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة، قال: قال صلى الله عليه وآله: «**الكلمةُ الحكمة ضالَّة المؤمن، حيث وجدها فهو أحقُّ بها**» (زهد، ٢٠١٠: ٧٥).

معالم القدوة الصالحة في الاسلام (القران الكريم والسنَّة النبويَّة الشريفة)

أوَّلًا: أهميَّة القدوة الصالحة

لقد أعطى الإسلام جانب القدوة الحسنة اهتمامًا كبيرًا، حيث لم يقف الأمر عند إنزال الكتاب على الرُّسل الكرام، والحديث عن قصصهم، وعرض سيرتهم، بل أمر باتِّباعهم والاقتداء بهم، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ (الأنعام:٩٠).

وأرسل الله محمَّدًا ﷺ وأهل بيته عليهم السلام قدوةً للناس، يترجم الشريعة إلى واقع الحياة، فيرى الناس في سلوكه وتصرُّفاته أوامر القرآن ونواهيه، وهو بشرٌ مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويتمثَّل هذه الأخلاق، ويعمل بهذه التوصيات، سهَّل عليهم الاقتداء والمتابعة له، حتَّى أصبح يعتقد كلُّ واحد أنَّه مخاطَب بهذا القرآن ومأمورُ باتِّباعه.

ثانيًا: مصادر القدوة الصالحة

تكمن مصادر القدوة الصالحة في القرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة المطهَّرة، وأقوال السَّلف رضوان الله عليهم أجمعين، وهي كما يأتي:

أوَّلًا: القرآن الكريم

يعتمد القرآن الكريم أسلوب التربية بالقدوة، حينما أمر الله سبحانه نبيَّه بالاقتداء بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ (الأنعام: ٩٠)، بمعنى: أيُّها الرسول اتَّبع ملَّة هؤلاء الأنبياء الأخيار، وقد امتثل فاهتدى بهَدي الرُّسل من قبله، وجمع كلَّ كمالٍ فيهم، فاجتمعت لديه فضائل وخصائص فاق بها جميع العالمين.

وأكّد على أسلوب التربية بالقدوة، فطلب من المؤمنين اتّخاذ الرسول صلى الله عليه وآله القدوة والأسوة الحسنة، وطالب المؤمنين بطاعته فيما أمر ونهى طاعة مطلقة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

وحذَّر القرآن الكريم من يحيد عن القدوة الصالحة ويتَّبع الظالمين، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٨).

ثانيًا: السنَّة النبويَّة المطهَّرة

لقد قرَّرت السنَّة النبويَّة مبدأ القدوة الصالحة في التربية، من خلال الدعوة إلى الاقتداء بكلِّ من دعا الناس إلى الخير والصلاح والهدى الذي جاء به النبيّ الكريم، أوصى الرسول صلى الله عليه وآله باتِّباع سنَّته وأهل بيته عليهم السلام.

مقوِّمات القدوة الصالحة وأثارها

تعتبر التربية بالقدوة أسلوبًا إسلاميًّا أصيلًا، بدأه رسول الله صلى الله عليه وآله وربَّى أهل بيته عليهم السلام على ذلك، وحينما رأوه صلى الله عليه وآله قدوة فيما يأمر وينهي أحبُّوه من سويداء قلوبهم، وتسابقوا في تنفيذ أمره، وعملوا بما علموه من سلوكه، فصنعوا من أنفسهم قدوات في الخير والهدى والرشاد، فقادوا البشريَّة إلى طريق الحريَّة والكرامة والرفاه الاجتماعيّ والأمن والسلام العالميّ.

مقوِّمات القدوة الصالحة:

١. الإخلاص في القول والعمل:

إنَّ الإخلاص في القول والعمل من أهمِّ المقوِّمات التي تساعد في وجود القدوة الصالحة، ولأنَّ الإخلاص أمر به الحقُّ تبارك وتعالى، فقال في كتابه الكريم: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البيِّنة: ٥)، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ

﴿مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ (الزُّمر: ١٤)، لذلك ينبغي على القدوة أن يتزوَّد بالإخلاص في عبادته وذكره لله، وفي جهاده وسائر أعماله، وما يقوم به من وعظ وإرشاد وتوجيه ونصح، وما يقدِّمه من خدمات لأمَّته ومجتمعه، وبقدر ما يملك من تطبيق وعمل صادق مخلص، يكون نجاحه في عمله وثقة الناس به تزداد؛ لأنَّه يعمل بما يقول مخافة الله ﷻ، بعيدًا عن أغراض النفس ونظر الناس، يبتغي وجه الله وتحقيق مرضاته، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ (الزُّمر: ٢).

٢. الاستقامة على الإيمان:

يوجد الكثير من الصالحين في مجتمعاتنا، ولكن القليل من يخلص العمل، ويستقيم على الإيمان، ويسير في موكب الرحمن، ولا خير ولا صلاح في شخصٍ حَادَ عن الإيمان ولم يستقم على دين الله؛ لأنَّه سرعان ما ينعطف أمام التحدِّيات وأمام الإغراءات، لذلك ينبغي الاستقامة على أمر الدين وخاصَّة القدوة، ومعلم الناس الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصِّلت: ٣٠)، فالقدوة مشغول في مجاهدة نفسه واستقامتها وسياستها، وهذا المطلوب الأعلى والنهج الأسمى في بناء القدوات المستقيمة في حياتها وفق معتقداتهم الإيمانيَّة.

٣. استقلال شخصيَّة القدوة:

إنَّ استقلال الشخصيَّة ركن رئيس وسمة بارزة من سمات القدوة، فهو شخص متحرِّر من التبعيَّة والتقليد الساذج، فيكون مؤثِّرًا لا متأثِّرًا، فلا يليق بمن هو في موقع المسؤوليَّة والقدوة أن يكون إمَّعة يخضع لضغوط الجهَّال والسفهاء، فيميل معهم حيث مالوا، لذلك حذَّر رسول الله ﷺ من التقليد الأعمى، كما أوضحنا سابقًا في هذا البحث.

٤. الاعتدال والتوسُّط في أمور الحياة:

ينهج القدوة منهج التوسُّط في جميع أمور الحياة، مع مراعاة الآداب الشرعيَّة، ولاسيما في اللباس والمظهر والمأكل والاقتصاد وعلاقاته الاجتماعيَّة مع الناس، والتوسُّط يعني الاعتدال والاستقامة، وبالتالي يجعل الناس ينظرون إلى هذه الشخصيَّة المتعادلة المستقيمة نظرة إعجاب، فتدخل في قلوبهم؛ لأنَّ مظهر القدوة وتعامله مع الآخرين ينسجم مع المنهج الذي يدعو إليه، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

٥. التقوى:

إنَّ التقوى هي الأصل الكبير الذي تقوم عليه شرائع الدين وتوجيهاته وآدابه وأخلاقه، فالقلب الذي يستشعر مخافة الله، ويستسلم لإرادته، ويتَّبع المنهج الذي اختاره الله، ويتوكَّل عليه وحده، هو المؤهَّل للقيادة، وأن يكون قدوة للناس.

والتقوى تجعل القلب طاهرًا لا يعمل عملًا إلَّا وهو مراعٍ لله، طالبًا رضاه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ (الطَّلاق: ٥)، ولأهميَّة التقوى، كان صلى الله عليه وآله يسأل ربَّه التقوى، عن ابن مسعود أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقول: «**اللهمَّ إنِّي أسألك الهدى والتُّقى والعفاف والغنى**».

الآثار التربويَّة للقدوة الصالحة

لا شكَّ أنَّ القادة والمعلِّمين والدعاة بجهودهم تنهض الأمَّة، فهم يمثِّلون الطبقة المثقَّفة فيها، ويقومون بكلِّ عمل من شأنه أن يقوِّي من وحدة الأمَّة، ويساعد في تحقيق الرفعة والتقدُّم والازدهار في حياة المجتمع بأسره، وبهم تنهض الشعوب، وتنتصر على أعدائها، وتسمو إلى أعلى درجات المدنيَّة والحضارة.

ونستطيع أن نحصر أبرز الآثار التربويَّة للقدوة الصالحة على الفرد والمجتمع بشكلٍ عامٍّ في الآتي:

١. إنَّ القدوة الصالحة يجعل المسلم على اتِّصال دائم بالخالق عزَّ وجلَّ؛ لأنَّه يُذكِّره بالطاعة والإخلاص في النيَّة والعمل، وإذا تمكَّن الإخلاص من القلب أصبح الإنسان يبتغي مرضاة الله ورضوانه في كلِّ عملٍ يقوم به، ويجعل الله رقيبًا عليه في حركاته وسكناته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦).

٢. القدوة الصالحة تربِّي الشخصيَّة المسلمة القويَّة ذات الشكيمة والإرادة الحديديَّة؛ لأنَّها تُنشِئ في روح الفرد العزَّة والكرامة ورفض الظلم والاحتلال، فلا تلين له قناة أمام الطغاة والمتجبِّرين؛ لأنَّه يعتزُّ بقدوته التي جاءت بكلِّ ما تملك من أجل تحقيق معاني الخير للمجتمع، فقدَّمت النَّفس والمال والنفيس في سبيل الله.

٣. تُنمِّي القدوة الحسنة الفضائل والأخلاق الحميدة في نفوس الأفراد، ويتَّضح ذلك من خلال حديثنا عن صفات القدوة الحسنة، حيث وجدناها تتَّصف بصفات أخلاقيَّة وقيم عليا، إذا تحقَّقت في الفرد المسلم أصبح في قمَّة سامقة، ينظر نظرة إنسانيَّة إلى جميع القضايا التي تواجه الناس جميعًا.

٤. القدوة الحسنة تشحن الأفراد بالتقوى ومعرفة الله، وتعزِّز في نفوسهم الثقة والأمل بالمستقبل المستمَد من نصر الله وثوابه للمؤمنين، فينطلق المؤمن بشحنات إيمانيَّة مستمدَّة من قادته وقدواته، يدفعه إلى فعل الخير والبرِّ والإحسان، وبالمقابل محاربة الفساد والمنكر وكلُّ ضارٍّ في المجتمع.

٥. التربية بالقدوة تعمل عملها في تكوين الإنسان الصالح الذي يظهر عليه ملامح التقوى والخشوع والحياء، وهو المؤمن القوي الذي لا يدخل الوهن إلى قلبه، الإنسان الذي يحبُّ لأخيه كما يحبُّ لنفسه الحبَّ الخالص الذي لا ينتظر جزاءً ولا شكورًا، ولا يهدف إلَّا لكسب الحبِّ في الله سبحانه.

٦. الاقتداء بالقدوة الصالحة يُنشِئ التوازن والاعتدال في سلوك الأفراد وشعوره؛ لأنَّ طاقته في ظلِّ المنهج الربَّانيّ كلُّها تعمل وتأخذ نصيبها من الحياة، بحيث يُصبح قوَّة فاعلة في المجتمع، فهو إيجابيّ واجتماعيّ، حريص على مصلحة مجتمعه (المرزوقي، ١٩٨٢: ١٠٨).

٧. ومن آثار القدوة الصالحة أنَّه يُبصِّرك بعيوبك، ويرشدك إلى الأسلوب الأمثل في التخلُّص منها، من خلال مقارنة أعمالك وسلوكك بما عليه قدوتك الصالح، فتتأسَّى به، وتُصلَح تلك العيوب.

٨. إنَّ القدوة الصالح يعلِّم الإنسان ويرشده إلى فعل الخيرات، فيدلُّك على أمور واجبة كنت غافلًا عنها أو متكاسلًا عن أدائها، ويشجِّعك على المشاركة في مشروعات الخير والبرِّ والإحسان.

٩. إنَّ القدوة الصالحة سببٌ في دخول الإنسان ضمن الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون يوم القيامة، وهي ضمانٌ لاستمرار الصحبة، قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الزُّخرف: ٦٧-٦٨).

المبحث الثالث

مفهوم النمذجة السلوكيَّة

ما النمذجة؟

النمذجة هو نوع من التعلُّم الذي يقوم على تقليد السلوك المنفَّذ من قِبَل نموذج، عادةً شخصٌ آخر. هذه العمليَّة تحدث على أساس يوميّ، ويمكن استخدامها كأسلوب علاجيّ لتسهيل اكتساب وتعديل السلوكيَّات.

مصطلح (النمذجة) له معنى مماثل لتلك (التقليد)، (التعلُّم الاجتماعيّ)، (التعلُّم القائم على الملاحظة)، (التعلُّم غير المباشر). يؤكِّد كلٌّ من هذه المفاهيم على خاصيَّة مختلفة لهذا النوع من التعلُّم.

في حين أنَّ (النمذجة) تسلِّط الضوء على حقيقة أنَّ هناك نموذجًا يجب تقليده، فإنَّ (التعلم الاجتماعيّ) هو مفهوم واسع يؤكِّد على دور هذه العمليَّة في التنشئة الاجتماعيَّة، و(التعلُّم غير المباشر) يعني أنَّ العواقب يتم تعلُّم سلوك النموذج من قبل المراقب.

النمذجة لها وظائف مختلفة:

- في الأساس إنَّه يعمل على اكتساب سلوكيَّات جديدة على سبيل المثال، المهارات اليدويَّة.
- ولكن يمكن أيضًا أن تمنع السلوكيَّات، هذا يعتمد على توقُّعات الشخص فيما يتعلَّق بالعواقب.

يعتبر ألبرت باندورا هو المؤلِّف الأبرز في مجال النمذجة والتعلُّم الاجتماعي. إنَّ التجربة التي أجراها في عام ١٩٦٣ مع ريتشارد والترز معروفة جيِّدًا، والتي أظهرت أنَّ الأطفال قد قلَّدوا أو لم يتصرَّفوا بتصرُّفات البالغين، اعتمادًا على ما إذا كانوا قد لاحظوا أنَّهم قد كوفؤوا أو عوقبوا.

الإجراء العام للتطبيق وآثار النمذجة

يلاحظ الموضوع سلوك النموذج ويقلِّده بهدف:

- الحصول على أنماط استجابة جديدة.
- تأثير اكتساب تعلُّم السلوكيَّات الجديدة أو أنماط السلوك التي لم تدرج في البداية في ذخيرة الشخص السلوكيَّة.
- تعزيز أو إضعاف الردود

العمليات الأساسيَّة المشاركة في النمذجة

يميِّز باندورا وجيفري (١٩٧٣) بين أربع عمليَّات أساسيَّة تشارك في أي عمليَّة نمذجة:

- **اليقظة**: يتمثل نشاط المراقب في التركيز على ما تمَّ تصميمه.
- **استبقاء**: يشير إلى الترميز الرمزيّ أو اللغويّ والتنظيم المعرفيّ والاختبار السرِّيّ للنموذج المقدَّم.
- **استنساخ**: قدرة المراقب على إعادة إنتاج أو تدرُّب أو ممارسة السلوك الذي تمَّت ملاحظته.
- **حافز**: الاستعداد المؤاتي للمراقب على افتراض أهدافه المقترحة من خلال استخدام تقنيَّات النمذجة.

كلُّ واحدٍ من هذه العمليَّات الأساسيَّة، مشترك في جميع إجراءات النمذجة، أنَّها

مترابطة بعمق، وهي عوامل أساسيَّة (الشروط المسبقة) لنجاح أي عمليَّة علاجيَّة تستخدم النمذجة كإستراتيجيَّة تدخُّل أساسيَّة.

مبادئ النمذجة

١. تعظيم الاستفادة من النموذج المستخدم في العمليَّة، خصائص مماثلة للمراقب، والهيبة، والكفاءة المماثلة، الكفاءة في المواجهة أو التركيز على المكونات المؤثِّرة.
٢. استخدام مجموعة متنوِّعة من النماذج.
٣. التخرُّج والتسلسل الهرميّ لعمليَّة النمذجة- تحليل السلوكيَّات المعقَّدة إلى سلوكيَّات أبسط، ممَّا يسهَّل ويكفل التعلُّم.
٤. استخدام استراتيجيَّات التعلُّم التي تفضِّل عملية الاستيعاب. استخدام الملخَّصات التوضيحيَّة (العميل أو المعالج)، تكرار المفاتيح الأساسيَّة، التخلُّص من محفِّزات التشتيت (الضوضاء، القلق..) أو استخدام تعليمات محدَّدة قبل النمذجة.
٥. برمجة معزِّزات لسلوك النموذج، تعزيز تنفيذ السلوك المطلوب من جانب النموذج بشكلٍ منهجيّ.

مصادر التعلُّم بالنمذجة

١. التفاعل المباشر مع الأشخاص الحقيقيِّين في الحياة الواقعيَّة (النمذجة المباشرة أو الحيَّة).
٢. التفاعل غير المباشر، ويتمثَّل في وسائل الإعلام المختلفة كالتلفزيون، والراديو وغيرها (النمذجة المصوَّرة).
٣. هناك مصادر أخرى غير مباشرة، يمكن من خلالها تمثُّل بعض الأنماط

السلوكيَّة مثل: القصص، وتمثيل الشخصيَّات التاريخية (النمذجة الضمنيَّة/ التخيُّليَّة).

التفاعل المباشر والعمليّ بين الملاحَظين والملاحِظ، الذي يقوم بتقديم التوجيهات والإرشادات التقويميَّة في أثناء عرض النموذج (النمذجة بالمشاركة) (أبوريَّاش وعبد الحقِّ، ٢٠٠٧: ٢٧٢).

أنواع النمذجة

يمكن تقسيم النمذجة الأكثر فعَّاليَّة إلى النوعَين الآتيين:

- **النمذجة اللفظيَّة**: وتتمُّ عن طريق الكلام، ويتمكَّن الفرد من خلال هذا النوع من النمذجة أن يربط العديد من الأشياء المعقَّدة، كما يتعلَّم كيف يتصرَّف في مختلف المواقف غير المألوفة لديه، وكيف يؤدِّي مهامَّه بطريقة مضبوطة، كما أنَّه يمكن بهذه الطريقة تشكيل أعقد أنواع السلوك، بجهد ووقت أقل من الذي يصرفه الفرد إذا ما تعلَّم بطريقة أخرى.
- **النمذجة الرمزيَّة**: وتتمُّ عن طريق التلفزيون، الأفلام، الصور المنشورة، ولقد وضَّح باندورا أنَّه يمكن اكتساب الاستجابات الانفعاليَّة والاتِّجاهات الاجتماعيَّة والنماذج السلوكيَّة من خلال هذه الوسائل، وإلى جانب هذا فإنَّ وسائل الإعلام تلعب دورًا كبيرًا في تشكيل الاتِّجاهات الاجتماعيَّة، ومع زيادة استعمال النمذجة الرمزيَّة، فإنَّ الأدوار التقليديَّة للآباء والمعلِّمين في التعليم الاجتماعيّ يكون ذا تأثيرٍ قليل (عبد الهادي، ٢٠٠٠: ٢٦٢).

العوامل التي تؤثِّر على التعلُّم بالنمذجة

هناك ثلاثة عوامل تحدِّد ما إذا كان النموذج مشجِّعًا على التقليد أم لا، وهذه العوامل هي:

١. الأشخاص ذَوو المكانة الاجتماعيَّة العالية، أو ذوو الجاذبيَّة، حيث يكون هنالك ميل لتقليدهم أكثر من غيرهم ممَّن لا يملكون مثل هذه الصفات. وفي نطاق الصفِّ، فإنَّ الطلبة الذين يحظون بشعبيَّة كبيرة، يميل الآخرون إلى تقليدهم أكثر من الذين لا توجد لديهم مثل هذه الشعبيَّة.

٢. الأشخاص ذوو القدرات العالية والأداء الملحوظ، يميل الآخرون إلى تقليدهم، ولذلك فإنَّ شرح المعلِّم لكيفيَّة حلِّ مسألة، أو القيام بتجربة أو بتركيب جملة، سوف يجذب انتباه الطلبة أكثر ممَّا لو كان زملاؤهم يقومون بهذه الأعمال أمامهم.

٣. الأفراد يقلِّدون بعضهم بشكلٍ أكبر إذا كانوا متشابهين، فالطالب من الجنس نفسه يميل الآخرون إلى تقليده أكثر من الطالب من الجنس الآخر (أبو جادو، ٢٠٠٠: ٢٢٧).

المبحث الرابع

النمذجة السلوكيَّة في ضوء النظريَّات النفسيَّة الحديثة

دراسة التقليد في علم النفس تمَّ حذفه بالكامل تقريبًا حتَّى ظهور العمل الرائد الذي قام به ميلر آند دولارد (١٩٤١). استعرض هذان المؤلِّفان النظريات التي كانت موجودة في ذلك الوقت، وصاغوا مفهومهم الخاص بالتقليد باستخدام السياق السلوكيّ أساسًا. عشرون عامًا كان يجب أن يمرَّ قبل أهميَّة التعلُّم التقليد لتطوير الشخصيَّة، والتعلُّم الاجتماعيّ تمَّ عرضه بوضوح في كتاب لباندورا ووالترز (١٩٦٣)، ومنذ ذلك الحين أصبح اسم باندورا مرادفًا تقريبًا لدراسة التعلُّم بالملاحظة، وتأثيره على السلوك الاجتماعيّ، وحلَّت عبارة (النمذجة) محلَّ (التقليد) كتعبير عام يشمل مجموعة متنوِّعة من عمليَّات التعلُّم الرصديَّة.

على الرغم من وجود نظريَّات مختلفة حول الطبيعة والعمليَّات التي تحدث في النمذجة، يبدو أنَّ الموقف الذي دافع عنه باندورا هو الموقف الذي حظي بقبول أكبر في الوقت الحالي (كانفر وجولدشتاين، ١٩٨٧). في عام ١٩٦٩، مع نشر كتاب ألبرت باندورا (مبادئ تعديل السلوك)، تمَّ وضع الأسس اللازمة لتفعيل تقنيات النمذجة في نظريَّة التعلُّم الاجتماعي.

نظرية باندورا (التعلُّم الاجتماعيّ)

يطلق ألبرت باندورا (مؤسِّس النظريَّة) على التعلُّم بالملاحظة، أو التعلُّم بالنمذجة، والذي يحدث عندما يقوم المتعلِّم بتقليد سلوك يظهر عند نموذجٍ ما.

تمَّ تقديم الملامح الأساسية للأساس النظريّ للنمذجة، الذي اقترحه باندورا نفسه، بطريقة موجزة وملموسة، من قِبل أوليفاريس ومنديز (١٩٩٨) بالشروط الآتية:

الافتراض الأساسي:

يتم تعلُّم معظم السلوك البشريّ عن طريق الملاحظة من خلال النمذجة.

الفرضيَّة الأساسيَّة:

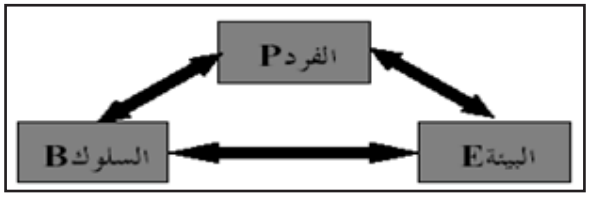
أي سلوك يمكن اكتسابه أو تعديله من خلال التجربة المباشرة يكون، من حيث المبدأ، عرضة للتعلُّم أو التعديل، من خلال مراقبة سلوك الآخرين، والعواقب المترتِّبة على ذلك.

عمليَّات الوساطة الرمزيَّة:

يكتسب الموضوع تمثيلًا رمزيًّا للسلوك المنمذج، وليس مجرَّد جمعيَّات محدَّدة.

وجاءت نظريَّة التعلُّم الاجتماعيّ أو التعلُّم بالنمذجة لتؤكِّد على أهميَّة التفاعل الاجتماعيّ، والمعايير الاجتماعيَّة، والسياق للظروف الاجتماعيَّة في حدوث التعلُّم، ويعني ذلك أنَّ التعلُّم لا يتم في فراغ، بل في محيط اجتماعيّ.

١. تؤكِّد نظرية التعلُّم الاجتماعيّ القائم على الملاحظة لباندورا على التفاعل الحتميّ المتبادل والمستمر للسلوك، والمعرفة، والتأثيرات البيئيَّة.
٢. تؤكِّد هذه النظرية على أنَّ السلوك الإنسانيّ ومحدِّداته الشخصيَّة والبيئيَّة تشكِّل نظامًا متشابكًا من التأثيرات المتبادَلة والمتفاعلة، ولا يمكن إعطاء أي من هذه المحدِّدات الرئيسة الثلاثة أيَّة مكانة متميِّزة على حساب المحدِّدَين الآخرَين. ويمكن توضيح العلاقة بالشكل أدناه:



٣. يرى باندورا أنَّ معظم أنماط السلوك الإنسانيّ لا تكون محكومة بالتعزيزات الفوريَّة الخارجيَّة التي يؤكِّد عليها السلوكيِّين الكلاسيكيِّين، أو السلوكيَّة الردايكاليَّة (واطسون، سكنر، ثورندايك)، إنَّما هناك خبراتهم السابقة، حيث تتحدَّد توقُّعات الناس في ضوء هذه الخبرة، وأنَّ أنماطًا معيَّنة من السلوك تؤثِّر على قيمهم، وأنَّ أنماطًا أخرى تُحدِث نتائج غير مرغوبة، كما قد يكون تقدير الناس لبعض الأنماط أكثر إيجابيَّة. ومن ثمَّ فإنَّ سلوكنا على هذا النحو يتحدَّد إلى حدٍّ كبير بآثاره المتوقَّعة المبنيَّة على خبرات الفرد الماضية. ويعتقد باندورا أنَّ الأنماط الجديدة من السلوك يمكن أن تُكتَسب حتَّى في غياب التعزيز الخارجيّ، حيث تُكتَسب العديد من أنماط السلوك من خلال ملاحظة سلوكيَّات الآخرين، والنتائج المترتِّبة عليها، وكذا أنماط تفاعلهم مع المتغيِّرات والمثيرات البيئيَّة، وهذا ما يؤكِّد عليه باندورا، وهو التعلُّم بالملاحظة، أو الاقتداء بالنموذج أكثر من التعزيز المباشر، ولعلَّ هذه الخاصيَّة تشكِّل أهمَّ ملامح نظرية باندورا للتعلُّم الاجتماعيّ القائم على الملاحظة.

٤. ومن المحدِّدات الهامَّة التي تميِّز نظريَّة التعلُّم الاجتماعيّ، والتي أشار إليها باندورا، خاصيَّة تنظيم أو ضبط الذات، وهي خاصيَّة ينفرد بها الإنسان عن طريق ترتيب المتغيِّرات البيئيَّة الموقفيَّة، وابتكار أو خلق أسس معرفيَّة، وإنتاج الآثار المرغوبة التي يمكن اشتقاقها من هذه المتغيِّرات البيئيَّة الموقفيَّة. لذلك فإنَّ طاقتنا أو قدراتنا العمليَّة تكون مشغولة بالتفكير الرمزيّ الذي

يمدُّنا بالطرق والوسائل والأساليب والإستراتيجيَّات التي تمكِّننا من التعامل المستمر والناجح مع البيئة.

المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في النظريَّة

١. **التعلُّم الاجتماعي**: يقصد بالتعلُّم الاجتماعيّ عند باندورا اكتساب الفرد أو تعلُّمه لاستجابات أو أنماط سلوكيَّة جديدة، من خلال موقف أو إطار اجتماعيّ.

٢. **التعلُّم بالملاحظة أو النمذجة**: هو تعلُّم الأنماط السلوكيَّة الجديدة عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين، أو من خلال ملاحظة النماذج، وتُسمَّى في هذه الحالة التعلُّم القائم على الاقتداء بالنموذج.

٣. **التنظيم أو الضبط الذاتيّ**: هي قدرة الفرد على التنظيم أو الضبط الذاتيّ لسلوكه في علاقته بالمتغيِّرات البيئيَّة المستدخلة في الموقف، وبمعنى آخر تكييف سلوكه وبنائه المعرفيّ وعمليَّاته المعرفيَّة، والمتغيِّرات البيئيَّة بصورة متبادَلة ومتفاعلة.

٤. **العمليَّات المعرفيَّة**: تأخذ العمليَّات المعرفيَّة عند باندورا شكل التمثيل الرمزيّ للأفكار والصور الذهنيَّة، وعمليَّات الانتباه القصديّ، والاحتفاظ التي تتحكَّم في سلوك الفرد في تفاعله مع البيئة، كما تكون محكومة بهما أيضًا.

٥. **الحتميَّة التبادليَّة**: يقصد بالحتميَّة التبادليَّة عند باندورا التفاعل الحتميّ المتبادَل ذو الاتِّجاهَين بين الفرد والبيئة كسببَين معتمدَين على بعضهما البعض، ومتفاعلَين ومنتجين للسلوك (الرافعي، ٢٠٠٠: ٨٢).

طبيعة الإنسان

يؤكِّد باندورا أنَّ صورة الإنسان التي تتَّضح من خلال التنظيم السيكولوجيّ، ومن خلال البحث العلميّ، تعتمد إلى حدٍّ كبير على كيفيَّة توظيف نسق التأثير والتأثُّر بين

الفرد والعالم، أو الكون الذي يعيش فيه، فدعاة البيئة يشرحون لنا كيف تغيِّر المؤثِّرات البيئيَّة السلوك. وعلى العكس من ذلك يوضِّح لنا دعاة الشخصيَّة والإنسانيُّون كيف يحدَّد سلوك الفرد ببيئته. أمَّا دُعاة التعلُّم الاجتماعيّ، فيفسحون للجانب الشخصيّ والجانب البيئيّ وزنًا متساويًا في علاقة أحدهما بالآخر.

وبينما يؤكِّد السلوكيُّون بصفة عامَّة على المصادر البيئيَّة في عملية ضبط السلوك، يميل الإنسانيُّون إلى قصر اهتمامهم على الضبط النابع من الذات، غير أنَّ نظريَّة التعلُّم الاجتماعيّ تجمع بين المصدَرَين، وذلك في نمط تبادليّ. وترى نظريَّة التعلُّم الاجتماعيّ أنَّ على الأشخاص أوَّلًا أن يكتسبوا أنماطًا سلوكيَّة معيَّنة، ثمَّ يطبِّقوا هذه الأنماط في المواقف المستقبليَّة.

وتحدَّث باندورا عن الذات، فيرى أنَّها مجموعة من العمليَّات والتركيبات المعرفيَّة، التي بواسطتها يرتبط الناس ببيئتهم، ممَّا يساعد في عمليَّة تشكيل سلوكهم (المدنيّ، ٢٠١١: ٦٨).

التعلُّم الاجتماعيّ (التعلُّم بملاحظة النماذج)

يرى باندورا أنَّ معظم السلوك الإنسانيّ متعلَّم باتِّباع نموذج أو مثال حيّ وواقعيّ، وليس من خلال عمليَّات الاشتراط الكلاسيكيّ أو الإجرائيّ. فبملاحظة الآخرين تتطوَّر فكرة عن كيفيَّة تكوُّن سلوك ما، وتساعد المعلومات كدليل أو موجِّه لتصرُّفاتنا الخاصَّة. يمكن بالتعلُّم عن طريق ملاحظة الآخرين تجنب عمل أخطاء فادحة، أمَّا الاعتماد على التعزيز المباشر يجعل الإنسان يعيش في عالم خطير. معظم سلوك البشر متعلَّم من خلال الملاحظة، سواء بالصدفة أو بالقصد، فالطفل الصغير يتعلَّم الحديث باستماعه لكلام الآخرين وتقليدهم، فلو أنَّ تعلُّم اللغة كان معتمدًا بالكامل على التطويع أو الاشتراط الكلاسيكيّ أو الإجرائيّ، فمعنى ذلك أنَّنا لن نحقِّق هذا التعلُّم. الملاحظون قادرون على حلِّ المشاكل بالشكل الصحيح، حتَّى بعد أن يكون النموذج

أو القدوة فاشلًا في حلِّ نفس المشاكل، فالملاحَظ يتعلَّم من أخطاء القدوة مثلما يتعلَّم من نجاحاته وإيجابيَّاته. والتعلُّم من خلال الملاحظة يمكن أن يشتمل على سلوكيَّات إبداعيَّة وتجديديَّة. والملاحظين يستنتجون سمات متشابهة من استجابات مختلفة، ويصفون قوانين من السلوك تسمح لهم بتجاوز ما قد رأوه أو سمعوه، ومن خلال هذا النوع من التنظيم نجدهم قادرين على تطوير أنماط جديدة من التصرُّف يمكن أن تكون مختلفة عن تلك التي لاحظوها بالفعل (أنجلز، ١٩٩١: ٨٩).

عوامل التعلُّم بالملاحظة المتعلِّقة بالفرد الملاحَظ:

ومنها:

١. العمر الزمنيّ والاستعداد العقليّ العام، واتِّجاهه نحو النموذج.
٢. إدراكه لمدى أهميَّة ما يصدر عن النموذج، وتقديره للقيمة العلميَّة والمكانة الاجتماعيَّة له، كما يدركها الفرد.
٣. الجاذبيَّة الشخصيَّة أو الارتياح النفسيّ القائم على التفاعل مع النموذج.

عوامل التعلُّم بالملاحظة المتعلِّقة بالنموذج الملاحَظ:

ومنها:

١. المكانة الاجتماعيَّة للنموذج، أو درجة نجوميَّته، فيزداد الحرص على الانتباه للنموذج ومتابعته والاقتداء به، كلَّما كان النموذج نجمًا أو ذا شهرة.
٢. ما يصدر عن النموذج من أنماط استجابيَّة مصاحبة، وتأثيره الشخصيّ على الفرد الملاحَظ، ودرجة حياده أو موضوعيته في العرض.
٣. جنس النموذج وقد تباينت نتائج الدراسات في هذه النقطة هذه الدراسات اتَّفقت في معظمها حول مَيل الفرد الملاحظ للاقتداء بالنموذج الملاحظ كلَّما زادت مساحة الخصائص المشتركة بينهما.

عوامل التعلُّم بالملاحظة المتعلِّقة بالظروف البيئيَّة أو المحدِّدات الموقفيَّة للتعلُّم بالنمذجة:

ومنها:

١. مدى التوافق بين القيم السائدة والمحدَّدات الثقافيَّة والاجتماعيَّة والدينيَّة والأخلاقيَّة من ناحية، وبين ما يصدر عن النموذج، فمثلًا تصعب الدعوة إلى الأصالة والاعتماد الكلِّي على مآثر الماضي، في ظلِّ ظروف تفرض فيها التكنولوجيا المعاصرة نفسها على كافَّة مناشط المجتمع وحركته.

٢. مدى ملائمة الظروف الموقفيَّة التي يحدث فيها التعلُّم بالملاحظة من حيث الزمان والمكان والوسيلة وحجم التفاعل القائم بين الفرد الملاحِظ والنموذج الملاحَظ (الزيَّات، ١٩٩٦: ١٤٦).

ركائز التعلُّم بالملاحظة والتقليد

ويحدِّد باندورا أربع عمليَّات يتمُّ من خلالها التعلُّم بالملاحظة للنموذج، وهي:

١. عمليات الانتباه Attention Processes

وهي القدرة على عمل تمييزات بين الملاحظات وتحليل المعلومات، وهي مهارات يجب أن تكون حاضرة قبل أن يظهر التعلُّم بالملاحظة. والمثيرات معظمها يمرُّ بدون ملاحظة أو انتباه. عدد من المتغيِّرات يؤثِّر في عمليَّات الانتباه. بعض من هذه المتغيِّرات يتعلَّق بخصائص القدوة، وأخرى تتعلَّق بطبيعة النشاط، وجزء آخر مرتبط بالشخص نفسه. والناس الذين يرتبط بهم الفرد يحدِّدون الأنواع السلوكيَّة التي يلاحظها الواحد؛ لأنَّ الارتباطات، سواء بالاختيار أو بالصدفة، تحدِّد أنواع الأنشطة التي سوف تظهر مرَّات ومرَّات. وطبيعة السلوكيَّات المقلّدة تؤثِّر في حجم الاهتمام أو الانتباه الموجَّه لها، فالتغيُّرات الحركيَّة والسريعة تفرض مثيرات تتحكَّم في مستوى ودرجة الانتباه.

من جانب آخر، إذا كان النشاط معقَّدًا جدًّا، فمعنى ذلك أنَّه قد يسبِّب الاستغراب والدهشة لعقولنا، والتلفزيون قد وسَّع مجال النماذج المتاحة للناس هذه الأيَّام.

٢. عمليَّات التذكُّر Memory Processes

يتذكَّر الفرد أعمال وأقوال النموذج عندما يلاحظ سلوكيَّات شخص ما بدون الاستجابة في نفس اللحظة، فأنت قد تقوم بها من أجل أن تستخدمها كدليل وموجِّه للتصرُّف والسلوك في مناسبات قادمة. وهناك شكلان أساسيَّان من الرموز التي تسهِّل عملية التعلُّم بالملاحظة، هما: (اللفظيّ، التخيُّليّ)، ومعظم العمليَّات المعرفيَّة بالنسبة للراشدين، التي تتحكَّم في السلوك لفظيَّة لا بصريَّة، والعلامات والتصوُّرات الحيويَّة تساعد في عملية التمسُّك بالسلوكيَّات مدَّة أطول، والبروفة تعتبر عاملًا مساعدًا وهامًّا للتذكُّر، حيث إنَّه في حالة عدم القدرة على أداء السلوك آنيًّا، فمن الممكن القيام به ذهنيًّا، والمستوى الأعلى للتعلم بالملاحظة يظهر عندما يطبق السلوك المقلَّد رمزيًّا، وبعد ذلك يقوم بتطبيقه فعليًّا.

٣. عمليَّات حركيَّة Motor Processes

وهي الميكانيزم الثالث للتقليد، ويتضمَّن عمليَّات، فمن أجل أن نحاكي نموذجًا معيَّنًا، يجب أن نحوِّل التمثيل الرمزيّ للسلوك إلى تصرُّفات مناسبة. وعمليَّات التكاثر الحركيّ تتضمَّن أربع مراحل فرعيَّة، هي: (التنظيم المعرفيّ للاستجابة، بداية الاستجابة، مراقبة الاستجابة، تصفية وتقنيَّة الاستجابة)، ومن أجل أداء نشاط ما، يكون هناك اختيار، وننظم للاستجابة على المستوى المعرفيّ، حيث يقرِّر ماهيَّة النشاط، ثمَّ تبدأ الاستجابة بناءً على فكرة كيف يمكن أن تنفَّذ هذه الأشياء، والقدرة على القيام بأداء هذه الاستجابة جيِّدًا يعتمد على المهارات الضروريَّة لتنفيذ السلوكيَّات والعناصر التي تضمَّنها النشاط، إذا كانت متوفِّرة المهارات المطلوبة، يكون من السهل تعلُّم مهام

جديدة، وعندما تكون هذه المهارات مفقودة، فمعنى ذلك أنَّ التكاثر المطلوب لهذا النشاط سيكون ناقصًا، لذا يجب تطوير المهارات الضروريَّة قبل أداء النشاط، والمهام المعقدَّة مثل قيادة السيَّارة يتمُّ تقسيمها إلى أجزاء وعناصر عدَّة، كلُّ جزء مقلَّد ومطبَّق بصورة منفصلة، وبعد ذلك يضافون ويجمعون على بعضهم البعض، وعند البدء في أداء بعض الأنشطة لا نُجِيدها في البداية، حيث تكثر الأخطاء، ممَّا يتطلَّب إعادة للسلوك، وعمل التصحيحات حتَّى يمكن تكوين النموذج أو فكرة عنه. وأحيانًا من الممكن التصرُّف كما لو كنَّا نقَّادًا لأنفسنا، نراقب سلوكيَّاتنا، ونزوِّدها بتغذية رجعيَّة.. الخ. والمهارات التي نتعلَّمها من خلال التعلُّم بالملاحظة تُصبح متكاملة بالتدريج من خلال عمليَّة المحاولة والخطأ نحن نتبع سلوك القدوة، وبعد ذلك نبحث عن تحسين تقديراتنا من خلال التغذية الرجعيَّة والانسجام.

٤. العمليات الدافعية Motivation Processes

فنظرية التعلُّم الاجتماعي تعمل تمييزًا بين الاكتساب (ما تعلَّمه الشخص ويستطيع القيام به)، والأداء، وهو ما يستطيع الشخص بالفعل القيام به. الناس لا يقومون بكلِّ شيء يتعلَّمونه، وهناك احتمال كبير أن ندخل في سلوك مقلَّد إذا كان ذلك السلوك يؤدِّي إلى نتائج قيِّمة، واحتمال ضعيف بتقليد ذلك السلوك إذا كانت النتائج عقابيَّة. ويمكن أن ندخل في عمليَّة تعزيز ذاتي، ونكوِّن استجابات تقييميَّة تجاه السلوك الخاص، وهذا يقود إلى مواصلة الدخول في سلوكيَّات مُرضية ذاتيًّا، حيث نرفض السلوكيَّات التي لا نحبُّها ولا نرتاح لها. ولا يظهر سلوك بدون باعث، فالدافع الصحيح ليس فقط القيام بالأداء الفعليّ للسلوك، لكن أيضًا التأثير في العمليَّات الأخرى التي تدخل في التعلُّم بالملاحظة. عندما لا نحفَّز لتعلُّم شيء ما قد لا نُعيره اهتمامًا، حيث لا نرغب في ممارسة أنشطة تتطلَّب مجهودًا كبيرًا، وعددًا من السلوكيَّات المقلَّدة تظهر بسرعة، تجعلها سهلة في البحث عن العمليَّات التي تشكِّل أرضيَّة للتعلُّم

بالملاحظة، فقدوة الأطفال تتكوَّن في الغالب من تقليد فـوريّ، لكن مع الكبر، يطوِّر الأطفال مهارات رمزيَّة وحركيَّة تساعدهم أو تتيح لهم متابعة سلوكيَّات أكثر تعقيدًا. والفشل في تكوين أو تكاثر سلوك مقلَّد ينتج من انتباهٍ غير كافٍ، أو رمزيَّة واحتفاظ غير ملائمَين، أو نقص في الاستعدادات الجسمانيَّة أو المهارة أو التطبيق أو الحافز غير المناسب أو أي فـرع من هـذه العمليَّات أو الأشياء جميعًا.

الآثار التي ينتجها التعلُّم بالملاحظة والتقليد

- أثر التعلُّم بالملاحظة Observational Learning Effect: ويقصد به اكتساب الفرد الملاحِظ لبعض أو كلِّ الأنماط السلوكيَّة التي تصدر عن النموذج الملاحَظ، بمعنى تكوين استجابات جديدة لم تكن ضمن الرصيد السلوكيّ لذلك الفرد، ومن ثمَّ تُضاف هذه الاستجابات الجديدة إلى رصيده السلوكيّ.
- الآثار الكفيَّة والآثار المانعة للكفِّ Inhibitory-Disinhibitory Effects: ويقصد بالآثار الكفيَّة أن ينتج عن التعلُّم كفٌّ استجابيّ لبعض الأنماط السلوكيَّة غير المرغوبة، كبعض أنماط سلوك الخوف أو العدوان أو قضم الأظافر وغيرها من أنماط السلوك التي يسعى المربُّون إلى إضعافها أو محوها من الرصيد السلوكيّ للفرد. ويقصد بالآثار المانعة للكفِّ منع الأسباب التي تؤدِّي إلى الكفِّ الاستجابيّ لبعض الأنماط السلوكيَّة من أن تؤثِّر على محاكاة أو تقليد النموذج لهذه الاستجابات، كمنع استجابة الخوف لدى الطفل من النوم بمفرده، أو في غرفة مظلمة، أو التعامل مع بعض الحيوانات أو الكائنات الحيَّة الأليفة، أو الاقتراب من الغرباء.

- أثر التيسير الاجتماعيّ Social Facilitation Effect: ويقصد به مساعدة الفرد الملاحِظ على إظهار أو إبراز بعض الاستجابات القائمة لديه، والموجودة في رصيده السلوكيّ، لكنها تحتاج إلى بعض الدعم والممارسة كي تظهر، مثل الترحيب بالضيوف، والمناقشة، والحوار (العتيبي، ٢٠٠٨: ٧٤).

المبحث الخامس

شخصية السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا للقدوة الصالحة في المجتمع

ننطلق لنتحدَّث عن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام على أساس حاجتنا إلى القدوة الصالحة كرجال ونساء، إنَّنا نريد أن ننطلق بها كقدوة صالحة من خلال تنوُّع الأبعاد. كانت الزَّهراء عليها السلام زوجةً، وكانت أُمًّا، ويحدِّثنا تاريخها أنَّها عاشت مع زوجها أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام كافضل ما تكون الزوجة، محبَّةً ووفاءً وطاعةً ورعاية.

ولذلك ينقل تاريخها أنَّها في أيَّامها الاخيرة عندما أوصت أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أي طالب عليه السلام بوصاياها، قالت له: «**ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عرفتك**»، فقال لها: «**أنتِ أبرُّ وأتقى وأعرَف بالله من أن أوبِّخك في شيء**». مَن كانت ترعى زوجها، وزوجها مثل بمسؤوليَّة الجهاد، كان يخرج من حرب إلى حرب من حروب النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، ليدخل في حرب أخرى، وكانت مثقلة بالأولاد، ولكن ذلك كلُّه لم يمنعها من أن تخلص لدورها في البيت كزوجة وأم ترعى أولادها، كما ترعى أباها بأفضل ما تكون الرعاية.

أدوار في حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

عندما ندرس حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لا نجد أنَّها عاشت طفولة الأطفال الذين يلهون ويعبثون ويلعبون.. كانت طفولتها لا تحمل أيَّة فرصة للعب وللهو كما يلعب أو يلهو أو يعبث الأطفال، فتحت عينيها على الحياة، وإذا بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي بين

وقت وآخر مثقلًا بكلَّ ما يُلقيه عليه المشركون من ضغوط، وأعباء، ومشاكل، وحتَّى من الأقذار التي كانت تُلقى على ظهره وهو يصلِّي.

كانت تحسَّ أنَّ آلامه آلامها، فتختزن في طفولتها آلام الرسالة وآلام الرسول صلى الله عليه وآله، ومن يختزن في وعيه الطفوليّ المبكِّر آلام الرسول صلى الله عليه وآله وآلام الرسالة، كيف يفسح له الوقت أن يعبث أو يلهو أو يلعب، إنَّ اللهو واللعب والعبث يتحرَّك في حياتنا من موقع الفراغ، ولكن الإنسان الذي يشعر بأنَّ هناك فكرة تملأ عقله، وأنَّ عاطفة تملأ قلبه، وأنَّ هناك واقعًا يملأ حياته، لا يجد فرصة للهو وللعب وللعبث. وهكذا نشأت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لا كما ينشأ الأطفال، نشأت رساليَّة في مشاعرها (الحسنيّ، ٢٠٠٢: ١٩٣).

عاشت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حياة قصيرة في سنيِّ العمر، إذ يقول بعض المؤرِّخين أنَّ عمرها عندما توفِّيت كان دون العشرين، وبعضهم يقول أنَّها كانت دون الثلاثين، هذا العمر القصير كان مليئًا بكلِّ ما يجعل منها امرأة حيَّة بشكل كامل من كلِّ الأجواء الرساليَّة والروحيَّة والعمليَّة للرجال والنساء، كان كلُّ ما يشغلها في طفولتها، فيما ينقله التاريخ لنا، هو رعايتها لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، حتَّى قال عنها: «**إنَّها أمُّ أبيها**» (ابن الأثير: ٥٢٠).

لقد عاشت عليها السلام الآلام كأقسى ما تكون الآلام، وعاشت الاضطهاد كأقسى ما يكون الاضطهاد، وكانت الإنسانة التي أذهب الله عنها الرجس وطهَّرها تطهيرًا، كانت المعصومة في سلوكها، لذلك لا بدَّ للمراة أن تجعل من الزَّهراء عليها السلام قدوة لها في كلِّ منطلقاتها، وفي كلِّ حركتها، وفي كلِّ قيامها بالمسؤولية (الحسنيّ، ٢٠٢٢: ١٩٩).

لا بدَّ من وضع هذا السؤال برسم الإجابة عند كلِّ امرأة مسلمة تهدف إلى تحقيق النموذج الأكمل الذي أراده الإسلام لها: هل تمثل الزَّهراء عليها السلام، بما زخرت به حياتها

من تجسيدٍ للأهداف السامية، قدوة (فعليَّة) للمرأة المسلمة؟ أمَّا السؤال الذي يمكن الإجابة عليه هنا، والذي يمكن طرحه بصيغ ووجوه متعدِّدة: أيُّ قدوة تمثِّل الزَّهراء عليها السلام في حياة المرأة المسلمة؟ ما هي القواعد التي يمكن للمرأة المسلمة استلهامها من الزَّهراء القدوة؟ وهل تجد كلُّ امرأة في أي موقع كانت: أم، زوجة، فتاة، وأي صفة اتَّخذت: عالمة، مرشدة، مجاهدة، ملامح القدوة في حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؟.

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي النموذج الأكمل في تاريخ المرأة المسلمة، هي سيِّدة نساء العالمين، بنت رسول الله محمَّد سيِّد المرسلين وخاتم النبيِّين، هي زوجة الإمام عليّ أمير المؤمنين وسيِّد الوصيين، هي أمُّ الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهؤلاء هم أطهر الخلق وصفوة البشر الذين خصَّهم الله سبحانه وتعالى بأعلى المقامات، ومنحهم أرقى الأوسمة وأرفع الدرجات.

فاطمة الزَّهراء عليها السلام، هي تلك المرأة العظيمة التي بلغت ذروة الكمال الإنسانيّ والإيمانيّ والأخلاقيّ، فهي التي قال عنها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة سيِّدة نساء العالمين، وسيِّدة نساء أهل الجنَّة**»، وهي التي قال عنها النبيّ الأكرم معرِّفًا بها: «**هي فاطمة بنت محمَّد، وهي بضعة منِّي، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي**»، وقال: «**فاطمة منِّي، من آذاها فقد آذاني، ومن أحبَّها فقد أحبَّني، ومن سرَّها فقد سرَّني**»، وفي حديث له بحقِّ فاطمة عليها الصلاة والسلام، قال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها**»، وهو حديث يعبِّر عن عصمة ابنته فاطمة، وأنَّها لا تغضب إلَّا لله، ولا ترضى إلَّا لله، عليها الصلاة والسلام.

إنَّ نبيَّنا الأكرم رسول الله محمَّد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، عندما كان يتحدَّث عن ابنته الزَّهراء ويمتدحها ويُعرِّف الناس بها وبفضائلها، لم يكن يتحدَّث من جانبٍ عاطفيّ، ولا يقول كلامًا محابة، لا فهو الذي ما ينطق عن الهوى، إن هو إلَّا وحيٌ يوحى، فبأمر من الله أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة هذا الوسام العظيم دون

سواها من النساء، حين قال عنها محدِّثًا: «**فاطمة سيِّدة نساء العالمين**»، لذلك تبقى فاطمة بنت محمَّد رسول الله هي المثل الأعلى والنموذج الإنسانيّ والإيمانيّ الأرقى والأسمى، وتبقى هي أعظم قُدوة وخير أُسوة للمرأة المؤمنة؛ لأنَّها النموذج الإيمانيّ والأخلاقيّ الصالح والأصلح لقيادة مشروع النهوض بالمرأة المؤمنة في كُلِّ عصر، مشروع مبني على أُسس قرآنيَّة ثابتة، يكون بمقدوره الرفع من شأن وقدر المرأة المسلمة؛ لتكون إنسانة عمليَّة صابرة متحَرِّكة وَفاعلة، تربِّي الأجيال، وتصنع الرجال الأبطال، وتشارك في بناء المجتمع المسلم، فترتقي بعملها الجهاديّ في سلَّم المجد والعزِّ والشرف والشموخ، إلى أن تبلغ قمَّة الكمال الإنسانيّ والإيمانيّ والأخلاقيّ، اقتدَاء وتأسِّيًا بالزَّهراء عليها السلام، هذا النهج هو ما سيحافظ على بقاء الهُـوِيَّة الإيمانيَّة والأصالة الإسلاميَّة العظيمة في واقعنا المعاصر.

مثَّلت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام النموذج الأرقى لشخصيَّة المرأة في أدوارها المتعدِّدة، وإذا كان المقام هنا لا يتَّسع لاكتشاف جميع ملامح القدوة في حياتها، فإنَّه يمكن التركيز على أبرز الأدوار من خلال إطلالة على دورها كفتاة وزوجة وأم، وعلى موقعها كمرشدة في المجتمع وقد تختصر هذه العناوين في طيَّاتها الحديث عن الجوانب الجهاديَّة والعبادية وغيرها. وهذا ما يؤكِّده النظر إلى الجانب الجماليّ في شخصية الزَّهراء، فهي التي: «سمِّيت بالزَّهراء؛ لأنَّ وجهها كان يُزهِر لأهل السماوات والأرض، وهذا فيه تعبير إضافة إلى إيمانها وكمال نورها، كما تفيده كلمة (لأهل السماوات) عن مدى جمالها، ولكنَّه لم يشكِّل أبدًا محورًا لشخصيَّتها، ولم يصرفها للتركيز عليه، ولا للاهتمام به للتباهي والتفاخر؛ لأنَّها كانت تعي أن الله خلق الإنسان ليترك بصمته في المجتمع، فالشكل يزول ويفنى، ولا يبقى من الإنسان إلَّا روحه وآثار أعماله».

هذا إلى جانب التأكيد على أنَّ الفتاة التي تتَّجه إلى إبراز الجمال الخارجيّ في شخصيَّتها من دون النظر إلى الآفاق الأخرى: «قد تصل إلى حدود الانهيار، فقد تتغيَّر معايير الجمال

بحسب الموضة في كلِّ زمان، أمَّا الأهداف السامية التي تسعى الفتاة لتحقيقها، لا يمكن لأيَّة موضة أن تغيِّرها يومًا». ولذلك فقد كان الحجاب العنصر الموجِّه لحركة المرأة التي حين تستر مفاتنها، تحدِّد للآخر وجهة النظر إليها، «ليس كامرأة فقط، بل كإنسان يمتلك طاقات وقدرات يمكن استثمارها في المجتمع، وهذا هو النموذج الراقي الذي مثَّلته السيِّدة الزَّهراء بتجسيِّدها لأرقى معاني العفَّة والطهارة». وفي حياة الزَّهراء الفتاة أيضًا عِبرة لا بدَّ من الوقوف عندها، بحسب السيِّدة سلوم، وهي: «كانت شخصيَّتها متقدِّمة على عمرها، بحيث أنَّها وعت للمسؤولية التي وضعت في إطارها بكلِّ جدارة، فبالرغم من فقدها لوالدتها في عمر مبكِّر، وفي الوقت الذي كان فيه الرسول صلى الله عليه وآله في خضمِّ صراعه مع المشركين لنشر رسالة الإسلام، نرى أنَّها في مقابل حاجتها للتعويض عن غياب الأم، قد وقفت إلى جانب الرسول داعمة وحاضنة له حتَّى سمِّيت بأمِّ أبيها».

ومن المفاتيح الذهبيَّة التي تقول بها التربية الحديثة اليوم، والتي كانت قد اعتمدتها الزَّهراء عليها السلام ضمن وسائل تربية أولادها، مسألة الحوار، ولدينا عليها دليل غير مباشر اكتشفه أمير المؤمنين عليه السلام من خلال الحديث مع السيِّدة زينب عليها السلام، فقد كان يحدِّثها عن تفسير القرآن، وكانت تسأله أسئلة عميقة، فُدهِش لما تملكه من معلومات وعمق في التحليل، فوجد أنَّه من المناسب إخبارها بما سيأتي عليها، فقالت له: أمِّي أخبرتني بكلِّ ذلك، وهيَّأتني لغَدِي. وهذا يعني أنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت تُتقِن هذه العمليَّة الحواريَّة.

من المفاتيح التي امتلكتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لتربية وبناء شخصيَّة أبنائها، هو (القدوة الحسنة) لهم، من خلال تجسيِّد الأخلاق العالية والإنسانيَّة في حسن معاشرة الزوج، وفي العطاء والإيثار، والاهتمام بشؤون المؤمنين والدعاء لهم، وفي رفض الظلم، والتعلُّم والتعليم، حيث كان بيتها مدرسة للمسلمات، وحتَّى للمسلمين، والاهتمام

بشأن الرسالة والدفاع عن الإسلام، بحيث أعطت لبيتها دون أن تنسى الشأن العام، وهذا يؤسِّس للتوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع.

أمَّا في ما يخصُّ الدور الإرشاديّ الطبيعي الذي قامت به تجاه النساء، «فكانت مقصدًا للنساء اللواتي كنَّ يفدن عليها من كلِّ صوبٍ وجهةٍ؛ للتعرُّف على أمور دينهنَّ وحلِّ مشاكلهنَّ، فكانت تجيب على الأسئلة بكلِّ رحابة صدر دون تأفُّف أو تعب». وأمَّا الاستفادة من دورها الإرشاديّ في الحالات الضروريَّة، فهو يبرز من خلال «ما تملكه من الصفات والمزايا والعلم والحكمة كأبيها، وقد ظهر ذلك في عدة مواقف منها:

أوَّلًا: عند خروجها للدفاع عن حقِّها المسلوب وخطابها الحكيم أمام القوم، وقد هدفت من خلاله إلى تأكيد عدم سكوت الإنسان إذا ظُلِم وهُدِر حقُّه، وخاصَّة إذا كان هذا الحقُّ دفاعًا عن مصالح الإسلام والمسلمين.

ثانيًا: ما تميَّزت به خطبتها الشريفة أمام الملأ، والتي عجز العلماء عن فهمها وإدراكها، وهنا لا بدَّ من القول إنَّ خروجها إلى الناس لا ينافي الحياء والعفَّة؛ لأنَّه إذا اقتضت الضرورة والمصلحة، وكان في خروج المرأة وكلامها مع الرجال الأجانب مصلحة عامَّة للإسلام والمسلمين، فإنَّ هذا مطلوبٌ بمقدار الضرورة..».

إنَّ التاريخ مليء بهذه المواقف التي يمكن للإنسان أن يتعرَّف عليها خلال تدبُّره لصفحات التاريخ، ولكن ومع الأسف لم يُخصِّص الباحثون صفحات وفصول خاصَّة تبيِّن هذه المواقف وعظمتها.

كانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في تلك الفترة الحرجة التي مرَّت على الرسول صلى الله عليه وآله كالأم والمداوي والمستشار لأبيها، لهذا أُطلق عليها لقب أُمُّ أبيها، حيث أُطلق عليها هذا اللقب العظيم وهي لم تتجاوز سن السادسة أو السابعة من عمرها؛ لأن الزَّهراء في تلك الفترة كانت تتمتَّع بتكامل عقليّ ونمو جسديّ وروحيّ كالفتاة البالغة اثنتي عشر سنة في وقتنا

الحاضر؛ لأنَّ الفتاة، وكما تعلمون، يكون رشدها وتكاملها الروحيّ والجسديّ في البيئة الحارَّة أسرع ممَّا هي عليه في المحيط والبيئة الباردة.

فهذا الإحساس بالمسؤوليَّة، وهـذا التحمل والصبر الـذي كانت تتمتَّع به الزَّهراء عليها السلام، ألا يمكن أن يكون أسوة وقدوة لمن يتأسَّى ويقتدي بها؟! ألا يمكن أن يكون موقف الزَّهراء عليها السلام وهي تعبِّئ قواها وقدراتها الكامنة من أجل تخفيف عبء المشاكل التي تواجه الرسول صلى الله عليه وآله، وبعد أن بلغ الخمسين، أسوة وقدوة لكلِّ شابَّة وشاب؟! فكلُّ هذه الأمور مهمَّة.

أمَّا الموقف النموذجيّ الآخر من مواقف الزَّهراء عليها السلام، هو موقفها كزوجة، وحُسن تبعُّلها، فالبعض يعتقد أن حُسن التبعُّل يكون في إدارة البيت وتنظيفه وتهيئة الطعام المناسب للزوج، فالمرأة مثلًا يجب أن تهيِّء وتُعد كلّ شيء لتوفِّر الراحة اللازمة لزوجها عند رجوعه إلى المنزل، بعد مشقَّة العمل اليوميّ، لكن هذا الإعتقاد اعتقاد قاصر ومحدود؛ لأنَّ حُسن التبعُّل يتضمَّن معاني أوسع وأعمق ممَّا يعتقده هؤلاء، فنحن إذا ما أخذنا حياة الزَّهراء عليها السلام عندما دخلت بيت زوجها، لم تكن تتجاوز سنَّ التاسعة من عمرها، وكانت السنين التسع التي عاشتها كزوجة، سنين حافلة بالحروب والغزوات العديدة، حيث ذكر المؤرِّخون ما يقارب ستِّين حربًا خاضها المسلمون في تلك الفترة، وكان للإمام عليّ عليه السلام السهم الأكبر فيها، وخلال فترة غياب الإمام عليّ عليه السلام عن البيت والعائلة لأداء مسؤوليَّته الجهاديَّة في جبهات القتال، كانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تدير شؤون البيت وعلى أتمِّ وجه، حيث كان الإمام عليّ عليه السلام كثيرًا ما يغيب عن البيت ولمدَّة طويلة، وذلك واجبه الشرعيّ، حيث كانت ثغور المسلمين بأمسِّ الحاجة إلى شجاعته وقدرته.

أمَّا الوضع الاقتصاديّ والمعيشيّ للإمام عليّ عليه السلام والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام لم يكن وضعًا مساعدًا ومناسبًا، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا

شُكُورًا ﴾، فحياة السيِّدة الزَّهراء والإمام عليّ عليهما السلام كانت تعلوها سمات الفقر، على الرغم من كون الزَّهراء عليها السلام ابنة زعيم الأمَّة الإسلاميَّة ورسولها المختار صلى الله عليه وآله، كانت الزَّهراء عليها السلام تتمتَّع بدرجة رفيعة من الإحساس بالمسؤوليَّة، حتَّى جعلها تُهيِّء كلَّ وسائل الراحة لزوجها، وتحفظه وتحصنه من علائق الدنيا وزينتها المتمثِّلة بالأهل والعيال، وكانت تعطيه القوَّة والزخم، فالإنسان لا يستطيع أن يقوم بهذه المسؤوليَّة، إلَّا إذا كان يتمتَّع بسمو روحيّ وتعالي نفسي، فتربيتها الرفيعة لأطفالها هو دليل على إقتدارها وتعاليها وإحساسها بالمسؤوليَّة.

وهكذا بقيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء العالمين قدوة المؤمنين والمؤمنات في الموقف وفي مواجهة القضايا الكبرى، لتقول للجميع إنَّ هناك أكثر من قضيَّة تنتظركم في سبيل الإسلام، وإنَّ هناك أكثر من قضية تنتظركم من أجل الدعوة للإسلام والعمل في سبيله، ليكون الأقوى والأعز والأرفع من خلال كلّ ما تملكونه من فكرٍ وروحٍ، وفي كلِّ ما تتحرَّكون به من خطوات.

الخاتمة

نداء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام: كونوا كما كنت للإسلام، واعملوا من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الشيطان هي السفلى، وإذا كان الموقف يفرض أن تقفوا وتتوحَّدوا وتجمدوا الكثير من القضايا، بالرغم من آلام التاريخ ومآسيه، فليكن الإسلام هو الهدف الكبير والعنوان الكبير.

السلام عليك ياسيِّدتي ومولاتي يوم ولدت ويوم توفيت ويوم تبعثي حيَّة.

استنتاجات

١. إنَّ القدوة الصالحة تعمل على تهذيب الأفراد وإصلاحهم، كما تجعل من المجتمع وحدة مترابطة عقائديًّا وشعوريًّا واجتماعيًّا، وتعمِّق مفهوم الأخوَّة بين المؤمنين، وتجعل منهم أمَّة متضامنة ذات قوَّة وتأثير وفاعليَّة إلى الأفضل في حياة المجتمع، والقدوة الحسنة رمزٌ لوحدة الأمَّة وتماسكها، وخاصَّة أمام التحدِّيات والصِّعاب، فتقف شامخة وهي مطمئنَّة لوعد الله لها بالنصر والتمكين والاستخلاف، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٥).

٢. إنَّ القدوة الحسنة لا يعيش مشغولًا بذاته بل يمدَّ يديه بالخير والعون ويعطي إلى المجتمع ما يزيده أمنًا وسلامًا؛ لأنَّه يعرف معنى الإنسانيَّة، ويدرك مسؤوليَّات الأخوة في المجتمع، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ

عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

٣. التربية بالقدوة تعمل على توحيد المجتمع الإسلاميّ بحيث يعمل أعضاؤه في بوتقة واحدة متضامنة في مواجهة الأزمات السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وهذا مطلب تربويّ إحياء المنهج الإسلاميّ من خلال جعل المسلمين جسمًا واحدًا يشعر الجميع بشعور واحد، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ (التوبة: ٧١).

٤. إنَّ التربية بالقدوة تغرس الروح الجماعيَّة في قلب الفرد المسلم من خلال أنَّ الجميع يقتدون بقدوتهم الذي هو المثال الحي في البذل والعطاء والتضحية والفداء، وعندما أحبَّ الناس القدوة الأوَّل محمَّد صلى الله عليه وآله، قام المجتمع الإسلاميّ الفريد، مجتمع البذل والعطاء، مجتمع كلّ فرد فيه يشكِّل أمَّة؛ لأنَّه تربَّى على الينبوع الأساسيّ القرآن الكريم، وأخذ منه توجيهاته الربَّانيَّة.

٥. التربية بالقدوة تعمل على تربية الناس خلقيًا وروحيًا، وتربطهم بالله ربِّ العالمين، كما أنَّها تقوِّي المجتمع من الناحية الإراديَّة؛ لأنَّ الجميع تربَّى على الصبر والمصابرة، وتحمُّل الصعاب من أجل المبدأ والفكر الذي آمن به.

٦. تعمل القدوة الحسنة على سرعة الامتثال والتطبيق لكلِّ ما هو مفيد للمجتمع، بدون حرج ولا ممانعة من المقتدين، بل استجابة وتطبيق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ (الأنفال: ٢٤).

التوصيات

يوصي الباحث بالاتي:

١. الاعتناء بموضوع القدوة الصالحة، لأنَّنا في أمسِّ الحاجة لإبراز نماذج حيَّة صنعت من نفوسها مصاحف متحرِّكة في واقع الحياة؛ لتُخرج الناس من حياة التيه والاضطراب إلى حياة الأمن والاستقرار والبناء والإعمار.

٢. إنَّ موضوع القدوة الصالحة من الموضوعات التربويَّة القرآنيَّة الهامَّة الذي يتطلَّب من الباحثين في مجال التربية والدراسات القرآنيَّة كتابته في كتاب مستقل؛ لأنَّ المادَّة العلميَّة حوله كثيرة ومتناثرة في مراجع عديدة.

٣. العناية بتقديم نماذج مثاليَّة للطلَّاب والطالبات، بما يُسهم في الحفاظ على هويَّتهم الدينيَّة والثقافيَّة من خلال مؤسَّسات التربية المختلفة.

٤. تفعيل دور الإعلام وجعله إعلامًا تربويًّا يسهم في غرس الفضيلة ودعم القيم النبيلة لدى جيل الناشئة، والبعد عن تمجيد القدوات السيِّئة وسيادة النماذج الغربيَّة.

٥. الاستفادة من نظرية التعلُّم الاجتماعيّ في تطوير مناهج التعليم بما يفعِّل التعلُّم بالملاحظة (ملاحظة نماذج تربويَّة وأخلاقيَّة وعلميَّة؛ لتكون قدوة في سلوكها وأخلاقيَّاتها، وتفعيل وسائل التواصل الاجتماعيّ في تحقيق ذلك بما يجذب الطلَّاب والطالبات، ويحقِّق أهداف العمليَّة التعليميَّة في تنمية القيم والأخلاق.

٦. فما أحوجنا اليوم إلى الاقتداء بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في حياتها العائليَّة، مع زوجها وأبنائها، وما أحوجنا إلى الاقتداء بجهادها وصبرها، فلقد كانت مجاهدة من الطراز الأوَّل، وأنجبت أئمَّة معصومين، جاهدوا ضدَّ الطغاة والحكومات المستبدَّة، فكانوا بحقٍّ قلاع الحريَّة الحقيقيَّة، ونحن اليوم بحاجة إلى هذه النماذج، وينبغي لنا عرضهم رموزًا وقدوات في بلادنا، وفي العالم كله.

المصادر والمراجع المعتمدة

١. أنجلز، باربرا (١٩٩١م)، مدخل إلى نظريَّات الشخصيَّة، ترجمة فهد بن عبد الله الدليم، دار الحارثيّ للطباعة والنشر.
٢. ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار الجيل.
٣. أبو جادو، صالح (٢٠٠٠)، علم النفس التربويّ، عمَّان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
٤. أبو رياش، حسين وعبد الحق، زهريَّة (٢٠٠٧)، علم النفس التربويّ، عمَّان، دار المسيرة.
٥. اشتيوه، فوزي وعليان، ربحي (٢٠١٠)، تكنولوجيا التعليم (النظريَّة والممارسة)، عمَّان، درار صفاء للنشر والتوزيع.
٦. البهاديّ، عبد الرضا ناصر (٢٠١٢)، بحوث في علم الأخلاق وفلسفتها، مؤسَّسة أم أبيها، ميسان، العراق.
٧. الإبراشيّ، محمَّد عطيَّة (١٩٧٥م)، التربية الإسلاميَّة، ط٣، دار إحياء الكتب.
٨. النحلاويّ، عبد الرحمن (١٩٧٩م)، التربية الإسلاميَّة وأساليبها، ط١، دار الفكر.
٩. الحدري، خليل (١٩٩٨)، التربية الوقائيَّة في الإسلام، ط١.
١٠. الحسنيّ، سليم (٢٠٠٢)، في رحاب أهل البيت عليهم السلام، دار الملاك، بيروت، لبنان.

١١. القرطبيّ (١٩٩٣م)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلميَّة.
١٢. المرزوقيّ، آمال حمزة (١٩٨٢)، النظريَّة التربويَّة الإسلاميَّة، ط١.
١٣. الزغلول، عماد عبد الرحيم (٢٠١٣م)، نظريَّات التعلُّم، عمَّان، دار الشروق للنشر والتوزيع.
١٤. الزيات، فتحي مصطفى(١٩٩٦م)، سيكولوجية التعلُّم، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
١٥. الرافعي، يحيى (٢٠٠٠)، نظريَّة باندورا للتعلُّم الاجتماعيّ المعرفي بالملاحظة، جامعة أمِّ القرى.
١٦. عبد الهادي، جودت (٢٠٠٠)، نظريات التعلُّم وتطبيقاتها التربوية، الدار العلميَّة الدوليَّة ودار الثقافة للنشر والتوزيع.
١٧. العتيبيّ، خالد ناهس محمَّد (٢٠٠٨)، نظريَّة باندورا في التعلُّم الاجتماعيّ المعرفيّ، قسم علم النفس، جامعة الملك سعود.
١٨. زهد، عصام العبد (٢٠١٠)، القدوة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع، الجامعة الإسلاميَّة، كليَّة أصول الجامعة.
١٩. المهاجر، قاسم عبد الزَّهراء (٢٠٠٣)، فاجعة الزَّهراء شمس في أفق السماء، بيروت، لبنان.
٢٠. الصدوق، السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة وأسوة، دار المعارف الإسلاميَّة الثقافية.
٢١. الطبرسيّ، الشيخ الحسن بن الفضل (١٩٩٠)، مكارم الأخلاق، انتشارات الشريف الرضيّ، إيران، قم، ط٤.
٢٢. المدنيّ، فاطمة رمزي (٢٠١١)، نظريَّة التعلُّم الاجتماعيّ، باندورا، جامعة طيبة.

الزَّهراء عليها السلام موسوعة علم وتعلُّم

أ. د. محمَّد عليّ حسين
أ.د. سماهر محي موسى
أ.م.د. ظافر أكرم قدُّوري
جامعة ديالى/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة/ قسم التاريخ

ملخَّص البحث

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين أبي القاسم محمَّد وآله الأخيار الميامين، وصحبه المنتجَبين وبعد:

لقد من الله تعالى على نبيِّه صلى الله عليه وآله وعلى آل بيته الأطهار عليهم السلام بالعديد من الخصال والفضائل التي لم تجتمع لغيرهم، ومنها فضيلة العلم، إذ كانت عندهم بأعلى مراتبها وأتمِّ درجاتها، ومن أهل البيت عليهم السلام، وفي مقدِّمتهم تأتي فاطمة الزَّهراء البتول عليها السلام، التي تجسَّد عندها العلم بأبهى صوره، وأتمَّ كمالاته، وقد بلغ عندها العلم من الذروة والكمال كأيِّ صفةٍ أخرى فيها.

إنَّ الحديث عن الزَّهراء عليها السلام وعلومها يمثِّل المدارس العلميَّة الأولى التي شهد لها بالعلم الإلهيّ، فهي عليها السلام خرِّيجة مدرسة بيت الوحي والنبوَّة، تلك المدرسة التي اتَّصف علمها بعلم رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلم أمير المؤمنين عليه السلام، وعلم الزَّهراء عليها السلام، وعلم الأئمَّة عليهم السلام، وتناقلتها الأجيال ونهلت من علومها جيلًا بعد جيل، يستلهمون منه الدروس والعِبَر في خدمة حياتهم ومجتمعاتهم.

كان دور الزَّهراء عليها السلام العلميّ مكمِّلًا للدور الذي جاء به والدها الرسول الكريم محمَّد صلى الله عليه وآله، على الرغم من أنَّها عليها السلام فارقت الحياة بعمرها القصير، ولكنَّها باقية إلى ما شاء الله مدرسةً للأجيال، وعُرِفت بعلمها حتَّى أنَّه أُطلق عليها الكثير من الألقاب، منها العليمة، والعالمة، والحكيمة، الدالَّة على مكانتها العلميَّة العالية عند الله تعالى، فالزَّهراء عليها السلام كانت من النساء اللاتي وضعن أُسس الحركة العلميَّة والفكريَّة والأدبيَّة، ليس في زمانها فحسب، بل أضحى علمها ومعرفتها التي اكتسبتها، تتوارثها الأجيال جيلًا بعد جيل، وأصبح تراثها العلميّ الزاخر يمثِّل مرحلة مهمَّة، وأسهم في إغناء الفكر الإسلاميّ، وتتلمذ على يَدَيها الكثير من النساء، ومشاهير العلماء والمفكِّرين.

المقدِّمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على النبيِّ الخاتم الأمين محمَّدﷺ وعلى آل بيته الطيِّبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.. وبعد:

فإنَّ دراسة التاريخ عامَّةً، وتاريخنا الإسلاميّ خاصَّةً تعلِّمنا بأنَّ الخوض فيه لم يكن مختصرًا أو محتكرًا على الرجال ودورهم في مجتمعاتهم، بل كان للنساء، وفي كثيرٍ من الأحيان، دورًا يضاهي ذلك الدور، أو حتَّى يفوقه في بعض الأحيان، وفي ظلِّ راية الإسلام، نرى الدور المهمَّ والكبير الذي منحه إيَّاها حينما لم يجعل الجنس عائقًا للمرأة دون العمل أو دون تلقِّي العلم، ونحن نكتب بحثنا هذا عن الزَّهراء البتولعليها السلام، لا بدَّ من القول إنَّها كانت من النساء اللاتي وضعن أُسس الحركة العلميَّة والفكريَّة والأدبيَّة، ليس في زمانها فحسب، بل أضحى علمها ومعرفها تتوارثها الأجيال جيل بعد جيل، فهي إلى جانب قيامها بمهامِّ البيت، ورعاية شؤون أسرتها، تساهم وبشكل مباشر وكبير في عمليَّة نشر الرسالة المحمَّديَّة، فتقوم بعمليَّة نقل وتعليم ما تلقَّته عن أبيها رسول اللهﷺ إلى المسلمين.

وعلى الرغم من أنَّ دراسة شخصية الزَّهراءعليها السلام يمتدُّ بنا بالحديث عنها إلى مجالات مختلفة ذات أبعاد كثيرة، إلَّا أنَّنا نحاول تسليط الضوء على الجانب العلميّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، والذي لعب دورًا مهمًّا وكبيرًا في بناء وتدعيم قواعد الدين الإسلاميّ، وتثبيت أركانه، فجاء دورها مكمِّلًا للدور الذي جاء به والدها الرسول الكريم محمَّدﷺ، فهي ومنذُ أن تعلَّمت منهﷺ العلم والإيمان، نبت فيها ذلك العلم

وتوارثه أبناءها، ولم يزل هذا العلم خير ميراث ينهل منه الأجيال، ويستلهمون منه الدروس والعِبَر في خدمة حياتهم ومجتمعاتهم، على الرغم من أنَّها عليها السلام فارقت الحياة بعمرها القصير، ولكنَّها باقية إلى ما شاء الله مدرسة للأجيال، ومشعل نور، تستلهم الأمَّة الدروس والعِبَر من مواقفها عليها السلام وبطولاتها، كما تستلهم الدروس والعِبر من تراثها العلميّ الزاخر في مختلف العلوم، ومنها علوم القرآن الكريم، والحديث النبويّ الشريف، فأسهمت بذلك في إغناء الفكر الإسلاميّ، وتتلمذ على يَدَيها الكثير من النساء، ومشاهير العلماء والمفكِّرين.

اشتمل البحث على مقدِّمة ومبحَثَين وخاتمة، تضمَّن المبحث الأوَّل (خصوصيَّة علمها وتعلُّمها عليها السلام، وجاء المبحث الثاني متضمِّنًا (علوم الزَّهراء عليها السلام ودورها في حفظ التراث النبويّ).

المبحث الأوَّل

خصوصيَّة علمها وتعلُّمها عليها السلام

نشأت الزَّهراء عليها السلام في بيت النبوَّة والرسالة ومهبط الوحي، وجدَّ نبيّنا صلى الله عليه وآله على العناية بها وتربيتها تربية إسلاميَّة، تقوم على ما تمتَّعت به الزَّهراء عليها السلام من ذكاء وفطنة وثقافة عالية، مصحوبة بتلقِّي العلوم عن أبيها صلى الله عليه وآله الذي لم يتوانَ في تعليمها ما كان يتلقَّاه عن ربِّ العالمين، فأفاض عليها بالعلوم والمعرفة، وهكذا أُتيح للزَّهراء عليها السلام ميدان العلم والمعرفة، وتلقَّت من العلوم ما لم تتعلَّمه غيرها في مكَّة وحولها، وهنالك العديد من المرويَّات التاريخيَّة الدالَّة على تعلُّمها وتلقِّيها العلم، منها:

١. ما رواه الشيخ الكلينيّ بالقول: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاءت فاطمة عليها السلام تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعض أمرها، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله كُريسة، وقال: **تعلَّمي ما فيها**. فإذا فيها: **مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِم ضيفه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيرًا أو يسكت**»[1].

٢. لم يقتصر تلقِّي الزَّهراء عليها السلام للعلم الذي ورثته من أبيها صلى الله عليه وآله فحسب، بل كان للمكانة التي حازتها بين البشر الأثر الكبير في شخصيَّتها، لتكون لها من الفضائل والمناقب ما لم يتسنَّ لأحد غيرها، ومن ذلك تلقيبها عليها السلام بالمحدَّثة، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**إنَّما سمِّيت فاطمة عليها السلام محدَّثة؛ لأنَّ الملائكة كانت تهبط من**

(١) الكلينيّ، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م)، الكافي، ط٤، دار الكتب الإسلاميَّة، (طهران، ١٣٦٥هـ): ٢/ ٦٦٧.

السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة إنَّ الله اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربِّك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدِّثهم ويحدِّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضَّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنَّ مريم كانت سيِّدة نساء عالمها، وان الله عزّ وجلّ جعلك سيِّدة نساء عالمك وعالمها، وسيِّدة نساء الأوَّلين والآخِرين»[1]، ولنا أن نتصوَّر بالحديث الذي كان يدور بينها عليها السلام وبين ملائكة الرحمن، وبيان مدى الأهميَّة التاريخيَّة في ذلك، والمكانة العَليَّة التي وصلت إليها الزَّهراء عليها السلام في ذلك.

٣. أراد الله العليّ القدير أن يثبت للعالم أجمع أنَّ الزَّهراء عليها السلام اجتمع لها ما لم يكن في غيرها من العظمة والجلالة والمنزلة الرفيعة، وقد أخذ العلم والتُّقى النصيب الأوفر منها، كيف لا يكون لها ذلك وهي عليها السلام بنتُ سليل علوم الأوَّلين والآخِرين صلى الله عليه وآله، وكان قد فطمها بالعلم فطمًا، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**لـمَّا ولِدت فاطمة عليها السلام، أوحى الله إلى ملك فأنطق به لسان محمَّد صلى الله عليه وآله فسمَّاها فاطمة، ثمَّ قال: إنِّي فطمتك بالعلم، وفطمتك من الطمث**. ثمَّ قال أبو جعفر عليه السلام: **والله لقد فطمها الله بالعلم، وعن الطمث بالميثاق**»[2]، وهنا لا بدَّ لنا أن نستشهد بما قال العلَّامة المجلسيّ[3] عن هذا الرواية، وبما قدَّمه من تعبيرٍ وافٍ وشامل، بالقول: «فطمتك بالعلم أي أرضعتك بالعلم حتَّى استغنيت، وفطمتك أو قطعتك عن الجهل بسبب العلم، أو جعلت فطامك من اللبن مقرونًا بالعلم، كناية عن كونها في بدء فطرتها عالمة بالعلوم الربَّانيَّة، وعلى التقادير كان الفاعل بمعنى المفعول، كالدافق بمعنى المدفوق، أو يُقرَأ على بناء التفعيل، أي جعلتك

(١) الصدوق، الشيخ (٣٨١هـ/ ٩٩١م)، علل الشرائع، تقديم: السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم المكتبة الحيدريَّة، (النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م): ١/ ١٨٢، الطبريّ، أبو جعفر محمَّد ابن جرير بن رستم الآمليّ، دلائل الإمامة، ط١، مؤسَّسة البعثة، (طهران، ١٤١٣هـ): ٨١.

(٢) الصدوق، علل الشرائع: ١/ ١٧٩.

(٣) مجموعة مؤلِّفين، أعلام الهداية (فاطمة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة النساء)، ط٣، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام، (قم، ١٤٢٧هـ): ٣/ ١٩٤.

قاطعة الناس من الجهل، أو المعنى: لـمَّا فطمها من الجهل، فهي تفطم الناس منه»، وقد ساعدها على ذلك أنَّها ألـمَّت بالكثير من علوم القران، وأحاطتها بأمور من الشرائع السابقة، وكانت تعرف القراءة والكتابة، ولقد فطمها الله بالعلم، وكان أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله يستكتب لها الصحف التي تسترشد بها في أمر دينها وتبصِّرها بأمور دنياها[1].

٤. قول امير المؤمنين عليّ عليه السلام الدال على علميَّتها وخصوصيَّتها، وما أُعطيت به من العلوم التي لم يسبقها عليها السلام إليه أحد من الخلق، فكانت هي أوَّل من تعلَّمتها بعد أبيها وزوجها عليهما السلام، إذ قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «**لقد أعطيتُ زوجتي مصحفًا فيه من العلم ما لم يسبقها إليه أحد خاصَّةً من الله ورسوله**»[2]، ويا لها من مكانة علميَّة عظيمة نالتها الزَّهراء عليها السلام بسبقها للخلق بعلميَّتها ومعرفتها تحت عناية الله جلَّ وعلا، ورعايةً من رسوله صلى الله عليه وآله.

٥. واستمرارًا بالحديث عن علميَّتها عليها السلام، لا بدَّ من القول إنَّنا نتحدَّث عن امرأه لا تشبه سواها، ولها من الخصال والخصائص ما ميَّزها بذلك، وفي جانب علميَّتها أنَّها عليها السلام تلقَّت علومها بالرعاية المباشرة من الله تعالى، ومن رسوله صلى الله عليه وآله، وكذلك من زوجها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فأفاضوا عليها بعلمهم ومعارفهم، وفي الرواية الآتية يتبيَّن من خلالها علوم آل البيت عليهم السلام جميعًا، ومنهم الزَّهراء عليها السلام، وما كانت تلمّه من علوم ومعارف مختلفة، فقد روى المجلسيّ في ذلك روايةً عن المفضَّل بن عمر قال: «دخلت على الصادق عليه السلام ذات يوم، فقال لي: **يا مفضَّل هل عرفت محمَّدًا وعليًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كنهَ[3] معرفتهم؟** قلت: يا سيِّدي وما كنه معرفتهم ؟

(١) المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ/ ١٧٠٠م)، بحار الأنوار، تحقيق: يحيى العابدي وعبد الرحيم الربَّانيّ، ط٢، مؤسَّسة الوفاء، (بيروت، ١٩٨٣م): ٣٩/ ١٤.

(٢) الصفَّار، محمَّد بن الحسن بن فروخ (ت٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)، بصائر الدرجات الكبرى، تقديم: الحاج ميرزا محسن، مؤسَّسة الأعلميّ، (طهران، ١٤٠٤هـ): ٢٢٠.

(٣) كنه: معرفة كلِّ شيء، قدره ونهايته وغايته. ابن منظور، أبو الفضل محمَّد بن مكرم بن عليّ،=

قال: **يا مفضَّل تعلم أنَّهم في طير عن الخلائق بجنب الروضة الخضرة، فمن عرفهم كنه معرفتهم، كان مؤمنًا في السنام الأعلى.** قال: قلت:عرفني ذلك يا سيِّدي. **قال: يا مفضَّل تعلم أنَّهم علموا ما خلق الله عز وجل وذرأه وبرأه، وأنَّهم كلمة التقوى وخزَّان السماوات والأرض والجبال والرمال والبحار، وعرفوا كم في السماء نجم وملك، ووزن الجبال، وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها، وما تسقط من ورقة إلَّا علموها، ولا حبَّة في ظلمات الأرض ولا رطب لا يابس إلَّا في كتابٍ مبينٍ وهو في علمهم، وقد علموا ذلك.** قلت: يا سيِّدي قد علمت ذلك وأقررت به وآمنت. **قال: نعم يا مفضَّل، نعم يا مكرم، نعم يا محبور، نعم يا طيِّب، طبت وطابت لك الجنَّة، ولكلِّ مؤمن بها»**[1].

٦. لقد أورد المجلسيّ[2] رواية بيَّنت موسوعيَّة الزَّهراء عليها السلام المطلقة في علميَّتها، وتلقِّيها العلم والمعرفة بمختلف صنوفه، وما كان منه، وفي هذا تتَّضح خصوصيَّة أهل البيت عليهم السلام العلميَّة بصورة عامَّة، وفي هذا الحديث خصوصيَّة الزَّهراء عليها السلام وعلميَّتها بشكلٍ خاصٍّ، فعن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه قال: «شهدت عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد ولج على فاطمة عليها السلام فلمَّا بصرت به نادت: **ادنُ لأحدِّثك بما كان، وبما هو كائن، وبما لم يكن إلى يوم القيامة، فقالت: اعلم يا أبا الحسن أنَّ الله تعالى خلق نوري، وكان يسبِّح الله جلَّ جلاله، ثُمَّ أودعه شجرة من شجر الجنَّة فأضاءت، فلمَّا دخل أبي الجنَّة أوحى الله تعالى إليه إلهامًا أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة، وأدرها في لهواتك، ففعل، فأودعني الله صلب أبي صلَّى اللهُ عليهِ وآله، ثمَّ أودعني خديجة بنت خويلد، فوضعتني، وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى»**. وفي

=جمال الدين الأنصاريّ الإفريقيّ (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، (بيروت، ١٤١٤هـ): ١٣/ ٥٣٦.

(١) بحار الأنوار: ٢٦/ ١١٦.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨.

هذا يذكر الشيخ اليعقوبي[1] القول: «فليس بغريبٍ والحال هذه أن تكون السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قد جمعت قسمًا ممَّا سمعته منه صلى الله عليه وآله، ومن زوجها عليه السلام في التشريع والأخلاق والآداب، وما سيحدث في مستقبل الزمان من الأحداث والتقلُّبات، وقد ورث الأئمَّة من أبنائها، في جملة ما ورثوه عنها، هذا الكتاب واحدًا بعد واحد».

(١) اليعقوبيّ، الشيخ محمَّد، سيرة الأئمَّة الاثني عشر عليهم السلام، ط١، دار الصادقين، (النجف الأشرف، ١٤٣٤هـ): ١/ ٩٦-٩٧.

المبحث الثاني

علومها عليها السلام ودورها في حفظ التراث النبويّ

يتبيَّن لنا وبشكلٍ واضح علميَّة الزَّهراء عليها السلام ودورها العلميّ عند الناس جميعًا، فقد كان للأدوار التي مرَّت في حياتها الأثر المهم والكبير في صقل شخصيَّتها العلميَّة، وبعمرها الذي بارك الله به لها، قدِّر لها أن تتنقل في تلك الأدوار المهمَّة، لتكون في طليعة ومقدَّمة معلِّمي أهل البيت عليهم السلام، فلم تكن الزَّهراء عليها السلام متلقِّيةً للعلم فحسب، بل سعت وبكلِّ جهدها إلى نشر تلك العلوم بين الناس؛ إيمانًا منها عليها السلام بأهميَّتها ومكانتها عند الناس، وليستفيد منها الجميع، وبقيت تلك العلوم والمعارف يتناقلها أبنائها الأئمَّة الأطهار عليهم السلام جيلًا بعد جيل، وممَّا يعبِّر عن تلك العلوم المرويَّات التاريخيَّة الدالَّة على علميَّتها، وما فيها من إشارات أضحت منارًا علميًّا يهتدي به العلماء والرواة، وما حوته المصادر التاريخيَّة خير دليل على ذلك، ومن ذلك:

أوَّلًا: الدلالة على علميَّتها عليها السلام وإحاطتها بكافَّة أنواع العلوم والمعارف

مرَّ بنا سابقًا المكانة التي اعتلتها الزَّهراء عليها السلام عند الله تعالى، وعند أبيها صلى الله عليه وآله، تلك المكانة التي أوصلتها إلى مصاف أن تكون سيِّدة نساء الأوَّلين والآخِرين، وما يمكن الإفادة منه في جانب علميَّتها عليها السلام قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيها بأنَّها بضعة منه، فعلى الرغم من تعدُّد المرويَّات الصحيحة فيها، أجمعت كلُّها على أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام بضعة من أبيها صلى الله عليه وآله، وبذلك تكون علومها من علوم أبيها صلى الله عليه وآله، ومن ذلك:

١. ما روي عن الإمام عليّ عليه السلام: «أنَّه كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **أي شيء خير للمرأة؟** فسكتوا، فلمَّا رجع قال لفاطمة: **أي شيء خير للنساء؟** قالت: **لا يراهن الرجال**. فذكر ذلك للنبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: **إنَّما فاطمة بضعة منِّي**»[١].

٢. ما روي أيضًا مسندًا عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**سأل رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه عن المرأة ما هي؟** قالوا: عورة. قال: **فمتى تكون أدنى من ربِّها؟ فلم يدروا، فلمَّا سمعت فاطمة عليها السلام ذلك، قالت: أدنى ما تكون من ربِّها أن تلزم قعر بيتها. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ فاطمة بضعة منِّي**»[٢].

وقيل في هذا دليل على فرط ذكائها، وكمال فطنتها، وقوَّة فهمها، وعجيب إدراكها[٣]، فأصبحت بذلك عليها السلام أهم ركن من أركان أهل البيت عليهم السلام العلميَّة، بعلمها الذي اكتسبته من أبيها صلى الله عليه وآله.

ثانيًا: إلمام الزَّهراء عليها السلام بعلوم الحديث والسنَّة

وفي الحقيقة هنا لا يسعنا المجال أن نذكر جميع ما تحدَّثت به الزَّهراء عليها السلام ونقلته من أبيها صلى الله عليه وآله، فأحاديثها وما روته لا يحصى به المقام هنا، إلَّا أنَّنا نذكر بعضًا منها للدلالة على علميَّتها في ذلك، ومنها:

١. ما روي عن الإمام أبو محمَّد العسكريّ عليه السلام أنَّه قال: **حضرت امرأة عند الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فقالت: إنَّ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك فثنت فأجابت، ثمَّ ثلثت إلى أن عشرة، فأجابت، ثمَّ خجلت من الكثرة،**

---

(١) القلقشنديّ، محمَّد بن عبد الله الأكراويّ الشافعيّ (ت١٠٣٥هـ/ ١٦٢٦م)، إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب، تحقيق: محمَّد كاظم الموسويّ، مركز الدراسات العلميَّة، (طهران، ٢٠٠٦م): ٣٠، ابن شهر آشوب، أبي جعفر رشيد الدين محمَّد بن عليّ السرويّ المازندرانيّ (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، المطبعة العلميَّة، (قم، د.ت): ٣/ ٣٤١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٩٢.

(٣) القلقشنديّ، إتحاف السائل: ٣٠، ابن شهر آشوب: ٣/ ٣٤١.

فقالت: لا أشقُّ عليك يا ابنة رسول الله، قالت فاطمة عليها السلام: هاتي وسَلي عمَّا بدا لك، أرأيت من أكتري يومًا يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار، يثقل عليه؟ فقالت: لا، فقالت: اكتريت أنا لكلِّ مسالة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤًا، فأحرى أن لا يثقل عَلَيَّ»(١).

٢. ما روي عن ابن مسعود أنَّه قال: جاء رجل إلى فاطمة عليها السلام فقال: يا ابنة رسول الله هل ترك رسول الله عندك شيئًا تطرفينه؟ فقالت: **يا جارية هاتي تلك الجريدة**، فطلبتها فلم تجدها، فقالت: **ويحك اطلبيها، فإنَّها تعدل عندي حسنًا وحسينًا**، فطلبتها فإذا هي قد قمَّتها في قمامتها، فاذا فيها، **قال محمَّد صلى الله عليه وآله: ليس مِن المؤمنين مَن لم يأمن جاره بوائقه، مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِم ضيفه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت. إن الله يحبُّ الحييَّ الحليم العفيف المتعفِّف، ويبغض الفاحش البذيء السؤال الملحف، إنَّ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنَّة، والفحش من البذاء، والبذاء في النار»**(٢).

٣. كما تهيَّأ للزَّهراء عليها السلام وهي في بيت الوحي والنبوَّة معارف وعلوم جمَّة، حتَّى أضحت تلك العلوم والمعارف يستنار بها المحيطين بالزَّهراء عليها السلام، فأصبحت محورًا علميًّا تلتقي عندها النساء، فكانت تعلِّم النساء ما يشكل عليهنَّ من الأحكام الشرعيَّة والمعارف الضروريَّة، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، كما ورد عنها عليها السلام في حلِّ النزاع بين النساء، فكانت فاطمة عليها السلام قاضيةً بين النساء، تحِلّ النزاعات والخلافات، سواء الأسريَّة أو العقائديَّة وغيرها، ومن جملتها

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢/ ٣.
(٢) الطبريّ، دلائل الإمامة: ٦٥.

القصَّة المعروفة عندما: «اختصم إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمْر الدين، إحداهما معاندة، والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجَّتها، فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحًا شديدًا، فقالت فاطمة عليها السلام: «**إنَّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ من فرحك، وإنَّ حزن الشيطان ومردته بحزنها أشدّ من حزنها**»[1].

٤. شكَّلت مساهماتها العلميَّة الأثر الكبير في حفظ التراث النبويّ الذي سعت إليه في حياتها، إذ لم تكتفِ الزَّهراء عليها السلام بما تهيَّأ لها في بيت الوحي والنبوَّة، بل سعت للإفادة واستثمار الوقت مع أبيها صلى الله عليه وآله وزوجها عليه السلام، حتَّى تكلَّلت مسيرتها العلميَّة بمعرفتها وإلمامها بشتَّى أنواع العلوم والمعارف، وصولًا إلى دورها في حفظ السنَّة النبويَّة، على الرغم من تقدُّم وفاتها، حيث ودَّعت الدنيا وهي في عمر الورد، فقد روى عنها جمع من الصحابة منهم أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عبَّاس، وأنس بن مالك، وعائشة وأم سلمة وأسماء بنت عميس وزينب بنت أبي رافع، وغيرهم الكثير[2]. وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ عمليات جمع وترتيب علومها قد أخذت الأدوار الأولى عند المؤرِّخين، إدراكًا منهم لأهميَّتها وصدقها، ومن تلك العمليَّات ما تمَّ جمعه من علومها من قِبَل جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، حديث الزَّهراء عليها السلام المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في (مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام)، فكان فيه (٢٨٢) حديثًا في مجمل أحوالها وتاريخها، وما رويَ عنها، وقد جمعه من كتب العامَّة المعتبرة[3]، وكذلك ما تمَّ جمعه من السيِّد حسين شيخ

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٨/ ١٨٠.

(٢) الكعبيّ، عليّ موسى، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ط١، دار الرسالة، (إيران، ١٤٢٠هـ): ١٢٠.

(٣) الكعبيّ، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ١٢٠.

الإسلاميّ التويسركانيّ، وقد جمع فيه (٢٦٠) حديثًا ممَّا نُقل عن الزَّهراء عن رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

٥. وتتوالى المرويَّات التاريخيَّة عن الزَّهراء عليها السلام، وتضعها في مقدِّمة المعلِّمات الأوائل اللواتي اخذنَ على عاتقهنَّ مهمَّة تعليم وتثقيف المجتمع بصورة عامَّة، والنساء بصفة خاصَّة، فكانت عليها السلام مدرسةً ينهل من علمها عندما يقصدنها نساء المدينة طلبًا للعلم، وأصبح بيتها عليها السلام بمثابة مدرسة لم يقتصر على التعليم فقط، وإنَّما على نقل العلوم والمعارف التي تلقَّتها من أبيها صلى الله عليه وآله، وزوجها عليه السلام، إذ كان للاحاديث الكثيرة التي دوَّنتها، وما اكتسبته من علمٍ خلَّفت لنا عليها السلام ما أسماه المؤرِّخون بمسند فاطمة، وكتب المؤرِّخون كتبًا بهذا العنوان، جامعِين فيه الأحاديث التي نقلتها السيِّدة فاطمة عليها السلام، عن والدها رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعض من سيرتها معه، إذ يُعتبر مصحف فاطمة عليها السلام إحدى الكرامات الإلهيَّة التي إن دلَّت على شيء، فإنَّما تدلُّ على عظمة علم السيِّدة الزَّهراء عليها السلام المتَّصل بعالم الملكوت، ويعتبر هذا المصحف مصدرًا من مصادر علوم الأئمَّة عليهم السلام، فلقد وردت الكثير من الروايات التاريخيَّة التي تشير إلى المصحف وأهميَّته، منها ما أورده صاحب كتاب بحار الأنوار[٢]، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يومًا، وكان قد دخلها حزن شديد على أبيها، فكان يأتيها جبرائيل عليه السلام يُحسن عزاءها على أبيها، ويطيِّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريَّتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام**».

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٦/ ٤١.

(٢) مجموعة مؤلِّفين، أعلام الهداية (فاطمة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة النساء): ٣/ ١٩٦.

٦. الزَّهراء عليها السلام أديبة: إنَّ ما يميِّز الزَّهراء البتول عليها السلام عن سواها، هو ذلك الإلمام بالعلوم والمعارف، وتمكنها من فنونه المختلفة، فبالإضافة إلى تمكُّنها من العلوم الدينيَّة والمعرفيَّة كافَّة، كانت قصائدها الشعريَّة حاضرةً وفي مناسبات كثيرة، معبِّرةً عن بلاغتها وتمكُّنها من علوم اللغة وفنونها، وقد جُمع الشعر المنسوب إليها في ديوان، فبلغ بين مقطوعة وقصيدة، وأغلبه في رثاء النبيّ صلى الله عليه وآله[1].

(١) الكعبي، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ص١٢٢-١٢٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على الرسول الكريم محمَّد وعلى آل بيته الطيِّبين الطاهرين، وبعد دراسة سيرة الزَّهراء عليها السلام العلميَّة تبيَّن لنا بعض النتائج التي تمَّ التوصُّل إليها من خلال البحث والدراسة، وهي:

١. تعدُّ دراسة حياة الزَّهراء عليها السلام بصورة عامَّة من أصدق الدراسات وأكثرها أهميَّة للمؤرِّخين والباحثين، كونها تمثِّل الامتداد الفكريّ والعقائديّ لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولزوجها أمير المؤمنين عليه السلام.

٢. نالت الزَّهراء عليها السلام مكانتها العظيمة في نفوس العالم أجمع، فهي بنت خاتم النبيِّين صلى الله عليه وآله الذي لم يِكل جهدًا في تربيتها وتعليمها، فأصبحت خرِّيجة بيت الوحي والنبوَّة، فتعلَّمت الكثير، وعلمت الكثير، فكانت المرآة التي تعكس المضامين المرتبطة بالرسالة الإسلاميَّة وصاحبها (عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام).

٣. أسهمت الزَّهراء عليها السلام في ترسيخ المبادئ والقيم الدينيَّة، فكانت منارًا يهتدى بها، فعلومها مختلفة ومصادرها العلميَّة عناية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، استطاعت من خلالها تغطية موضوعاتها الدينيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، وفي هذا دليل على تكامل العلوم لدى الزَّهراء عليها السلام.

٤. سلَّطت الدراسة الأضواء على الجانب العلميّ في حياة الزَّهراء عليها السلام، بالرغم

من أنَّها عليها السلام فارقت الحياة في عمر قصير، ولكنَّها باقية إلى ما شاء الله مدرسة للأجيال، يتناقل علمها جيل لآخر، فهي عليها السلام بذلك حازت تلك المكانة العلميَّة العالية، فكانت خير معلِّمة في حياتها، وساهمت في تثبيت وتدعيم قواعد الدين الإسلاميّ وأركانه.

٥. أعطت الزَّهراء عليها السلام مثالًا يُحتذى به للناس أجمع، وللمرأة خاصَّة، فكانت عليها السلام مؤثِّرة في مجالات الحياة أجمع، يستلهم من علمها ومواقفها الدروس والعِبر.

الفكر التربويّ النيِّر والتنمية البشريَّة المُستدامة في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

أ.م.د. منى محمَّد يونس
الجامعة اللبنانيَّة/ كليَّة التربية/ الفرع الأوَّل/ بيروت

ملخَّص البحث

تُعتبر التنمية البشريَّة عمليَّة مستدامة ترتكز على الإنسان، وتسعى لتطوير مهاراته، وقدراته حتَّى تمكِّنه من الوصول بمجهوده إلى الإرتقاء بنفسه ليصبح إنسانًا فعَّالًا في المجتمع، قادرًا على إحداث تغييرات جذريَّة فيه، ولا يتحقَّق هذا الأمر إلَّا بتطوير التربية والتعليم، اللَّذين اعتُبرا من الركائز الصلبة الأساسيَّة للتنمية المستدامة، إذ إنَّ نجاح التنمية في أي مجتمع يعتمد كثيرًا على نجاح القطَّاع التربويّ فيه، تُعدُّ التربية والتعليم مفاتيح للتقدُّم، ومصادر للنهضة، وأدوات للقوَّة الفكريَّة والاجتماعيَّة، خاصَّةً إذا تواجد في عمليَّة التعليم- التعلم، قدوة تاريخيَّة حسنة يَقتدي بها المتعلِّم، وتؤثِّر في شخصيَّته وتربيته.

تُعرَّف التربية بأنَّها مجموعة القيم الأخلاقيَّة المستمدَّة من القواعد الدينيَّة، والعادات الاجتماعيَّة، والتي تساهم في توجيه سلوك الأفراد داخل مجتمعهم، وتعرَّف أيضًا، بأنَّها: المؤثِّرات التي تؤثِّر على الأفراد، ضمن البيئة التي يتواجدون فيها، مثل العائلة، والمجتمع والمجال الجغرافي الذي يحيا فيه، وتلعب النمذجة فيها دورًا مهمًّا وفعَّالًا، إذ تساعد في تدعيم المبادىء الأخلاقيَّة والإنسانيَّة التي اكتسبها الأفراد.

ومن النماذج المُميَّزة في قواعدنا الدينيَّة الإسلاميَّة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها أفضل الصلاة والسلام، التي تعتبر مثالًا وقدوة في تربيتها وفكرها العقائديّ، وعلاقتها بأولادها، على الرغم من وفاتها باكرًا، لكنَّها تمتلك الفكر والأصالة والخير، ممَّا يجعل نهجها يتألَّق مدى الزَّمن، ويشهد على أهميَّة أبعاد شخصيَّتها العقائديَّة وما يترشَّح عنها من قيم وجدانيَّة ومفاهيم تربويَّة وأخلاقيَّة، ومعطيات وعظيَّة تساهم في إكساب المتعلِّم الكثير من المفاهيم التربويَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة التي يحتاجها في تطوير الكفاءات والقيم المطلوبة في عمليَّة التنمية المستدامة؛ بهدف معالجة تحدِّيات العصر والمستقبل، وإرساء حسِّ الفكر النَّقديّ المنظَّم والمُنهج، وحلِّ المشكلات وفق تحليل منطقيّ مدروس، إضافةً إلى تطوير الخبرات العلميَّة والفكريَّة والثقافيَّة عند المتعلِّمين للوصول إلى مرحلة الإبداع والابتكار. هكذا تتمظهر انعكاسات التنمية البشريَّة المستدامة في سيرة سيِّدة نساء العالمين بشكلٍ واضحٍ لا يحمل أيَّ التباسٍ، من هنا كانت فكرة هذه الدراسة التي تطرح الإشكاليَّة الآتية:

كيف يمكن غرس الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في المجتمع المدرسيّ اللبنانيّ، لاسيما عند المراهقين؟ اين سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من النظريَّات التربويَّة الحديثة؟.

ولأنَّ الإنسان محور عمليَّة التنمية المستدامة، التي تتضمَّن تنمية بشريَّة قائمة على تحسين مستوى التعليم والثقافة والرعاية الصحيَّة والرفاه الاجتماعيّ، فقد كانت سيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام غنيَّة بهذا المضمار، إذ إنَّ العوامل المحيطة بالسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، اسهمت في صقل شخصيَّتها الإنسانيَّة، والاجتماعيَّة، حيث إنَّ مسار التربية الصحيحة الذي تلقَّته من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومارسته مع الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام، والسيِّدة زينب عليها السلام، اعتمد أيضًا على تأثير العوامل الثقافيَّة، والتعليميَّة والاجتماعيَّة التي تواجدت داخل العائلة، لما لها من دورٍ مهمٍّ في تنمية شخصيَّة كلِّ فرد.

انطلاقًا من ذلك كانت هذه الدراسة؛ لتُظهر أنَّ أصحاب المبادىء، كالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لا يموتون، خاصَّةً عندما يمتلكون أفكارًا أصيلةً نابعةً من معاناةٍ فكريَّةٍ ووعيٍ حقيقيٍّ، ولسيرتهم آثار كبيرة على عملية التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحيَّة: التنمية البشريَّة، التنمية المستدامة، القدوة، التربية، التعلُّم، المواطنيَّة، البيئة، الفكر التربويّ.

السؤال الرئيس: كيف تُسهم الأبعاد الفِكْرِيَّة والعَقَائِدِيَّة وَالمُعْطَيَات الوَعْظِيَّة في خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها افضل الصلاة والسلام في تنشئة الأجيال بشكلٍ صحيحٍ، وتحقيق أهداف التنمية المستدامة؟.

أهميَّة الموضوع: تكمن أهميَّة الموضوع في:

١. تسليط الضوء على حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّها قدوة يُقتدى بها في موضوع التربية والتعليم، الذي يأتي في طليعة اهتمامات الدول على اختلاف مستوياتها.

٢. تبنِّي إستراتيجياتها الحياتيَّة ومواقفها في تفعيل التربية والتعليم، في سبيل تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

١. إيضاح أهميَّة غرس الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في المجتمع اللبنانيّ خاصَّةً، والإسلاميّ عامّةً.

٢. تبيان دور سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والنظريَّات التربويَّة الحديثة فيما يخصُّ تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

سيتمُّ اتِّباع المنهج التجريبيّ المناسب لهذه الدراسة، كما يشمل البحث عدَّة أدوات، هي:

١. الاستمارة المحكمة.

٢. نظريَّات التربية الحديثة التي تتناول دور القدوة الحسنة في التربية.

أهمُّ النقاط التي ستتناولها الدراسة:

١. مفهوم التنمية البشريَّة.

٢. فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام التربويّ والعلميّ.

٣. بناء المواطن القادر على تحقيق أهداف التنمية المستدامة انطلاقًا من نموذج صالح.

٤. دورالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في تطوير الخبرات التربويَّة والثقافيَّة والفكريَّة.

٥. تأثير الفكر العقائديّ في صناعة التغيير لبناء مستقبلٍ أفضل.

من حيث الفئة المستهدَفة من هذه الدراسة، فهي معلِّمي ومعلِّمات مادَّة الاجتماعيَّات في الحلقة الثالثة من التعليم الأساسيّ (سابع وثامن وتاسع)، في المدارس اللبنانيَّة الرسميَّة والخاصَّة.

وتفضَّلوا بقبول فائق التقدير والاحترام.

المقدِّمة

تُعتبر التنمية البشريَّة عمليَّة مستدامة ترتكز على الإنسان، وتسعى لتطوير مهاراته، وقدراته حتَّى تمكِّنه من الوصول بمجهوده إلى الإرتقاء بنفسه ليصيح إنسانًا فعَّالًا في المجتمع، قادرًا على إحداث تغييرات جذريَّة فيه، ولا يتحقَّق هذا الأمر إلَّا بتطوير التربية والتعليم، اللَّذين اعتُبرا من الركائز الصلبة الأساسيَّة للتنمية المستدامة، إذ إنَّ نجاح التنمية في أي مجتمع يعتمد كثيرًا على نجاح القطَّاع التربويّ فيه، تُعدُّ التربية والتعليم مفاتيح للتقدُّم، ومصادر للنهضة، وأدوات للقوَّة الفكريَّة والاجتماعيَّة، خاصَّةً إذا تواجد في عمليَّة التعليم- التعلم، قدوة تاريخيَّة حسنة يَقتدي بها المتعلِّم، وتؤثِّر في شخصيَّته وقيمه.

تُعرَّف التربية بأنَّها مجموعة القيم الأخلاقيَّة المستمدَّة من القواعد الدينيَّة، والعادات الاجتماعيَّة، والتي تساهم في توجيه سلوك الأفراد داخل مجتمعهم، وتعرَّف أيضًا، بأنَّها: المؤثِّرات التي تؤثِّر على الأفراد، ضمن البيئة التي يتواجدون فيها، مثل العائلة، والمجتمع والمجال الجغرافي الذي يحيا فيه، وتلعب النمذجة فيها دورًا مهمًّا وفعَّالًا، إذ تساعد في تدعيم المبادىء الأخلاقيَّة والإنسانيَّة التي اكتسبها الأفراد.

ومن النماذج المُميَّزة في قواعدنا الدينيَّة الإسلاميَّة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها أفضل الصلاة والسلام، التي تعتبر مثالًا وقدوة في تربيتها وفكرها العقائديّ، وعلاقتها بأولادها، على الرغم من وفاتها باكرًا، لكنَّها تمتلك الفكر والأصالة والخير، ممَّا يجعل نهجها يتألَّق مدى الزَّمن، ويشهد على أهميَّة أبعاد شخصيَّتها العقائديَّة وما يترشَّح عنها

من قيم وجدانيَّة ومفاهيم تربويَّة وأخلاقيَّة، ومعطيات وعظيَّة تساهم في إكساب المتعلِّم الكثير من المفاهيم التربويَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة التي يحتاجها في تطوير الكفاءات والقيم المطلوبة في عمليَّة التنمية المستدامة؛ بهدف معالجة تحدِّيات العصر والمستقبل، وإرساء حسِّ الفكر النَّقديّ المنظَّم والمُنهج، وحلِّ المشكلات وفق تحليل منطقيّ مدروس، إضافةً إلى تطوير الخبرات العلميَّة والفكريَّة والثقافيَّة عند المتعلِّمين للوصول إلى مرحلة الإبداع والابتكار.

انطلاقًا من كلِّ ذلك، كانت هذه الدراسة؛ لتُظهر أنَّ أصحاب المبادئ، كالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لا يموتون، خاصَّةً عندما يمتلكون أفكارًا أصيلةً نابعةً من معاناةٍ فكريَّةٍ ووعي حقيقيّ، ولسيرتهم آثارٌ كبيرة على عمليَّة التنمية المستدامة، لذا نطرح السؤال الآتي:

- كيف تُسهم الأبعاد الفِكْرِيَّة والعَقَائِدِيَّة وَالمُعْطَيَات الوَعْظِيَّة في خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها أفضل الصلاة والسلام، في تنشئة الأجيال بشكلٍ صحيحٍ، وتحقيق أهداف التنمية المستدامة؟.

ولأنَّ الإنسان محور عمليَّة التنمية المستدامة، التي تتضمَّن تنمية بشريَّة قائمة على تحسين مستوى التعليم والثقافة والرعاية الصحيَّة والرفاه الاجتماعيّ، فقد كانت سيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام غنيَّة بهذا المضمار، إذ إنَّ العوامل المحيطة بالسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، أسهمت في صقل شخصيَّتها الإنسانيَّة، والاجتماعيَّة، حيث إنَّ مسار التربية الصحيحة الذي تلقَّته من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومارسته مع الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام، والسيِّدة زينب عليها السلام، اعتمد أيضًا على تأثير العوامل الثقافيَّة، والتعليميَّة والاجتماعيَّة التي تواجدت داخل العائلة، لما لها من دور مهم في تنمية شخصيَّتها، فشكَّلت نموذجًا تربويًّا وإنسانيًّا مميَّزًا ليتمَّ صقل الفكر الإنسانيّ ببناءٍ منهجيٍّ لاكتشاف التَّفاعل مع البيئة المجتمعيَّة، و ما يترتَّب عليها من نظمٍ تربويَّةٍ، وذلك بالتَّفاعل مع المكوِّنات الاجتماعيَّة.

انطلاقًا من ذلك تُعدُّ التنمية الاجتماعيَّة والإنسانيَّة عبر التعلم بالنمذجة أساسيَّة في عملية التنمية المستدامة، وأولويَّة لتطوُّر الدول، لاسيما رفع المستوى التعليميّ لأعلى درجاته، وهذا هو جوهر بحثنا (الفكر التربوي النيِّر والتنمية البشريَّة المُستدامة في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام)، مع الإشارة إلى أنَّ المناهج في لبنان تسعى إلى تحقيق هدفَين رئيسَين، هما:

١. بناء شخصيَّة الفرد بحيث «تراعى في تكوينه الشخصيَّة القادرة على تحقيق الذات، وتحمُّل المسؤوليَّة، والالتزام الأخلاقيّ، والتعامل مع الآخرين بروح المواطنة المسؤولة، والمشاركة الإنسانيَّة»[١]، وذلك من خلال تنمية كافَّة جوانب الشخصيَّة الإنسانيَّة (المعرفيَّة، المهاراتيَّة/ الحركيَّة، والعاطفيَّة).

٢. الانفتاح على المجتمع، وذلك لجهة «المشاركة في العمل الاجتماعيّ والسياسيّ، ضمن إطار النظام اللبنانيّ الديموقراطيّ البرلمانيّ، وهذا حقٌّ للمواطن، وواجب عليه تجاه مجتمعه ووطنه»[٢].

أمَّا **أهمية هذه الدراسة**، فتتجلَّى في:

١. تسليط الضوء على حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّها قدوة يُقتدى بها في موضوع التربية والتعليم، الذي يأتي في طليعة اهتمامات الدول على اختلاف مستوياتها.

٢. تبنِّي إستراتيجيَّات السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الحياتيَّة، ومواقفها في سبيل تحقيق أهداف التنمية البشريَّة.

---

(١) منشورات المركز التربويّ للبحوث والإنماء، ١٩٩٧، أمال وهيبة: ٤٠.

(٢) المركز التربويّ، م.س: ٣.

المحور الأوَّل

الإطار المنهجيّ

أهمُّ النقاط التي ستتناولها الدراسة:

١. مفهوم التنمية البشريَّة.

٢. فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام التربويّ والعلميّ.

٣. بناء المواطن القادر على تحقيق أهداف التنمية المستدامة، انطلاقًا من نموذج صالح.

٤. دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في تطوير الخبرات التربويَّة والثقافيَّة والفكريَّة.

٥. تأثير الفكر العقائديّ في صناعة التغيير لبناء مستقبلٍ أفضل.

أوَّلًا: منهجيَّة البحث

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. تبيان التشابك الواضح في الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وممارساتها العمليَّة، ممَّا يخدم أهداف التنمية المستدامة.

٢. إيضاح أهميَّة غرس الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ للاستفادة منه في إكساب أهداف التنمية المستدامة.

٣. تهيأة المناخات المعرفيَّة المناسبة لكشف الأدلَّة العقليَّة والنقليَّة التي تثبت النقاء

الروحيّ لهذه الشخصيَّة، والكمالات النفسيَّة التي تتمتَّع بها، حتَّى صار فعلها مرآةً للحقِّ، وترجمةً للقيم، وامتثالًا لإرادة السماء، ما يجعلها النموذج النورانيّ الأنسب في العمليَّة التعلُّميَّة التعليميَّة.

الإشكاليَّة:

تعدُّ سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام غنيَّة جدًّا ومُلهمة كثيرًا للباحثين والمتعلِّمين، وتفتح بابًا فكريًّا وتربويًّا كبيرًا أمامهم، عندما يُحسن الباحث في التعمُّق بتجاربها الحياتيَّة، ممَّا يُساعد في إيجاد إجابات للكثير من التساؤلات، ويناقش بها، هكذا تتمظهر انعكاسات التنمية البشريَّة المستدامة في سيرة سيِّدة نساء العالمين بشكلٍ واضحٍ لا يحمل أيَّ التباسٍ، من هنا كانت فكرة هذه الدراسة التي تطرح الإشكاليَّة الآتية:

١. اين سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من النظريَّات التربويَّة الحديثة؟.

٢. كيف يمكن غرس الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في المجتمع المدرسيّ العربيّ والإسلاميّ، لاسيما عند المراهقين؟.

الفرضيَّات:

بناءً على الأسئلة التي تضمَّنتها الإشكاليَّة، وُضِعت الفرضيَّات الآتية:

١. تخدم سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام النظريَّات التربويَّة الحديثة، لاسيما نظريَّة دور النمذجة في عمليَّة التعليم/ التعلُّم.

٢. لا يعرف الكثير من المعلِّمين في عالمنا العربيّ أهميَّة الإضاءة على الجوانب الحياتيَّة والفكريَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

٣. مفهوم التعليم بالنمذجة وأهميَّته في التنمية المستدامة غير واضح عند معلِّمي مادَّتَي التاريخ والجغرافيا في بعض المدارس الخاصَّة والرسميَّة في لبنان.

أدوات الدراسة ومراحلها:

بهدف تأطير الدراسة ووضعها داخل إطار سوسيولوجيّ، يرتكز على مجتمع المدرسة عن طريق اعتماد المنهج التحليليّ المناسب لهذه الدراسة، حيث شملت عيِّنة بحث تتضمَّن مدرِّسين ومدرِّسات في ١٠٠ مدرسة رسميَّة، وخاصَّة في الحلقة الثالثة من التعليم الأساسيّ في محافظَتَي الجنوب والبقاع، وبعلبك الهرمل في لبنان. كما تمَّ جمع المعلومات من قراءة عدَّة كتب ودراسات، وعن طريق استمارة رأي وزِّعت للمعلِّمين والمعلِّمات عبر (Google Drive)، بعد التأكُّد من صدقها وثباتها، كما تمَّ أخذ النتائج بواسطة رسوم بيانيَّة مختلفة الأشكال، من البرنامج عينه.

وبناءً على ما سبق، اعتمدت الدراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ في عرض نتائج البحث الميدانيّ، ولتحقيق ذلك، تمَّ اتِّباع المراحل الآتية:

١. مرحلة التشخيص، أي سبر التصوُّرات السابقة في المعرفة لدى المعلِّمين حول سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها أفضل الصلاة والسلام.
٢. مرحلة معالجة نتائج الاستمارات إحصائيًّا؛ وتحليل إجابات المعلِّمين والمعلِّمات.
٣. مرحلة استخلاص الاستنتاجات ووضع الاقتراحات.

المحور الثاني

الإطار النظريّ

يشمل هذا المحور تعريفات وتوضيحات لبعض المصطلحات والمفاهيم العلميَّة التي مرَّت في البحث، إضافةً إلى الدراسات السابقة التي تناولت مواضيع قريبة من موضوعه.

١. مصطلحات البحث

يتضمَّن هذا البحث عدد من المصطلحات والمفاهيم التي يجب توضيحها قبل البدء بالتعمُّق في دراسة حدود تعليم مواد الاجتماعيَّات؛ وذلك لأهميَّتها في توجيه هذا البحث بشكلٍ سليم. وأهمُّ هذه المصطلحات والمفاهيم:

* **التعلم بالنمذجة**: هي إحدى نظريَّات التعلُّم التي تهدف إلى فهم أفضل وأعمق لسلوكيَّات الأفراد، ويتمُّ الاعتماد عليه في نقل فكرة أو سلوك معيَّن، أو خبرات إلى فرد أو مجموعة أفراد، وتوظيفها في المواقف الحياتيَّة المختلفة، وخاصَّة المواقف التربويَّة والاجتماعيَّة، ومحاولة كسب الفرد لأنماط سلوكيَّة جديدة من خلال مواقف تحدث أمامه[1].

* **التنمية البشريَّة (Human Development)**: يقصد بها (التنمية الإنسانيَّة)، ويمكن تعريفها على أنَّها تطوُّر الأشخاص، واستغلال نقاط القوَّة لديهم؛ لتحسين مستويات الحياة الاجتماعيَّة والإنسانيَّة والاقتصاديَّة، من حيث تحفيز الإنسان وتعليمه

(1) www.almrsal.com.

كيفيَّة استثمار العناصر المتاحة من وقتٍ ومالٍ وجهدٍ وعلاقات، لتطبيق نظريَّة التطوُّر الاجتماعيّ[1].

* **التعليم**: عمليَّة إكساب الفرد المعارف والمعلومات والمهارات المتنوِّعة بهدف إحداث تغيير في السلوك والمواقف والقيم، وتحويل الإنسان إلى كائن مُنتِج في المجتمع، مع العلم أنَّ التعليم يساهم في تطوير هذا الكائن، كما أنَّه يودِّي دورًا مهمًّا في سير عمليَّة التنمية المستدامة، ويحرِّر الفرد من العبوديَّة[2] والجهل والفقر.

* **المواطنة**: هي لفظ مشتق من واطن، فترتبط بالشعب، مبتعدة عن القبيلة التي كانت رابطة توحِّد الجماعة قديمًا، لتشمل جميع المواطنين المرتبطين بالدولة جمعًا روحيًّا وماديًّا، والذين يدينون بالولاء لهذه الدولة وأنظمتها وقوانينها.

* **القدوة**: هو الشخص الذي يتَّخذه إنسان مثلًا أعلى في حياته، ويقوم بالسَّير على خطاه في الحياة، ويقوم بتقليد جميع أعماله الحسنة، ويعدُّ سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وآله هو قدوة الأمَّة الإسلاميَّة بكاملها، وهو القدوة الحسنة لنا جميعًا بكاملها، وهو القدوة الحسنة لنا جميعًا، لذلك يجب علينا أن نقوم باتِّباعه في كافَّة الأمور[3].

* **الفكر التربويّ**: تعتبر دراسة آراء المفكِّرين الخاصَّة بالعمليَّة التعليميَّة وأهدافها وفلسفتها ووسائلها، ويتم ذلك من خلال المفاهيم والمعاني والأسس النظريَّة بشكل مجرَّد عن الواقع التربويّ، أو يتمّ من خلال آراء وتصوُّرات العاملين في مجال التربية والتعليم[4].

* **التربية التكوينيَّة**: تعتمد على تزويد المتعلِّم بمجموعة من المعارف والمهارات

(1) www. hbrarabic.com.
موقع جامعة هارفرد هارفارد بزنس ريفيو. تمَّ الاطِّلاع في: ١٣-٩-٢٠٢١.
(٢) ابن منظور، ١٩٧٢، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
(3) www.mosoah.com.
(4) mobt3ath.com/dets.php.

والقيم والمواقف، ثمَّ إنَّ المعارف نفسها لا تقتصر على فهم المعلومات أو التعريفات، بل تمتدُّ إلى تحليلها وتطبيقها وتقييمها وتوليفها، بالاعتماد على مفهوم التكنولوجيا كأسلوب تفكير خاص(١).

* **مواد الاجتماعيَّات**: المقصود بها وفق المنهج اللبنانيّ (التاريخ، والجغرافيا، والتربية الوطنيَّة، والتنشئة المدنيَّة)، أي المواد التي تساهم في بناء شخصيَّة المتعلِّم، بمختلف أبعادها الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والبيئيَّة. (طرائق تدريس وأساليب تقييم مواد الاجتماعيَّات(٢).

* **التعميم العلميّ**: هو جملة أو عبارة تربط بين مفهومَين أو أكثر على أساس العلاقة المشتركة بينهما(٣).

* **مفاهيم وجدانيَّة**: وتتضمَّن مفاهيم ترتبط بالمشاعر والقيم، مثل مفاهيم: الانتماء، المسؤولية، الشجاعة.

* **المنهج الخفيّ**: يُعرف بعدَّة أسماء، منها المنهج الصامت، أو المستتر، أو الضمنيّ، أو غير الرسميّ، أو المنهج المغطَّى. أمَّا مفهومه، فهو المنهج المتكوِّن من السلوك، والقيم، والمعاني التي يكتسبها المتعلِّم من غير تخطيط لها، أي عبارة عن مجموعة المفاهيم والعمليَّات العقليَّة والاتِّجاهات والقيم والسلوكيَّات التي يلتقطها من خارج المنهاج الرسميّ، بطريقة عفويَّة، ودون إشراف، وذلك نتيجة تفاعل المتعلِّم مع زملائه ومعلِّميه والإداريِّين في المدرسة، ومن خلال الأنشطة غير الصفيَّة، وبالملاحظة والقدوة(٤).

---

(1) www.crdp.gov. (12-8-2019).

(٢) الجمهوريَّة اللبنانيَّة (١٩٧١)، تحديد مناهج التعليم في مواد الاجتماعيَّات، مرسوم رقم ٢١٥١٠، تاريخ ٤-٨-١٩٧١.

(3) Alain Rey (1979), la terminolo‌ie: Noms et notions. que suis-je. PUF., Paris, P. 38.

(٤) الأشقر، ٢٠١٤، مجلَّة رأي:

www.alrai.com/article.

كما يمكن أن يكون المنهج الخفيّ أبعد أثرًا في تكوين شخصيَّة المتعلِّمين من المناهج الدراسيَّة الأكاديميَّة نفسها، لاسيما في مواد الاجتماعيَّات، وسبب ذلك المكانة التي بتمتَّع بها المدرِّس، ممَّا يجعله مقرَّبًا منه، وأهلًا للثقة، فتتلقَّى منه هذه القيم والتوجُّهات من غير مساءلة في كثير من الأحيان، خاصَّة حين يكون المعلِّم على قناعة كبيرة بمبدأ معيَّن، وداعيًا نشيطًا لما يعتقده[١].

* **المعرفة**: هي الإدراك والوعي، والتَّجربة، وفهم الحقائق، وجمع المعلومات، والتَّوصُّل إلى نتائج، والقدرة على تفسيرها[٢]. وتتكوَّن عن طريق التَّأمُّل والتَّفكُّر في كلِّ الموضوعات المحيطة بالانسان، كما تعتبر رغبة فطريَّة في البحث عن خفايا الأمور، واكتشاف غموضها؛ كي ترقى بصاحبها إلى أعلى الدَّرجات، فحصلت المعرفة في الآونة الأخيرة على مكانة متميِّزة؛ لأنَّها باتت عصب التطوُّر والتقدُّم في كافَّة نواحي الحياة[٣].

* **الإيديولوجيا**: هي علم الأفكار، وتُطلق أيضًا على علم الاجتماع السياسيّ تحديدًا، وتُعرَّف بأنَّها نسق من المعتقدات والمفاهيم (واقعيَّة وعياريَّة)، تسعى إلى تفسير ظواهر اجتماعيَّة معقدَّة، من خلال منطق يوجِّه، ويبسط الأفكار[٤].

---

(١) العزَّاويّ، فائزة محمَّد فخري، (٢٠٠٦)، المنهج الخفيّ فلسفته وتطبيقاته التربويَّة، جامعة بغداد، مجلَّة البحوث النفسيَّة، العدد ٩-١٠: ٥٣.

(2) www.hyatok.com.(12-8-2019)

(٣) المرونيّ، المكِّيّ، (١٩٩٣)، البيداغوجيا المعاصر وقضايا التعليم النظاميّ، كليَّة الآداب، الرباط: ١١٠.

(٤) هوكس، ديفيد، (٢٠٠٠)، ترجمة إبراهيم فتحي، الإيديولوجيَّة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر: ٣.

٢. الدراسات السابقة

أ. فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللَّحد:

نشرت مؤسَّسة الوفاء، في بيروت، لبنان، في الكتاب الثاني، من تأليف السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ في كربلاء، العراق، دراسة كاملة في رحاب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام سنة ١٩٨٤، وتناول الكتاب الكثير من الأحداث والمواقف التي تتعلَّق بحياة سيِّدة نساء العالمين، فأوردها الكاتب بشكل يسهل قبوله، ولا يعسر على العقول هضمه، ولا يصعب على النفوس تحمُّله، فعرض التطوُّر الفكريّ والثقافيّ والاجتماعيّ والبيئيّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وذَكَر الكثير من الوقائع والأحاديث حول ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، سواء من حيث دفاعها عن قدسيَّة الإمام أمير المؤمنين، وحول قانون الوراثة، وأحاديث حول الانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وحياتها ونشأتها، وتأثُّرها بوفاة السيِّدة خديجة الكبرى، إلى مشاكلها في دار أبيها، وزواجها من أمير المؤمنين عليه السلام، إلى خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام المعجزة، إلى أخلاقيَّاتها في كرامة الأنسان وبرِّ الوالدين، إلى عيادة النساء للزَّهراء عليها السلام، انتهاءً بتألُّمها من المصائب التي عانى منها أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ب. مقرَّر طرائق تدريس وأساليب تقييم مواد الاجتماعيَّات:

تمَّ إعداد هذا المقرَّر من قبل الهيأة الأكاديميَّة المشتركة في المركز التربويّ للبحوث والإنماء في أيلول ٢٠١٠، والهدف منه دراسة العلاقة بين مواد الاجتماعيَّات الثلاث (التاريخ، الجغرافيا والتربية الوطنيَّة، والتنشئة المدنيَّة)، وفق المنهج اللبنانيّ، ومجالات تقييمها.

وتوصَّل المقرَّر إلى النتائج الآتية:

١. تأثير تعليم مواد الاجتماعيَّات على بناء شخصيَّة المتعلِّم، وتنمية مهاراته وقدراته على مختلف أبعادها.

٢. أهميَّة تنفيذ نشاطات مختلفة تُحتسَب في أساليب التقييم في هذه المواد، وعدم الاكتفاء بالتقييم التقريريّ فقط.

٣. أهميَّة تنفيذ الدعم المدرسيّ، وطريقة إعداد بطاقات الدعم.

٤. آليات الترفيع وفق المنهج اللبنانيّ.

ج. فاطمة الزَّهراء عليها السلام: وتر في غمد:

نشرت مؤسَّسة الوفاء، في بيروت، لبنان، الكتاب الذي حاز على الجائزة الأولى في مسابقة التأليف عن الصدِّيقة الزَّهراء في النجف الأشرف، من تأليف سليمان كتَّاني ابن (بسكنتا) الضيعة اللبنانيَّة الجبليَّة، الطبعة الثانية، كتاب أدبيّ كامل في رحاب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام سنة ١٩٨٣، وتناول الكتاب الكثير من المواضيع انطلق بها من رأي القرآن في المرأة، والحياة الزوجيَّة، وسردَ بشكلٍ موجز عن حياة قارورة الطِّيب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وعن دورها كأمٍّ أبيها، ثمَّ استطرد في دراسته عن تاريخ هذه المرأة العظيمة ورهافتها، وبلاغتها، وصدمتها، ودمعتها، وسكونها، ودور السيِّدة عائشة مع السيِّدة فاطمة عليها السلام، وخطابها في باحة المسجد، وبطولتها، وفدكها، ودورها في المطالبة بالإمامة.. والحديث يطول في الكتاب حول ارتباط التاريخ بأمِّ الحسنين، وهكذا اتَّشحت زهرة الفؤاد عليها السلام بقدسيَّة هذا الرباط، هالة اتَّشحت بها إزارًا من نبوَّة، وإزارًا من أمومة، وإزارًا من إمامة.

د. منشورات منظَّمة الأمم المتَّحدة للتربية والعلم والثقافة: التعليم من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة:

نشرت منظمة الأمم المتَّحدة للتربية والعلم والثقافة دراسة حول أهداف (التعليم من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة) سنة ٢٠١٧، وذلك ضمن خطَّة التعليم ٢٠٣٠، والهدف منه تشخيص واقع التعلُّم في العالم، والحثّ على التعلُّم والتعليم؛ لما له من فائدة في تطوُّر المجتمعات وارتقائها، وتحقيق فوائد قوميَّة ودوليَّة مهمَّة.

وتوصَّلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. إنَّ بناء عالم أكثر استدامة ومعالجة القضايا المتَّصلة بالاستدامة التي أوردتها أهداف التنمية المستدامة يتطلَّب من الأفراد الإسهام في إحداث التغيير الضروريّ لتحقيق الاستدامة. ومن أجل ذلك، يتعيَّن مدُّهم بالمعارف والمهارات والقيم والمواقف التي تمكِّنهم من الإسهام في التنمية المستدامة.

٢. يساهم التعليم في تحقيق التنمية المستدامة؛ لأنَّه يساعد الدارسين من اتِّخاذ قرارات مستنيرة، والتصرُّف على نحوٍ مسؤول لضمان سلامة البيئة، والاستدامة الاقتصاديَّة، وعدالة المجتمع.

٣. تقدِّم الدراسة الإرشادات للقارئ بشأن الاستعانة بالتعليم، ولاسيَّما التعليم عن بُعد، لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

٤. تبيِّن هذه الدراسة أهداف التعلُّم، كما يورد موضوعات مقترحة وأنشطة تعزِّز عمليَّة التعلُّم في ما يتَّصل بكلِّ واحد من أهداف التنمية المستدامة، كما يوضِّح عمليَّات التنفيذ على شتَّى المستويات، بدءًا بتصميم المساقات، وصولًا إلى وضع الإستراتيجيَّات الوطنيَّة.

هـ. التنمية المستدامة: دراسة نظريَّة في المفهوم والمحتوى

نشرت مجلَّة المنارة الثقافيَّة، في مجلَّد رقم ١٢، في العدد ١، دراسة حول التنمية المستدامة (دراسة نظريَّة في المفهوم والمحتوى) سنة ٢٠٠٦، من إعداد ماجدة أبو زنط، وعثمان غنيم، وتناولت الدراسة علاقة التنمية المستدامة بالتطوُّر الفكريّ والثقافيّ والاجتماعيّ والبيئيّ.

وقد توصَّلت الدراسة إلى أنَّ التنمية المستديمة هي أسلوب حياة، ونمط معيشة، تحكمه أطر أخلاقيَّة إنسانيَّة، إلى جانب أنَّها نمط تنموي يمتاز بالعقلانيَّة والرشد،

ويسعى إلى خلق مجتمع أقل ميلًا للنزعة الماديَّة من تغيير كثير من المفاهيم الثقافيَّة السائدة التي تقوم على مبدأ الأكثر هو الأفضل في جوانب الحياة المختلفة.

و. الفكر التربويّ الإسلامي المعاصر: مفاهيمه ومصادره وخصائصه وسبل إصلاحه:

نشرت وزارة الثقافة الأردنيَّة بالتعاون مع المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، سنة ٢٠٢٠ هذا الكتاب، وهو من تأليف الأستاذ الجامعيّ الدكتور السيِّد محمَّد حسن ملكاوي، الذي حصل على دكتوراه في التربية العلميَّة وفلسفة العلوم، من جامعة ولاية ميشيغان الأمريكيَّة. ويعمل حاليًّا باحثًا في المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، وهو عضو مجمع اللغة العربيَّة الأردني.

وتناول الكتاب الفكر التربويّ الإسلاميّ، والتربية الإسلاميَّة، والتربية بشكلٍ عامٍّ، وتطرَّق إلى أنَّ المعلومات التي تصل للأجيال الجديدة تتناول أمرَين: أحدهما التوجيهات التربويَّة في القرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة، وثانيهما التراث التربويّ الإسلاميّ، وهما مصدران عظيمان لا مجال للتقليل من شأنهما، لكنَّ قليلًا من هذه الكتابات تناول حضور تلك التوجيهات في الفكر التربويّ المعاصر، ومعظم السائد من الفكر التربويّ والممارسات التربويَّة المعاصرة في مجتمعاتنا العربيَّة والإسلاميَّة أتت من بيئات خارجيَّة بعيدة عن مجتمعاتنا، ونشأت وتطوَّرت بعيدًا عن حضور الرؤية الإسلاميَّة؛ الأمر الذي يستدعي إعمال هذه الرؤية في التحليل النقديّ لهذه الخبرات، وتمييز ما يصلح منه لمجتمعاتنا الإسلاميَّة، ويُسهم في إغناء الحضارة المعاصرة وترشيدها، لاسيما في ما يخصُّ النظريَّات التربويَّة.

أسهم هذا الكتاب في معالجة هذه الرؤية، معتمدًا منهجيَّة التكامل المعرفيّ في بناء صورة للفكر التربويّ الإسلاميّ المعاصر، في مفاهيمه، ومصادره، وخصائصه، وموضوعاته، ومشكلاته، وسُبل إصلاحه.

المحور الثالث

الإطار التحليليّ (نتائج تحليل الاستمارة)

يشمل هذا المحور عدَّة خطوات، وعدَّة مراحل، كان لا بدَّ من اتِّباعها بعد أن تمَّ الارتكاز بشكلٍ أساسيّ على المنهج التحليليّ، وجدولة وتحليل البيانات باستخدام البرنامج الإحصائيّ الإلكترونيّ[1]. وقد تمَّ اعتماد مسار يتألَّف من عدَّة مراحل، حيث شملت الاستمارة تعريفًا بطريقة النمذجة والتنمية البشريَّة، كما أضاءت على مكانة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّها من أشرف الناس، كونها تميَّزت بقوَّة شخصيَّة وذكاء وعلم واسع وكرامة وقداسة ورعاية وعناية من رسول الإسلام محمَّد صلى الله عليه وآله، بالإضافة إلى ما كانت عليه من إنسانيَّة وعاطفة أخَّاذة وثقة بالنفس، وكفاها فخرًا أنَّها تربَّت في مدرسة النبوَّة، وتخرَّجت من معهد الرسالة، وتلقَّت عن أبيها الرسول الأمين صلى الله عليه وآله ما تلقَّاه عن ربِّ العالمين، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّها تعلَّمت في دار أبويها ما لم تتعلَّمه طفلة غيرها على سطح الأرض.

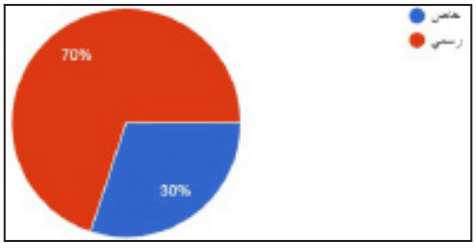
وهكذا صارت الزَّهراء البتول صورة الإنسانة الكاملة التي يتأنسن بتقديَّسها المؤمنون، انطلاقًا من ذلك اعتُبِرت نموذجًا صالحًا يمكن أن يُعتمَد في طرح أسئلة الاستمارة، ويساعد الاطِّلاع على سيرة حياتها في تنفيذ طريقة التعلُّم بالنمذجة؛ لتعزيز التنمية البشريَّة في مادَّتَي الجغرافيا والتاريخ في الحلقة الثالثة، وقد تناولت الدراسة ما يأتي:

(١) د. يوسف عبد الأمير طباجة (٢٠٠٧)، منهجيَّة البحث تقنيات ومناهج، لبنان، دار الهادي.

١. بالنسبة للاستمارة:

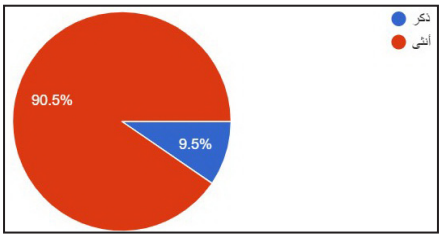
تمَّ توزيع الاستمارات عبر (Google Drive) على ١٠٠ معلِّم ومعلِّمة لمادَّتي التاريخ والجغرافيا في الحلقة الثالثة من التعليم الأساسيّ في محافظات البقاع والجنوب والنبطيَّة وبعلبك- الهرمل. وقد أجاب على الاستبيان ٩٢ معلِّمًا ومعلِّمة من المحافظات المذكورة سابقًا، وقد تمَّ تحليل الاستبيان عبر (Excel)، وإنزالها من خلال جداول إحصائيَّة ورسوم بيانيَّة، فكانت النتائج كما يأتي:

الرسم البيانيّ رقم (١): توزع الأساتذة الذين أجابوا على الاستبيان بين مدارس القطاع العام والقطاع الخاص



أجاب (٧٠٪) من أساتذة القطّاع الرسميّ على الاستبيان، بينما بلغت نسبة أساتذة القطاع الخاص حوالي (٣٠٪)، وذلك يعود إلى حريَّة إبداء الرأي من قبل المعلِّمين في القطاع العام أكثر منه في القطاع الخاص، ويعود ذلك إلى فرض بعض المدارس الخاصَّة في لبنان لإيديولوجيَّتها على أساتذتها، ما يسبِّب خوفهم من الإجابة على موضوع يطرح فكرًا تربويًّا وعقائديًّا دينيًّا، حتَّى أنَّ هناك عدد من المدارس الخاصَّة يُعتبر علمانيًّا، ويرفض ممارسة المعتقدات الدينيَّة أو الإشارة لها داخل حرم المدرسة.

الرسم البيانيّ رقم (٢): توزع أساتذة مادَّتي التاريخ والجغرافيا الذين أجابوا على الاستبيان بين الذكور والإناث



يدل ارتفاع عدد الإنـاث المجيبات على الاستبيان إلى (٥ ,٩٠٪) على اهتمام المعلِّمات بسيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وإعجابهم بطريقة عيشها وتفانيها في العطاء لعائلتها ومجتمعها ودينها، وربطهم أهداف التنمية البشريَّة بذلك، وجعلها نموذجًا يُحفِّز المتعلِّمين للتعلُّم والتماثل بها، رغم الظروف الاقتصاديَّة الصعبة التي يعاني منها لبنان في هـذه الفترة، ما يجعل عمليَّة التعليم- التعلُّم لهـذه المـواد وغيرها محدودًا.

٢. بالنسبة للقسم الثاني من الاستبيان الذي يتساءل عن تعليم مادَّتي التاريخ والجغرافيا:

من حيث تعليم مـادَّتي التاريخ والجغرافيا، أظهر الاستبيان أنَّ حـوالي (٩٥ ٪) من الأساتذة يؤيِّدون تدريس الأهـداف التعلميَّة في مـادَّتي التاريخ والجغرافيا عبر طريقة النمذجة، كما يظهر الجدول رقم (٢)، كما شملت أسئلة الاستمارة آراء الأساتذة حول اطِّلاعهم على حياة سيِّدة النور فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فكانت إجابة (٥ ,٩٠ ٪) إيجابيَّة، بينما حوالي (٥ ,٩٪) منهم غير مطَّلعين على حياة هذا النموذج النورانيّ، ما يدفعنا إلى الاستنتاج بأنَّ الأهـداف المرتبطة بالتنمية البشريَّة المتوفِّرة في منهجَي مادَّتي التاريخ والجغرافيا في الحلقة الثالثة، قد يكون التعليم بالنمذجة وأهميَّته واضحًا عند معظم معلِّمي هاتَين المادَّتين.. ورغم الإعجاب بهذه الطريقة وبالسيِّدة فاطمة الزَّهراء، يدفعنا التنوُّع الطائفيّ والمذهبيّ بين التلامذة والأهالي والإدارات، وتوجُّه بعض المدارس إلى الابتعاد عن صبغ توجُّهاتها بصبغة معيَّنة.. تدفع إلى عدم الارتكاز على فكر السيِّدة الـزَّهـراء.. أو أي شخصيَّة إسلاميَّة أو مسيحيَّة.

الجدول رقم (٢): تعليم أهداف مادتي التاريخ والجغرافيا

السؤال	النسبة المئويَّة (٪)	
	نعم	كلا
هل تعتمد (ي) طريقة التعلم بالنمذجة (أو التعلُّم الاجتماعي) في تدريس مادَّة التاريخ أو الجغرافيا أو كلاهما؟	٧٧	٣٣
برأيك، هل يمكن تعليم الأهداف في منهاج مادَّتي التاريخ أو الجغرافيا في الحلقة الثالثة بطريقة التعلُّم بالنمذجة (أي طريقة التعلم الاجتماعيّ)؟	٩٥	٥
برأيك، هل تتقاطع إستراتيجيَّات تدريس مادَّتي التاريخ والجغرافيا في صفوف الحلقة الثالثة مع النشاطات المطلوبة لتحقيق التنمية البشريَّة وتطوير الذات عند المتعلم؟	٦٥	٣٥
هل تعتبرها (ي) حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله نموذجًا يُحتذى به ويساعد في اكتساب الأهداف المهاراتيَّة والوجدانيَّة أثناء عملية التعليم- التعلُّم في مادَّتي التاريخ والجغرافيا؟	٩٨	٢
برأيك، هل يعزِّز الاطِّلاع على سيرة حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في تحقيق المواطنة؟	٩٥	٥

يتبيَّن لنا من خلال إجابات المعلِّمين أنَّ (٣٣٪) لا يدرسون مادَّة التاريخ أو

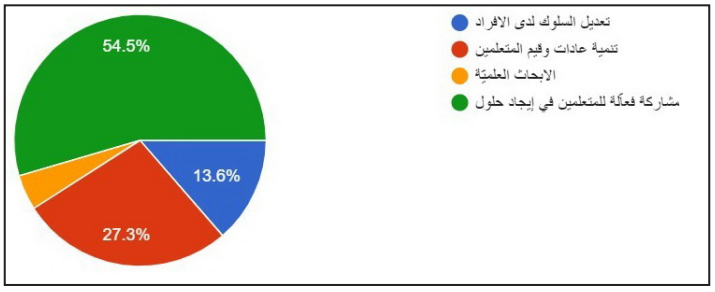
الجغرافيا أو كلاهما بطريقة التعلُّم بالنمذجة (أو التعلُّم الاجتماعيّ)، كما يُظهر الجدول رقم (٢)، وهذا يدلُّ على عدم اطِّلاعهم على جميع الإستراتيجيَّات الحديثة المتَّبعة في عمليَّة التعليم- التعلُّم، خاصَّةً للأهداف المتعلِّقة بالتنمية البشريَّة، مع أنَّ الأكثريَّة من الأساتذة (٧٧٪) أشارت إلى اعتمادها، لكن دون ذكر النماذج التي تتمُّ الإضاءة عليها، لتحقيق التربية التكوينيَّة، ويمكن القول بأنَّ قسم من المعلِّمين لا زالوا يعتمدون الطرائق التقليديَّة في عرض هذه الأهداف، دون اعتماد محفِّزات في تدريس التاريخ مثل لعب الأدوار ورواية القصص.. أو الاكتفاء باستثمار مستندات الكتاب فقط في تعليم الجغرافيا، ما يدفع إلى الاستنتاج بأنَّ الأهداف المرتبطة بالتنمية البشريَّة، والإضاءة على جوانب حياة السيِّدة النورانيَّة فاطمة الزَّهراء عليها السلام لا يكتسبها المتعلِّم إلَّا إذا أحسن المعلِّم شرحها وتوضيحها عبر الإضاءة على حياتها من خلال قراءة القصص، أو عرض فيديو حول هذا الموضوع، وربط المعلومات بأهداف التنمية البشريَّة وأبعادها، لتحقيق مفهوم التربية التكوينيَّة، والوصول إلى التعاميم العلميَّة المختصَّة بالتنمية البشريَّة.

أمَّا السؤال حول اعتبار حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله نموذجًا يُحتذى به، ويساعد في اكتساب الأهداف المهاريَّة والوجدانيَّة أثناء عملية التعليم- التعلُّم في مادَّتي التاريخ والجغرافيا في ما يخصُّ التنمية البشريَّة، فقد أكد (٩٨٪) من المعلِّمين والمعلِّمات هذا الأمر، وتطرَّقوا في الأسئلة المفتوحة في القسم الأخير من الاستبيان إلى أنَّه يمكن تطبيق ما يكتسبه المتعلِّم من حياة سيِّدة نساء العالمين في كافَّة جوانب حياته، إذ إنَّ سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء بنت محمَّد، غنيَّة بالتجارب والمواقف، رغم وفاتها بسنٍّ صغير، لكونها تحذو حذو أبيها في كلِّ كمال، حتَّى قالت عنها أمُّ المؤمنين عائشة: «ما رأيت أحدًا من خلق الله أشبه حديثًا وكلامًا برسول الله من فاطمة»، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبَّلها ورحَّب بها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحَّبت به وأخذت بيده فقبَّلتها. إنَّها الأخلاق التي وجب تعليمها للأجيال

الجديدة، كونها تحاكي المبادئ الأساسيَّة في الأخلاق والاحترام المتبادَل بين أفراد العائلة وأفراد المجتمع، من هنا نعرف أهميَّة التمثُّل بالأهل، واعتبارهم نموذجًا أساسيًّا في حياة الأولاد؛ لأنَّ الأهل بذلك يساعدون أولادهم في جعلهم مواطنين صالحين يعيشون بشكلٍ لائق، وهذا ما أكَّدت عليه الأهداف الأساسيَّة للتنمية البشريَّة، ألا وهي أن يحيا الناس حياة مديدة وصحيَّة، وأن يتمتَّعوا بحقوق الإنسان إلى الحدِّ الأقصى الممكن، وأن يتمتَّعوا بمستوى لائق من المعيشة[1].

عند السؤال عن كيفيَّة مساهمة تعليم الاجتماعيَّات بطريقة التعلُّم بالنمذجة في تحقيق أهداف التنمية البشريَّة، جاءت النتائج كالآتي.

الرسم البياني رقم (٣): كيفيَّة مساهمة تعليم الاجتماعيات بطريقة التعلم بالنمذجة في تحقيق أهداف التنمية البشرية



أظهرت الإجابات أنَّ (٥٤,٥٪) من الأساتذة يعرفون أنَّ طريقة التعلُّم الاجتماعيّ لهاتين المادَّتَين المذكورَتَين تجعل مشاركة المتعلِّمين فعَّالة في إيجاد حلول للمشاكل والعوائق التي تعترضهم، خاصَّةً أنَّ حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لم تكن سهلة وسلسة، بل واجهت سيِّدة نساء العالمين الكثير من المشاكل وتخطَّتها بنجاح، ومنها مشكلة الفقر التي كانت تلفُّ حياتها في بيت الزوجية، حتَّى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام تضايق من شدَّة ما تعانيه من أتعاب منزليَّة، إذ ورد عند السيوطيّ في مسند فاطمة عليها السلام، عن عليّ عليه السلام، قال: «**قلت لفاطمة عليها السلام: لو أتيت النبيَّ صلى الله عليه وآله تسأليه خادمًا، فإنَّه قد جهدك الطحن**

(1) www.unrwa.or عليه السلام.

والعمل»[1]. وعن الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ عليهما السلام، أنَّه قال لفاطمة عليها أفضل الصلاة والسلام: «**اذهبي إلى أبيك** صلى الله عليه وآله، **فسليه يعطيك خادمًا، يقيك الرَّحى وحرَّ التنُّور**»[2]، فرفضت عليها السلام، واستمرت بنت نبيِّ المسلمين محمَّد صلى الله عليه وآله بالعجن والخبز والطهي والتنظيف في منزلٍ متواضعٍ، وباقلِّ إمكانيَّات ماديَّة استطاعت أن تحقِّق العيش الكريم واللائق، ما يجعلها قدوة للأجيال الصاعدة، ويُستخلص من تجاربها الحياتيَّة المنهج الخفيّ الواجب اعتماده في عمليَّة التعليم، والذي يؤكِّد بأنَّ الفقر ليس حاجزًا بوجه الطموح وتحقيق الأمنيات، بل حافزًا ليكون الإنسان مبدعًا ومنتجًا، وصولًا إلى التمتُّع باحترام الذات والتمكين، والتمتُّع بإحساس الانتماء لمجتمعه.

إنَّ ارتفاع نسبة الأساتذة إلى (٣, ٢٧٪) الذين أشاروا إلى أنَّ التعلُّم بالنمذجة عبر الاطِّلاع على سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام يساعد في اكتساب المتعلِّمين لعادات وقيم إنسانيَّة مهمَّة، دليل على صحَّة الفرضيَّة الأولى المقترحة في الدراسة؛ لأنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لم تكتفِ بما هيَّأ لها بيت الوحي من معارف وعلوم، ولم تقتصر على الاستنارة العلميَّة التي كانت تُهيِّئها لها شموس العلم والمعرفة المحيطة بها من كلِّ جانب، بل كانت تحاول في لقاءاتها مع أبيها رسول الله، وبعلها باب مدينة علم النبيّ، أن تكتسبَ من العلوم ما استطاعت؛ لتحصل على المعرفة، كما كانت ترسل ولديها الحسن والحسين عليهما السلام إلى مجلس الرسول بشكلٍ مستمِّر، ثمَّ تستنطقهما بعد العودة إليها، وهكذا كانت تحرص على طلب العلم، كما كانت تحرص على تربية ولديها تربية فضلى، ولقد كانت تبذل ما تكتسبه من العلوم لسائر نساء المسلمين، بالرغم من كثرة واجباتها البيتيَّة. وبذلك تقدِّم نموذجًا مميِّزًا ومضيئًا عن أهميَّة طلب العلم في كلِّ المراحل العمريَّة، ويمكننا بذلك إن نستنتج ملامسة هذه المقاربة للقدرة الثانية من قدرات التنمية البشريَّة وأهدافها، ألا وهي أن يحظى الأنسان بالمعرفة عن طريق التعلُّم وبكلِّ المهارات المكتسبة.

(١) ابن أبي الثلج، تاريخ الأئمَّة، ضمن مجموعة نفيسة، مكتبة السيِّد المرعشيّ، قم: ٦.
(٢) المصباح، الكفعميّ، دار الكتب العلميَّة، قم: ٥١٢.

بعدما تمَّ التحليل البيانيّ للأسئلة التي اهتمَّت في تعليم مادَّتي التاريخ والجغرافيا عبر طريقة التعلُّم الاجتماعيّ، ما يساعد في اكتساب أهداف التنمية البشريَّة، فإننا سوف ننتقل إلى القسم الأخير من الاستبيان.

٣. بالنسبة للقسم الثالث من الاستبيان الذي يتساءل عن أهميَّة اعتماد طريقة النمذجة في تعليم مادَّتي التاريخ والجغرافيا، لاسيما لأهداف التنمية البشريَّة:

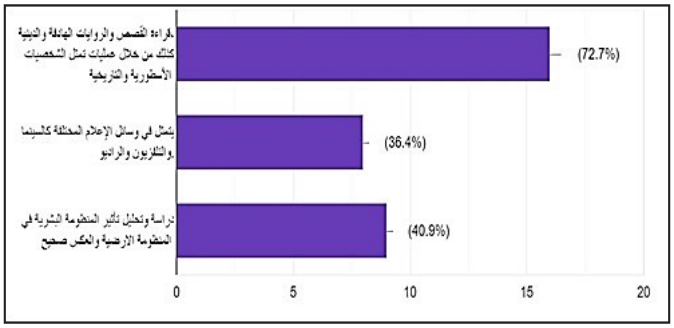
تمَّ التأكيد من الأساتذة جميعهم الذين شملتهم عيِّنة الدراسة، على الرغم من اختلاف طوائفهم ومذاهبهم الدينيَّة، أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام تعتبر فكرًا تربويًّا يُحتذى به، ويساعد في اكتساب الأهداف المهاريَّة والوجدانيَّة أثناء عمليَّة التعليم- التعلُّم في مادَّتي التاريخ والجغرافيا، ما يُعزِّز أهداف التنمية البشريَّة، لكنَّهم أكَّدوا أنَّ المركز التربويّ للبحوث والإنماء، والذي يعتبر الجهة الرسميَّة الوحيدة في لبنان المخوَّلة بالمناهج، قد أوقف لهذا العام الدراسيّ العمل في عدَّة أهداف تعلميَّة مرتبطة بالتنمية البشريَّة، رغم أهميَّتها، لاسيما مفهوم المواطنة الذي يتشكَّل من أبعادٍ عدَّة، منها بعد الانتماء، والبعد الحقوقيّ، والبعد الاجتماعيّ، والبعد الأخلاقيّ، والبعد الإنسانيُّ العالميّ[1].

أمَّا عن كيفيَّة الطرائق التربويَّة المعتمدة في التدريس، فإن المركز التربويّ يؤكِّد على أهميَّة اتِّباع الطرائق الناشطة في عملية التعليم- التعلُّم[2]، والتي تعتبر طريقة التعلم الاجتماعيّ ضمنها، والتي تحتاج إلى مصادر تعليميَّة كثيرة تمَّ تناولها في الرسم البياني رقم (٤).

(1) www.crdp.org/news. (25-2-2022)

(٢) المصدر السابق نفسه.

الرسم البيانيّ رقم (٤): مصادر التعلُّم الاجتماعيّ أو التعلُّم بالنمذجة التي يستطيع المتعلِّم من خلالها إكساب المتعلِّمين أهداف التنمية البشريَّة في مادَّتَي التاريخ والجغرافيا



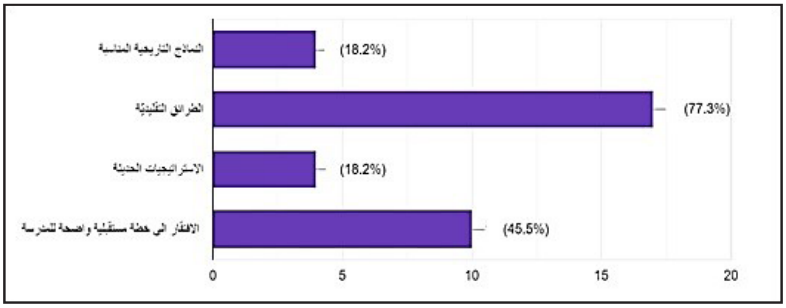
من حيث الوسائل التعليميَّة المُتَّبعة في تطبيق هذه الطرائق، يُترك الخيار فيها للمعلم. وتعتبر القصص والروايات الدينيَّة الهادفة عن النماذج الصالحة أهمَّها، كما يظهر الرسم البيانيّ رقم (٤)، إذ بلغت نسبة الأساتذة الذين أشاروا إلى ذلك حوالي (٧, ٧٢٪)، ومن هذه الروايات سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من ضمن مصادر التعلُّم الاجتماعيّ أو التعلم بالنمذجة التي يستطيع المتعلِّم استعمالها، وذلك لأنَّ سيِّدة نساء العالمين قد بذلت جهدًا متواصلًا في طلب العلم ونشره، ما جعلها من كبيرات رواة الحديث، ومن حَمَلة السُّنَّة المطهَّرة، حتَّى أصبح كتابها الكبير الذي كانت تعتزُّ به أشدَّ الاعتزاز يُعرف باسم (مصحف فاطمة)[1]، لذلك اعتبرت سيرتها من القصص والروايات الهادفة والدينيَّة التي من خلالها يتمُّ نقل عمليَّات تمثِّل الشخصيَّات الأسطوريَّة والتاريخيَّة التي تؤثِّر بالمتعلِّم، وتدفعه إلى تطبيق ما يكتسبه من أهداف دون تململ وضجر، ويعكس مكتسباته على واقع حياته ومجتمعه، فيتحوَّل بفضل سيرة الصالحين والقدِّيسين إلى إنسان منتج ومعطاء وفعَّال، فيكتسب الأهداف الوجدانيَّة والمهاريَّة كما المعرفيَّة بسلاسة وفرح.

أمَّا من حيث الصعوبات التي تعترض المعلِّم في تطبيقه لطريقة النمذجة في عمليَّة التعليم- التعلُّم، فهي كثيرة، لكن أهمّها اعتماد الطرائق التقليديَّة في تدريس مادَّتي

(١) الكتَّانيّ، سليمان، فاطمة الزَّهراء وتر في غمد، مؤسَّسة الوفاء: ٩٣.

التاريخ والجغرافيا، كما تمَّ الذِّكر سابقًا، وكما يبيِّن الرسم البياني رقم (٥).

الرسم البيانيّ رقم (٥): الصعوبات التي تعترض تطبيق طريقة التعلم بالنمذجة في مادَّتي التاريخ والجغرافيا



إنَّ انخفاض نسبة الأساتذة الذين يعتمدون الإستراتيجيَّات الحديثة إلى (٢ ,١٨٪)، لهو دليلٌ آخر على صحَّة فرضيَّتنا الثالثة، وهذا يعود إلى افتقاد الأساتذة لفكرة النموّ والارتقاء الشخصيّ، الذي يتمثَّل بتحسين ثقة الفرد بنفسه، وشعورهِ بكفاءته الذاتيَّة، وتحسين المستوى الاجتماعيّ، وخضوعه إراديًّا للتدريب المستمر، ما يضمن له فرصًا أفضل لنجاحه في عملية التعليم- التعلُّم، والشعور بأهميَّته في المجتمع، وهذه من ضمن منظومة الأهداف للتنمية البشريَّة، لكن في ظلِّ الأزمة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة التي يعاني منها لبنان، قد تلاشى حلم الكثير من الأساتذة الذين رفضوا كليًّا فكرة التطوير والتدريب، وحتَّى تجربة تطبيق طريقة النمذجة في التعليم، ويفتقرون إلى خطط مستقبليَّة واضحة للتدريس باستخدام هذه الطريقة، أو غيرها، على الرغم من درايتهم بأهميَّة التعلُّم الاجتماعيّ الانفعاليّ، وقد تمَّ استنتاج ذلك من خلال المقابلة معهم، فرفضوا الأمر، معتبرين أنَّ الوقت غير مناسب لتجارب حديثة، إضافة إلى أنَّ الأساتذة منهكين بسبب الضائقة الاقتصاديَّة في لبنان، ما يؤكِّد صحَّة فرضيَّتنا الثالثة من أنَّ مفهوم التعليم بالنمذجة وأهميَّته في التنمية البشريَّة غير واضح كليًّا عند معلِّمي مادَّتي التاريخ والجغرافيا في بعض المدارس الخاصَّة والرسميَّة في لبنان، وهذا ما أكَّدته

النسب المذكورة في الرسم البيانيّ رقم (٥)، اذ تبلغ نسبة الأساتذة الذين يعتمدون الطرائق التقليدية حوالي (٧٧٪) من العينة المبحوثة.

كما أنَّ هناك أساتذة يعتبرون الأهداف الواردة في منهاج التاريخ والجغرافيا، قد لا تخدم أهداف التنمية البشريَّة، كما بيَّن السؤال الأخير في الاستبيان، إذ طلب من المعلِّمين والمعلِّمات اقتراح حلٍّ واحدٍّ لتفعيل اكتساب أهداف التنمية البشريَّة في مواد الاجتماعيَّات عن طريق التعلُّم بالنمذجة. فأشار عدد منهم إلى أنَّه لا يوجد أهداف تخصُّ التنمية البشريَّة، وطالب عدد آخر بتغيير المنهاج، ما يدفع إلى الاعتقاد بجهلهم لأهداف هذه التنمية، بالرغم من إيلاء المركز التربويّ أهميَّة كبيرة للتنمية البشريَّة عند تعديله للمنهاج، وقد تمَّت الإشارة إلى ذلك في فقرة دمج مفاهيم التنمية المستدامة في المناهج، وتمَّ استنتاج ذلك من كلمة رئيسة قسم التربية الوطنيَّة والتنشئة المدنيَّة ومنسِّقة لجنة التربية على المواطنيَّة الدكتورة بلانش أبي عسَّاف، حيث تحدَّثت عن مهامِ التربية والتعليم في «تنشأة الإنسان المواطن، أي تعريف الإنسان بالمواطنيَّة التي هي في صُلب حياته وسط جماعة ينتمي إليها، وتجمعه بها تطلُّعات وآمال مشتركة.. وباعتبار التربية أداةً أساسيَّةً إمَّا لنقل التراث الثقافيّ من جيلٍ إلى جيلٍ، أو لتعزيز الانتماء إلى الإنسانيَّة، مع ما يعنيه هذا مِن طغيان مفاهيم العولمة، التي تسعى إلى فرض قيمها وأفكارها ومشاريعها على الصغار قبل الكبار. ومن أبرز هذه التحدِّيات الممكن رصدها في الجوانبِ الآتيةِ: تحديات الانفتاح وطبيعة المعايير التي تتحكَّم به»[1].

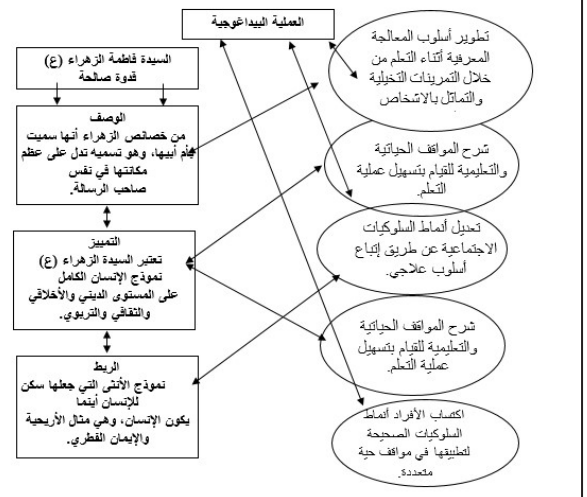
ونتابع في السؤال الأخير من الاستبيان، لنستعرض بعض آراء الاساتذة المقترحة لتفعيل اكتساب أهداف التنمية البشريَّة باعتماد طريقة النمذجة، وإنَّنا سنورد عددًا منها، مع الأخذ بعين الاعتبار السيِّدة فاطمة الزَّهراء النموذج المثالي الذي يُعتبر الأنسب والأصلح ليقتدي بها المتعلِّم، لاسيما في عمر المراهقة، وهذا ما يُظهره الرسم التوضيحيّ

(1) www.crdp.org/news. (20-11-2022)

توفيق أبو علم، أهل البيت، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريَّة، ١٩٧٠: ١١٦-١١٧.

رقم (١)، ويبيِّن المبادئ الأساسيَّة لطريقة النمذجة، وربطها ببعض صفات سيِّدة نساء العالمين عليها أفضل الصلاة والسلام.

الرسم التوضيحي رقم (١) : أهمية الخرائط التفاعلية في تعليم مادة الجغرافيا



المصدر : Mon premier guide du développement durable, Paris, édition بتصرف الباحثة .

المصدر: من فكر وتنفيذ الباحثة.

٤. اقتراحات المعلِّمين لتفعيل اكتساب أهداف التنمية البشريَّة في مواد الاجتماعيَّات عن طريق التعلُّم بالنمذجة:

أمَّا من حيث الإجابات الأخرى التي اقترحها الأساتذة غير التي تمَّت الإشارة إليها سابقًا، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- تشجيع الأفكار الجديدة وتدعيمها من حيث الابتكار والتطوير، ومراعاة الفروقات الفرديَّة، بحيث يكتسب المتعلِّم استجابات جديدة، وتعديل في السلوك.
- الإضاءة على حياة السيِّدة الزَّهراء ومواقفها في كلِّ المؤسَّسات التعليميَّة على اختلاف إيديولوجيَّتها وانتماءاتها السياسيَّة، كونها رمزًا إنسانيًّا مهمًّا.

- تفعيل الأنشطة التربويَّة والإنسانيَّة، والقيام بجولات ميدانيَّة للطلَّاب، والاطِّلاع بشكل مباشر على تجارب العظماء؛ لتحسين الأوضاع المعيشيَّة والإنسانيَّة لمختلف فئات المجتمع.
- وضع خطَّة ودراسة ممنهجة تحاكي واقع المتعلِّم الوجدانيّ.
- تشجيع المتعلِّمين على البحث واكتساب المهارات والمفاهيم، وتطبيقها فرديًّا وجماعيًّا الأبحاث.
- إجراء أبحاث علميَّة على عدد من الشخصيَّات الدينيَّة وربطها ببعض العلوم.
- إعطاء المعلِّم والمتعلِّم مساحة أكبر من الوقت لتعزيز النشاطات الهادفة، والتي تساعد على لمس المشاكل والحقائق عن قرب، ومحاولة إيجاد الحلول الممكنة، وإدراك المتعلِّم أهميَّة تغيير بعض السلوكيَّات التي تساعد على تحقيق هذه الحلول، انطلاقًا من تأثُّره بسيرة سيِّدة نساء العالمين عليها السلام.
- تعزيز إستراتيجيَّة التعلُّم الذاتيّ من خلال تفعيل عمليَّة البحث عند المتعلِّم عن ممارسات ومبادئ شخصيَّات يمكن اعتبارها قدوة في هذا المجال، منها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.
- تخصيص مادَّة خدمة مجتمعيَّة أو إنمائيَّة ضمن المدارس، وتفعيل دورها.

المحور الرابع

صعوبات تعترض تعليم الأهداف التعلميَّة المتعلِّقة في التنمية البشريَّة بطريقة النمذجة

أبرزالصعوبات التي واجهت المعلِّم في تعليم الأهداف التعلميَّة بطريقة النمذجة، هي:

١. الافتقار إلى خطَّة مستقبليَّة واضحة؛ بسبب كثافة المنهج اللبناني في مختلف المراحل التعليميَّة، بما فيها الحلقة الثالثة، لاسيما لمادَّتي الجغرافيا والتاريخ، إضافةً إلى احتواء هـذا المنهج على الكثير من المعلومات المفصَّلة التي لا يشعر المتعلِّم بأهميَّتها، ولا تحاكي واقعه المعاش، ولا تشمل الفكر التربويّ، ولا تتناسب مع أهداف التنمية البشريَّة، بل تشكِّل عائقًا، وتحول دون إعطاء المتعلِّم الوقت لاكتساب أهداف التنمية المستدامة.

٢. الافتقار إلى تطبيق التعلُّم الاجتماعيّ الانفعاليّ، إذ لا تزال ذهنيَّة المعلِّم التقليديَّة طاغية على أفكار عدد من المعلِّمين، لاسيما أنَّ المحافظات التي أُجريت فيها هذه الدراسة بعيدة عن العاصمة بيروت، التي يخضع فيها الأساتذة إلى التدريب المستمر ما يوسِّع آفاقهم.

٣. النَّفَس الطائفيّ الذي يسيطر على آراء الأساتذة في العديد من المدارس، سواء الرسميَّة أو الخاصَّة، إذ وجب إعطاء نماذج لصالحين وقدِّيسين من الديانَتَين المسيحيَّة والإسلام؛ ليتمَّ السماح بتطبيق هذه الطريقة في بعض المدارس.

٤. الافتقار في التقويم إلى التقويم المبني على الوضعيَّات والمشكلات وبيداغوجيا المشروع، لم تجد مكانها ضمن حقل التربية والتكوين؛ ممَّا يجعل تجسيدها في الأداء الديداكتيكي صعب التحقيق، على الرغم من أهميَّتها في تحقيق أهداف التنمية البشريَّة.

المحور الخامس

التوصيات

في ختام هذه الدراسة، لا بدَّ من تقديم توصيات، هي في الحقيقة أفكار تمَّ استنتاجها من خلال تنفيذ الدراسة، يمكن استعراضها بما يلي:

١. أنسنة مواد الاجتماعيَّات وإبعادها عن المنازعات الطائفيَّة والمهاترات المذهبيَّة والسياسيَّة، بل الإضاءة على العظماء من أيِّ اتِّجاه كانوا، طالما في سيرتهم مواعظ وحكم مفيدة للمعلِّمين والمتعلِّمين على حدٍّ سواء.

٢. اختيار تقديم نماذج صالحة تدلُّ على مبادئ الخير والأهداف الوجدانيَّة والروحيَّة لهو أمر بالغ الأهميَّة، وهو أسلوبٌ قرآنيّ في الحقيقة، وعرضها أمام المعلِّمين واستثمارها مع المتعلِّمين في طرائق واستراتيجيَّات تعليميَّة مختلفة، حيث يقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾.

٣. مناقشة القيم والسلوكيَّات المجتمعيَّة السائدة، وتحديد أداورها الموجبة والسالبة على المجال البشريّ والطبيعيّ، مثل مواضيع التربية على السلوكيَّات المجتمعيَّة؛ لأنَّ هذه الأخيرة تعتبر من أساسيَّات المجتمع المدنيّ، وعلى رأسها الاعتزاز بالمواطنة، ومعرفة مسؤوليَّات المتعلِّم وواجباته وحقوقه في مجتمع متنوِّع مثل المجتمع اللبنانيّ.

٤. تعميق المعرفة والتحليل الصحيح لمفهوم التنمية البشريَّة، وذلك بدراسة المفاهيم العالميَّة عن العظماء بشكلٍ دقيق وواضح، وإدخالها في تجديد المناهج

التعليميَّة في لبنان وغيره.

٥. جعل عمليَّة التعلُّم اكثر ارتباطًا بواقع المتعلِّم، أي سدّ الثغرة بين معارفه وواقعه المعاش، بل هذه المعارف هي أداة تساعده في مستقبله، وتفتح أمامه آفاق للإبداع والابتكار.

٦. تعزيز إستراتيجيَّة التعلُّم الذاتيّ من خلال تفعيل عمليَّة البحث عند المتعلِّم عن ممارسات ومبادئ شخصيَّات يمكن اعتبارها قدوة في هذا المجال، منها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

٧. تدريب المعلِّم وتأهيله لاكتشاف الطرائق الحديثة التي عرفها القطَّاع التعليميّ بعد ثورة المعلومات والاتِّصالات وتغيُّرات العولمة، وكذلك إيجاد التوازن بين أفكارهم ومواقفه الخاصَّة، وبين مضمون المنهج الدراسيّ.

٨. تزويد المعلِّم بسيرة العظماء والصالحين عبر وسائل رقميَّة تحاكي أذهان المتعلِّمين ما يسهِّل عليه استثمارها.

٩. مواجهة مشكلات المجتمع من قِبل المتعلِّمين كالعنف والمخدِّرات داخل المدارس، خاصَّةً عند فشل الآباء ومؤسَّسات المجتمع في مواجهة مثل هذه المشكلات، وذلك عبر طريقة التعلُّم الاجتماعيّ الانفعاليّ، والتماثل بالقدِّيسين والصَّالحين من الديانات السماويَّة المختلفة.

١٠. تعزيز تعليم الروايات المختلفة والقصص، سواء عن السيِّدة النورانيَّة أمّ أبيها فاطمة الزَّهراء عليها السلام، أو غيرها من الشخصيَّات الإنسانيَّة المميَّزة، لاسيما في تعليم الاجتماعيَّات، وتجسيِّد هذه الروايات ضمن لعب الأدوار على المسرح لترسيخها في أذهان المتعلِّمين.

١١. تمكين المتعلِّمين من استخدام خبراتهم الشخصيَّة بإعطائهم نصيبًا أكبر من الاستقلاليَّة والاستنتاج، وحلِّ المشكلات.

الخاتمة

تمخضَّت الدراسة عن عدَّة نتائج، مِن أبرزها مشكلة تجديد المنهج الذي أصبح ضرورة ملحَّة لتطوير عمليَّة التربية والتعليم في لبنان، وفي الوقت عينه لا يجب أن ننسى التعدُّد الطائفيّ الذي اعتبر عامل نعمة ونقمة في آنٍ واحد، وانعكس هذا الأمر على توزيع المدارس الخاصَّة التي صُنِّفت بحسب الطوائف التي تتبع لها، كما أنَّ المتعلِّم بدوره يجهل أهميَّة تعلُّمه لمواد الاجتماعيَّات التي تنعكس على تنمية قدراته ومهاراته، وتعزِّز انتمائه الوطنيّ والإنسانيّ والوجدانيّ والعقائديّ، خاصَّةً إذا تمَّ تعلُّمها في اعتماد طرائق التعليم الناشطة، بما فيها طريقة النمذجة أو التعلُّم الاجتماعيّ الانفعاليّ، إذ يؤكِّد التربويُّون على فاعليَّة التجديد والتحديث؛ ذلك لأنَّ النفس البشريَّة ميَّالة إلى الاختيار أكثر من الإجبار، فالتعليم بتقديم النموذج الحسن أوقع في النفس من المحاضرات والتلقين الدائم، وخصوصًا لدى الأطفال.

وفي هذا المضمار، تعتبر السيِّدة فاطمة عليها السلام أنموذجًا كاملًا لكلِّ البشريَّة؛ لأنَّها قابلة للتأسِّي، فهي بتجسيدها القيم والمبادئ والمفاهيم الدينيَّة في حياتها، تدلُّ المعلِّمين والمربِّين بشكلٍ عمليٍّ على ما ينبغي القيام به، وهو أمر عامٌّ ينطبق على حياتها بأكملها، ويتكرَّر في مواقفها الحياتيَّة، فمثلًا نراها عالمة متهجِّدة متعبِّدة، محتسبة، تدعو لجيرانها قبل نفسها، وتقدِّم السلوك الحسن بطريق عمليَّة، فتدلُّ على الخير، وتدفع إلى رفض الباطل، وتتحفنا حياتها بالكثير من المواقف، فكلُّ حياة الزَّهراء عليها السلام قدَّمت فيها نموذجًا وقدوة صالحة. كانت تلك هي الطريقة التي غرست من خلالها القيم الحقَّة في

نفوس أولادها، وربَّتهم على تعظيمها والدفاع عنها بكلّ وجودهم، حتّى لو استدعى ذلك فداء تلك القيّم بالنفس والروح لذا قدمت سيرتها منفذًا للنظريات التربويّة الحديثة واعتبر فكرها منارةً للأجيال الصاعدة ليس فقط في لبنان وإنما في كل أقطار العالم.

في الختام نتمنَّى على المعلِّم أن ينوِّع في طرق تعليمه قدر الإمكان، ليضمن فرصًا أكثر للمتعلِّمين لأن يتعلَّموا وفق إستراتيجيَّات وطرائق تحاكيهم، وتُدعى هذه العمليَّة حلقة التعلُّم (Learning Cycle)[1]، بحيث يكون المتعلِّم داخل الحلقة في بعض الأحيان، وخارجها في أحيان أخرى، ويمكن بذلك أن يكتسب أهداف التنمية البشريَّة بطريقة فعَّالة تؤثِّر في شخصيَّته وأفكاره، كما سيرة القدوة التي تمَّ تناولها في هذه الدراسة (السيِّدة النورانيَّة فاطمة الزَّهراء عليها أفضل الصلاة والسلام)؛ لأنَّ دراسة هذه النماذج الإنسانيَّة النيِّرة ترفع المعنويات؛ وتحسِّن المهارات لدى المتعلِّمين، وترفع مستوياتهم الفكريَّة، وتزيد معارفهم وثقتهم بأنفسهم، وبذلك يتحقَّق استقرارهم النفسيّ، وترتفع روحهم المعنويَّة.

في الختام لا بدَّ من القول بأنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وكلُّ أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، سيبقون نبراسًا للحيارى والمظلومين، ومثالًا للبشريَّة المعذَّبة في سبيل الوصول للحقِّ والعدل والجمال والإنصاف.. والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(1) Fedler, 1996.

قائمة المصادر والمراجع

لائحة المصادر:

١. الجمهوريَّة اللبنانيَّة، الجريدة الرسميَّة، (٢٠٠٠)، مناهج التاريخ لعام ٢٠٠٠، العدد ٢٧.

٢. المركز التربويّ للبحوث والإنماء، (٢٠١٠)، مقرَّر طرائق تدريس وأساليب تقييم مواد الإجتماعيَّات، بيروت، لبنان.

٣. الجمهورية اللبنانيَّة، (١٩٧١)، تحديد مناهج التعليم في مواد الاجتماعيَّات، مرسوم رقم ٢١٥١٠، ٤-٨-١٩٧١.

٤. المركز التربويّ للبحوث والإنماء، (١٩٩٧)، تفاصيل محتوى منهج الجغرافيا، بيروت، لبنان.

٥. المركز التربوي للبحوث والإنماء، (١٩٩٩)، الهيئة الاستشاريَّة في المركز التربويّ، منهج مادَّة التاريخ، بيروت، لبنان.

٦. المركز التربوي للبحوث والإنماء، (١٩٩٧)، المنشورات، آمال وهيبة، بيروت، لبنان.

٧. منظمة الأمم المتَّحدة للتربية والعلم والثقافة، (٢٠١٧)، التعليم من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة، دليل التعليم، ٢٠٣٠.

٨. منظمة الأمم المتَّحدة للتربية والعلم والثقافة، (اليونسكو)، (٢٠١٤)، إعلان آيشي ناغويا، التعليم من أجل التنمية المستدامة.

لائحة المراجع:

١. ابن أبي الثلج، تاريخ الأئمَّة، ضمن مجموعة نفيسة، مكتبة السيِّد المرعشيّ، قم، إيران.
٢. ابن منظور، (١٩٧٢)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
٣. الكتانيّ، سليمان، فاطمة الزَّهراء وتر في غمد، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان.
٤. المروني، المكِّيّ، (١٩٩٣)، البيداغوجيا المعاصر وقضايا التعليم النظاميّ، كلية الآداب، الرباط، المغرب.
٥. العزَّاويّ، فائزة محمَّد فخري، (٢٠٠٦)، المنهج الخفيّ فلسفته وتطبيقاته التربويَّة، جامعة بغداد، مجلَّة البحوث النفسيَّة، العدد ٩-١٠، بغداد، العراق.
٦. طباجة، يوسف عبد الأمير (٢٠٠٧)، منهجيَّة البحث تقنيَّات ومناهج، دار الهادي، بيروت، لبنان.
٧. عبد العظيم، عبد العظيم وعبدالفتاح، رضا، (٢٠١٧)، إعداد المعلِّم في ضوء تجارب بعض الدول، المجموعة العربيَّة للتدريب والنشر، القاهرة، مصر.
٨. الكفعميّ، المصباح، دار الكتب العلميَّة، قم، ايران.
٩. مرعي، توفيق أحمد والحيلة، محمَّد محمود (٢٠١٥)، المناهج التربويَّة الحديثة، مفاهيمها- عناصرها- أسسها- عمليَّاتها، دار المسيرة، عمَّان، الأردن.
١٠. هوكس، ديفيد، (٢٠٠٠)، ترجمة إبراهيم فتحي، الإيديولوجيَّة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

لائحة المراجع باللغة الأجنبيَّة:

1. Alain Rey (1979), la terminologie: Noms et notions. que suis-je. PUF. Paris.

2. Carlier,Isabelle et Le van gong, Angelique (2012), Ecolier et citoyen: Instruction civique et morale, France, Hachette Education.
3. CAPPE (G), DELFORGE (P), (2015), Développement durable. Situation pour comprendre les enjeux et agir, Paris, édition Retz.
4. CHAMPAGNE (C), DEVESNE (C) ET AUTRES. (2014), gestion et développement des ressources humaines. Nouvelle édition, Paris, édition Hachette.
5. De VECCHI (G), PELLEGRINO (J), (2008), Eduquer au développement durable, Paris, édition Delagrave.
6. Mon premier guide du développement durable, Paris, édition: rue des écoles.
7. Nolan, C. (2012). Shaping the education of tomorrow. report on the UN decade of education for sustainable development, Abridged, France, UNESCO.

المواقع الالكترونيَّة:

1. www.unrwa.org.
2. www.alrai.com/article 2014.
3. www.hyatok.com.
4. www.almrsal.com.
5. www. hbrarabic.com. موقع جامعة هارفرد هارفارد بزنس ريفيو
6. www.mosoah.com.
7. mobt3ath.com/dets.php.

الإصلاحُ الأسريُّ
في فكر السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

د. خديجة حسن عليّ القصير
جامعة الكوفة/ كليَّة الإدارة والاقتصاد
م.م. نوفل عبد الأمير محمَّد عليّ الحمَّاميّ
جامعة الكوفة/ كليَّة التربية الأساسيَّة

ملخَّص البحث

أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن، وأئمَّة الهدى، وأنَّ أحاديثهم وإرشاداتهم ووصاياهم وسيرتهم العمليَّة كفيلة بتحديد معالم متكاملة وشاملة لمنهجٍ تربويٍّ يصلح أن يكون مرجعًا لجميع العلماء والباحثين والمتخصِّصين بشؤون التربية وعلم النفس، على اختلاف متبنَّياتهم العقائديَّة والفكريَّة.

والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام هي نبراس النور المشعِّ، والتي تركت لنا الكثير من المُثل التربويَّة التي إن سارت عليها الأجيال، حقَّقت ما فيه نفعها في الدنيا، وصلاحها في الآخرة، وفي مقدِّمة هذه المُثل سلوكها التربويّ (سلام الله عليها)، فهي كانت مثال الأمِّ المربِّية، والعابدة المتفانية المخلصة في عبادتها، ومثل هذا السلوك نحن بأمسِّ الحاجة إليه في مجتمعاتنا اليوم؛ وذلك للأفكار المتفشِّية، والعادات التي أصبحت مرافقة لسلوكيَّات الأفراد، فالسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدَّمت لنا نموذجًا رائدًا حول دور المرأة في مجال إصلاح الفرد، والنهوض بواقعه، وبناء المنظومة الخلقيَّة باعتباره الأساس الذي تقوم

عليه الأسرة، وهذا يبيِّن لنا المكانة القيميَّة التي تبوَّأتها المرأة في العصر الإسلاميّ، وحتَّى يومنا هذا.

سنركِّز في هذا البحث على الجوانب الإصلاحيَّة التي مارستها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في بيتها ومع أبنائها، ومهَّدت لها لتكون الأساس الذي تعتمد عليه الأسرة المسلمة في بنائها، حيث أدَّت الأدوار والمسؤوليَّات الملقاة على عاتقها، كزوجةٍ وأمٍّ، بأحسن وجه، فاستحقَّت أن تكون سيِّدة نساء العالمين، ومثالًا لغيرها من النساء، يُحتذى بسيرتها، ويُسَار على خطاها.

قُسِّم البحث، وبحسب مادَّته العلميَّة، إلى مقدِّمة وثلاثة مباحث، مع الاستنتاجات، وكما موضح:

المبحث الاول: منهجيَّة البحث.

المبحث الثاني: السيرة الشخصيَّة لفاطمة الزَّهراء عليها السلام.

المبحث الثالث: الأسرة وعوامل إصلاحها في فكر الزَّهراء عليها السلام.

وتأتي الاستنتاجات والتوصيات، وبعدها المصادر العلميَّة المتنوِّعة.

الكلمات المفتاحيَّة: السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الإصلاح الأُسريّ، الأسرة، التربية.

المقدِّمة

تعدُّ الأسرة أهمُّ وأخطر بيئة في صياغة الإنسان وتكوينه النفسيّ والسلوكيّ، والذي ستنعكس أثاره فيما بعد في مجتمعه الذي يعيش فيه، وعلماء الاجتماع، على تباين مذاهبهم، يُجمعون على أنَّ الأسرة هي الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات باختلافها، وبالتالي فإذا كانت أسسه قويمة سليمة، كان المجتمع مستقرًّا، وإذا وهنت قواعد الأسرة، اضطرب المجتمع واختلَّ توازنه.

والمرأة ذات تأثير واضح في هذه المؤسَّسة التربويَّة، فهي الأم قبل أيِّ شخص آخر، وهي التي تتحمَّل مسؤوليَّة تربية الأبناء، بحكم أنَّ الطفل يترعرع لمدَّة طويلة في حجرها، وهي غالبًا ما تكون في البيت، بخلاف الرجل الذي يكون مشغولًا في عمله، وبالتالي فهي صاحبة الدور الأساس في التربية الأسريَّة.

والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي مدرسة للأجيال، فحياتها، رغم قصرها، نبراسًا مشعًّا ونورٌ يُستضاء به، وتؤخذ منه الدروس الحياتيَّة في تربية الأمم تربية صالحة، فهي لا يعرفها حقَّ المعرفة إلَّا الله سبحانه وتعالى، ورسوله الكريم محمَّد صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأبناؤها المعصومون عليهم السلام.

وقد عمدت في هذا البحث الى تلمُّس أثر السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وأن نستقي منه بعض الملامح الحياتيَّة والـدروس الحضاريَّة التي استفاد فيها المجتمع من هذه الأسوة الطاهرة عليها السلام، وتأثيرها في نفوس نسائنا، وتأثير ذلك في واقعنا الحاضر، من أجل إصلاح الأسرة؛ لِما في إصلاحها من انعكاسات جوهريَّة على الفرد، وتنشئته التنشئة السليمة.

المبحث الأوَّل

منهجيَّة البحث

أوَّلًا: مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في:

١. ماهيَّة دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في بناء الفرد المسلم بناءً إنسانيًّا وإيمانيًّا وأخلاقيًّا وعقائديًّا، من خلال أقوالها وأفعالها وممارساتها داخل أُسرتها.

٢. ماهيَّة الأساليب التربويَّة التي اعتمدتها ودعت لها الزَّهراء عليها السلام، وحثت الأمَّهات على تطبيقها وفق مبادئ الشريعة الإسلاميَّة مفهومًا وواقعًا.

٣. شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام واندماجها بالأسرة والمجتمع الذي تنتمي له، المثال المطبِّق لأحكام الشريعة، والقدوة في بناء الأسرة الكريمة التي تخدم المجتمع.

ثانيًا: أهميَّة البحث

يتطرق هذا البحث إلى ايراد النظرة الشموليَّة الشائعة للدور الرياديّ الذي مارسته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في مجتمعها وأسرتها على وجه الخصوص، فكانت نموذجًا وقدوة حسنة لنساء عصرها فيما يتعلَّق بإصلاح الأسرة وتربية الطفل وتنشئته التنشئة السليمة، وبين نساء عصرنا الحالي اللواتي يقتَدِين بالزَّهراء، ويتَّبعن خطاها في الحفاظ على

الأسرة، والاهتمام بتنشئة الجيل، خصوصًا ونحن في عصر كثُرَت فيه الفتن والتغيِّرات السلوكيَّة، التي تتطلَّب منَّا أن نقتدي بسيرة أهل البيت عليهم السلام في أفعالنا وسلوكيَّاتنا، بما يُبعِد عنا الفتنة، والسير على النَّهج القويم.

ثالثًا: أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

١. التعرُّف على السيرة الشخصيَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

٢. عرض رؤية توضيحيَّة لعوامل الإصلاح في فكر السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وخاصَّة ما يتعلَّق منها بالأسرة والحفاظ عليها من المخاطر المحدقة بها، وما تواجهه من تحدِّيات داخل المجتمع على اختلاف الأزمنة والعصور التي تمرُّ بها.

رابعًا: فرضيَّة البحث

يسعى البحث إلى الوصول إلى نتائج حقيقيَّة من خلال جمع البعض من الإشارات الواردة في المصادر التاريخيَّة المهتمَّة بسيرة أهل البيت عليهم السلام بشكلٍ عام، والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام خصوصًا، ودورها الرياديّ في مجتمعها، للتعرُّف على فرضيَّة البحث التي تنصُّ على «كانت الزَّهراء (سلام الله عليها) رائدة الإصلاح الأسريّ، فقد مارست دورها داخل الأسرة، زوجةً وأمًّا، وحرصت على أن تنتشر المفاهيم الإسلاميَّة الداعية إلى الحفاظ على الأسرة، وحماية كيانها، باعتبارها الحاضن الأساسيّ للفرد، وبحسن نشأته وصلاحه يكون صلاح المجتمع الذي ينتمي إليه».

خامسًا: أسلوب البحث

تمَّ استخدام المنهج الوصفيّ في هذا البحث من خلال جمع المصادر التي تناولت دور الزَّهراء عليها السلام الرياديّ داخل أسرتها، وتنشئة الحسن والحسين والسيِّدة زينب عليهم السلام،

على المبادئ الأساسيَّة التي دعت إليها الشريعة الإسلاميَّة، وتأثير ذلك في نشأتهما ودورهما في المجتمع المعاصر لهم، ومن ثمَّ استنباط الاستنتاجات بالشكل الذي يتماثل مع المشكلة موضوع البحث.

المبحث الثاني

السيرة الشخصيَّة لفاطمة الزَّهراء عليها السلام

أوَّلًا: الولادة الميمونة

ولِـدت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد مبعث الرسول الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله بخمس سنوات[1]، وقد تبنَّى هذا الرأي بعض من علماء الشيعة، أبرزهم الكلينيّ[2]، وابن شهر آشوب[3].

ويُستنَد في تدعيم هذا الرأي على ماورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام بأنَّه: «**لم يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة عليها السلام على فطرة الإسلام** (أي بعد البعثة النبويَّة) **إلَّا فاطمة سلام الله عليها**»[4].

أمَّا الاختلافات الأخرى، فتصبو في أنَّها في ولادتها قد سبقت البعثة النبويَّة بخمس سنين، وهذا ما يعتمد عليه البعض من الكتَّاب، وفي مقدِّمتهم ابن سعد في طبقاته[5]،

(١) ينظر: الكلينيّ، أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرازيّ (ت٣٢٩هـ)، الكافي، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر غفاري، منشورات دار الكتب الإسلاميَّة، ط٣، (طهران، ١٩٦٨م)، ج١، ص٤٥٨.

(٢) الكلينيّ، الكافي، ج٤، ص١٨٦٩.

(٣) نقلًا عن: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، المطبعة العلميَّة، (قم، بـلا.ت)، ج٣، ص٣٥٧.

(٤) الكلينيّ، الكافي، ج٨، ص٣٤٠.

(٥) ينظر: ابن سعد، محمَّد بن سعد الزهريّ (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، (بيروت، ١٩٥٧م)، ج٨، ص١١.

والطبريّ في تاريخه[١]، وابن الأثير في الكامل[٢].

ومهما كانت المحصِّلة بين رأي الفريقَين فيما يتعلَّق بالاختلاف في تحديد تاريخ ولادتها، ومن ثمَّ زواجها، وهي بعمر التاسعة، أو وفاتها في الثامنة عشر، أو بثمانية وعشرين، فإنَّها تبقى ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، والنموذج الكامل للمرأة التي عَلت على كلِّ رجل وامرأة.

ثانيًا: اسمها وألقابها

تكاد تتَّفق المصادر التاريخيَّة حول تسمية السيِّدة الزَّهراء بفاطمة، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**لـمَّا ولِدت فاطمة عليها السلام، أوحى الله إلى ملك أنطق لسان محمَّد صلى الله عليه وآله فسمَّاها فاطمة**»[٣]، وقد علَّل النبيّ صلى الله عليه وآله تسميتها: بأنَّ الله فطمها بالعلم، وفطمها من الطمث[٤].

أمَّا القابها عليها السلام التي أُطلِقت عليها، فهي كثيرة، غير أنَّ البعض[٥] لم يورد منها سوى اثنين فقط، أحدهما تمَّ ذِكره بشكل صريح في معرض رواية ساقها حول تغسيلها عليها السلام، وأعني بذلك لقب (الصدِّيقة)، وتأتي هذه المفردة للدلالة على كثرة إيصاف الموصوف بالصفة، والمبالغة بالصدق والتصديق، وهي أبلغ من الصدوق، وقيل إنَّها تُطلق على الكامل في الصدق، وعلى الذي يصدق قوله عمله، وقيل إنَّها تُطلق أيضًا على الذي

(١) ينظر: الطبريّ، محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبريّ، دار صادر، (بيروت، بلا.ت)، ص١٣.

(٢) ينظر: ابن الأثير، عليّ بن محمَّد (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٧م)، ج٢، ص٣٤١.

(٣) الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٤٦٠.

(٤) ينظر: المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، دار إحياء التراث العربيّ، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج٤٣، ص٢٠٩.

(٥) الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٤٥١.

لم يكذب قطُّ[1]، والذي يُستفاد من هذه التعاريف أنَّ السيِّدة الزَّهراء ضمن مرتبة الصدِّيقين، والصدِّيقين عدَّهم الباري عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز وسطًا بين رتبتَي الأنبياء والشهداء، الذين لهم درجة مخصوصة بهم عند ربِّهم[2]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[3].

أمَّا اللقب الثاني الذي لم يصرَّح عنه، والذي يذكره الشيخ الكلينيّ بوضوح، فهو (المحدَّثة)، إذ تؤكِّد الروايات التي أوردها في معرض كلامه عن مصحف فاطمة عليها السلام أنَّ السيِّدة الزَّهراء كانت محدَّثة، أي إنَّ الملائكة كانت تحدِّثها، وعن ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله تعالى لـمَّا قبض نبيَّه صلى الله عليه وآله، دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلَّا الله عزَّ وجلَّ، فأرسل إليها ملكًا يسلِّي غمَّها ويحدِّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لها: إذا أحسستِ بذلك وسمعتِ الصوت، قولي لي، فأعلمته فاطمة عليها السلام بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلَّ ما سمع، حتَّى اثبت من ذلك مصحفًا**»[4].

كما سعى الكلينيّ إلى تأكيد ذلك في رواية ثانية أشار فيها بأنَّ الملك الذي كان يحدِّث فاطمة عليها السلام هو الأمين جبرائيل عليه السلام، وأنَّه أخبرها بحال أبيها بعد موته، وعمَّا سيجري على أولادها من بعدها، حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام ما نصُّه: «**كان قد دخلها حزن شديد على أبيها، وكان يأتيها جبرائيل؛ فيُحسن عزائها على أبيها، ويطيِّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريَّتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك**»[5].

(١) القزوينيّ، أسماء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ص٢٩١.
(٢) م. ن، ص٢٩١
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٨.
(٤) الكليني، الكافي، ج١، ص٢٤٠.
(٥) ن.م، ج١، ص٢٤١.

فضلًا عمَّا تقدَّم، كُنِّيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعدَّة كنى، منها: أمُّ أبيها، وأمُّ الأئمَّة، وأمُّ الحسن، وأمُّ الحسين، وأمُّ المحسن[1].

ثالثًا: وفاتها

يعتبر تحديد تاريخ وفاة الزَّهراء موضع خلاف كبير بين المؤرِّخين، فقد اتَّفقت كلمة البعض منهم على القول بأنَّها توفِّيت سنة ١١ للهجرة، وإنَّما اختلفوا في يوم وتاريخ وفاتها، فذهبت جماعة من الباحثين إلى القول: بأنَّها عاشت بعد أبيها ٢٤ يومًا، ومنهم من أوصل ذلك إلى ثمانية أشهر، إلَّا أنَّ المشهور بين المؤرِّخين والمحدِّثين الشيعة أنَّها عاشت بعد أبيها ما يقرب من ثلاثة أشهر[2]، فإذا ضممنا ذلك إلى رحلة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في الثامن والعشرين من صفر، يكون تاريخ وفاتها عليها السلام مطابقًا للثالث من جمادى الثانية[3].

ومن هنا اختلفت كلمات الباحثين في عمرها عليها السلام ما بين ١٨ سنة و٣٥ سنة، فإذا أخذنا بنظر الاعتبار تاريخ ولادتها الذي كان في السنة الخامسة من البعثة، وشهادتها في السنة الحادية عشرة من الهجرة، فيكون عمرها قد تجاوز ١٨ سنة بقليل.

(١) نقلًا عن: المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٦؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج٣، ص١٣٢.
(٢) القدسيّ، قراءة جديدة لتاريخ ولادة وشهادة المعصومين عليهم السلام، ص١٥٧-١٥٦.
(٣) م.ن، ص ١٧٠.

المبحث الثالث

الأسرة وعوامل إصلاحها في فكر الزَّهراء عليها السلام

يتضمَّن هذا المبحث مطلبَين، المطلب الأوَّل: سوف نورد فيه تعريف مبسَّط لمفهوم الأسرة في اللغة والاصطلاح، وأهميَّتها في نشأة الفرد، والمطلب الثاني: سوف نتناول فيه جوانب الإصلاح الأسريّ من منظور الزَّهراء عليها السلام، والتي هي تطبيقات عمليَّة مارستها سيِّدة نساء العالمين داخل بيتها، ومنها نستقي فكرًا إصلاحيًّا نستطيع منه استقاء المنفعة، لما فيه صلاح أسرنا وبيوتنا.

المطلب الأوَّل: مفهوم الأسرة وأهميَّتها في نشأة الفرد

الأسرة في المفهوم اللغويّ: «الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته، وتُطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك، وجمعها أُسر»[1]. والأسرة من الرجل: «رهطه الأدنون وعشيرته التي يتقوَّى بها، والدرع الحصينة»[2].

أمَّا اصطلاحًا، فقد عرِّفت بتعاريف عديدة ومختلفة باختلاف المدارس والنظريَّات التي تناولت وباهتمام الأسرة ومكوِّناتها، ومن بين هذه التعاريف هناك من عرَّفها على أنَّها: الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسَّساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتمُّ داخلها تنشئة الفرد اجتماعيًّا، ويكتسب فيها الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتِّجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسَكَنه[3].

(١) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربيّ، (بيروت)، ج١، ص١٧.
(٢) ابن منظور، (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادَّة أسر.
(٣) عقلة، محمَّد، نظام الأسرة في الإسلام، ط٢، مكتبة الرسالة الحديثة، (الأردن، عمَّان،=

وتعرَّف أيضًا بأنَّها: رابطة اجتماعيَّة تتكوَّن من زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والحَفَدة وبعض الأقارب، على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة[1].

وبهذا فالأسرة هي: الوحدة الاجتماعيَّة الأولى، والبنية الأساسيَّة التي ترعى نموَّ الطفل، وهي لهذا اشتملت على أقوى المؤثِّرات التي توجَّه نحو السلم[2].

ومن خلال التعاريف السابقة للأسرة، يتَّضح لنا حقيقة مفادها أنَّ الأسرة: إنَّما هي اتِّحاد طبيعيّ ولازم ودائم لدوام الوجود الإنسانيّ، فهي التي تحافظ على القيم والأخلاق الدينيَّة والتربويَّة والاجتماعيَّة عن طريق غرس تلك القيم في أعضائها، ودفعهم لامتصاصها والحفاظ عليها مستقبلًا.

تعتبر الأسرة أهمَّ وأخطر بيئة في صياغة الإنسان وتكوينه النفسيّ والسلوكيّ، الذي سيترك أثاره في مجتمعه الذي يعيش فيه، وعلماء الاجتماع، على تباين مذاهبهم، يُجمِعون على أنَّ الأسرة هي عماد المجتمع، وأنَّها إذا قامت على أسس قويمة سليمة استقرَّت أحوال المجتمع، وتوطَّدت أركانه، وإذا وهنت قواعد الأسرة، ولم تتحقَّق لها أسباب القوَّة على اختلافها، اضطربت حياة المجتمع واختلَّ توازنه[3]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[4].

=١٩٨٩م)، ص ١٧.

(١) عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، ص١٨.

(٢) صالح، سعاد إبراهيم، الأسس النفسيَّة للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، ط٢، دار الفكر العربيّ، (١٩٨٤م)، ص٦٢.

(٣) المعايضة، خليل عبد الرحمن، علم النفس الاجتماعيّ، ط٢، دار الفكر للنشر والتوزيع، (عمان، الأردن، ٢٠٠٧ م)، ص٧٢.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٦.

وتمثِّل الأسرة المؤسَّسة الرئيسة لتنشئة الطفل، حيث تسهم بالقدر الأكبر في الإشراف على النموِّ الاجتماعيّ للطفل، وتكوين شخصيَّته، وتوجيه سلوكه، وبالتالي فهي ذات وظيفة مزدوجة: اجتماعية ونفسيَّة، فهي تعدُّ البيئة الاجتماعيَّة الأولى للطفل، كما أنَّ التجارب التي يمرُّ بها الطفل خلال السنوات الأولى من عمره تؤثِّر في توافقه، حيث إنَّ الطفل شديد التأثُّر بالتجارب المؤلمة والخبرات الصادمة التي تحدث في محيطه، وبهذا فالأسرة، وعلى الرغم من تعدُّد مؤسَّسات التنشئة الاجتماعيَّة، إلَّا أنَّها كانت ومازالت أهمَّ وكاله اجتماعيَّة أوكلت لها مهمَّة تربية النشأ وتنمية قواه المختلفة، من خلال وظائفها المتعدِّدة، حيث تعدُّ من أهمِّ وسائل التنشئة الاجتماعيَّة للطفل، وهي الممثِّلة الأولى للثقافة والمدرسة الاجتماعيَّة للطفل[1].

ويبرز داخل هذه المؤسَّسة التربوية دور المرأة بشكلٍ واضح، فهي الأمُّ، وهي التي تتحمَّل مسؤولية تربية الأبناء؛ لما لها من التأثير الفاعل على أولادها، بحكم أنَّ الطفل يترعرع لمدَّة طويلة في حضن أمِّه، وهي غالبا تكون في البيت، بخلاف الرجل الذي يكون مشغولًا في عمله، فهي إذن صاحبة الدور الأساس في التربية الأسريَّة، وصَدَق الشاعر حيث قال:

الأمُّ مـــدرســـةٌ إذا أعـــددتهـــا

أعـــددت شـعبًـا طـيِّـبَ الأعـــراقِ[2]

فالمرأة هي الصانعة للفرد، وهي مصنع الرجال، ألم تصنع فاطمة الزَّهراء عليها السلام الحسن والحسين عليهما السلام؟.

ألم تصنع المرأة العاشورائيَّة الزوج والابن ليكونوا فداءً للإسلام؟.

(١) إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة، دور المرأة في الأسرة، نشر جمعية المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، (إيران، ٢٠٠٣م)، ص٩.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه: أحمد أمين، أحمد الزين، ط٣، الهيئة المصريَّة العامَّة للشباب، ١٩٨٧، ص٢٨٢.

إنَّ كلَّ كلمة تُلقيها المرأة في بيتها لها دوي كبير على نفوس أولادها، بل نفس زوجها بالذات، وأنَّ كلَّ سلوك تقوم به المرأة في أسرتها له تأثير قويّ على سلوك أسرتها، وحتى زوجها، فعلى الجميع أن لا يستهين بالدور الذي تؤدِّيه[1].

المطلب الثاني: عوامل الإصلاح الأسريّ في فكر الزَّهراء عليها السلام

سطَّرت لنا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، رغم حياتها القصيرة، مجموعة من العوامل الإصلاحيَّة التي إن توفَّرت في البيت، أصبحت الأسرة عنصرًا مهمًّا من عناصر النهوض بالمجتمعات وتطوُّرها وإصلاح أفرادها، فقد أكَّدت عليها السلام على أنَّ أهمَّ عامل من عوامل الإصلاح داخل الأسرة، هو طاعة الزوجة لزوجها، وحسن المعاشرة بينهما، فعند الطاعة يعمُّ الوئام، وتختفي الخلافات، وتذوب بين الطَّرَفين، وبالتالي تعمُّ المنزل سعادة عامرة ينعكس تأثيرها على الأسرة وإفرادها جميعًا، ونجد هذه النقطة جليَّة عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، حيث كانت نِعمَ الزوجة لأمير المؤمنين عليه السلام، ما عصت له أمرًا، وما خالفته في شيء، ولا خرجت بغير إذنه، وكانت تُعينه على طاعة الله تعالى، وتؤثِره على نفسها، وتُدخِل عليه البهجة والسرور، حتَّى أنَّه إذا نظر إليها انكشفت عنه الهموم والأحزان.

يذكر لنا صاحب روضة الواعظين[2] أنَّ الزَّهراء عليها السلام قالت في مرضها لأمير المؤمنين: «**يا بن عم، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني. فقال** عليه السلام: **معاذ الله! أنتِ أعلم بالله، وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفًا من الله من أن أوبِّخك بمخالفتي**»، وبالمقابل كان أمير المؤمنين عليه السلام نِعمَ البعل للزَّهراء عليها السلام، يغدق عليها من فيض حبِّه وعطفه، ويُشعرها بإخلاصه وودِّه لها، وما كان يُغضِبها ولا يُكرهها على شيءٍ قطُّ، فورد عنه عليه السلام قال: «**والله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمرٍ حتَّى قبضها**

(١) إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، دور المرأة في الأسرة، ص٢٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٩١/ ٢٠.

الله عزّ وجلّ، ولا أغضبتني، ولا عصيت لي أمرًا، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنِّي الهموم والأحزان»[1].

والعامل الآخر من عوامل الإصلاح في منظورها عليها السلام، هو حسن العشرة، وتحمُّل صعوبات الحياة المشتركة بين الزوجَين، وتقسيم المسؤوليَّات داخل المنزل بين الإمام عليّ وبينها عليهما السلام، وهذا بحدِّ ذاته من الأمور التي يقوم عليها كيان الأسرة، فالرجل الذي يلقي بأعباء الحياة الزوجيَّة فوق عاتق المرأة، لا يمكن له أن يضمن دوام المحبَّة والاستقرار في الأسرة، ولذلك نجد أنَّ الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله قد وضع هذا المنهاج منذ الأيام الأولى لتكوين الأسرة المحمَّدية، فقد قسم مسؤوليَّات الحياة الزوجيَّة بين عليّ وفاطمة، كي يحفظ لهذه الاسرة الهدوء والطمأنينة، وكي تحيا المودَّة وتتعايش معهم الرحمة، وهو ما أوضحته الروايات التاريخيَّة[2]، فقد روى القمِّيّ عن الصادق عليه السلام، وابن أبي شيبه بسنده للأمام أبي عبد الله جعفر بن محمَّد الصادق عن أبيه الباقر عليهما السلام قال: «**تقاضى عليّ وفاطمة إلى رسول الله في الخدمة، فقضى على فاطمة عليها السلام بخدمتها ما دون الباب، وقضى على عليّ عليه السلام بما خلفه، قال: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما بداخلي من السرور إلَّا الله بأكفاني رسول الله تحمل أرقاب الرجال**»[3]، فالتعاون بين الزوجَين في كافَّة شؤون البيت، له أثر واسع في إصلاح الأسرة، ومن مظاهر الوئام والإخلاص بين الزوجَين.

ومن مصاديق التواضع والعدل في بيت الزَّهراء عليها السلام أنَّ تقسيم العمل لا يقتصر على أفراد الأسرة وحسب، بل كانت تتناوب بالعمل مع الخادمة يومًا بيوم، حيث أخدمها النبيّ جارية اسمها فضَّة، بعد أن كثرت الفتوح والمغانم، وارتفع الفقر عن أهل

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٣٤.

(٢) فضل الله، محمَّد حسين، الزَّهراء القدوة، (بيروت، دار الملاك، ٢٠٠٤)، ص٩٢.

(٣) الأصبهانيّ، أبي نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٦٧)، ج٦، ص١٠٤، المجلسيّ، بحار الانوار، ج٤٣، ص٣١-٣٢.

الصفة، وسائر ضعفاء المدينة، وهذا بحسب ما رواه الخوارزميّ بالإسناد عن الإمام الباقر عليه السلام[1].

وقد سطرت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مثالًا يُحتذى به في الصبر على ألم المعاناة من العمل داخل المنزل، وبحسب ما رواه الثعلبيّ[2] من أنَّ عليّ عليه السلام انطلق إلى يهوديّ يعالج الصوف، فقال له: «**هل لك أن تعطيني جزَّةً من صوف تغزلها لك بنت محمَّد صلى الله عليه وآله بثلاثة آصع من شعير؟** قال: نعم. فأعطاه الصوف والشعير، فقبلت فاطمة عليها السلام وأطاعت، وقامت إلى صاعٍ فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص.

ويدخل في منظور الإصلاح الأسري تربية الطفل، وتكوين شخصيَّته، لما له من دور في مستقبل الأمَّة والحفاظ عليها من التداعيات التي تلحق بها، ونجد هذا النموذج واضحًا في تربية الزَّهراء عليها السلام لأولادها تربية خالصة، فارتقت لتكون وعاءً ينهل من أخلاقها السماويَّة ومنبعها، فكانت تُعامل أولادها معاملة الرجال في التخاطب والتحاور معهم[3]، وهذا من شأنه أن يخلِّف شخصيَّة ملتزمة، وتتمتَّع بمكانة مرموقة في الأسرة والمجتمع، فينشأ الطفل على الطموح والاستقلال والثبات، على خلاف الأمَّهات اللاتي يتَّبعن أسلوب عدم السماح لأبنائهنَّ للتعبير عمَّا بداخلهم من إبداء الرأي، وبدورة قتل للشخصيَّة واستقلاليَّتها.

وقد استفاد علماء النفس فيما بعد من هذه الأفكار، وتأثيرها على البيئة الاجتماعيَّة، فيؤكد البعض منهم[4] أنَّه أساس نموِّ الشخصيَّة ونضجها، وتحوُّلها إلى شخصيَّة معتدلة

(١) الخوارزميّ، أبي المؤيَّد الموفَّق بن أحمد المكِّيّ (ت٥٦٨هـ)، مقتل الحسين عليه السلام، تحقيق: الشيخ محمَّد السَّماوي، تصحيح دار أنوار الهدى، (بلا.م، بلا.ت)، ج١، ص٦.

(٢) الشهيد التستريّ، إحقاق الحقِّ، مكتبة السيِّد المرعشّي، (قم، بلا.ت)، ج١٠، ص٢٦٤، عن تفسير الثعلبي.

(٣) الميلانيّ، السيِّد فاضل الحسينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام أمُّ ابيها، مؤسَّسة البلاغ، (بيروت، ٢٠٠٤م)، ص١٠٠.

(٤) وبالأخصِّ الإنكليزي جون لوك. ينظر: د. إحسان محمَّد الحسن، علم الاجتماع التربويّ،=

وبشكل سليم، خلال مدَّة الطفولة، ولاسيما في السنوات الخامسة من العمر، ويوافق ذلك ما ذهب اليه الفريد أدلر، حيث أشار أنَّ المحرِّك الأساس للإنسان، هي العوامل الاجتماعيَّة، فالشخصية تتكوَّن بالبيئة التي ينمو فيها.

وباتِّباع النهج الفاطميّ للتربية اليوم، يخلِّف داخل مجتمعاتنا الشخصيَّة المتَّزنة، ويتمتَّع الفرد بمكانه مرموقة في الأسرة والمجتمع، فينشأ على الطموح والاستقلال والثبات، على خلاف الأمَّهات اللاتي يتَّبعن أسلوب عدم السماح لأبنائهنَّ بالتعبير عـمَّا بداخلهم من إبـداء الـرأي ومشاعرهم، فيعملن على قتل روح الشخصيَّة والاستقلال.

ولا يمنع هذا من إظهار عاطفة الأمومة والتساهل في المعاملة، حيث قدَّمت دستورًا محمَّديًّا في التربية، فعلى مستوى العطف، وكما تذكر الروايات التاريخيَّة، أنَّها كانت تزفن للحسن، وأصل الزفن هو اللعب والدفع[1]، وهذا يوحي إلى أنَّـها تمثِّل عاطفة الأمومة، التي هي جزء أساسيّ في تربية الأبناء، والنقطة التي يركِّز عليها علماء النفس، فهي في تربيتها لأبنائها تجمع بين الشَّرع أوَّلًا، والطفولة ثانيًا، وما أحوج نساءَنا اليوم إلى هذه النقطة المهمَّة، وهي عدم إهمال الطفل أو جعله يكتسب هذه العاطفة من نساء أُخريات، بحجَّة انشغال المرأة بالعمل وشؤون المنزل.

=دار وائل، عمان، ٢٠٠٥، ص٩٠.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص١٩٧.

الاستنتاجات

نستنتج من خلال هذا البحث ما يأتي:

١. إنَّ الزَّهراء عليها السلام تربَّت في بيت النبوَّة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي، فمثَّلت الأنموذج المتكامل في التربية، فكان لهذا الأثر الواضح في تربية أولادها والحفاظ على تعاليم الدين الإسلاميّ، وعلينا نحن كنساء أن نقتدي بسيرتها وأفكارها في الحفاظ على الأسرة، من خلال السَّير على خطى الزَّهراء ونهجها؛ لحماية مجتمعنا وأبنائنا من الأخطار الخارجيَّة المحدقة به.

٢. وفَّقت الزَّهراء بين رعايتها النفسيَّة والتربويَّة لأبنائها، وبين توفير الجوِّ المنزليّ الملائم للأسرة، حيث كانت تصنع الأكل بما يتوافق مع المتوفِّر من الإمكانيَّات، وما يناسب القناعة التي يدعو لها الإسلام، وتراعي الجانب النفسيّ لهم، من خلال اتِّباع منهج التخاطب في التعامل مع أبنائها.

٣. إنَّ الحوار بين أفراد الأسرة يُعدُّ بمثابة المفتاح الذي يُوصلهم إلى سبيل التفاهم والانسجام، وهو القناة التي تُوصل أفراد الأسرة بالآخر، فعندما يتحاور الأبناء مع الوالدين إنَّما يعبِّرون عن أنفسهم، ويعبِّرون عن جوهر شخصيَّتهم، وهذا بحدِّ ذاته يحقِّق الاتِّزان الانفعاليّ لدى أفراد الأسرة، وقد مثَّلت الزَّهراء عليها السلام دروسًا مختلفة في بناء الذات البشريَّة والتفاهم والتحاور بين أفراد الأسرة.

٤. تقسيم مسؤوليَّات الحياة الزوجيَّة بين الإمـام عليّ عليه السلام، والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من الأمور التي يقوم عليها كيان الأسرة، وهذا التقسيم إنَّما يخفِّف من أعباء الحياة الزوجيَّة على المرأة، وبالتالي يعمُّ الوئام والهدوء جوَّ المنزل.

المصادر

١. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربيّ، (بيروت، بلا.ت).

٢. ابن الأثير، عليّ بن محمَّد (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٧م).

٣. ابن سعد، محمَّد بن سعد الزهريّ (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، (بيروت، ١٩٥٧م).

٤. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، المطبعة العلميَّة، (قم، بلا.ت).

٥. ابن منظور، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، (بيروت، بلا.ت).

٦. الأصبهانيّ، أبي نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، (بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٦٧).

٧. حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه أحمد أمين، أحمد الزين، ط٣، الهيئة المصريَّة العامَّة للشباب، ١٩٨٧.

٨. الخوارزميّ، أبي المؤيَّد الموفَّق بن أحمد المكِّيّ (ت ٥٦٨هـ)، مقتل الحسين عليه السلام، تحقيق الشيخ محمَّد السَّماويّ، تصحيح دار أنوار الهدى، (بلا.م، بلا.ت).

٩. إحسان محمَّد الحسن، علم الاجتماع التربويّ، دار وائل، عمَّان، ٢٠٠٥.

١٠. الشهيد التستريّ، إحقاق الحقِّ، مكتبة السيِّد المرعشيّ، (قم، بلا.ت).

١١. صالح، سعاد إبراهيم، الأسس النفسيَّة للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، ط٢، دار الفكر العربيّ، (بلا.م، ١٩٨٤م).

١٢. الطبريّ، محمَّد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبريّ، دار صادر، (بيروت، بلا.ت).

١٣. عقلة، محمَّد، نظام الأسرة في الإسلام، ط٢، مكتبة الرسالة الحديثة، (الأردن، عمَّان، ١٩٨٩م).

١٤. فضل الله، محمَّد حسين، الزَّهراء القدوة، (بيروت، دار الملاك، ٢٠٠٤).

١٥. القزوينيّ، أسماء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

١٦. الكلينيّ، أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرازي (ت٣٢٩هـ)، الكافي، صحَّحه وعلَّق عليه عليّ أكبر غفاري، منشورات دار الكتب الإسلاميَّة، ط٣، (طهران، ١٩٦٨م).

١٧. المجلسيّ، محمَّد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، دار إحياء التراث العربيّ، (بيروت، ١٩٩٢م).

١٨. مركز نون للتأليف والترجمة، دور المرأة في الأسرة، نشر جمعيَّة المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، (إيران، ٢٠٠٣م).

١٩. المعايضة، خليل عبد الرحمن، علم النفس الاجتماعيّ، ط٢، دار الفكر للنشر والتوزيع، (عمَّان، الأردن، ٢٠٠٧م).

٢٠. المقدسيّ، قراءة جديدة لتاريخ ولادة وشهادة المعصومين عليهم السلام.

٢١. الميلانيّ، السيِّد فاضل الحسينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام أمُّ أبيها، مؤسَّسة البلاغ، (بيروت، ٢٠٠٤م).

تجلِّيات التنمية البشريَّة في سيرة سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام

د. علاء حميد فيصل
مديريَّة تربية البصرة

ملخَّص البحث

يعدُّ تراث السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المصادر المهمَّة لبيان الأصالة الإسلاميَّة للعديد من المفاهيم والمصطلحات الحديثة والمعاصرة، ومنها مصطلح التنمية البشريَّة، وهو جزءٌ مهمٌّ من التنمية الشاملة، ويأتي هذا البحث لبيان دور السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في تحقيق هذا المطلب، وسعيها ليكون الفرد المسلم مُتحلِّيًا بكافَّة مستلزمات هذا الأمر؛ لأنَّه العامل الأساس لتحقيق مظاهر التنمية الأخرى، الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وبالتالي النهوض بالمجتمع المسلم ليكون أنموذجًا ناجحًا أمام المجتمعات الإنسانيَّة الأخرى، وتحقيق الهدف المنشود، وهو نشر الإسلام بين هذه الشعوب بشكلٍ سلميٍّ، بعد أن ترى بشكلٍ عمليٍّ مدى نجاح الفكر الإسلاميّ في قيادة المجتمع.

قُسِّم البحث إلى محوَرَين، بيَّنا في الأوَّل مفهوم التنمية البشرية لغةً واصطلاحًا، وبيَّنا في المحور الثاني أهمَّ مرتكزات التنمية البشريَّة في الإسلام من خلال سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وتبيَّن من خلال النصوص المتاحة أنَّها تنحصر بأربعة أمور، وهي: القيادة الصالحة، والاستثمار الأمثل للموارد المتاحة، والتكافل الاجتماعيّ، وبناء

الذات عن طريق ثلاث وسائل، وهي: اكتساب المعارف والعلوم، والوعي الصحِّيّ، والتكامل الروحيّ، وبينَّا أهمَّ وسائله، وألحقنا البحث بأهمِّ النتائج التي توصَّلنا لها، وثبت للمصادر والمراجع.

المحور الأوَّل

التنمية البشريَّة لغةً واصطلاحًا

أوَّلًا: التنمية البشريَّة لغةً

التنمية تأتي بمعنى الارتفاع والصعود والزيادة، إذ ذكر الخليل الفراهيديّ (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م): «نما الشيء ينمو نموًّا، ونمى ينمي نماءً أيضًا، وأنماه الله: رفعه، وزاد فيه إنماءً.. والشيء ينتمي، أي: يرتفع من مكان إلى مكان، وتنمَّى الشيء تنمِّيًا، إذا ارتفع.. والنامي: الزائد؛ لأنَّه أخذ من النماء»(١).

وذكر الجوهريّ (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م): «نما المال وغيره ينمي نماءً.. ونميت الشيء على الشيء رفعته.. وتقول: نميت الحديث إلى فلان نميًا، إذا أسندته ورفعته.. ونمى الخضاب والسعر: ارتفع وغلا، فهو ينمي»(٢).

وذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) المقصود بالنمو بقوله: «نمي: النَّماءُ: الزِّيادة، نَمَى يَنْمِي نَمْيًا ونُمِيًّا ونَماءَ: زاد وكثر»(٣).

وذكر الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م): «نَما نُمُوًّا: ارْتَفَعَ.. أَنْماهُ الله إنماءً: زادَهُ.. وأَنْماهُ ونَمَّاهُ جَعَلَهُ نامِيًا، والأشياءُ كُلُّها على وَجْهِ الأرضِ نامٍ وصامتٌ: فالنَّامِي مثْلُ النَّباتِ والشَّجَرِ ونحوِهِ، والصَّامتُ؛ كالحَجَرِ ونحوِهِ»(٤).

(١) العين: ٨/ ٣٨٥.
(٢) الصَّحاح: ٦/ ٢٥١٦.
(٣) لسان العرب، نشر أدب الحوزة (قم، ١٤٠٥هـ): ١٥/ ٣٤١.
(٤) تاج العروس: ٢٠/ ٢٦٥.

ثانيًا: التنمية البشريَّة اصطلاحًا

من الواضح والمعلوم أنَّ مصطلح التنمية البشريَّة مصطلح معاصر تمَّ تداوله في القرن العشرين، ولا يوجد تعريف جامع مانع يجمع حدود المصطلح، إلَّا أنَّ الدكتور الكماليّ ذكر أنَّ: «الأستاذ (محبوب الحقِّ) الذي يعدُّ الرائد الأوَّل في بيان معالم التنمية البشريَّة، الذي أعدَّ التقرير الإنمائيّ الأوَّل للأمم المتَّحدة، عرَّفها بأنَّها: عملية تهدف إلى زيادة القدرات المتاحة أمام الإنسان»(١).

واعتمادًا على هذا المفهوم، عرَّفت الباحثة سماح الغندور التنمية البشريَّة بأنَّها عمليَّة «تدور حول تطوير القدرات البشريَّة بأمور يتمكَّن الإنسان من خلالها سدَّ احتياجاته الماديَّة والمعنويَّة والاجتماعيَّة والعقليَّة، إذ إنَّها توسِّع قدرة الإنسان لبلوغ أقصى الغايات من حيث هو، سواء كان فردًا أو مجتمعًا، ومع أنَّ هذه القدرات والخيارات غير محدودة، إلَّا أنَّنا يمكن أن نميِّز منها ثلاث خيارات، تتمثل في ضرورة أن يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل، وأن يكتسبوا المعرفة، ويحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة، ثمَّ تمتدُّ هذه الخيارات حتَّى تستوعب الحريَّات السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، واحترام حقوق الإنسان»(٢).

وعرَّفها الدكتور الكماليّ بأنَّها: «عبارة عن عمليَّات إجرائيَّة منظَّمة على وفق رؤية فكريَّة، تهدف لتطوير القوى الكامنة في الإنسان، بصقلها وتوجيهها نحو تحقيق طموحاته، بغية إشباع حاجاته المشروعة في شتَّى مجالات الحياة»(٣).

وبناءً على ما ذُكِر نخلص إلى أنَّ التنمية البشريَّة تتمثَّل بتشكيل القدرات البشريَّة، مثل الصحَّة والمعرفة والمهارات، ومن ثمَّ تهيئة السبل الكفيلة لانتفاع الناس بقدراتهم المكتسبة في المجالات الشخصيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة والسياسيَّة.

(١) طلال فائق، التنمية البشريَّة في القرآن الكريم (دراسة موضوعيَّة): ٤٣.
(٢) ينظر: سماح طه أحمد، التنمية البشريَّة في السنة النبويَّة (دراسة موضوعيَّة): ٣.
(٣) طلال فائق، التنمية البشريَّة في القرآن الكريم (دراسة موضوعيَّة): ٥٠-٥١.

المحور الثاني

مرتكزات التنمية البشريَّة

أشار الدكتور الكمالي إلى أنَّه «على الرغم من حداثة مصطلح التنمية البشريَّة، إلَّا أنَّ مفهومه ومضامينه لم تكن جديدة على الساحة الإنسانيَّة، هذا إن لم يكن قد اقترن بوجود الإنسان وتطوَّر بتطوُّره، كما لا نجده بعيدًا عن منأى الإسلام وميدانه»[1].

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الإسلام يتمثَّل بالقرآن الكريم وسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام، وقد كان أهل البيت عليهم السلام نِعمَ العون والموجِّه للأمَّة الإسلاميَّة؛ للتخلُّص من تخلُّفها وانهيارها السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، وتوجيهها نحو كيان اجتماعيّ أرسخ وأغنى وأرفه وأنمى، رغم بعدهم عن السلطة السياسيَّة، إذ نجد أنَّ سيرتهم قد احتوت على أهمِّ الركائز والمقوِّمات والأسس التي تعتمد عليها التنمية البشريَّة، وشخَّصت معوِّقاتها، وكانت سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من ضمن هذه السِّيَر التي بيَّنت لنا هذه الأسس بشكلٍ عمليٍّ ونظريّ، ومن خلال مراجعتنا لهذه السيرة العطرة، تبيَّن أنَّ من أهمِّ مرتكزات التنمية البشريَّة في الإسلام، هي:

أوَّلًا: القيادة الصالحة

لعلَّ من أهمِّ الأسس التي ينبغي توفُّرها لتحقيق التنمية الشاملة، ومنها التنمية البشريَّة، وجود نظام سياسيّ صالح يعمل على تطبيق الشرع الإسلاميّ في كلِّ مفاصل الحياة دون تحريف، ودون توفُّر ذلك، لا يمكن أن يتحقَّق أي تقدُّم في أيِّ مفصل من

(١) طلال فائق الكمالـيّ، مصدر سابق: ١٩٥.

مفاصل الحياة، بل إنَّ فساد النظام السياسيّ يعدُّ من أبرز معوِّقات التنمية، وسيجعل الأمَّة ترجع إلى جاهليَّتها الأولى، وتُصبح لقمة سائغة للأمم الأخرى، تنهب خيراتها، وتستغل مواردها، وتذيقها أنواع العذاب.

وقد شخَّصت لنا السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، منذ وقت مبكِّر، الانحراف السياسيّ الذي أصاب الأمَّة الإسلاميَّة، والانقلاب الذي حصل على التعاليم الإلهيَّة التي جعلت الولاية لأمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وبيَّنت أنَّ من تولَّى الزَّعامة بالانقلاب سيعمل على إرجاع الأمَّة إلى جاهليَّتها، وأنَّ الفتن ستتوالى عليها، وستمنع حصول أي مظهر من مظاهر التنمية، سواء كانت بشريَّة، أو غيرها من أنواع التنمية الأخرى.

وهذا ما أشارت إليه السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بقولها: «**فلمَّا اختار الله لنبيِّه صلى الله عليه وآله دار أنبيائه، وأتمَّ عليه ما وعده، ظهرت حسيكة النفاق، وسمل جلباب الإسلام، فنطق كاظم، ونبغ خامل، وهدر فينق الكفر يخطر في عرصاتكم، فاطلَع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفًا بكم، فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرة فيه ملاحِظين، واستنهضكم فوجدكم خفافًا، وأحمشكم فوجدكم غضابًا، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لـمَّا يندمل، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتموها شرابًا ليس لكم، والرسول لـمَّا يُقبَر، بدارًا زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا.. أنَّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوَّة، ومهبط الروح الأمين، والضنين بأمر الدنيا والدين، أَلَا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا والله نكير سيفه، وشدَّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمُّره في ذات الله عزَّ وجلَّ، وتالله لو تكافوا عن زمامٍ نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله.. لأوردهم منهلًا نميرًا فضفاضًا، تطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطانًا.. وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلمَّ فاسمع، ما عشت أراك الدهر العجب.. استبدلوا والله الذنابي بالقوادم، والعجز بالكاهل.. يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا.. أما لعمر إلهك لقد لقحت،**

فنظرة ريث ما تنتج، ثمَّ احتلبوا طلاع القعب دمًا عبيطًا وذعافًا ممقرًا، هنالك يخسر المبطلون، ويَعرف التالون غبَّ ما أسَّس الأوَّلون، ثمَّ طيبوا عن أنفسكم أنفسنا، فطامنوا للفتنة جأشًا، وأبشروا بسيفٍ صارمٍ وهرجٍ شاملٍ واستبدادٍ من الظالمين يدع فيأكم زهيدًا، وجمعكم حصيدًا، فيا حسرةً لكم، وأنَّى لكم، وقد عميت عليكم ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[1]»[2].

ومن الأدلَّة الأخرى على الانحراف السياسيّ، ما ذكره عليّ بن إبراهيم القمِّيّ (ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) «وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[3]، قال: نزلت فيمن غصب أمير المؤمنين عليه السلام حقَّه، وأخذ حقَّ فاطمة عليها السلام وآذاها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من آذاها في حياتي كمن آذاها بعد موتي، ومن آذاها بعد موتي كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»**[4].

ثانيًا: الاستثمار الأمثل للموارد المتاحة

ومن أسس التنمية البشريَّة الاستثمار الأمثل للموارد الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والفكريَّة المتاحة في البلد، بما ينفع المجتمع، ويعزِّز التنمية البشريَّة، ويمهِّد لها، فلا شكَّ أنَّ الإنسان لا يمكن له أن يكون عنصرًا فعَّالًا في المجتمع بدون تهيئة السبل اللازمة له للقيام بذلك، ومن هذه السبل استثمار الموارد الاقتصاديَّة بأعمال منتجة تعينه على تحقيق التنمية، وعدم استغلالها بأعمال ترفيهيَّة، الغرض منها المظاهر أو التكبر أو التباهي أمام الأفراد أو المجتمعات، أو إعطاء هذه الموارد على شكل هدايا ورشاوى للمطبِّلين للسلطة؛ لكسب ولائهم، أو لإسكاتهم وشراء ذممهم، مقابل السكوت عن انحراف السلطة عن نهج الإسلام الأصيل.

(١) سورة هود: ٢٨.
(٢) الأربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الائمَّة: ٢/ ١١١-١١٦.
(٣) سورة الأحزاب: ٥٧.
(٤) تفسير القمِّيّ: ٢/ ١٩٦.

ومن الأدلَّة في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام التي تشير إلى رغبتها في الاستثمار الأمثل للموارد الاقتصاديَّة، وتسخيرها لتحقيق التنمية البشريَّة في الإسلام، ما جرى من مطالبتها بإرثها في فدك، وغيرها من الموارد التي تركها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وعملت السلطة السياسيَّة على اغتصابها ومصادرتها وتسخيرها لصالحها، بدفعها على شكل رِشى ورواتب وامتيازات بعيدة عن مبادئ الإسلام؛ لكسب الأتباع، وإسكات المعارضين بشراء ذِمَمهم.

وهذا ما أشار إليه الأربلِّيّ (ت٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م): «إنَّ فاطمة سألت أبا بكر أن يقسِّم لها ميراثها، وفي رواية أخرى أن فاطمة والعبَّاس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك، وسهمه من خيبر، فقال أبو بكر: إنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركنا صدقة، إنَّما يأكل آل محمَّد من هذا المال، وإنِّي والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصنعه فيه إلَّا صنعته.. فهجرته فاطمة، فلم تكلِّمه في ذلك حتَّى ماتت، فدفنها عليّ عليه السلام ليلًا، ولم يؤذن بها أبا بكر»[1].

وقد علَّق الأربلِّيّ على هذا الفعل من قِبل السلطة، وبيَّن أنَّها مخالفة للعرف والشرع والقانون، وكان على السلطة أن تفعل غير ذلك بقوله: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى فاطمة عليها السلام فدك؟ قال: **كان رسول الله صلى الله عليه وآله وقَفَها، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه** ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، **فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله حقَّها**. قلت: رسول الله أعطاها؟ قال: **بل الله تبارك وتعالى أعطاها**. وقد تظاهرت الرواية من طرق أصحابنا بذلك، وثبت أنَّ ذا القربى عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. وعلى هذا فقد كان أبو بكر وعمر لـمَّا وليا هذا الأمر يرتِّبان في الأعمال والبلاد القريبة والنائية من الصحابة والمهاجرين والأنصار مَن لا يكاد يبلغ مرتبة عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ولا يقاربها، فلو اعتقدا هم مثل بعض الولاة وسلَّما إليهم هذه الصدقة، التي قامت النائرة في أخذها،

(١) كشف الغمة في معرفة الائمَّة: ٢/ ١٠٢.

وعرَّفاهم ما رواياه، وقالا لهم أنتم أهل البيت، وقد شهد الله لكم بالطهارة، وأذهب عنكم الرجس، وقد عرَّفناكم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورِّث ما تركنا صدقة، وقد سلَّمناها إليكم، وشغلنا ذمكم بها، والله من وراء أفعالكم فيها، وهو سبحانه بمرأى منكم ومسمع، فاعملوا فيها بما يقرِّبكم منه ويزلفكم عنده، فعلى هذا سلَّمناها إليكم وصرفناكم فيها، فإن فعلتم الواجب الذي أُمِرتم به وفعلتم فيها فعل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أصبتم وأصبنا، وإن تعدَّيتم الواجب وخالفتم ما حدَّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أخطأتم وأصبنا، فإنَّ الذي علينا الاجتهاد، ولم نألُ في اختياركم جهدًا، وما علينا بعد بذل الجهد لائمة. وهذا الحديث من الإنصاف كما ترى، والله الموفق والمسدِّد»[1].

ثالثًا: التكافل الاجتماعيّ

لا يمكن إحداث تنمية بشريَّة لتكون أساسًا لجوانب التنمية الأخرى، بدون وجود عدالة اجتماعيَّة واقتصاديَّة يتمتَّع فيها جميع أفراد المجتمع بنفس الحقوق، ويؤدُّون الواجبات نفسها، بغضِّ النظر عن انتماءاتهم الفكريَّة أو الدينيَّة أو المذهبيَّة أو العرقيَّة، أو ما إلى ذلك من فوارق، وقد عمل الإسلام على ذلك من خلال العديد من التشريعات والفرائض مثل الزكاة، والخمس، والحثِّ على أداء الصدقات، للوصول إلى مجتمع إنسانيّ يعيش فيه الفرد متمتِّعًا بكامل الحقوق، وتتوفَّر له كافَّة سبل العيش الكريم، ولهذا نجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يحثُّ المسلمين على مساعدة الفقراء والمساكين، وتوفير مستلزمات العيش لهم؛ لاستغلال قدراتهم في بناء المجتمع، وإحداث التنمية، بدل الانشغال في تحصيل لقمة العيش التي تتوفَّر للجميع، لولا استئثار الأغنياء بالأموال وخزنها في خزائنهم.

وتبيَّن لنا ذلك في سيرة السيِّدة الزَّهراء بشكلٍ عمليّ، إذ قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة عليها السلام، وإذا في عنقها قلادة، فأعرض عنها،**

(١) كشف الغمة في معرفة الائمَّة: ٢/ ١٠٦.

فقطعتها ورمت بها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت منّي يا فاطمة، ثمَّ جاء سائل فناوله القلادة»[1].

وذكر الشيخ الصدوق (ت ٣١٨هـ/ ٩٩١م) «كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا قدِم من سفر، بدأ بفاطمة عليها السلام فدخل عليها.. فخرج مرَّة في سفر، فصنعت فاطمة عليها السلام مسكتَين من ورق[2]، وقلادة وقرطَين، وسترًا لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها عليهما السلام، فلمَّا قدِم رسول الله صلى الله عليه وآله دخل عليها.. فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عُرِف الغضب في وجهه حتَّى جلس عند المنبر.. فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها، ونزعت الستر، فبعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالت: **إجعل هذا في سبيل الله**. فلمَّا أتاه وخبره، قال صلى الله عليه وآله: **فعلت فداها أبوها.. ليست الدنيا من محمَّد ولا من آل محمَّد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة، ما أسقى منها كافرًا شربة ماء**. ثم قام فدخل عليها»[3].

وحثَّت عليها السلام على التكافل الاجتماعيّ في خطبتها في المسجد النبويّ، بقولها: «**والزكاة تزييدًا لكم في الرزق.. والأمر بالمعروف مصلحة للعامَّة، والبرُّ بالوالدين وقاية من السخطة، وصلة الأرحام منسأة للعمر ومنماة للعدد.. والوفاء بالنذور تعريضًا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييرًا للبخسة.. والتنزُّه عن أكل أموال الأيتام والاستيثار بفيئهم إجارة من الظلم، والعدل في الأحكام إيناسًا للرعية.. فاتَّقوا الله حقَّ تقاته، وأطيعوه فيما أمركم به، فإنَّما يخشى الله من عباده العلماء**»[4].

وذكر ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) «أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة، فإذا في عنقها قلادة، فأعرض عنها، فقطعتها فرمت بها، فقال رسول الله: .. **لا يغرنَّك**

(١) كشف الغمَّة في معرفة الائمَّة: ٢/ ١٠٠.

(٢) المسكة: اسورة في أيدي النساء؛ الورق الفضَّة بكسر الراء. ينظر: الخليل الفراهيديّ، العين: ٥/ ٣١٨، ابن قتيبة الدينوري، غريب الحديث: ١/ ٧٧.

(٣) الأمالي: ٣٠٥.

(٤) كشف الغمَّة في معرفة الائمَّة: ٢/ ١١١.

الناس أنَّ يقولوا بنت محمَّد، وعليك لبس الجبابرة. فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة فأعتقتها، فسرَّ رسول الله بذلك»[1].

وذكر الطبريّ الشيعيّ (ت ق٤هـ/ ١٠م) «**عن جعفر بن محمَّد، عن آبائه عليهم السلام أنَّ فاطمة عليها السلام أوصت لأزواج النبيّ صلى الله عليه وآله لكلِّ واحدة منهنَّ باثنتي عشرة أوقيَّة، ولنساء بني هاشم مثل ذلك، وأوصت لأُمامة بنت أبي العاص بشيء**». وفي حديث آخر: «عن زيد ابن عليّ أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تصدَّقت بمالها على بني هاشم، وبني عبد المطَّلب، وأنَّ عليًّا تصدَّق عليهم، وأدخل معهم غيرهم»[2].

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ ما ذكرناه هنا من روايات تشير إلى التكافل الاجتماعيّ يمكن أن تعدُّ دليلا آخر على ما ذكرناه سابقًا من سعي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام إلى الاستثمار الأمثل للموارد الاقتصاديَّة المتاحة، فبدلا من استعمال الذهب والفضَّة لغرض الزينة والتجمُّل، تمَّ استغلالها بشكل أمثل لإعتاق العبيد، وإعادة بناء المجتمع بشكلٍ عادل.

رابعًا: بناء الذات

من مرتكزات إحداث التنمية البشريَّة هي بناء الإنسان لذاته، فهو الوسيلة والغاية من التنمية، وبدون وجود إنسان واعٍ متحضِّر لا يمكن إحداث أي تغيير في بنية الفرد والمجتمع، مهما كانت القيادة صالحة، واستثمرت الموارد الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة بشكل سليم، وبيَّنت لنا سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أهمَّ الوسائل التي من خلالها يتمكَّن الإنسان من بناء ذاته، ويُصبح وسيلة فعَّالة في إحداث التنمية البشريَّة، وهي:

أ. اكتساب المعارف والعلوم:

بينَّا فيما سبق أنَّ من مظاهر التنمية البشريَّة الحصول على العلم والمعرفة، ولا ريب أنَّها من أولويَّات مستلزمات التنمية، ولا يمكن إحداث تغيير جذريّ في أيِّ مجتمع

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢١.

(٢) دلائل الإمامة: ١٣١.

ما لم يتسلَّح الفرد بالعلوم والمعارف الدنيويَّة اللازمة للنهوض بالواقع الاقتصاديّ والاجتماعيّ، والوصول به إلى مراحل عليا من التطوُّر والسموِّ والارتقاء.

وقد لمسنا ذلك في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إذ ذكر الصفَّار (ت٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) أنَّ الامام الصادق عليه السلام قال: «**الجفر.. فيه كتب وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وخطَّه عليّ عليه السلام بيده، وفيه مصحف فاطمة، ما فيه آية من القرآن**»(١).

وذكر الشيخ الكلينيّ (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **جاءت فاطمة عليها السلام تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعض أمرها، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله كريسة**(٢)، **وقال: تعلَّمي ما فيها**»(٣).

ب. الوعي الصحِّي:

ويعدُّ الوعي الصحِّيّ من مستلزمات بناء الذات، إذ إنَّه يمكِّن الأفراد من بناء أجسام سليمة تحوي عقول سليمة، يمكن لها أن تُنتِج أفكار مبدعة تبتكر ما يسهل وييسِّر على المجتمع إنجاز التنمية، فضلًا عن وجود أفراد بأجسام وعقول سليمة قادرة على العمل والإنتاج، وقد ذكرنا سابقًا أنَّ من محاور التنمية البشريَّة أن يعيش الإنسان حياة صحيَّة وطويلة في معرض حديثنا عن مفهوم التنمية.

ولا شكَّ أنَّ الاهتمام بنوع الأغذية والألبسة، والاقتصار منها على حدِّ الكفاف، والابتعاد عن الإسراف والتبذير من الأسس المهمَّة للحصول على جسم سليم، وهذا ما أشارت إليه السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في خطبتها، إذ قالت: «**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها.. تشربون الطرق وتقتاتون القد، أذلَّة خاشعين،**

(١) بصائر الدرجات: ١٧٦.

(٢) الكريسة: مصغَّر الكرَّاسة، وهي الجزء من الصحيفة. ينظر:الكليني، الكافي: ٢/ ٦٦٧ الهامش.

(٣) الكافي: ٢/ ٦٦٧.

تخافون أن يتخطَّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله بنبيِّه صلى الله عليه وآله بعد اللتيَّا والتي»[1].

وذكر ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) «عن جابر الأنصاريّ أنَّه رأى النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة وعليها كساء من أجلَّة الإبل، وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **يا بنتاه تعجَّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة**. فقالت: **يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه**»[2].

وذكر الراونديّ (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) «أنَّ عليًّا عليه السلام استقرض شعيرًا من يهوديّ، فاسترهنه شيئًا، فدفع إليه ملاءة[3] فاطمة رهنًا، وكانت من الصوف، فأدخلها اليهوديّ إلى داره ووضعها في بيت، فلمَّا كانت الليلة، دخلت زوجته البيت الذي فيه الملاءة لشغل، فرأت نورًا ساطعًا، فخرج اليهودي يعدو إلى أقربائه، وزوجته تعدو إلى أقربائها.. فاستجمع ثمانون نفرًا من اليهود، فرأوا ذلك، وأسلموا كلُّهم»[4].

والروايات تشير إلى نوعيَّة الطعام واللباس الصحِّيّ الذي يفضِّله أهل البيت عليهم السلام، إذ إنَّهم يطحنون الحبوب في بيوتهم، ويلبسون الثياب البسيطة، على الرغم من أنَّ أسواق مكَّة والمدينة والكوفة تحتوي على أنواع الطعام والثياب الفاخرة، إلَّا أنَّهم يختارون هذه الأنواع؛ لما لها من أثار صحيَّة جيدة على جسم الإنسان، فضلًا عن آثارها الخارجيَّة، إذ إنَّ الزهد والقناعة والاكتفاء باللباس البسيط له أثر في تحقيق التنمية البشريَّة، إذ نرى أنَّ أكثر من ثمانين فردًا من اليهود دخلوا الإسلام؛ نتيجة تأثُّرهم بملاءة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

---

(١) كشف الغمَّة في معرفة الائمَّة: ٢/ ١١١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢٠.

(٣) الملاءة في العرض فإذا وصلت نصفًا بنصف، فهي ملاءة، فإن كانت الملاءة قطعة واحدة، فهي ريطة. ابن قتيبة الدينوريّ، غريب الحديث: ١/ ١٤٦.

(٤) الخرائج والجرائح: ٢/ ٥٣٨.

وقد بيَّن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أثر الطعام والشراب والملبس البسيط في الحصول على أجسام وعقول سليمة، بوصيَّته لابن مسعود بقوله: «**يا ابن مسعود: إن شئت نبَّأتك بأمر نوح نبيّ الله عليه السلام، إنَّه عاش ألف سنة إلَّا خمسين عامًا يدعو إلى الله، وكان لباسه الشَّعر، وطعامه الشعير، وإن شئت نبَّأتك بأمر داوود عليه السلام خليفة الله في الأرض، كان لباسه الشَّعر، وطعامه الشعير، وإن شئت نبَّأتك بأمر سليمان عليه السلام، مع ما كان فيه من الملك، كان يأكل الشَّعير، وكان لباسه الشَّعر، وإن شئت نبَّأتك بأمر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، كان لباسه الصوف، وطعامه الشعير.. نبَّأتك بأمر عيسى بن مريم عليه السلام فهو العجب، كان يقول: إدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، ودابَّتي رجلَاي، وسراجي بالليل القمر، واصطلائي في الشتاء مشارق الشمس، وفاكهتي وريحانتي بَقول الأرض ممَّا يأكل الوحوش والأنعام، أبيت.. وليس على وجه الأرض أحد أغنى منِّي**»[1].

ومن أسس السلامة الصحيَّة للفرد، وجوب تنظيم العلاقة الاجتماعيَّة بين الأفراد، وتقنينها ووضعها في الإطار الشرعيّ الصحيح الذي يضمن سلامة الأفراد والمجتمع، وإبعاد الآفات والأمراض التي تنتج عن العلاقات المشبوهة.

ونرى هذا الأمر في سيرة الزَّهراء عليها السلام، إذ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**تقاضى عليّ وفاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الخدمة، فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على عليّ ما خلفه، قال: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلَّا الله بإكفائي رسول الله صلى الله عليه وآله تحمُّل رقاب الرجال**»[2].

وذكر الراونديّ (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) «قال عليّ عليه السلام: **استأذن أعمى على فاطمة صلوات الله عليها، فحجبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم حجبتِه وهلَّا يراك ؟ فقالت عليها السلام: إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشمُّ الريح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشهد أنَّك بضعة منِّي**»[3].

(١) الطبرسيّ، مكارم الأخلاق: ٤٤٨.
(٢) الحميريّ القمِّيّ، قرب الإسناد: ٥٢.
(٣) النوادر: ١١٩.

وذكر الشيخ المجلسيّ (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م) «روى عن عليّ عليه السلام قال: **كنَّا جلوسًا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أخبروني أي شيءٍ خير للنساء، فعيينا بذلك كلّنا حتَّى تفرَّقنا، فرجعت إلى فاطمة عليها السلام، فأخبرتها الذي قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس أحد منَّا علمه ولا عرفه. فقالت: ولكنِّي أعرفه، خيرٌ للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهنَّ الرجال. فرجعت إلى رسول الله.. فأُعجِب ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إنَّ فاطمة بضعة منِّي**»[1].

وفي مقابل النهي عن العلاقات المشبوهة الخارجة عن تعاليم الشريعة الإسلاميَّة التي تعمل على تدمير أسس البناء الاجتماعي الفعَّال، كانت سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تشجِّع على قيام العلاقات الاجتماعيَّة وفق الأطر الإسلاميَّة الصحيحة، وتحثُّ على تذليل العقبات أمام قيام مثل هذه العلاقات التي تعمل على بناء المجتمع بناءً صحيحًا، نتيجة ظهور جيل جديد نشأ وتربَّى وفق القيم والمفاهيم الإسلاميَّة الصحيحة.

وهذا ما أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام إذ قال: «**كان فراش عليّ وفاطمة عليهما السلام حين دخلت عليه إهاب كبش، إذا أرادا أن يناما عليه قلباه فناما على صوفه**. قال: **وكانت وسادتها أدمًا**[2] **حشوها ليف**. قال: **وكان صداقها درعًا من حديد**»[3].

ج. التكامل الروحيّ

لا شكَّ أنَّ الإنسان لا يمكن له أن يرتقي بالمعارف والعلوم التي يكتسبها بجسمه وعقله السليم، ويستخدمها في الأمور الإيجابيَّة التي تحقِّق السعادة له وللمجتمع الذي يعيش فيه، بدون أن يتكامل روحيًّا من خلال صحَّة المعتقدات التي يتبنَّاها ويؤمن بها، وبدون ذلك سوف تتحوَّل جميع هذه المعارف والعلوم والموارد إلى معوِّقات للتنمية، بدلًا أن تكون أساسًا لها، بل ستكون نقمة ووبال على الفرد نفسه، وعلى مجتمعه.

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٥٤.
(٢) الأَدَمَةُ: باطنُ الجلْد الذي يَلي اللحم والبَشَرةُ ظاهرها. ابن منظور، لسان العرب: ١٢/ ١٠.
(٣) الحميريّ القمِّيّ، قرب الإسناد: ١١٢.

ونجد التأكيد على هذا الأمر في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إذ إنَّها بيَّنت لنا متطلَّبات التكامل الروحيّ للإنسان، وتتلخَّص بعدَّة وسائل، وهي:

١. **الالتزام بتأدية الفرائض اليوميَّة**: وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل: «يا ابن رسول الله، لم سمِّيت الزَّهراء عليها السلام زَّهراء؟ فقال: **لأنَّها تزهر في النهار ثلاث مرَّات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة فتبيضُّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك فيأتون النبيّ صلى الله عليه وآله فيسألونه عمَّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام، فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلِّي والنور يسطع من محرابها من وجهها، فيعلمون أنَّ الذي رأوه كان من نور فاطمة، فإذا نصف النهار وترتَّبت للصلاة، زهر وجهها عليها السلام.. فيرونها قايمة في محرابها.. فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس، احمرَّ وجه فاطمة عليها السلام فأشرق وجهها بالحمرة فرحًا وشكرًا لله عزَّ وجلَّ، فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمرُّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك ويأتون النبيّ صلى الله عليه وآله ويسألونه عن ذلك، فيرسلهم إلى منزل فاطمة، فيرونها جالسة تسبِّح الله وتمجِّده**»[١].

وذكر الشيخ المجلسيّ (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م) «وسمِّيت فاطمة عليها السلام البتول؛ لانقطاعها عن نساء زمانها، فضلًا ودينًا وحسبًا، وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى»[٢].

وقالت عليها السلام في خطبتها مؤكِّدة على وجوب أداء الفرائض: «**ففرض الله الإيمان تطهيرًا لكم من الشِّرك، والصلاة تنزيهًا لكم من الكبر، والزكاة تزييدًا لكم في الرزق، والصِّيام تبيينًا إمامتنا، والحج تسنية للدين، والعدل تنسُّكًا للقلوب**»[٣].

(١) الصدوق، علل الشرائع: ١/ ١٨١.
(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ١٥.
(٣) كشف الغمَّة في معرفة الائمَّة: ٢/ ١١٠.

٢. **التأكيد على وجوب الإيمان الصحيح والابتعاد عن العقائد المنحرفة:** مثل الطعن بالتوحيد، والتجسيم، والرؤية، وغيرها من الإسرائيليَّات التي وجدت طريقها إلى الفكر الإسلاميّ، وانتشرت في المجتمع نتيجة الدعم المادِّيّ والمعنويّ من قبل السلطة الرسميَّة، في محاولة منها لدفع الناس عن الإسلام الصحيح الذي يمثِّله أهل البيت عليهم السلام، وبالتالي سحب مرجعيَّهم عن الأمَّة، وإيجاد بدائل فاسدة عنها، تعمل على مجاراة السلطة، وتفتي بما ترغب.

وهذا ما نجده في خطبتها عليها السلام في المسجد النبويّ أمام من اغتصب السلطة بقولها: «**أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدَّم من عموم نِعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وإحسان منن أولاها، جمَّ عن الإحصاء عددها.. وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأبان في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام الإحاطة به، أبدع الأشياء لا من شيء كان قبله، وأنشأها بلا احتذاء مثله، وسمَّاها بغير فائدة زادته إلَّا إظهارا لقدرته، وتعبُّدا لبريَّته، وإعزازًا لأهل دعوته**»[1].

٣. **المواظبة على المستحبَّات:** والتأكيد على أهميَّتها في تزكية النفس، ونهيها عن التكبُّر، والارتقاء بها إلى منازل عليا تجعلها تعي بأنَّ الحياة الدنيا هي مجرَّد مكان للعمل الصالح من أجل العبور والوصول إلى النعيم الأبديّ في الآخرة، وبالتالي فإنَّ أي عمل يقوم به الإنسان لا بدَّ أن يكون مطابقًا للتعاليم الإلهيَّة من أجل الإصلاح وتحقيق التنمية لتحقيق الغاية من الاستخلاف الإلهيّ في الأرض.

ونلمس ذلك في سيرة السيِّدة لزَّهراء عليها السلام، إذ ذكر البرقيّ (ت٢٧٤هـ/ ٨٨٧م) «عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **من سبح الله في دبر الفريضة قبل أن يثني رجليه تسبيح**

(١) كشف الغمَّة في معرفة الائمَّة: ٢/ ١٠٩.

فاطمة عليها الصلاة والسلام، المائة، وأتبعها بلا آله إلَّا الله، مرة واحدة غفر له»[1].

وذكر الشيخ الكلينيّ «عن أبي جعفر عليه السلام قال: **ما عُبِد الله بشيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه؛ لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام**»[2].

وذكر الشيخ الصدوق «عن موسى بن جعفر، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: **كانت فاطمة عليها السلام إذا دعت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها فقيل لها يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّك تدعين للناس ولا تدعين لنسفك؟ فقالت: الجار ثمَّ الدار**»[3].

(١) المحاسن: ١/ ٣٦.
(٢) الكلينيّ، الكافي: ٣/ ٣٤٣.
(٣) علل الشرائع: ١/ ١٨٢.

الخاتمة

وفي نهاية البحث توصلنا إلى النتائج الآتية:

١. من ضمن المفاهيم الاقتصاديَّة الحديثة مصطلح التنمية، وهناك تنمية اقتصاديَّة، وأخرى اجتماعيَّة، وأخرى بشريَّة، ولكلٍّ منها تعريفها الخاص، وعرفنا من خلال البحث أنَّ مفهوم التنمية البشريَّة يعني زيادة وتوسيع الخيارات المتاحة أمام الناس، وهي تنقسم إلى ثلاثة محاور رئيسة، وأخرى مكمِّلة تناولناها بالبحث.

٢. على الرغم من حداثة المصطلح، إلَّا مفهومه ومضامينه موجود في الإسلام، وكانت سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قد شخَّصت لنا أهمَّ المرتكزات والوسائل التي تساعد على إحداث عمليَّة التنمية البشريَّة في الإسلام، وفي نفس الوقت شخَّصت لنا أهمَّ المعوِّقات التي تعترضها.

٣. بيَّنت لنا سيرة الزَّهراء عليها السلام أنَّ التنمية البشريَّة تتطلَّب وجود قيادة سياسيَّة صالحة تتبنَّى الإصلاح والنمو الاجتماعيّ والاقتصاديّ والبشريّ، وبدونها لا يمكن إحداث أي تطوُّر وتقدُّم ونمو.

٤. عمليَّة التنمية البشريَّة تتطلَّب الاستثمار الأمثل للموارد الاقتصاديَّة المتاحة، فضلًا عن أهميَّة وجود أسس التكافل الاجتماعيّ، أمَّا توجيه الموارد نحو الترف والتبذير وترسيخ الفوارق الطبقيَّة، فيعدُّ من أبرز معوِّقات التنمية الشاملة.

٥. يعدُّ الإنسان هو وسيلة التنمية وغايتها في آنٍ واحد، ولكي يقوم بدوره الفعَّال في ذلك، لا بدَّ له من بناء ذاته، وشخَّصت لنا سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أهمَّ مرتكزات بناء الـذات، وهي وجوب التزوُّد بالمعارف والعلوم، والوعي الصحِّيّ، والتكامل الروحيّ، الذي يستند إلى ثلاث أمور، وهي الالتزام بتأدية الفرائض، والإيمان الصحيح بعيدًا عن الانحرافات الفكريَّة، والمواظبة على أداء المستحبَّات.

المصادر والمراجع

أوَّلًا: المصادر الأوليَّة

* **القرآن الكريم.**

* **الأربلِّيّ، عليّ بن عيسى (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م).**

١. كشف الغمَّة في معرفة الائمَّة، ط٢، دار الأضواء (بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

* **البرقيّ، أحمد بن محمَّد (ت ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م).**

٢. المحاسن، تحقيق: السيِّد جلال الدين الحسينيّ، ط١، مطبعة رنگين، تهران، دار الكتب الإسلاميَّة (طهران ١٣٧٠هـ).

* **الجوهريّ، إسماعيل بن حمَّاد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م).**

٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، ط٤، دار العلم للملايين (بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

* **الحميريّ القمِّيّ، عبد الله بن جعفر (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م).**

٤. قرب الإسناد، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، مطبعة مهر (قم ١٤١٣هـ).

* **الخليل الفراهيديّ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م).**

٥. كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزوميّ، الدكتور إبراهيم السامرَّائيّ، ط٢، مؤسَّسة دار الهجرة (إيران ١٤٠٩هـ).

* **الراونديّ، فضل الله بن عليّ (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).**

٦. النوادر، تحقيق: سعيد رضا عليّ العسكريّ، ط١، دار الحديث (قم ١٣٧٧هـ).

* **الزبيديّ، السيِّد محمَّد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).**

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عليّ شيري، مطبعة دار الفكر (بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

* **ابن شهرآشوب، محمَّد بن عليّ (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).**

٨. مناقب آل أبي طالب، تحقيق وتصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدريَّة (النجف ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م).

* **الصدوق، محمَّد بن عليّ (ت ٣٨١ هـ/ ٩٩١م).**

٩. الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة (طهران ١٤١٧هـ).

١٠. علل الشرائع، تحقيق: محمَّد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدريَّة ومطبعتها (النجف الأشرف ١٣٥٨هـ/ ١٩٦٦م).

* **الصفَّار، محمَّد بن الحسن (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م).**

١١. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمَّد عليهم السلام، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوجة باغي، مطبعة الأحمديّ، منشورات الأعلميّ (طهران ١٤٠٤هـ).

* **الطبرسيّ، أحمد بن عليّ (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).**

١٢. مكارم الأخلاق، ط٦، منشورات الشريف الرضيّ (إيران ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

* **الطبريّ الشيعيّ، محمَّد بن جرير (ت ق ٤هـ/ ق ١٠م).**

١٣. دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسَّسة البعثة، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة (قم ١٤١٣هـ).

* **عليّ بن إبراهيم القمِّيّ (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م).**

١٤. تفسير القمِّيّ، تحقيق: السيِّد طيِّب الموسوي، ط٣، مؤسَّسة دار الكتب للطباعة والنشر (قم ١٤٠٤هـ).

* **ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).**

١٥. غريب الحديث، تحقيق: دكتور عبد الله الجبوريّ، ط١، دار الكتب العلميَّة (قم ١٤٠٨هـ).

* **قطب الدين الراونديّ، سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م).**

١٦. الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، إشراف السيِّد محمَّد باقر الموحد الأبطحيّ، ط١ كاملة محقَّقة، المطبعة العلميَّة (قم د.ت).

* **الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م).**

١٧. الكافي، تحقيق: عليّ أكبر غفاري، ط٥، مطبعة حيدريّ (طهران ١٣٣٦هـ).

* **المجلسيّ، محمَّد باقر محمَّد تقي (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م).**

١٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، ط٢، تحقيق: يحيى العابديّ، دار إحياء التراث العربيّ (بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

* **ابن منظور، محمَّد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).**

١٩. لسان العرب، نشر أدب الحوزة (قم ١٤٠٥هـ).

ثانيا: المراجع الثانويَّة

* **الكماليّ: طلال فائق.**

٢٠. التنمية البشريَّة في القرآن الكريم، ط١، دار المحجَّة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع (كربلاء، ١٤٣٥هـ).

ثالثًا: البحوث والدراسات

*** الغندور: سماح طه أحمد.**

٢١. التنمية الاجتماعيَّة في السنَّة النبويَّة (دراسة موضوعيَّة)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميَّة غزَّة، كليَّة أصول الدين، ٢٠١١م.

السيِّدة فاطمة عليها السلام البنت والزَّوجة والأم

إيجاد حسين الزين

ملخَّص البحث

للمرأة في المجتمع الإسلاميّ دورٌ كبيرٌ في قوام المجتمع الفاضل، حتَّى أنَّ التكليف الإسلاميّ شاطرها نصف المسؤوليَّة في المجتمع الأسريّ الأصغر، باعتبار أنَّها الأليق لرعاية الشؤون المنزليَّة والعاطفيَّة والتعليميَّة، فهي ترتقي من كمال كونها بنتًا كريحانة في بيت أهلها، لتكون زوجة دافئة في بيت زوجها، ومن ثمَّ تكون أمًّا حاضنة حنونة على أطفالها مع زوجها، فهي ترتقي في كمال الذات إلى كمال الغير؛ لتكون مدرسة تُعِدُّ رجال الله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله؛ ليخوضوا ساحات الجهاد القرآنيّ الشامل في نشر الحقِّ والعدل والأمان في جميع المعمورة.

إنَّ من أبرز مصاديق القدوة الحسنة للمرأة الفاضلة (فاطمة الزَّهراء) سيِّدة نساء العالمين، بل وأكملها على الإطلاق، كيف لا! وهي ربيبة خير الأنام محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وبنت الكاملة المكمَّلة خديجة بنت خويلد عليها السلام، وزوج الإمام عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وسيِّد الأوصياء عليه السلام وأمّ سيِّدا شباب أهل الجنَّة، وعقيلة بني هاشم بطلة كربلاء، فكانت بحقٍّ لا ريب فيه نبراسًا حسنًا لجميع النساء في كلِّ زمانٍ ومكان، وما أحوج نساءنا اليوم لينهلوا من مَعين الزَّهراء عفَّةً وعلمًا وأدبًا وإيمانًا، فكيف تغفل جامعاتنا ومدارسنا ومعلِّمونا عن تعليم سيرة هذا النموذج الذي لا نظير له، ينتفع به الرجال والنساء على حدٍّ سواء، ولقد كانت بنتًا في أسرتها، وزوجةٍ عند بعلها، وأمًّا

لأولادها، وفي كلِّ مرحلة عاشتها، تعلمنا فيها الخلافة المثلى في دنيانا من أجل السير على منهجها الرساليّ في جميع شؤون الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة، للوصول إلى أحسن كمالات الإنسانيَّة، ونيل شفاعتها يوم الورود.

لقد أعدَّها أبوها بوحي السماء، منذ نعومة أظفارها، بمكارم العلم والأخلاق، فكانت نِعمَ البنت الحنونة المدلَّلة والفاهمة، ولقد قاست من المصائب ما كان يلمُّ بأبيها في دعوته، فصبرت وهي ترى بعينها ما يلاقيه من أذى المشركين.

ولقد حضرت يومًا إلى المسجد، فنظرت إلى بعض المشركين وهو يُفرغ سَلا الناقة، (الكيس الذي يتكوَّن فيه الجنين) على ظهر أبيها خاتم النبيِّين، فاحترق قلبها حزنًا وأسفًا، وأسرعت إليه تفديه بنفسها، وتمسح ذلك الأذى عن ظهره وثيابه، وهي صابرة محتسبة، فهي بحق أمُّ أبيها، تستحقُّ من أبيها أن يفديها بنفسه عند ذكرِها: «**فداها أبوها فداها أبوها**».

ولقد كانت نِعم الزوجة الرضية لعليّ عليه السلام ترضى بالقليل، وتشكر الشكر الجزيل، فقد جهَّزها رسول الله صلى الله عليه وآله عروسًا، فما كان لها غير سرير من جريد النخل، ووسادة من آدم محشوَّة بالليف، ومنخل ومنشفة، ورحى للطحن، وجرَّتان وقميص، وخمار لغطاء الرأس، وثوب له زغب، وعباءة قصيرة بيضاء، وجلد كبش.

وأمَّا دارها فقد فرشها عليّ عليه السلام برملٍ ناعم، ونصب في البيت خشبة من الحائط إلى الحائط لتعليق الثياب، إذ لا خزانة ولا صندوق لثياب العروس.

وما شكت يومًا من فقر وجوع، ولم تستنكف عن القيام بالأعمال المنزليَّة، فكانت تطحن بالرحى حتَّى محلت يداها، وكانت تنظِّف البيت، وتطبخ وتعجن وتخبز، ولا تكلِّف زوجها شيئًا ممَّا لا يطيق، وتأكل من الموجود، وعندما يعلم أمير المؤمنين عليه السلام بعدم وجود طعام في البيت، يقول لها: يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فأبغيكم شيئًا؟ فتقول عليها السلام: **يا أبا الحسن إنِّي لأستحي من إلهي أن تكلِّف نفسك ما لا تقدر**

عليه.

ولقد كانت الأم الحنونة لخمسة أولاد، تنفق عليهم من مالها، وتصرف من وقتها وعمرها في رعايتهم، وكانت تربِّيهم وتعلِّمهم الحكمة، وتزكِّيهم وتضفي عليهم الوقار والتقوى والورع، حتَّى أصبحوا أُسوة حسنة للعالمين، فكانت الزَّهراء عليها السلام تمثل أمَّةً بحقٍّ، كما كان إبراهيم أمَّة قائمًا لله.

مقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين محمَّد وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وعلى سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء بنت سيِّد الوصيِّين وأشرف الخلق وخيرتهم أجمعين.

إنَّ للمرأة في المجتمع الإسلاميّ دور كبير لم يدركه كثير من المسلمين، فضلًا عن غيرهم، فقد قنن الإسلام فشاطرها نصف المسؤوليَّة في المجتمع الأسريّ الأصغر، باعتبار أنَّها الأليق لرعاية الشؤون المنزليَّة والعاطفيَّة، فهي ترتقي من كمال كونها بنتًا كريحانة في بيت أهلها؛ لتكون زوجة دافئة في بيت زوجها، ومن ثمَّ تتقلَّد وسام الأم الحاضنة الحنونة لأطفالها مع زوجها؛ وتتابع رقيَّها لتكون مدرسة يُعدُّ فيها رجال الله ليخوضوا ساحات الجهاد بقسميه الأكبر والأصغر.

إنَّ من أبرز مصاديق المرأة الكاملة الفاضلة (فاطمة الزَّهراء) سيِّدة نساء العالمين، وأكملهنَّ على الإطلاق، كيف لا وهي ربيبة خير الأنام محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وبنت السيِّدة الجليلة خديجة بنت خويلد، وزوج عليّ بن أبي طالب سيِّد الأوصياء، فهي القدوة الحسنة لجميع النساء، ليُقتدى بها في جميع الأزمان، وما أحوج نساءنا اليوم لينهلوا من معين الزَّهراء علمًا وأدبًا وإيمانًا، لذا كان من الضروريّ الاطلّاع على سيرة هذا النموذج الذي لا نظير له في جميع مراحل حياتها، بنتًا في أسرتها، وزوجًا عند بعلها، وأمًّا لأولادها من أجل السَّير على منهجها الرساليّ في جميع شؤون الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة، للوصول إلى أحسن كمالات الإنسانيَّة في الدنيا، وأشرف الدرجات العلى في الآخرة، والفوز بشفاعتها عليها السلام.

لهذا، فلا بدَّ للأمَّة الاستفادة من دروس المعصومة الطاهرة، وأخذ العِبر منها في جميع مفاصل سيرة حياتها، وهي بنت في بيت أبيها، وزوج عند زوجها، وأمٌّ تربِّي صغارها، فهي التي لم تستنكف عن القيام بالأعمال المنزليَّة، من الطحن بالرَّحى حتَّى محلت يداها، وتعجن وتخبز وتطبخ، وتنظف البيت، ولا تكلف زوجها شيئًا.

أوَّلًا: ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام

هي السيِّدة فاطمة الزَّهراء بنت سيِّد الأنبياء والمرسلين محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، أفضل من خلق الله في هذا الوجود كلِّه، ولأجله خُلق هذا العالم وما فيه، أمُّها السيِّدة خديجة بنت خويلد عليها السلام التي بذلت كلَّ ما تملك في سبيل زوجها ورسالته، وقد قال رسول الله في حقِّها: «**ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة**»[1]، وقال أيضًا: «**ما قام ولا استقام الدين إلَّا بسيف عليّ ومال خديجة**»[2].

لـمَّا تزوَّج رسول الله صلى الله عليه وآله بخديجة عليها السلام، هجرتها نسوة مكَّة، فكنَّ لا يدخلن عليها، ولا يسلِّمَن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة عليها السلام لذلك، فلمَّا حملت بفاطمة كانت عليها السلام تُحدِّثها من بطنها وتصبِّرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، وعندما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة يومًا، سمعها تحدِّث فاطمة عليها السلام، فقال لها: **يا خديجة، مَن تحدِّثين؟** قالت: **الجنين الذي في بطني يحدِّثني ويؤنسني**. قال: **يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرني أنَّها أنثى، وأنَّها النسلة الطاهرة الميمونة، وأنَّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمَّة، ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه**[3].

فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجَّهت إلى نساء قريش وبني هاشم: أن تعالين لتلين منِّي ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: أنت عصيتنا،

(١) محمَّد بن الحسن الطوسّي، الأمالي، ص٤٦٨.
(٢) محمَّد مهدي الحائريّ، شجرة طوبى، ج٢، ص٢٣٣.
(٣) راجع: محمَّد بن عليّ بن بابويه، الصدوق، الأمالي، ص٦٩١.

ولم تقبلي قولنا، وتزوَّجت محمَّدًا يتيم أبي طالب فقيرًا لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئًا. فاغتمَّت خديجة عليها السلام لذلك، فبينا هي كذلك، إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال، كأنَّهنَّ من نساء بني هاشم، ففزعت منهنَّ لـمَّا رأتهنَّ، فقالت إحداهنَّ: لا تحزني يا خديجة فإنَّا رُسل ربِّك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهي رفيقتك في الجنَّة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهَّرة، فلـمَّا سقطت إلى الأرض، أشرق منها النور حتَّى دخل بيوتات مكَّة، ولم يبقَ في شرق الأرض ولا غربها موضع إلَّا أشرق فيه ذلك النور. ودخل عشر من الحور العين، كلُّ واحدة منهنَّ معها طست من الجنَّة، وإبريق من الجنَّة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقَتَين بيضاوين أشدُّ بياضًا من اللبن، وأطيب ريحًا من المسك والعنبر، فلفَّتها بواحدة، وقنَّعتها بالثانية، ثمَّ استنطقتها، فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادَتَين، وقالت: **أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ أبي رسول الله سيِّد الأنبياء، وأنَّ عليّ سيِّد الأوصياء، وولْدي سادة الأسباط**. ثمَّ سلَّمت عليهنَّ، وسمَّت كلَّ واحدة منهنَّ باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشَّر أهل السماء بعضهم بعضًا بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهَّرة زكيَّة ميمونة، بورك فيها وفي نسلها. فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها، فدرَّ عليها، فكانت فاطمة عليها السلام تنمي في اليوم كما ينمي الصبي في الشهر، وتنمي في الشهر كما ينمي الصبي في السنة[1].

وقد وقع الخلاف بين علماء الإسلام في تاريخ ولادتها عليها السلام، إلَّا أنَّ المشهور عند

(١) الصدوق، الأمالي، ص٦٩٢.

العلماء الإماميَّة أنَّ ولادتها عليها السلام كانت في يوم الجمعة في العشرين من شهر جمادى الثاني، في السنة الخامسة بعد البعثة، وأكثر علماء العامَّة قالوا: إنَّها ولدت عليها السلام قبل البعثة.

ولِدت السيِّدة الزَّهراء، وبدأت تتغذَّى بلبن أمِّها السيِّدة خديجة مشوبًا بالهداية الربانيَّة، فكانت تنمو جسديًّا وعقليًّا وروحيًّا وفكريًّا، وكان اهتمام الرسول بها منقطع النظير؛ لأنَّه مُرَبٍّ رساليٍّ وهادف؛ حيث إنَّه رأى صلى الله عليه وآله في ولادتها معالم الامتداد الرساليّ، حيث إنَّها وعليّ تمثِّل مدرسة الهدى التي سوف يتخرَّج في أحضانها قادة الأمَّة الصادقين المتمثِّلين بأئمَّة أهل البيت المعصومين عليهم السلام[1].

(١) عبد الزَّهراء عثمان محمَّد، الزَّهراء فاطمة بنت محمَّد، ص٦٩.

ثانيًا: فاطمة عليها السلام النموذج الأمثل للبنت

عندما ولِدت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله كان اختيار اسمها من الله عزّ وجلّ، فإنَّ تعيين أسماء أولياء الله يكون من عنده خاصَّة، فلا يسبقه أحد تسميتهم. فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**لـمَّا ولِدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عزّ وجلّ إلى ملك فأنطق به لسان محمَّد صلى الله عليه وآله فَسمَّاها فاطمة، ثمَّ قال: إنِّي فطمتك بالعلم، وفطمتك عن الطَّمث. ثمَّ قال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم، وعن الطمث بالميثاق**»(١).

وللسيِّدة فاطمة عليها السلام أسماء أخرى، فعن الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزّ وجلّ**: فاطمة، والصدِّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكيَّة، والراضية، والمرضيَّة، والمحدَّثة، والزَّهراء»(٢).

لقد فتحت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام عينها في وجه الحياة، وفي وجه أبيها الرسول صلى الله عليه وآله ترتضع من أمِّها السيِّدة خديجة عليها السلام اللبن ممزوجًا بالفضائل والكمال، وكانت تنمو في بيت الوحي نموًّا متزايدًا، وتنبت في مهبط الرسالة نباتًا حسنًا، يزقّها أبوها الرسول صلى الله عليه وآله العلوم الإلهيَّة، ويفيض عليها المعارف الربَّانيَّة، ويعلِّمها أحسن دروس التوحيد، وأرقى علوم الإيمان، وأجمل حقائق الإسلام(٣)، حتَّى نشأت الزَّهراء عليها السلام نشأة كانت المثل الأعلى من الكمال والجلال، فهي تمثِّل أشرف ما في المرأة من إنسانيَّة وكرامة وعفَّة وقداسة ، بالإضافة لما كانت تتمتَّع به من ذكاء وقَّاد، وفطنة حادَّة، وعلم

(١) محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، باب مولد فاطمة الزَّهراء عليها السلام ، ج١، ص٤٦٠.
(٢) محمَّد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار، باب أسمائها وبعض فضائلها عليها السلام، ج٦٤، ص١٠.
(٣) محمَّد كاظم القزويني، السيِّدة فاطمة من المهد إلى اللحد، ج١.

واسع، وكلُّ ذلك من عناية الله وتربية مدرسة النبوَّة، وتخريج معهد الرسالة الإلهيَّة كاملة مكمَّلة[1].

لقد وجد رسول الله صلى الله عليه وآله في ابنته كامل الاستعداد لقبول العلوم ووعيها، ووجد في نفسها الشريفة الطيِّبة كلَّ الروحانيَّة والنورانيَّة، والتهيُّؤ لصعود مدارج الكمال، فقد كان حبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله لبضعته الزَّهراء عليها السلام، وشفقته عليها، فوق حبِّ الآباء وشفقتهم على أبنائهم البررة، كان يؤويها إلى الوارف من ظلال رحمته، ويفديها بنفسه الشريفة، حيث ذكرها مرَّة فقال: «**فداها أبوها فداها أبوها**»[2]، وكان صلى الله عليه وآله يحرص على تعليمها وتكريمها وبيان منزلتها العالية عند الله تعالى وعنده، حتَّى بلغ الغاية في ذلك؛ لتعرف الأمَّة جليل مقامها وعظيم منزلتها، فهو الذي قال فيها: «**فاطمة بضعة منِّي فمن أغضبها أغضبني**». وقال أيضًا: «**فاطمة خير بناتي إنَّها أصيبت بي**»[3] ، فحقٌّ من كانت هذه حالتها أن تسود لنساء أهل الجنَّة، وكان رسول الله يؤكِّد غاية التأكيد على حبِّ ابنته فاطمة، فقد كانت من أحبِّ أهل بيته عليه، فعن سلمان الفارسيّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا سلمان مَن أحبَّ فاطمة فهو في الجنَّة معي، ومن أبغضها فهو في النار، يا سلمان حبُّ فاطمة ينفع في مائة من المواطن، أيسر تلك المواطن الموت والقبر والميزان والحشر والصراط والمحاسبة، فمن رضيت عنه ابنتي رضيت عنه، ومن رضيت عنه رضي الله عنه، ومن غضبت عليه فاطمة غضبت عليه، ومن غضبت عليه غضب الله عليه، وويل لمن يظلمها ويظلم بعلها أمير المؤمنين، ويظلم ذريَّتها وشيعتها**»[4]، فكم لها من الكرامة عند الله، فحقٌّ لها أن تكون أمًّا للطاهرين، وشفيعةً لكلِّ من عرف حقَّها في هذا العالم من الأوَّلين إلى الأخِرين.

(١) محمَّد بيُّومي، السيِّدة فاطمة عليها السلام، ج١، ص١٦.
(٢) محمَّد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار، باب مناقبها وفضائلها عليها السلام، ج٤٣، ص٢٠.
(٣) محمَّد بن أحمد الدمشقيّ، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ، ج١، ص١٥٢.
(٤) ميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ، نفس الرحمن في فضائل سلمان، ص٤٣٠.

لقد شاءت الحكمة الإلهيَّة أن تكون حياتها ممزوجة بالمكاره، مشفوعة بالآلام والمآسي منذ صغر سنِّها، شاهدت ما حرى لأبيها من الأذى من قِبَل المشركين، فقد حضرت يومًا إلى المسجد فنظرت إلى أحد المشركين، وهو يُفرغ سلا الناقة، (هو الكيس الذي يتكوَّن فيه الجنين) على ظهر أبيها الرسول، وهو ساجد، فهرعت نحوه والألم يعتصر قلبها من هول المنظر المؤلم، فأخذت تمسح ذلك عن ظهره وثيابه[1]. واشتدَّت المحنة عليها لـمَّا حوصر رسول الله والمؤمنون في شِعب أبي طالب، مِن قِبَل المشركين، حصارًا اقتصاديًّا، فلا يدعونهم يبيعون ولا يشترون شيئًا، ومنعوا وصول الطعام إليهم، واستمرَّ الحصار مدَّة ثلاث سنين وشهورًا، وما كان لها من العمر سوى خمس سنوات[2].

ولقد قاست الزَّهراء عليها السلام فراق أبيها لـمَّا هاجر إلى المدينة، بعدما مرَّت بها عواصف شديدة وحوادث مؤلمة، من موت أُمِّها خديجة الحنونة، وعانت من عناء السفر والجوع لـمَّا هاجرت مع ابن عمِّها تاركة بيتها التي تربَّت فيه غنيمة للمشركين، وها هي تضمِّد جراح أبيها لـمَّا أصيب في غزوة أُحد في جبهته الشريفة، وهي تشاهد الدماء تسيل منها على وجهه الطاهر ولحيته الشريفة، فتنادي وا أبتاه وتقول: «**اشتدَّ غضب الله على مَن أَدمى وجه رسول الله**. فتغسل الدماء عن وجه أبيها، وعليّ يصبُّ الماء بالمجن، فلمَّا رأت فاطمة أنَّ الماء لا يزيد الدم إلَّا كثرة، عمدت إلى قطعة حصيرة فأحرقتها، وجعلت رمادها ضمادًا على جبهة أبيها، وألزمته الجرح، فاستمسك الدَّم»[3]

ولقد عوَّضت الزَّهراء عليها السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن عطف الأمِّ على صِغَر سنِّها، حيث إنَّ أمَّه ماتت، وهو لا يزال طفلًا، ولأجل ذلك أطلق عليها لقب: «**أم أبيها**»[4]، فكان

(١) محمَّد كاظم القزوينيّ، السيِّدة فاطمة من المهد إلى اللحد، ج١، ص٦٢.
(٢) انظر: م.ن، ج١، ص١٠١.
(٣) م.ن، ج١، ص٧٥.
(٤) انظر: جعفر مرتضى، مأساة الزَّهراء، ج١.

الزَّهراء عليها السلام تمثِّل دور الأمِّ في تعاملها مع أبيها صلى الله عليه وآله، فتهتمُّ به وتضمُّه إلى صدرها كما تفعل الأمُّ بولدها، وإذا عاد من سفرٍ بادرت إلى استقباله واعتنقته، وقبَّلت بين عينيه، وكانت تتأثَّر لحاله وتحنو عليه[1]. وفي يومٍ عمَد أحد سفهاء قريش فاغتراف غرفة من تراب وقذفها في وجه رسول الله وعلى رأسه، وعند عودته إلى البيت نظرت إليه ابنته بحزنٍ وألمٍ شديد، وهي تنفض التراب عنه، وتأتي بالماء وتغسل رأسه ووجهه الكريم، وقد كانت تبكي وتتألَّم لجرأة هؤلاء الطغاة على من يريد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور، فأثَّر موقف السيِّدة عليها السلام في نفس رسول الله، فحاول أن يخفِّف عنها ماسحًا بيديه الكريمَتَين على رأسها برقَّة وحنان، قائلًا لها: «لا تبكي يا بنيَّة، فإنَّ الله مانعٌ أباك، وناصره على أعداء دينه ورسالته»[2]. فقد أراد رسول الله بهذه الكلمات المربِّية أن يزرع في نفس السيِّدة فاطمة روحًا جهاديَّة عالية، ويملأ نفسها وقلبها بالصبر والثقة[3]. وكانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أشدَّ تعظيمًا لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روي عن الحسين بن عليّ عليهما السلام عن أمِّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: **لـمَّا نزلت على النبيّ ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾. فقالت فاطمة: «فتهيَّبت النبيَّ أن أقول له: يا أبة، فجعلت أقول له: يا رسول الله، فأقبل عليَّ فقال لي: يا بنيَّة لم تنزل فيك ولا في أهلك مِن قبل، أنت منِّي وأنا منك..»**[4].

وجاء أنَّه مرَّة دخل عليها عليها السلام، فقامت فأخذت رداءه ونزعت نعليه، وأتته بالوضوء، فوضأته بيدها وغسلت رجليه وقعدت، فكانت نِعمَ البنت المطيعة المحبَّة، والحافظة لمكانة أبيها وعظمته، كلُّ ذلك لتنال رضى الله سبحانه وتعالى، ورضى أبيها عليه صلاة الله وسلامه.

(١) عليّ موسى الكعبيّ، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء، ج١، ص٣٨.
(٢) محمَّد بن جرير الطبريّ، جامع البيان، ج١٠، ص١٧٥.
(٣) المجمع العالميّ لأهل البيت، أعلام الهداية فاطمة الزَّهراء (سيِّدة النساء)، ج٣، ص٧٠.
(٤) مركز المصطفى، متفرِّقات في أسباب النزول، ص٢٦.

ولـمَّا اختار الله سبحانه لنبيِّه دار رضوانه ومأوى أصفيائه، كانت الزَّهراء عليها السلام كالأمِّ التي فقدت وحيدها، فما رُئيت عليها السلام ضاحكةً قطُّ منذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى قُبضت، ومازالت بعده معصوبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدَّة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، تشمُّ قميصه فيغشى عليها، ولـمَّا سمعت بلالًا يؤذِّن حتَّى إذا بلغ: أشهد أن محمَّدًا رسول الله، شهقت وسقطت لوجهها مغشي عليها، حتَّى ظُنَّ بأنَّها عليها السلام قد فارقت الحياة[1].

(١) عليّ موسى الكعبيّ، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء، ج١، ص٣٨.

ثالثًا: فاطمة عليها السلام النموذج الأمثل للزوجة

ولـمَّا بلغت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من العمر تسع سنين، كانت قد تمتَّعت بالنموِّ الجسميّ، والنضج الفكريّ، والرشد العقليّ، والثقافة الدينيَّة والأدبيَّة، فلا عجب من أن يخطبها مشاهير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، إلَّا أنَّ النبي كان يعتذر منهم ويقول: **أمرها إلى ربِّها، إن شاء يزوِّجها زوَّجها**.

وكان من أوائل المتقدِّمين لها لخطبتها أبو بكر وعمر، وكان جواب الرسول لهما: «**إنَّها صغيرة، وإنِّي أنتظر بها القضاء**»[1]، إلى أن تقدَّم لخطبتها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلم يعلن رسول الله صلى الله عليه وآله موافقته للزواج، قبل أن يستأذن من فاطمة عليها السلام، ليعلن أنَّه لا بدَّ من موافقة البنت في اختيار شريك حياتها، فقام رسول الله ودخل على ابنته فاطمة عليها السلام وأخبرها بأنَّ عليًّا جاء يطلب يدها، وقال لها: **يا فاطمة إنَّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإنِّي قد سألت ربِّي أن يزوِّجك خير خلقه، وأحبُّهم إليه، وقد ذَكر عن أمرك شيئًا، فما ترين؟** فسكتت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ولم تولِّ وجهها، فاعتبر الرسول صلى الله عليه وآله سكوتها موافقة ورضى منها على الزواج، وقد كان زواجها عليها السلام بأمر من الله سبحانه وتعالى: «**يا محمَّد إنَّ الله تعالى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: أنِّي قد زوَّجت فاطمة ابنتك من عليّ بن أبي طالب في الملأ الأعلى، فزوِّجها منه في الأرض**». وعن أبي جعفر عليه السلام قال «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **إنَّما أنا بشر مثلكم، أتزوج فيكم وأزوِّجكم، إلَّا فاطمة فإنَّ تزويجها نزل من السماء**»[2].

---

(١) مركز المصطفى، بعض ما ورد في زواجه من عليّ.. وفضائلها، ص٥٤٤.

(٢) محمَّد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٤٥٠.

لقد مثّلت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الأنموذج الأكمل للزوجة الصالحة والمثاليَّة، حيث عاشت مع أمير المؤمنين في حدود التسع سنوات في الحياة الزوجيَّة مليئة بالسعادة والاطمئنان والتوفيق، رغم الظروف الصعبة في أوَّل الهجرة، فقد تزوَّج الإمام عليُّ ابن أبي طالب عليه السلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في رجب، بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة بخمسة أشهر.

وقد قيل في أنَّ مهر السيِّدة فاطمة عليها السلام كان:

١. درع بمبلغ ٤٠٠ درهمًا، وقيل ٤٨٠ درهمًا، وقيل ٥٠٠ درهمًا.
٢. برد حبرة، وهو ثوب يُصنَع باليمن من القطن أو الكتَّان.
٣. إهاب، وهو الجلد ما لم يدبغ[١] سهرًا.

وهو ما ورد في الرواية الشريفة عن بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِي مَرْيَمَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**كَانَ صَدَاقُ فَاطِمَةَ عليها السلام جَرْدَ بُرْدٍ حِبَرَةٍ وَدِرْعَ حُطَمِيَّةٍ، وَكَانَ فِرَاشُهَا إِهَابَ كَبْشٍ يُلْقِيَانِهِ وَيَفْرُشَانِهِ وَيَنَامَانِ عَلَيْهِ**»[٢]، فكانت السيِّدة الزَّهراء خير مصداق لخير المهور المتواضعة، لما جاء في الرواية الشريفة عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: أَفْضَلُ نِسَاءِ أُمَّتِي أَصْبَحُهُنَّ وَجْهًا، وَأَقَلُّهُنَّ مَهْرًا**»[٣]، فكانت مثالًا للزوجة الصالحة والقدوة الحسنة لكلِّ نساء العالمين.

ولقد جُهِّز بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فما كان لها غير سرير من جريد النخل، ووسادة من أدم حشوها ليف، ومنخل ومنشفة، ورحى للطحن، وجرَّتان وقميص، وخمار لغطاء الرأس، وثوب له زغب، وعباءة قصيرة بيضاء، وجلد كبش.

(١) حسين الشاكريّ، سيرة فاطمة الزَّهراء، ج١، ص٢٦.
(٢) محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج٥، ص٣٧٨، بَابُ مَا تَزَوَّجَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَاطِمَةَ عليها السلام.
(٣) محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي (ط الإسلامية) تهران، چاپ: چهارم، ١٤٠٧ق.

أمَّا عليٌّ عليه السلام فقد رشَّ أرض الدار برمل ناعم، ونصب في البيت خشبة من الحائط إلى الحائط لتعليق الثياب، إذ لا خزانة ولا صندوق لثياب العروس. وانتقلت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام إلى البيت الزوجيَّة، وكان انتقالها من بيت الرسالة والنبوَّة إلى دار الإمامة والوصاية والخلافة والولاية، وحصل تطوُّر في سعادة حياتها، فبعد أن كانت تعيش تحت شعاع النبوَّة، صارت قرينة الإمامة. كانت حياتها في البيت الزوجيّ تزداد إشراقًا وجمالًا، إذ كانت تعيش في جوٍّ تكتنفه القداسة والنزاهة، وتحيط به عَظَمة الزهد وبساطة العيش، وكانت تعين زوجها على أمر دينه وآخرته، وتتجاوب معه في اتِّجاهاته الدينيَّة، وتتعاون معه في جهوده وجهاده. وشظف العيش[1].

فقد أتى رسول الله صلى الله عليه وآله عليًّا وفاطمة عليها السلام صبيحة عرسهما وقال: «السلام عليكم، أدخل رحمكم الله، ففتحت أسماء الباب، وكانا نائمين تحت كساء فقال: على حالكما.. فسأل عليًّا كيف وجدت أهلك؟ قال: نِعمَ العون على طاعة الله. وسأل فاطمة فقالت: خير بعل..»[2].

فرغم مكانة الزَّهراء عليها السلام وعظمتها ومقامها الرفيع، إلَّا أنَّها لم تستنكف عن القيام بالأعمال المنزليَّة، فكانت تطحن بالرحى حتَّى محلت يداها، وكانت تنظِّف البيت وتطبخ وتعجن وتخبز، كما كانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لا تكلِّف زوجها شيئًا، ولا تطلب منه أي شيء، وعندما يعلم أمير المؤمنين عليه السلام بعدم وجود طعام في البيت، يقول لها: **يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فأبغيكم شيئًا؟** فتقول عليها السلام: **يا أبا الحسن إنِّي لأستحي من إلهي أن تكلِّف نفسك ما لا تقدر عليه.**

وقد ورد في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فَوَ الله مَا أَغْضَبْتُهَا وَلَا أَكْرَهْتُهَا عَلَى أَمْرٍ حَتَّى**

(١) حسين الشاكريّ، سيرة فاطمة الزَّهراء، ج١، ص٣٤.
(٢) راجع، ناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ، ج٣، ص١٣١ .

قَبَضَهَا اللهُ عزوجل، وَلاَ أَغْضَبَتْنِي، وَلَا عَصَتْ لِي أَمْرًا، وَلَقَدْ كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا فَتَنْكَشِفُ عَنِّي الْهُمُومُ وَالْأَحْزَان»[1].

فلو أنَّ بعض هذه الفضائل والمزايا توفَّرت في إحدى النساء لاستحقت التقدير والتعظيم، فكيف بفاطمة الزَّهراء عليها السلام وقد اجتمعت فيها من المزايا والفضائل والمكارم ما لم تجتمع في أيِّ امرأة في العالم كلِّه، لذلك لا بدَّ لنا من التعلُّم والاقتداء بمن هي طريق الوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

(١) محمَّد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٣٤، ص١٣٦، باب تزويجها عليها السلام.

رابعًا: فاطمة النموذج الأمثل للأم

إنَّ الأمومة من الوظائف الحسَّاسة والمهام الثقيلة التي أُلقيت على عاتق الزَّهراء عليها السلام، حيث رزقت عليها السلام خمسة أطفال، هم: الحسن، والحسين، وزينب، وأمّ كلثوم، ومحسن الذي أُسقِط وهو جنين في بطن أمِّه.

وقد قدَّر الله سبحانه أن يكون نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وذريَّته من فاطمة عليها السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله جعل ذريَّة كلِّ نبيٍّ من صلبه خاصَّة، وجعل ذريَّتي من صلبي ومن صلب عليّ بن أبي طالب**»[1]. فكان وليدها الأوَّل الحسن بن عليّ عليه السلام في الخامس عشر من شهر رمضان السنة الثالثة للهجرة، وقد كانت تسميته من الله سبحانه وتعالى، وبعد عدَّة شهور تحمل السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مرَّة أخرى، ويأتي الوليد المبارك الآخر في اليوم الثالث من شعبان في السنة الرابعة للهجرة، وتكون تسميته من الله أيضًا بـ: الحسين عليه السلام، ومن ثمَّ تلد الزَّهراء السيِّدة زينب عليها السلام في الخامسة من جمادى الأولى في السنة التي بعدها، ثمَّ تلد السيِّدة أمّ كلثوم عليها السلام والتي تسمَّى زينب الصغرى.

تحمَّلت السيِّدة فاطمة عليها السلام مسؤوليَّة التربية[2]، وكانت تقوم بالأعمال من تهيئة الطعام لزوجها وأبنائها، فتقوم بطحن الشعير وعجنه وخبزه، وتنظيف البيت، وغزل ملابس أولادها بيديها الطاهرتين[3]، وعملت على تطبيق كلِّ ما تعلَّمته من والديها في تربية أبنائها، والذي يمثِّل رسالة في الحقوق والواجبات بالحقوق، وكان من تلك

(١) ابن شهر آشوب المازندرانيّ، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ج٢، ص٣٨٧.
(٢) حسين الشاكريّ، سيرة فاطمة الزَّهراء، ج١، ص٣٦.
(٣) انظر: باقر شريف القرشّي، حياة سيِّدة النساء، ص١٤٧.

المبادئ ما يأتي:

١. حقُّ الطفل في عبادة الله:

إنَّ سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام جعلت من نفسها قدوة صالحة لأولادها؛ كي تمنحهم حقَّهم في عبادة الخالق تعالى، وهي تنهج في صلاتها من خوف الله تعالى، ولم تخرج في حياتها كلّها عن المحراب، فما كانت حياتها إلَّا السجود الدائم لله، فهي في البيت تعبد الله في حسن التبعُّل وفي تربية أولادها، وكانت سلام الله عليها ترسل ولداها، وهما في دور الطفولة، إلى مجلس جدِّهما رسول الله صلى الله عليه وآله ليتعلَّما أحاديثه ومعالي أخلاقه، فكانا إذا رجعا إلى الدار سألتهما عمَّا سمعاه من جدِّهما من العلوم والآداب[1]. كانت عليها السلام تُرضِع أولادها من لبن الإيمان الخالص، ولقد غذَّتهم بالقيم الروحيَّة الإسلاميَّة العالية، وجعلت من بيتها المتواضع منارًا للعلم للإيمان وتوحيد الله سبحانه.

٢. حقُّ الطفل في تعليمه الأخلاق الحسنة، ومنحه الاحترام والتقدير:

حرصت عليها السلام على تنشئة أولادها على الاستقامة، وغذَّتهم بالكرامة ومحاسن الأخلاق والآداب، وعوَّدتهم على الصراحة والصدق والوفاء بالعهد، وكانت الزَّهراء عليها السلام تحترم شخصيَّة أطفالها وتعاملهم معاملة الرجال، ممَّا جعلهم يشعرون بمنزلتهم، ويطَّلعون على مكانتهم، ويبنون شخصيتهم، حيث كانت العلاقة بين الأخوة يسودها التبجيل والتقدير لبعضهم، وعدم مخاطبة بعضهم بأيَّة كلمة قاسية، هكذا كانت حياة أهل البيت مليئة بمواهب التربية النبويَّة الإلهيَّة.

٣. حقُّ الطفل في تعليمه كيفيَّة الاعتماد على النفس:

قامت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بتربية أولادها في الاعتماد على أنفسهم، فقد ربَّت الحسن عليه السلام ليتحمَّل مسؤولية قيادة المسلمين، وتجرَّع الغصص في أحرج اللحظات من تاريخ الرسالة، ويصالح معاوية على مضض؛ حفاظًا على سلامة الدين الإسلاميّ

(١) باقر شريف القرشيّ، حياة سيِّدة النساء، ص١٧٥.

فيسقط ما في يد معاوية ويُفشِل كلَّ خططه. وربَّت الحسين عليه السلام الذي اختار التضحية بنفسه وجميع أهله وأعز أصحابه في سبيل الله، ومن أجل مقارعة الظلم والظالمين، وربَّت عليها السلام زينب وأمّ كلثوم، وعلَّمتهما دروس التضحية والفداء والصمود أمام الظالمين، حتَّى لا يذعنا ولا يخضعا للظالم وقوَّته، ولتقولا الحقَّ أمام جبروت بني أميَّة بكلِّ جرأة وصراحة، لتتَّضح خطورة المؤامرة على الدين وعلى أمَّة سيِّد المرسلين[1].

هذه هي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله السيِّدة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء العالمين، الأم العاملة الحنونة، والعطوفة على أولادها، المربِّية الفاضلة، فهي تشكِّل عنوان التربية الإسلاميَّة المحمَّديَّة، فإنَّه لا بدَّ لكلِّ أمّ على وجه هذه الأرض أن تتعلَّم منها، وتقتديَّ بها عليها السلام، للوصول إلى رضا الله سبحانه، والوصول إلى أعلى درجات الكمال والسعادة.

(١) هاشميَّة حميد جعفر، الطفولة وحقوق الطفل عند فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

خامسًا: وفاة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

حان موعد لقاء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، والالتحاق بالرفيق الأعلى، فكانت وفاتها في الثالث من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة من الهجرة، فبقيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وتسعين يومًا، وقيل: أربعة أشهر، فإنَّها سلام الله عليها لـمَّا دنت منها الوفاة أوصت ابن عمِّها أمير المؤمنين عليه السلام بأن:

١. يواري جثمانها المقدَّس في غلس الليل.

٢. أن يعفي ويستر موضع قبرها.

٣. أن يتزوَّج بابنة اختها أمامة لرعاية أبنائها[١].

ولقد تولَّى أمير المؤمنين عليه السلام تغسيلها، وأعانته عليه أسماء بنت عميس، وأوصت فاطمة عليها السلام أسماء ألَّا يغسِّلها إذا ماتت إلَّا هي وعليّ عليه السلام، قالت: فغسَّلتها أنا وعليّ، وصلَّى عليها أمير المؤمنين، والحسن والحسين عليهما السلام، وعمَّار، والمقداد، وعقيل، والزبير، وأبو ذر، وسلمان، وبريدة، ونفر من بني هاشم في جوف الليل. ودفنها أمير المؤمنين عليه السلام سرًّا كما أوصت، وأمَّا موضع قبرها فاختُلِف فيه، فقال بعض أصحابنا: إنَّها دُفِنت في البقيع، وقال بعضهم: إنَّها دُفِنت في بيتها، فلمَّا زادت بنو أميَّة في المسجد صارت في المسجد، وقال بعضهم: إنَّها دُفِنت فيما بين القبر والمنبر[٢]، ولعلَّ إلى هذا أشار رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة»[٣].

(١) باقر شريف القرشيّ، حيات سيِّدة النساء، ص٣٧٧.

(٢) محمَّد هادي النجفيّ، موسوعة أحاديث أهل البيت، ج٣، ص١٣٥.

(٣) محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، باب المنبر والروضة ومقام رسول الله صلى الله عليه وآله، ج٤، ص٥٥٤.

الخاتمة

إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي المثال الصالح لكلِّ الفضائل، فهي حوراء أنسيَّة؛ لأنَّها خلقت من ثمر الجنَّة، بنت بارَّة، وزوجة صالحة، وأمٌّ حنون، وعاملة كادحة، وعابدة زاهدة، وعالمة غير معلَّمة، وفاهمة غير مفهَّمة، صابرة محتسبة، غنيَّة النفس. فالزَّهراء عليها السلام هي النموذج الناجح والقابل للاقتداء به على مرِّ الزمان؛ لأنَّها تمثِّل الحالة المثاليَّة التي يجب أن تكون عليها البنت والزوجة والأم.

المصادر والمراجع

٤. باقر شريف القرشيّ، حياة سيِّدة النساء.
٥. جعفر مرتضى العامليّ، مأساة الزَّهراء، ج١.
٦. جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ، محمَّد بن أحمد الدمشقي، ج١.
٧. حسين الشاكريّ، سيرة فاطمة الزَّهراء، ج١.
٨. حميد جعفر، الطفولة وحقوق الطفل عند فاطمة الزَّهراء عليها السلام.
٩. الطبرسيّ، أعلام الورى بأعلام الهدى، ج١.
١٠. عبد الزَّهراء عثمان محمَّد، الزَّهراء فاطمة بنت محمَّد.
١١. عليّ موسى الكعبيّ، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء، ج١.
١٢. المجمع العالمي لأهل البيت، أعلام الهداية فاطمة الزَّهراء (سيِّدة النساء)، ج٣.
١٣. محمَّد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٣٤، باب تزويجها عليها السلام.
١٤. محمَّد باقر المجلسيّ، بحار الأوار، ج٤٣.
١٥. محمَّد بن الحسن الطوسيّ، لأمالي.
١٦. محمَّد بن جرير الطبريّ، جامع البيان، ج١٠.
١٧. محمَّد بن عليّ الصدوق، الأمالي.
١٨. محمَّد بن عليّ بن بابويه الصدوق، الأمالي.
١٩. محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، باب مولد فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ج١.

٢٠. محمَّد بيُّومي، السيِّدة فاطمة عليها السلام، ج١.
٢١. محمَّد كاظم القزويني، السيِّدة فاطمة من المهد إلى اللحد، ج١.
٢٢. محمَّد كاظم القزوينيّ، السيِّدة فاطمة من المهد إلى اللحد، ج١.
٢٣. محمَّد مهدي الحائريّ، شجرة طوبى، ج٢.
٢٤. محمَّد هادي النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت، ج٣.
٢٥. مركز المصطفى، بعض ما ورد في زواجها من عليّ.. وفضائلهما.
٢٦. مركز المصطفى، متفرِّقات في أسباب النزول.
٢٧. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج٣.
٢٨. ميرزا حسين النوري الطبرسيّ، نفس الرحمن في فضائل سلمان.

المعارضة والإصلاح في فكر فاطمة الزَّهراء عليها السلام

أ.د. حسين لفته حافظ
جامعة الكوفة/ مركز دراسات الكوفة
م.د. ليث عبد الحسين العتَّابي
كليَّة الفقه الجامعة

ملخَّص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم والصَّلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيِّبين الطاهرين

وبعد:

لا يمكن لنا أن نلتمس من التراث الفكريّ الإسلاميّ نصًّا مقدَّسًا غير قابل للتأويل ولا خاضع للمساومة والاستغفال غير القرآن الكريم والسنَّة الشريفة، وما عداهما فهو دون ذلك خاضع للنقد والتحليل والاجتهاد والتأويل.

وهنا لا بدَّ أن نشير إلى مكانة أهل البيت عليهم السلام في التراث الفكريّ الإسلاميّ، كونهم عدل القرآن، والثقل الثاني، وتراجمة الوحي، وأساس الدين، وقادة المسلمين، وكلُّ هذا يعني أنَّ كلامهم حجَّة علينا، ومن الواجب على جميع المسلمين طاعتهم واتِّباعهم بنصِّ القرآن، ووصيَّة النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

وهنا نقف مع نموذجٍ صادقٍ وحقيقي للتربية الإسلاميَّة للفرد المسلم بشكلٍ عام، و للمرأة المسلمة بشكلٍ خاص.

نقف مع فاطمة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء العالمين، مثال المرأة المسلمة، والنموذج الإنسانيّ الخلَّاق، والمثال الصادق للتربية الإسلاميَّة الحقيقيَّة.

فقد شرَّع الإسلام أحكامًا وقوانين، ووضع مناهج متكاملة لإعداد المرأة المسلمة والمؤمنة، وللرقيِّ بها وبتربيتها وتعليمها ورفع مكانتها وحفظ مصالحها ورعاية شؤونها وبناء كيانها؛ لتكون المثال الصادق والنموذج الإنسانيّ الصادق والمعبِّر عن حقيقة المرأة.

وهنا يأتي نموذج الزَّهراء عليها السلام ليمثِّل بصدق حال نساء صدر الإسلام، وربيبات بيت الوحي والنبوَّة، لتكون دراسة نوجِّه النظر فيها إلى جانبٍ مهمٍّ من جوانب حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ألا وهو جانب المعارضة والإصلاح، وننوِّه إلى ما في البحث من صعوبة كبيرة، وبالخصوص لما يختصُّ بعمرها القصير عليها السلام، وقلَّة الدراسات المختصَّة عنها، والتي تناولت الجانب الإصلاحيّ، وفكر المعارضة.

لذا نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا إلى أن نقف على هذا الجانب المهمِّ، إنَّه نِعمَ المولى ونِعمَ النَّصير.

و الحمد لله ربِّ العالمين.

دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الفرد المسلم

من المعلوم أنَّ دور أهل البيت عليهم السلام هو بناء الفرد المسلم بناءًا إنسانيًّا وإيمانيًّا وأخلاقيًّا وعقائديًّا، من خلال القول والفعل والتقرير أو الإقرار.

فلقد أعتنى أهل البيت عليهم السلام بتربية وتعليم أتباعهم وأصحابهم وتلامذتهم التربية والتعليم الصحيحة، المجسِّدة للتعاليم الإسلاميَّة مفهومًا وواقعًا، من خلال تربية الفرد المسلم وفق تعاليم كتاب الله تعالى وسنَّة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، حتَّى يكون هذا الفرد النموذج الحقيقي لهذه التعاليم، وليكون محصَّنًا ضدَّ عوامل التخريب والانحراف، وليكون مهيَّئًا للقيام بالتغيير والإصلاح متى ما اقتضت الضرورة لذلك.

فنشاهد هذه الحقيقة جليَّة وواضحة في سلوكهم عليهم السلام، ونجده أيضًا جليًّا في وصاياهم وكلماتهم وأحاديثهم وتصرفاتهم؛ لتكون الدستور الذي يسير عليه أصحابهم ومحبُّوهم ومتَّبعوهم في كلِّ زمانٍ ومكان.

فنجد الأمام الباقر عليه السلام يقول: «**والله ما معنا من الله براءة، وما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجَّة، ولا يُتقرَّب إلى الله إلَّا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعًا نفعته ولايتنا، ومن كان منكم عاصيًا لم تنفعه ولايتنا**»[1].

(١) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ، ص٣٩.

أهل البيت عليهم السلام و بناء فكر المعارضة و الإصلاح

إنَّ القارئ لفكر أهل البيت عليهم السلام، والباحث في كفاحهم العمليّ والدينيّ والسياسيّ، سواء أكان الظاهر منه أم الخفيّ، على مدى حياتهم عليهم السلام، وحتَّى زمان الغيبة الكبرى، نجده يتركَّز في أمور مهمَّة ورئيسة، هي:

١. بناء الأمَّة البناء الدينيّ والعقائديّ والأخلاقيّ الرصين.
٢. تربية الأمَّة على نبذ الظلم ومقاومة الظَّلمة.
٣. تربية الأمَّة على أهميَّة إقامة العدل، والسعي إلى إقراره ونشره والعمل به.
٤. تربية الأمَّة على أسلوب المقاطعة، حين تعجز الأساليب الأخرى.
٥. تربية الأمَّة على الثورة حين توفُّر الظروف المناسبة، وحين تحين ساعة حفظ الدين، والدفاع عن بيضة الإسلام ضدَّ أعداءه من الداخل والخارج.
٦. أسلوب المعارضة الفكريَّة والسياسيَّة، وتبيين حقيقة الظَّلَمة ومواطن الظلم، ورفع شعار الإصلاح.

وهنا لا بدَّ لنا أن نقف مع هذا المورد المهم، فللمقاومة الفكريَّة والسياسيَّة الدور المهم في حياة الأمَّة الإسلاميَّة، فكلَّما ظهر حاكم ظالم ومغتصب ومجانب لتعاليم الإسلام، كان لا بدَّ من مقاومته ومقارعته، وهذا جليٌّ وواضحٌ للمتتبِّع لسيرة أهل البيت عليهم السلام من أوَّلهم حتَّى آخرهم.

المعارضة والإصلاح في فكر الزَّهراء عليها السلام

لقد خاضت السيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بقيادة بعلها عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله سبيلًا معتدلًا في معارضة السلطة الحاكمة آنذاك، بما يحفظ بيضة الإسلام ويصون المسلمين، فعزما عليهما السلام أن يخوضا معركة ومواجهة واسعة ومريرة، لكن بهدوء وحكمة ورويَّة تؤدِّي إلى الحفاظ على الإسلام، لكي لا تنهدم أركانه، وتتداعى أُسسه، فكانت المواجهة على مراحل:

١. مرحلة التذكير بالحقِّ الطبيعي لآل البيت عليهم السلام، والموقع الحقيقيّ لهم في الكيان الإسلاميّ:

فقد أخذ الإمام عليّ وفاطمة الزَّهراء بيد الحسن والحسين عليهم السلام جميعًا، وطافوا على بيوت المدينة ورجالها وأشرافها، داعين إلى نصرتهم، مذكِّرين بوصايا النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله بحقِّهم[1]، وقد استطاعوا عليهم السلام أن يكسبوا من خلال تلك الحملة الإعلاميَّة والتذكيريَّة ثلَّة من المناصرين، الذين أثَّرت فيهم الحقيقة، وهداهم الله إلى سواء السبيل.

وكانت هذه المرحلة هي المرحلة الأولى من إعلان المعارضة للحاكم المتمثِّل في ذلك الوقت بشخص أبي بكر.

٢. رفض البيعة وعدم المبايعة:

فقد رفض الأمام عليّ وفاطمة الزَّهراء عليهما السلام المبايعة للحاكم، وأعلنوا سخطهم على النظام الحاكم والمتسلِّط والغاصب والمخالف لحقِّ أهل البيت عليهم السلام، فقد خالف

(١) الإمامة و السياسة، الدينوريّ، ج١، ص١٢.

الحقَّ الشرعيّ والوصيَّة الشرعيَّة والاختيار الإلهيّ، وقد أعلن أهل البيت عليهم السلام متمثِّلين بالإمام عليّ وفاطمة الزَّهراء عليهما السلام المقاطعة للحكومة وكلِّ مظاهرها.

٣. المواجهة:

فبعد أن قام الطغاة باقتحام البيت النبويّ المطهَّر، واقتيادهم لأمير المؤمنين عليه السلام جبرًا وغصبًا، فما كان من الزَّهراء عليها السلام إلَّا أن تقوم بنصرة الحقِّ، وتدافع عن زوجها ووصيِّ النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام المفترَض الطاعة وعن الإسلام، فخرجت على إثره كسيرة الضِّلع منهكة الجسد، لاحقة لهم إلى المسجد النبويّ قائلة: «خلُّو عن ابن عمِّي، فوالذي بعث محمَّدًا بالحقِّ لئن لم تخلُّوا، عنه لأنشرنَّ شعري، ولأضعنَّ قميص رسول الله صلى الله عليه وآله، على رأسي ولأصرخنَّ إلى الله»[1].

فكادت عليها السلام أن تقلب نظام الحكم يومئذ.

٤. التصدِّي للمغتصبين والمناداة بالحقِّ علنًا:

وذلك من خلال المطالبة بالحقوق الخاصَّة لأهل البيت عليهم السلام، وبالخصوص (فدك)؛ وفدك: قرية تبعد عن المدينة عدَّة فراسخ، كان فيها زرع وبساتين لليهود، فلمَّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر، قذف الله سبحانه وتعالى الرعب في قلوب أهل (فدك)، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فصالحوه على النِّصف منها، فقبل منهم ذلك، فكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله[2]؛ لأنَّه صلى الله عليه وآله لم يوجِف عليها بخيل ولا ركاب، فكان صلى الله عليه وآله يقسِّم منافعها في بني هاشم، وفقراء المدينة ومساكينهم، فلمَّا نزلت الآية الشريفة: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ (الأسراء: ٢٦)، امتثل النبيّ صلى الله عليه وآله أمر الله، وأعطى فدكًا لفاطمة الزَّهراء عليها السلام، وقد وردت في ذلك عدَّة روايات، منها:

---

(١) البحار، المجلسّي، ج٤٣، ص٤٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، أبن أبي الحديد، ج١٦، ص٢١٠.

- عن أبي سعيد الخدريّ قال: لـمَّا نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا فاطمة لك فدك**[1].
- وعن عطيَّة قال: لـمَّا نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكًا[2].

٥. موارد أخرى:

منها:

١. دلالات إشهاد الزَّهراء للشيخَين، وإقرارهما على ظلامتها عند زيارتهما لها، وهي في فراش المرض.
٢. عدم السلام عليهما.
٣. وصيَّتها لأمير المؤمنين عليه السلام بدفنها ليلًا.
٤. وعدم وجود الظلمة في جنازتها.
٥. إخفاء قبرها.

فكلُّ هذه الأمور تحمل دلالات كبيرة في أسلوب المعارضة، وبيان حقيقة القوم، ليكون البحث بشكله التام والكامل.

(١) كشف الغمَّة، الأربلِّيّ، ج٢، ص١٥٢، الدرُّ المنثور، السيوطيّ، ج٤، ص١٧٧.
(٢) المصدر نفسه.

البلاغة في مواجهة أسلحة الطغيان

كان للزَّهراء عليها السلام أسلوب آخر في إعلان معارضتها للسلطة الحاكمة، والمطالبة بالعدل والإصلاح، والدعوة لتقويم نظام الحكم، والإشارة الصريحة لأخطائه، وذلك عن طريق الخطب التي ألقتها، وهنا نشير إلى مضامين مهمَّة في خطب وكلمات الزَّهراء عليها السلام:

١. التعريف بمكانتها من الإسلام والمسلمين:

إذ قالت عليها السلام: «.. **وأشهد أنَّ أبي محمَّد صلى الله عليه وآله عبده ورسوله..**»[١].

فهي إشارة جليَّة وواضحة إلى أنَّها بنت النبيّ صلى الله عليه وآله، ولها المكانة العالية، وعلى الكلِّ الاعتراف بهذه المكانة، وإطاعة وصيَّة النبيّ صلى الله عليه وآله بحقِّها وبحقِّ أهل بيتها عليهم السلام، وعدم المخالفة في ذلك.

وقولها عليها السلام: «.. **أعلموا أنِّي فاطمة وأبي محمَّد صلى الله عليه وآله..**»[٢].

٢. التعريف بمكانة الإمام عليّ عليه السلام من الإسلام والمسلمين:

«.. **كلَّما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتَّى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودًا في ذات الله، مجتهدًا في أمر الله، قريبًا من رسول الله، سيِّدًا في أولياء الله، مستمرًا ناصحًا مجدًا كادحًا لا تأخذه في الله لومة لائم..**»[٣].

---

(١) الاحتجاج، الطبرسيّ، ج١، ص١٣١-١٤١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

٣. التعريف بمكانة أهل البيت عليهم السلام من المنظومة الإسلاميَّة:

إذ قالت عليها السلام: «.. فجعل الله.. العدل تنسيقًا للقلوب، وطاعتنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا للفرقة..»[١].

٤. التعريض بمغتصبي الخلافة ومجابهتهم وبيان صريح مخالفتهم للشرع:

«.. ثمَّ أخذتم تورون وقدتها وتهيجون جمرتها وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإهمال سنن النبيّ صلى الله عليه وآله الصَّفيّ..»[٢].

و**«.. وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهليَّة تبغون..»[٣].**

و**«.. أأغلب على إرثي! يا ابن أبي قحافة، أ في كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئًا فريا، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم..»[٤].**

و**«.. أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي و ابن عمِّي..»[٥].**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الاحتجاج، الطبرسيّ، ج١، ص١٣١-١٤١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

سلاح الصَّمت

إنَّ لسلاح الاعتصام الأثر الكبير والمؤثِّر أكثر بكثير من سلاح الكلام في بعض الأحيان، لذا فقد استمرَّت فاطمة الزَّهراء عليها السلام بجهادها ومعارضتها للسلطة الحاكمة، واختارت في آخر حياتها سلاح الصمت والاعتصام عن الكلام مع السلطة الحاكمة المتمثِّلة بأبي بكر، إذ أعلنت أمام الملأ وقالت: «**والله لا أكلمك بكلمة ما حييت**»(١).

و كان لهذا الأجراء الأثر الكبير على الحاكم و الحكومة في ذلك الوقت، إذ ليست الزَّهراء عليها السلام من سواد الناس، ولا بالفرد العادي، فهي القائل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله بإجماع المسلمين: «**إنَّ الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»(٢).

وبقيت على ذلك إلى شهادتها عليها السلام والتحاقها بالرفيق الأعلى، لتبعث برسالة إلى الأمَّة الإسلاميَّة، ولتوجِّه صفعة مؤلمة لنظام الحكم المستبد، ولتعطينا درسًا، بل هو درس للأجيال.

(١) كشف الغمَّة، الأربلِّيّ، ج٢، ص١٠٣.
(٢) كشف الغمَّة، الأربلِّيّ، ج٢، ص٨٤.

قائمة المصادر

* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن عليّ الطبرسيّ، دار الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ.

٢. الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوريّ، تحقيق: الأستاذ عليّ شيري، مطبعة دار الأضواء، ١٩٩٠م.

٣. بحار الأنوار، محمَّد باقر بن محمَّد تقي المجلسيّ، إحياء الكتب الإسلاميَّة، د.ت.

٤. الدرُّ المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.

٥. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربيَّة، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

٦. كشف الغمّضة، ابن أبي الفتح الأربلِّيّ، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٩٨٥.

٧. مكارم الأخلاق الشيخ رضيّ الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسيّ، مكتبة الألفين، الكويت، د.ت.

المحتويات

- السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقيّ ٥

نور الهدى جابر چياد

- فاطمة الزَّهراء في كتاب الطبقات الكبير لمحمَّد بن سعد المتوفَّى ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م ٢٧

م.د. سالم لذيذ والي الغزِّيّ/ المديريَّة العامَّة للتربية في محافظة ذي قار

- المظاهر الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة ومقاصدها في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام دراسة تحليليَّة ٤٩

الباحثة زينب حسين عبد عليّ المعموريّ/ مديرة مدرسة البضعة الطَّاهرة العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

- المضامين الاقتصاديَّة في الخطبة الفدكيَّة (دراسة تحليليَّة) ٧٥

د. ميثاق كاظم هادي الخفاجيّ

- خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في ضوء السنن التاريخيَّة ٩٧

د. مبارك حسن ذياب

- الاقتباسُ بالنصِّ القرآنيّ لدى الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام (الخطبة الفدكيّة أنموذجًا)، دراسة تأريخيَّة ١٢١

أ.م.د. حيدر عبد الحسين زوين/ جامعة الكوفة/ كليَّة الآداب/ قسم اللغة العربيَّة

الباحثة نضال عليّ عبُّود/ مديريَّة تربية محافظة ديالى

- سيرة فاطمة الزَّهراء في الفكر الاستشراقيّ بين الغلط والمغالطة ١٥١

أ.د. أحمد الصفَّار/ أكاديميّ مُتقاعد (جامعة مانشستر)/ بريطانيا

- صورة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مِن الولادة حتَّى الزواج في رؤية عليّ شريعتي- دراسة نقديَّة ٢٠٣

أ.د. عبَّاس فضل حسين المسعوديّ/ جامعةُ المثنَّى/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

- فاطمة الزَّهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله ٢٣٥

م.د. حيدر عليّ كاظم حسين التميميّ/ جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام/ كليَّة الآداب

- سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ومكانتها بين وجود أبيها صلى الله عليه وآله وفقده ٢٦٣

الباحثة إيمان ستَّار عليّ

- السيِّدة الزَّهراء عليها السلام دراسة في رؤى النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله ٢٨٥

م.م. باسم عبد الزَّهرة جمعة/ مديريَّة تربية محافظة البصرة/ قسم تربية القرنة

محور الدِّراسات التربويَّة والنَّفسيَّة والاجتماعيَّة ٣١٣

- قراءة تحليليَّة للفكر التربويّ في سيرة حياة سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام ٣١٥

أ.د. بشير هادي الطائيّ/ جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربيّ

الباحث عبد الأمير عودة شاوردي

- التفكير الإبداعيّ وأثره في حلِّ المشكلات عند الزَّهراء عليها السلام ٣٦٧

أ.د. سيف طارق حسين العيساويّ/ جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة

أ.د. قصي سمير عبيِّس الحِلِّيّ/ كليَّة الإمام الكاظم/ أقسام بابل

- صفات المرأة العصريَّة قراءة وتأصيل في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ٤٠٣

أ.د. محمَّد فهد القيسيّ/ جامعة واسط/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

- سِيرةُ الزَّهراءِ عليها السلام وَمَبَادئ التَّعايشِ السِّلْمِيّ في المجتمعِ أَقوَلُها عليها السلام أَنْمُوذَجٌ ٤٢٩

د. عبد الهادي كاظم كريم/ جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة

- القدوة في مفهوم الحياة الاجتماعيَّة (شخصيَّة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا) ٤٦٧

م. حوراء خضير عبيِّس

- القدوة الحسنة والنَّمذجة السلوكيَّة الإيجابيَّة في ضوء النظريَّات النفسيَّة الحديثة (السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا) ٥٠١

أ.د. محمَّد كاظم جاسم الجيزانيّ/ الجامعة المستنصريَّة/ كليَّة التربية الأساسيَّة

- الزَّهراء عليها السلام موسوعة علم وتعلُّم ٥٥٥

أ. د. محمَّد عليّ حسين

جامعة ديالى/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

أ.د. سماهر محي موسى

أ.م.د. ظافر أكرم قدُّوري

- الفكرالتربويّ النيِّر والتنمية البشريَّة المُستدامة في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ٥٧٣

أ.م.د. منى محمَّد يونس/ الجامعة اللبنانيَّة/ كليَّة التربية/ الفرع الأوَّل/ بيروت

- الإصلاحُ الأسريُّ في فكر السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ٦١٣

د. خديجة حسن عليّ القصير/ جامعة الكوفة/ كليَّة الإدارة والاقتصاد

م.م. نوفل عبد الأمير محمَّد عليّ الحمَّاميّ/ جامعة الكوفة/ كليَّة التربية الأساسيَّة

- تجلِّيات التنمية البشريَّة في سيرة سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام ٦٣٥

  د. علاء حميد فيصل/ مديريَّة تربية البصرة
- السيِّدة فاطمة عليها السلام البنت والزَّوجة والأم ٦٥٩

  إيجاد حسين الزين
- المعارضة والإصلاح في فكر فاطمة الزَّهراء عليها السلام ٦٨٥

  أ.د. حسين لفته حافظ/ جامعة الكوفة/ مركز دراسات الكوفة

  م.د. ليث عبد الحسين العتَّابي/ كليَّة الفقه الجامعة

تَمَّ الجزءُ الثَّالثُ مِنَ البحورِ

ويَليهِ الجزءُ الرَّابعُ

إِنْ شَاءَ اللهُ